

التساؤلات التفسيرية

التي أودها الإمام البغوي
في تفسيره وأجاب عنها
عرضا ودراسة

د. أحمد حزام علي المعمرى



جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم
كلية الدراسات العليا
دائرة العلوم الشرعية
شعبة : التفسير وعلوم القرآن



التساؤلات التفسيرية التي أوردتها الإمام البغوي في تفسيره وأجاب عنها - عرضاً ودراسة -

بحث مقدمة للحصول على الدرجة العالية الدكتوراه

إشراف الدكتور:

عبدالقادر محمد خير الفادني

إعداد الطالب:

أحمد حزام علي العمري

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

سورة هود: (٨٨)



شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمدته -سبحانه- وأشكره حمداً سرمدياً، وشكراً أبدياً، حتى يرضى وبعد الرضى، على نعمه التي لا يحصيها سواه سبحانه، وعلى منته بتمام هذه الرسالة. ثم أتوجه بخالص الشكر والتقدير لبلد الخير والعطاء والعلم والنماء، الذي مد لنا يده وأكرمنا بحفاوته، بلدنا الثاني السودان الحبيب، أدام الله عزه وحفظ أمنه وسدد قيادته.

كما أشكر جامعتي المباركة، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، التي فتحت لي ولأمثالي أبواب العلم، وقدمت من التسهيلات الكثيرة لخدمة طلبة العلم. والشكر بلا شكّ موصول لكلية الدراسات العليا بالجامعة، ممثلة بعميدها د. محمد الفاتح زين العابدين ، وجميع الدكاترة والعاملين فيها.

وأخص بالشكر شيخي الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور: عبدالقادر محمد خير الفادني-حفظه الله ورعاه- الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، والذي استفدت من علمه، وخلقه، ونبله، وأدبه، وصبره، وتشجيعه، وإرشاده وتوجيهه الكثير، فجزاه الله عني خير ما جزى شيخ عن تلميذه.

كما أشكر كذلك فضيلة المناقشين الكريمين الجليلين أ. د: أسامة خالد محمد عبد الله، والدكتور: فضل المولى عبد الكريم أحمد، على تكرمهما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وتقويم هذا العمل، وقد اقتضى منهما استقطاع قسط كبير من وقتهما الثمين، فأرجو الله أن أستفيد من توجيهاتهما وآرائهما، التي ستثري بلا شك هذا البحث المبارك.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من قدم لي أية مساعدة في هذا البحث، أو أسدى إلي نصحاً، أو نبهني على خطأ، أو أرشدني إلى صواب، أو دعا لي بظهر الغيب، من قريب أو بعيد، فلهم مني الدعاء بأن يجزل لهم ربي عظيم الأجر والثواب، ويجزيهم خير الجزاء، وأن يجمعني وإياهم في الفردوس الأعلى بغير حساب ولا سابق عذاب.

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين
وبعد:

فهذا بحثٌ مقدم لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم، وتأصيل العلوم، قسم
الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن بعنوان:

" التساؤلات التفسيرية التي أوردها الإمام البغوي في تفسيره وأجاب عنها -جمعاً
ودراسة- وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

فالمقدمة: تحتوي أهمية الموضوع، ودوافع الكتابة فيه، وأهدافه، ومشكلة البحث،
وحدود البحث، وجهود ودراسات سابقة، وخطة البحث ومحتواه، ومنهج البحث،
وإجراءات الباحث.

والقسم الأول: ويعنى بالدراسة النظرية: وتشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالإمام البغوي-رحمه الله- وكتابه (معالم التنزيل).

والفصل الثاني: التساؤلات التفسيرية: تعريفها، ونشأتها، وأسبابها، وصيغها.

والقسم الثاني: ويعنى بالدراسة التطبيقية: وتشمل ذكر التساؤلات التفسيرية التي

أوردها الإمام البغوي-رحمه الله- في تفسيره ودراسة إجاباته عنها، والتي بلغت (٩٣)
تساؤلاً، مرتبةً حسب ترتيب سور القرآن الكريم، من سورة الفاتحة إلى سورة ص.

وقد أظهر هذا البحث عدداً من النتائج من أهمها ما يلي:

أولاً: موسوعية الإمام البغوي، وأنه كان من جهاذة علماء القرن الخامس الهجري.

ثانياً: إبداع الإمام البغوي، في إيراد التساؤلات التفسيرية والإجابة عنها مدلاً ومعللاً.

ثالثاً: دقة تمكن علماء السلف؛ في دحض افتراءات المغرضين، وبيان ضعف
ادعاءاتهم.

رابعاً: الأهمية القصوى للتساؤلات التفسيرية والإجابة عنها لما فيها من الدفاع ضد
شبهات المستشرقين.

خامساً: أن التساؤلات التفسيرية نوع من أهم وألطف وأرقى أنواع علوم القرآن الكريم.



Abstract

All praise is due to Allah ,Lord of all worlds , pray and peace be upon His honest and sincere messenger , after that:

This research is submitted to obtain Doctorate degree by jamiea alquran alkarimu, watasil aleulum , qism alkitab walsanatu, shuebat altafsir waeulum alquran bieunwan:

“ Interpretation Queries mentioned and answered by Imam albaghawi in his Interpretation by collection and study.”

This research consists of an introduction , Two sections , conclusion and Index.

Introduction: It contains Thesis , motivations for writing it , aims ,research issue ,research limitation , previous studies ,research plan and contents , research method and researcher Procedures.

First Section: It is concerned with theoretical study, contains two chapters:

First Chapter: To identify Imam Ibn albaghawi and his book (maealim altanzil).

Second Chapter: Interpretative Queries, their definitions ,origin, reasons and forms.

walfasl althaani: altasawulat altafsiriatu: taerifuha , wanashatuha , wa'asbabuha , wasighha. walqism alththani: wayuena bialdirasat altatbiqiat: min dhakar altasawulat altafsiriati alty 'awradaha al'imam albughuy-rahimuh allh- fi kamil tafsiruh wadirasat rududih mundh balaghat , mrtbtan tartib suar suar alkarim , min surat alfatihat 'iilaa surat s

This research shows some conclusions , of which the most important are as following:

Firstly : Imam Ibn albaghawi was encyclopedic· comprehensive and alqarn alkhamis alhijri.

Secondly: Imam Ibn albaghawi 's innovation in the mention of Interpretative Queries with evidence and reason.

Thirdly: The accuracy of the ability of the ancestor scholars in refuting the slanderous temptations, and clarifying the weakness of their claims.

Fourthly: The utmost importance of Interpretative Queries and the answers on them including the defense of the suspicions of orientalist.

Fifthly: Interpretative Queries type is of the most important ,gentler, and finest types of Holy Quran Sciences.

المقدمة

الحمد لله الذي حفظ كتابه من التحريف والتبديل، وأغنى المسلمين بشريعته وجعلهم من أمة التنزيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وأصحابه الكرام الذين كانوا أهل عناية وأمانة، وحفظٍ ودراية، ومن بعدهم العلماء العاملين الذين حفظوا لنا هذا الشرع العظيم، وضبطوا ما فيه بفهم عميم، وصانوا لنا هذا الدين، ونقلوه إلى من جاء من بعدهم رضوان الله عليهم أجمعين، ونفعنا بهم وبعلمهم.

فإن كتاب الله زاخر بجواهر الحكم، ولآلئ العلوم، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله - جل شأنه - تكلم الله به على الحقيقة، وأنزله على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وتكفل بحفظه، ولم يوكل ذلك إلى أحد سواه، وكان ممن اجتهد في تدبر كتاب الله، ودراسة علومه العالم الجليل البارع محيي السنة، أبو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) ولعل من أجل كتبه في هذا الميدان (معالم التنزيل في تفسير القرآن).

ونظراً لسعة تفنن هذا العالم، وحيازته لعلوم شتى، وكثرة نقولاته؛ فإن تساؤلاته والجواب عليها في تفسيره له أهمية بالغة.

ومن أجل ما لهذا العلم من أهمية، وما للمؤلف من مكانة علمية؛ فقد وقع عليه اختياري؛ ليكون مجال دراستي وبحثي في رسالة الدكتوراه، ووسمته بـ (التساؤلات التفسيرية التي أوردها البغوي في تفسيره وأجاب عنها عرضاً ودراسة).

في جميع تساؤلات البغوي في تفسيره، ودراستها، ودراسة إجابات المؤلف عنها.



أولاً: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

- ١- شرفه لكونه متعلق بكتاب الله عز وجل وعلومه.
- ٢- أن المؤلف يعتبر من العلماء الذين يكثر جمع والتأليف بين الأقوال، ومن هنا تبرز الأهمية البالغة لاستخلاص أقواله المتضمنة لاختياراته وترجيحاته في كتابه (معالم التنزيل) وغيره من كتبه المتعلقة بالتفسير.
- ٣- أن كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) يعد من الكتب الأمهات في بابها، فلا غنى لدارس في التفسير عن هذا الكتاب.
- ٤- إبراز تساؤلات البغوي في تفسيره والإجابة عنها لتكون في متناول الدارسين، حيث تمثل اجتهادات، واستنباطات عالم له قدم راسخة في علوم شتى من أبرزها التفسير.
- ٥- تنمية ملكة مناقشة الأقوال بطرح الأسئلة والإشكالات والجواب عنها، ومعرفة أسباب الاختيار، وسبر مواردها ومصادرها، وما يلزم لذلك من اطلاع واسع في كتب التفسير، واللغة، والفقه، وأصول الفقه، والحديث، وغيرها، مما يتيح للطالب فرصة الانتفاع بها، ومن ثم إثراء مادة البحث منها.
- ٦- أهمية التعليم والتنبيه والفهم ، بطرح التساؤلات والإجابة عنها.
- ٧- دقة التساؤلات التي طرحها البغوي ، ومدى أهمية مسألها.
- ٨- الإجابة عن كثير من المسائل الدقيقة المختلف فيها.
- ٩- ضرورة الإجابة عن التساؤلات التي أوردتها البغوي؛ لأنها قد تخطر للبعث في أي زمان.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

- ١- الرغبة في التشرف بخدمة كتاب الله-تعالى- وعلومه؛ لما في ذلك من الأجر العظيم.
- ٢- عدم وجود مؤلف ضم تساؤلات البغوي والإجابة عنها.
- ٣- محاولة زيادة الإفادة والاطلاع والمعرفة، فيما يتعلق بفهم سلفنا الصالح وحل مسائله الدقيقة.
- ٤- ندرة من تكلم في فن التساؤلات، وبحث فيه.
- ٥- إفادة الباحث؛ من خلال تتبع أقوال العلماء في مسائل التفسير المختلف فيها.

ثالثاً: أهداف البحث:

- ١- يهدف البحث إلى جمع تساؤلات البغوي و الإجابة عنها في تفسيره، ودراستها دراسة مقارنة.
- ٢- بيان طريقة ومنهج البغوي في طرح هذه التساؤلات، وكيفية إجابته عنها.
- ٣- إفادة القارئ في دراسة الإجابة على هذه التساؤلات، وتحليلها.
- ٤- تحرير القول الراجح قدر الإمكان في هذه المسائل الدقيقة.
- ٥- إضافة مميزات للمكتبة التفسيرية.

رابعاً: تساؤلات البحث:

تتعلق تساؤلات البحث في الإجابة عن هذه التساؤلات التالية:

- ١- ما هي التساؤلات التي أوردتها البغوي في تفسيره؟
- ٢- كيف أجب البغوي عن هذه التساؤلات؟
- ٣- ما هي الأدلة والبراهين المؤيدة لإجابة البغوي عن هذه التساؤلات؟
- ٤- ما هو الراجح أو الأقرب للصواب من هذه الإجابات؟.



خامساً: حدود البحث:

ستكون حدود البحث بإذن الله في كتاب معالم التنزيل (تفسير البغوي) والتي قاربت (٩٣) تساؤلاً، والتركيز على دراسة الإجابات التي ذكرها، وتحليلها، ومدى قوتها وحجيتها.

سادساً: الجهود والدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري والاجتهاد، في مختلف مواقع البحث، مكتبية وشبكية، وغيرها، لم أجد أي شيء كتب عن تساؤلات البغوي في تفسيره معالم التنزيل، أما ما كتب عن مؤلفات البغوي في من جهة العموم، فمنها:

١- البغوي ومنهجه في التفسير، للباحثة عفاف عبدالغفور حميد، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى في مكة المكرمة، إشراف د. أحمد عمر هاشم، سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢- منهج الإمام البغوي في عرض القراءات وأثر ذلك في التفسير، للباحث طلحة محمد توفيق، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى في مكة المكرمة، إشراف د. حلمي عبدالرؤوف محمد، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

ويتضح جلياً من هذه الدراسات مع تعلقها بتفسير البغوي، إلا أنها بعيدة كل البعد عن موضوع التساؤلات عند البغوي التي هي مناط بحثي؛ حيث أنني مقتصر على تساؤلات البغوي في تفسيره، والتي قاربت (٩٣) تساؤلاً، لم يتناولها أحد سابقاً بالجمع والبحث والدراسة (حسب علمي المحدود).

سابعاً: منهج البحث:

سيكون منهج البحث المتبع بعون الله وتوفيقه عند الكتابة في هذا الموضوع هو (المنهج الاستقرائي التحليلي) وذلك باستقراء الآيات التي تساءل فيها الإمام البغوي وإجاباته عنها، وتحليل ودراسة هذه الإجابات التي ذكرها.

ثامناً: إجراءات الباحث:

ستكون إجراءاتي بإذن الله-تعالى- في هذا البحث وفق الخطوات التالية:

- ١- كتابة الآيات بالرسم العثماني، وترقيمها، مع عزوها إلى سورها.
- ٢- تخريج الأحاديث الواردة، فإن كانت في الصحيحين؛ اكتفيت بورودها فيهما أو في أحدهما، وإن لم تكن في أحدهما؛ ذكرت درجتها معتمداً في ذلك على كلام أهل العلم من أهل الحديث.
- ٣- سبر كتاب (معالم التنزيل)، وجمع المواضع التي طرح فيها تساؤلاته.
- ٤- حصر التساؤلات التي أوردها الإمام البغوي في تفسيره، والتي بلغت (٩٣) تساؤلاً تقريباً.
- ٥- نقل موضع التساؤل كاملاً.
- ٦- ذكر إجابة المؤلف للتساؤل، واعتبار قوله دائماً هو القول الأول في المسألة، في حال اختلافه مع غيره.
- ٧- تحليل إجابة الإمام البغوي ودراستها، ومدى موافقتها للأدلة والبراهين.
- ٨- الترجيح بين الأقوال قدر الإمكان.
- ٩- الترجمة الموجزة للأعلام الواردة أسماؤهم في صلب البحث مرة واحدة عند أول ورود لهم.
- ١٠- أكتفي في الآثار المروية عن السلف، بعزوها إليهم وتخريجها من مظانها لكثرتها، دون الحكم عليها غالباً.
- ١١- توثيق النصوص ونسبتها لقائلها، مع عزوها إلى مواضعها من كتبهم، فإن لم تكن متوفرة فإلى المصنفات الأخرى التي نقلت ذلك عنهم ما أمكن ذلك.
- ١٢- شرح الكلمات الغريبة الواردة في ثنايا البحث.
- ١٣- عزو الأبيات الشعرية لقائلها.



تاسعاً: هيكل البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة ، وثلاثة فصول، وخاتمة ، وفهارس على النحو

الآتي:

المقدمة: وتشتمل على:

أولاً: أهمية الموضوع.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: مشكلة البحث.

خامساً: حدود البحث.

سادساً: الجهود والدراسات السابقة.

سابعاً: منهج البحث.

ثامناً: إجراءات الباحث.

تاسعاً: خطة البحث ومحتواه.

الفصل الأول : التعريف بالإمام البغوي وكتابه معالم التنزيل، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام البغوي وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية: طلبه للعلم ، وشيوخه ، وتلامذته، ومصنفاته،

وأقوال العلماء فيه ، وثناؤهم عليه.

المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب "معالم التنزيل" وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكانة الكتاب وأهميته، وأهم مميزاته، واثره فيمن بعده.

المطلب الثاني: مصادره.

المطلب الثالث: منهج الامام البغوي في كتابه.

الفصل الثاني : التساؤلات في تفسير البغوي معالم التنزيل: تعريفها، ونشأتها

وأسبابها، وصيغها:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التساؤلات وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التساؤل لغةً.

المطلب الثاني: تعريف التساؤل اصطلاحاً.

المبحث الثاني: نشأة ، وأسباب ظهور التساؤلات: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة التساؤلات.

المطلب الثاني : أسباب ظهور التساؤلات.

المبحث الثالث: صيغ التساؤلات، عند البغوي في تفسيره معالم التنزيل، ومنهج في الإجابة عنها: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صيغ التساؤلات عند البغوي في كتابه معالم التنزيل.

المطلب الثاني : منهج البغوي في الإجابة عن تساؤلاته.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية: وتشمل ذكر التساؤلات التفسيرية التي أوردها البغوي، ودراسة إجاباته عنها، في كامل كتابه معالم التنزيل، مرتبة حسب عناوين الآيات.

الخاتمة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشمل فهرس الآيات والأحاديث والأعلام والمصادر والموضوعات.

والله أسأل أن يعينني على هذا العمل ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين



*** الفصل الأول: سيرة الإمام البغوي، وفيه ثلاثة مباحث:**

-المبحث الأول: التعريف بالإمام البغوي .

-المبحث الثاني: عصر الإمام البغوي.

-المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن كتاب "معالم التنزيل".

-المبحث الأول: التعريف بالإمام البخوي وفيه ثلاثة مطالب-

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية :

طلبه للعلم، وشيوخه، وتلامذته، ومصنفاته، وأقوال العلماء فيه، وثنائهم عليه.

المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي.



المطلب الأول:

اسمه وكنيته ونسبه ومولده ونشأته ووفاته.

اسمه:

هو: الإمام الجليل العلامة الحافظ المسند الفقيه المفسر المقرئ، صاحب المصنفات التي اشتهرت في الآفاق، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، ابن الفراء البغوي الشافعي^(١).

نسبته:

اشتهرت نسبته بالبغوي، وينسب أحياناً بالفراء أو ابن الفراء، نسبة لعمل أو بيع الفراء.

قال السمعاني^(٢): وهذه النسبة الى بلدة من بلاد خراسان بين مرو الروذ^(٣) وهرارة^(٤)، يقال لها بغ أوبغشور^(٥).

(١) ينظر ترجمته في معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، (٤٦٨/١)، وفيات الأعيان، لابن خلكان، المحقق: إحسان عباس دار صادر - بيروت، (١٣٧/٢)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، (٤٣٩/١٩)، تذكرة الحفاظ، (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان (٢٥٧/٤)، البداية والنهاية، (٢٠٦/١٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الطلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٣هـ (٧٥/٧). طبقات المفسرين محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي (ت: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (١٥٧/١)، طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ (ص ٣٨).

(٢) هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار، التميمي، الشافعي، الشهير بابن السمعاني، أبو المظفر، الفقيه الأصولي الثبت، كان إمام وقته في مذهب أبي حنيفة، له مصنفات كثيرة، منها: "تفسير القرآن"، و"القواطع في أصول الفقه"، توفي سنة (٤٨٩هـ). ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١١٤/١٩)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٥٨/٢)، وشذرات الذهب (٣٩٤/٥).

(٣) مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما أيام، وهي على نهر عظيم فسميت بذلك، معجم البلدان، (١١٢/٥).

(٤) بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء معجم البلدان - ياقوت الحموي، (٣٩٦/٥).

(٥) بضم الشين المعجمة وسكون الواو وراء بليدة بين هرة ومرو الروذ شربهم من آبار عذبة وزروعهم ومباطخهم أعداء وهم في برية ليس عندهم شجرة واحدة ويقال لها بلغ أيضاً رأيتها في شهر سنة ٦١٦ والخراب فيها ظاهر، وقد نسب إليها خلق كثير من الأعيان معجم البلدان، (٤٦٧/١).

والبغوي منسوب إلى بغا بفتح الباء^(١)، والصواب أنه ينسب إلى بغ أو بغشور كما ذكر ذلك ياقوت الحموي^(٢)(٣).

كنيته ولقبه:

يكنى الإمام البغوي بأبي محمد البغوي، ويلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وشيخ الإسلام^(٤).

روي أنه لما جمع كتابه المسمى بشرح السنة رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام فقال له أحياك الله كما أحييت سنتي فسار هذا اللقب علماً له بطريق الغلبة^(٥).

مولده:

معظم المصادر التي ترجمت له لم تشر إلى السنة التي ولد فيها البغوي -رحمه الله- غير أن ياقوت الحموي^(٦)، وابن خلكان^(٧)(٨)، جزموا أنه ولد سنة: (٤٣٣هـ).

نشأته:

لم تذكر لنا المصادر الكثير عن نشأته وحياته المبكرة، كما لم تذكر ما يتصل بأسرته وعدد أفرادها، وذكروا أنه عاش في أسرة فقيرة نسبياً^(٩)، وذلك كله لأن

-
- (١) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه، عالم الكتب-بيروت- ١٤٠٧هـ تحقيق: د. عبد العليم خان، (١/٢٨١).
- (٢) هو: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم، له مصنفات كثيرة نافعة، منها: معجم البلدان وغيرها، توفي: ٦٢٦هـ. وفيات الأعيان، (٦/١٢٢)، الأعلام للزركلي (٨/١٣١).
- (٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي، (١/٤٦٧).
- (٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، (٣٧/٤١٤).
- (٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا على القاري، (١/٢٢).
- (٦) معجم البلدان، لياقوت الحموي، (١/٤٦٧).
- (٧) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس، بفتح الخاء وتشديد اللام المكسورة، أو بضم الخاء وفتح اللام المشددة، أو بكسر الخاء واللام جميعاً، المؤرخ الحجة، والأدب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً، توفي: ٦٨١هـ. روضات الجنات (١/٨٧)، الأعلام للزركلي (١/٢٢٠).
- (٨) وفيات الأعيان، (٢/١٣٦).
- (٩) معجم البلدان، للحموي، (١/٤٦٨).



المصادر التي ترجمت له لا تفصح عن ذلك، ولعل السبب في هذه الظاهرة أن أسرة الإمام البغوي لم يكن فيها من له باع طويل في ميدان العلم والفقه والكتاب والسنة، فيذكرون بتلك العلوم كما ذُكر، ويُشهورون بها كما شهر، علماً بأن المدينة التي ولد بها ونشأ فيها وهي بلاد خراسان التي أنجبت كثيراً من العلماء.

لكن ذكر بعض المؤرخين أنه نشأ في بلدته بغشور، وبها طلب العلم أولاً، فما زال يجد ويجتهد في تحصيل علوم الشريعة، وبخاصة تفقهه بمذهب الشافعي حتى كان يميل فيه إلى الترجيح والتحقيق، من غير تعصب لمذهبه بل كان يطلع على أقوال باقي الأئمة، ويتعرف على أدلتهم. ومع ذلك كان يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة.

وفاته:

توفي البغوي رحمه الله بمرور الروذ في خراسان، ودفن بجانب شيخه، القاضي حسين، في شوال سنة ست عشر وخمسائة (٥١٦)، وعاش بضعا وسبعين سنة، ولم يحج. وهذا الذي اختاره الذهبي^(١)(٢)، وياقوت^(٣)، وهو الراجح.

(١) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين الذهبي الحافظ الكبير، المؤرخ صاحب التصانيف السائرة في الأقطار، ولد ثالث ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ، قال ابن حجر: حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً، وجمع تاريخ الإسلام فأرّبى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدثين خصوصاً، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، سنة النشر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) والبردر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة - بيروت، ب ط، ب سنة النشر (١١٠ /٢).

(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي (٣٨/٤).

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٤٦٧/١).

المطلب الثاني: مكانته العلمية :**طلبه للعلم ورحلاته:**

دفع الإمام البغوي -رحمه الله- حبه وحرصه على المعرفة، وشغفه بالسنة، أن يرحل في طلب العلم، فرحل إلى مرو الروذ ليلتقي بإمام عصره الحسين بن محمد المروزي القاضي^(١)، صاحب " التعليقة " قبل الستين وأربع مئة ، فتتلمذ عليه وروى عنه، ولازمه، وأخذ عنه المذهب الشافعي^(٢)، وطاف بلاد خراسان وسمع إلى كثير من علمائها، وقد رحل لمرو الروذ وكان عمره (٢٧) سنة، وقد كانت سماعاته بعد الستين وأربعمائة، فاتخذها وطناً ثانياً له، ولم يغادرها حتى توفي^(٣). فكانت رحلاته داخل خراسان ولهذا قال السبكي^(٤) -رحمه الله-: ولم يدخل بغداد ولو دخلها لاتسعت ترجمته^(٥).

وهذا لا ينقص من قدره، فقد سمع كثيراً، وجمع علماً كبيراً، ولعل السبب في عدم خروجه من خراسان، قلة ذات اليد.

قال السبكي -رحمه الله-: فقد كان رجلاً مخشوشناً يأكل الخبز وحده فعذل في ذلك فصار يأكله بالزيت، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة^(٦)، وكان عفيفاً زاهداً، قانعاً ورعاً، ولم يحج كما تقدم.

(١) هو: حسين بن محمد بن أحمد، القاضي أبو علي المروزي، يُقال له أيضاً: المرورودي، الشافعي. فقيه خراسان في عصره، وكان أحد أصحاب الوجوه، تفقه على أبي بكر القفال. وله: " التعليق الكبير "، و " الفتاوى " وعليه تفقه صاحب " النتمة " وصاحب " التهذيب " محيي السنة. وكان يقال له: حبر الأمة. ت: (٤٦٢هـ). ينظر: تاريخ، للذهبي، (١٠/١٦٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٩/٤٣٩).

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي، (١/٤٦٨).

(٤) هو: العلامة القاضي عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين أبو نصر بن الشيخ الإمام تقي الدين أبي الحسن الأنصاري الخزرجي السبكي، درس بمصر والشام بمدارس العزيزة، ومشخة دار الحديث الأشرفية، مات بالطاعون في شهر ذي الحجة سنة: (٧٧١هـ)، ودفن في سفح جبل قاسيون. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة: (٣/١٠٤)، وشذرات الذهب (١/٦٧).

(٥) طبقات الشافعية للسبكي، (٧/٧٦).

(٦) المرجع السابق، (٧/٧٦).



شيوخه:

من الملاحظ في المصادر التي ترجمت لحياة البغوي -رحمه الله- أنه لم تكثر شيوخه الذين أخذ عنهم التراث العلمي، كما كثرت شيوخ غيره من العلماء، وقد تكون ثقافته ومحصوله العلمي جهد فردي واطلاع واسع بأثار من سبقه من العلماء، كم تنبئ بذلك مصنفاته التي بين أيدينا، ولعل ذلك يرجع الى شيئين اثنين:

الأول: ملازمته لشيوخه وأستاذه القاضي أبو علي الحسين حتى وفاته.

الثاني: تصدده للتدريس خلفاً لشيوخه في سن مبكرة.

فمن شيوخه التي حفظت المصادر والكتب التي ترجمت له بعض تلك

الاسماء، منهم:

- ١- القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي، ت: (٤٦٢هـ) (١).
- ٢- أبو عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي الهروي (٢)، ت: (٤٦٣هـ).
- ٣- أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري (٣)، ت: (٤٧٠هـ).
- ٤- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن عبد الملك القشيري (٤)، ت: (٤٦٥هـ).
- ٥- أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري (٥)، ت: (٤٦٦هـ).
- ٦- أبو علي حسان بن سعيد المنيعي (٦)، ت: (٤٦٣هـ).
- ٧- الإمام الحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن (٧)، ت: (٤٧٠هـ).

(١) سبقت ترجمته، (١٣).

(٢) هو: أبو عمر المليحي عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم الهروي المحدث راوي الصحيح عن النعمي في جمادى الآخرة وله ست وتسعون سنة سمع بنيسابور من المخلدي وأبي الحسين الخفاف وجماعة وكان ثقة صالحاً أكثر عنه محيي السنة. ينظر ترجمته في: العبر في خبر من غير، للذهبي، (٢٥٦/٣).

(٣) الحافظ المؤذن، أبو الفضل، كان رجلاً صالحاً، له كتاب الصحابة. تاريخ الإسلام، (١٠ / ٧٣٩)، طبقات الشافعية للإسنوي، (٤٠٨/٢).

(٤) أحد مشاهير الدنيا بالفضل والعلم والزهد. الانساب للسمعاني، (٥٠٣/٤).

(٥) المسند المعدل صاحب أبي محمد المخلدي. شذرات الذهب، لابن العماد، (٣٢٥/٣)، طبقات علماء الحديث (٣/٣٥٧).

(٦) أنشأ الجامع المنيعي، وكان يكسي في العام نحو ألف نفس، وكان أعظم من وزير. ينظر: شذرات الذهب، (٢٦٥/٥).

(٧) الامام الحافظ الزاهد محدث خراسان، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، ارتحل في طلب العلم، وسمع من خلق كثير، فأصبح حافظاً ثقة ذا دين وأمانة، كان مؤدناً واعظاً، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤١٩/١٨) تاريخ بغداد، (٢٦٨/٤).

- ٨- أبو الحسن علي بن يوسف الجويني^(١)، ت: (٤٦٣هـ).
 ٩- أبو طاهر عمر بن عبد العزيز الفاشاني المروزي^(٢).
 ١٠- أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر بن محمد بن داوود بن أحمد
 بن معاذ الداوودي البوشنجي^(٣)، ت: (٤٦٧هـ).

تلامذته:

لم تقتصر جهود الإمام البغوي العلمية على التأليف والتصنيف، بل وقف حياته على طلب العلم وتعليمه، فظهرت ثمار جهوده في كثرة إقبال طلاب العلم الذين تلقوا عنه العلوم الشرعية، وخاصة في مرو الروذ، وحفظت لنا كتب التراجم والطبقات بعضاً منهم، فمن أشهرهم:

- ١- أبو علي الحسن بن مسعود ابن الفراء البغوي^(٤)، ت: (٥٢٩هـ).
 ٢- أسعد بن أحمد بن يوسف، ابو الغنائم البامنجي الخطيب^(٥)، ت: (٥٤٨هـ).
 ٣- عبدالرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي الموفقي^(١)، ت: (٥٤٢هـ).

(١) عم إمام الحرمين، كان يعرف بشيخ الحجاز، روى عنه البغوي في شرح السنة (١٢٤) حديثاً، كان فاضلاً مشتغلاً بالعلم والحديث، له كتاب اسماء " كتاب السلوة " ينظر ترجمته في: طبقات السبكي، (٢٩٨/٥) الانساب، (٣٨٦/٣).

(٢) الامام الفقيه البارع المتكلم، كان له عناية بالتاريخ وأيام الناس، وغلب عليه علم الاصول والكلام، حدث عنه البغوي في شرح السنة، (١٤٧) حديثاً، ينظر ترجمته في: شرح السنة (٣٦٥/١)، طبقات السبكي (٣٠١/٥)، الانساب للسمعاني، (٢٢٦/٩).

(٣) الإمام، العلامة، الورع، القدوة جمال الإسلام، شيخ خراسان علماً، وفضلاً، اشتهر برواية ابي الوقت لصحيح البخاري عنه، وقد ذكر النووي سماعه للصحيح من ابي محمود الحموي عن الفريري عن البخاري، كان آية في شدة الورع والاحتياط، وله قصص عجيبة في الورع. ينظر ترجمته في: طبقات السبكي، (١١٧/٥)، الانساب للسمعاني، (٢٦٤/٥).

(٤) سمع من أبي بكر بن خلف وأبي القاسم الواحدي المفسر وأبي تراب المراغي والحسن بن أحمد السمرقندي وغيرهم، قال ابن السمعاني في التعبير كان إماماً فاضلاً ظريفاً لطيفاً رقيق الطبع كثير المحفوظ، قال وكان أخوه الحسين قد رباه وأحسن تربيته ولقنه الفقه حتى حفظ المذهب وكان مصيباً في الفتاوى، قال وأجاز لي جميع مسموعاته. ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي، (٦٨/٧)، طبقات الفقهاء، لابن الصلاح (٤٥٣/١).

(٥) روى عن عمر بن أحمد بن محمد بن الخليل البغوي، روى عنه عبد الرحيم بن السمعاني، تفقه علي محي السنة البغوي والموفق الهروي، انظر معجم البلدان (٣٣٠/١)، وطبقات الشافعية للسبكي، (٤٧/٧).



- ٤- عمر بن الحسين، أبو القاسم الرازي، خطيب الرِّي (٢)، والد الفخر الرازي (٣).
- ٥- فضل الله ابن الحافظ أبي سعيد محمد بن أحمد، الإمام أبو المكارم النوقاني الفقيه، الشافعي (٤)، ت: (٦٠٠ هـ).
- ٦- مجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القسم العطاردي (٥)، الواعظ، ت: (٥٧٣ هـ). الواعظ المحدث أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي الهمداني (٦)، ت: (٥٥٥ هـ).
- ٧- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الليثي (٧)، ت: (٥٤٨ هـ).
- ٨- أبو عبدالله محمد بن الحسين ابن محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب المروزي (٨)، ت: (٥٥٩ هـ).

(١) كان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب مناظراً ورعاً كثير التلاوة والصلاة يسكن الجامع الأقدم ويؤم الناس في الصلوات الخمس ولي الخطابة مدة، سمع من الحسين بن مسعود الفراء مدة، وغيره كتب عنه ابن السمعاني وقال قرأت عليه مسنداتي. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي، (١٥٧/٧)، طبقات الشافعية للأسنوي، (٤٩٤/٢).

(٢) الري: بفتح أوله، وتشديد ثانية، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً. للاستزادة ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٣ / ١١٦).

(٣) كان أحد أئمة الإسلام مقدماً في علم الكلام، له فيه كتاب (غاية المرام) كان فصيح اللسان قوي الجنان فقيهاً محدثاً أديباً. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٢٤٣/٧).

(٤) أخذ له الإجازة من محيي السنة أبي محمد البغوي. وسمع من عبد الجبار الخواري أربعي البيهقي الصغري. وسمع من أبيه مسند الشافعي، كان بارعاً في مذهبه، تفقه مدة بمحمد بن يحيى. وكان مفتياً، مهيباً، مدرساً، مرض بنيسابور، فحمل إلى نوقان فمات بها (٦٠٠ هـ). ينظر ترجمته في: تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٢٣/١٢).

(٥) كان فقيهاً فاضلاً أصولياً فصيحاً واعظاً، اشتغل على القاضي حسين البغوي وانتقل إلى بخارا واشتغل على البرهان عبد العزيز ابن مازة الحنفي، ثم خرج إلى العراق والجزيرة واجتمع الناس عليه للوعظ وسمعوا منه الحديث وكانت مجالس وعظه من أحسن المجالس، ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (١٤٤/٢).

(٦) الواعظ. ولد وتوفي بهمدان. له مصنفات نافعة مفيدة، سمع فيد بن عبد الرحمن الشعрани وإسماعيل بن الحسن الفرائضي وطائفة بخراسان والعراق والجبال. الإعلام للزركلي (٢٤/٧) والعبر (٣ / ٢٥) شذرات الذهب: (١٧٥/٤)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لليافعي، (٤٠/٢).

(٧) إمام فاضل دين، حافظ للمذهب، مصيب في الفتاوى، راغب في الحديث ونشره، حسن الاخلاق. تفقه على الحسين بن مسعود بن الفراء، وتخرج عليه جماعة كثيرة من الفقهاء والعلماء، وكان مبارك النفس، كثير الصلاة والعبادة، جمع بين العلم والعمل. ينظر: الانساب للسمعاني، (٥٥٣/٥).

(٨) كان صالحاً، خشن العيش، قانعاً باليسير، عارفاً بالحديث وطرقه، اشتغل بطلبه وجمعه طول عمره، وجمع وصنف، وكان عارفاً باللغة، كتب الكثير، ورحل إلى هراة، سمعت منه وبقراءته، جمع كتاباً كبيراً أكثر من

٩- عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي أبو النجيب السهروردي^(١)
ت: (٥٦٣ هـ).

مصنفاته وآثاره:

كان الإمام البغوي - رحمه الله - إماماً في الدين، بحراً في العلوم، متسع الدائرة عقلاً ونقلاً وتحقیقاً، لذا تنوعت آثاره ومصنفاته في جميع العلوم الإسلامية في التفسير والحديث والفقه وغيرها، وقد لاقت مصنفاته قبولاً لدى العلماء وطلبة العلم، ولعل ذلك يرجع إلى حسن نيته - رحمه الله - وجودة تصنيفه وتحقيقه وجزارة علمه، وكان في مؤلفاته يتحرى الحق، ويتبع الدليل، ويتقيد في التفسير بما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في فهم النص القرآني، وبمنهج الصحابة - رضي الله عنهم - ويدعوا إلى الاعتصام بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة.

وسأذكر هنا مصنفاته وآثاره التي وصلت إلينا عنه - رحمه الله عليه - منها:

أولاً: في علوم القرآن:-

١- معالم التنزيل.

٢- الكفاية في القراءة^(٢)، وموضوع هذا الكتاب يتصل بعلم القراءات.

ثالثاً: في الحديث وعلومه:

اشتهر البغوي - رحمه الله - محدثاً أكثر من شهرته مفسراً، وقد أجمع المترجمون على إمامته في الحديث، ومما يدل على ذلك مؤلفاته في علم الحديث، ومن أشهر مؤلفاته.

١- كتاب مصابيح السنة: يعتبر هذا الكتاب أشهر كتب البغوي في علم الحديث، حتى إنه صار في بعض الأزمنة المتأخرة الكتاب المعتمد والمتداول والرئيس في علم الحديث.

(٤٠٠) مجلة، يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة، ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي

(٤٩٣/٢٠)، طبقات السبكي (٩٩/٦)، الوافي بالوفيات ج ٣٧٣/٢، الانساب (٣٢١/٦).

(١) فقيه شافعي واعظ، ولد بسهرورد. وسكن بغداد. وولي المدرسة النظامية. ينسب إلى أبي بكر الصديق -

رضي الله تعالى عنه - بينه وبينه اثنا عشر أباً، بلغ مبلغاً في العلم حتى لقب مفتي العراقيين، وقُدوة الفريقين، ينظر ترجمته في: شذرات الذهب، (٣٤٦/٦).

(٢) ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة، (١٤٩٩/٢).



- ٢- شرح السنة: وهو كتاب عظيم جمع فيه أخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- مرتبةً على أبواب الفقه، يعرض الأحاديث بأسانيداً مبيناً الغريب من الألفاظ وبيان احكامها والفوائد المستنبطة من هذه الأحاديث.
- ٣- الجمع بين الصحيحين^(١)، ويعتري هذا الكتاب أنه مفقود.
- ٤- الأربعين حديثاً^(٢).
- ٥- شرح جامع الترمذي^(٣).
- ثالثاً: في الفقه وفروعه:**

- ١- التهذيب في الفقه^(٤)، وهو أشهر مصنفاته الفقهية، وكان يقال له صاحب التهذيب، وهو تأليف محرر مهذب مجرد عن الأدلة غالباً، لخصه الإمام البغوي من تعليق شيخه القاضي حسين وزاد فيه ونقص، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب والمراجع المعتمدة في المذهب الشافعي، واستفاد منه وأكثر من النقل منه الإمام النووي^(٥) -عليه رحمة الله- في كتابه الروضة، ويقع في أربعة مجلدات كبار.
- ٢- الكفاية في الفروع (بالعجمية) هكذا وصفه حاجي خليفة، ولعله ألفه باللغة الفارسية^(٦).
- ٣- ترجمة الأحكام في الفروع^(٧)، وهو باللغة الفارسية في الفقه الشافعي.
- ٤- مجموعة الفتاوي^(٨)، وهي مسائل فقهية سئل عنها الإمام البغوي -رحمه الله- فأجاب عنها وأفتى بها.

(١) المختصر في أخبار البشر، (٢/٢٢٩)، وفيات الأعيان، (٢/١٣٦).

(٢) سير اعلام النبلاء للذهبي، (١٩/٤٤٠)، طبقات السبكي، (٦/١٦٥).

(٣) ذكره بروكلمان في ترجمة الإمام البغوي، وذكر أن منه نسخة في المدينة المنورة «بروكلمان» (٦/٢٤٤).

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، (٢/٥٨)، وفيات الأعيان، (٢/١٣٦).

(٥) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي، أبو زكريا، محيي الدين، من أهل نوى من قرى حوران جنوبي دمشق، أحد اعلام الفقه الشافعي، جمع إليه الحديث واللغة، تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً، من تصانيفه: "المجموع شرح المهذب"، ولم يكمله، و"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، توفي سنة (٦٧٦هـ)، يُنظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٨/٣٩٥-٤٠٠)، والنجوم الزاهرة (٧/٢٧٨)، وشذرات الذهب (١/٥٥).

(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (٢/١٤٩٨)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للبغدادى، طبع بعناية وكالة المعارف الجليية، (١/٣١٢).

(٧) كشف الظنون، لحاجي خليفة، (١/٣٣٤).

(٨) طبقات المفسرين للداودي، (١/١٥٧).

قال السبكي -رحمه الله- وله فتاوى مشهورة لنفسه غير فتاوى القاضي الحسين التي علقها هو عنها^(١)، جمعها على ترتيب مختصر المزني، وتوجد منها نسخة في دار الظاهرية بدمشق، نسخت سنة: (٩١٣هـ)^(٢).

رابعاً : كتب متنوعة:

١- الأنوار في شمائل النبي المختار^(٣)، رتبه على واحد ومائة باب على طريقة المحدثين بالأسانيد، وعدد أحاديثه (١٢٥٧) حديثاً.

٢- تاج العروس ومذهب الهم والبوس: وهو مخطوط موجود في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد.

هذه هي مصنفات ومؤلفات الإمام البغوي -رحمه الله تعالى- وإلا فقد برع-رحمه الله- في علوم أخرى وأتقنها ونال منها الحظ الأعظم والنصيب الأوفى، وقد ظهرت تلك العلوم في مصنفاته، فاستفاد منها دون أن يفردا بالتصنيف والتأليف، وهذه المؤلفات هي التي عرفت له وقد أشار كثير ممن ترجم له إلى وجود غيرها، وقد أوصلها بعضهم إلى ثمانية عشر مؤلفاً^(٤).

أقوال العلماء فيه ، وثناؤهم عليه:

لم يترجم له مترجم إلا وقد أثنى عليه، فقد قال عنه ياقوت الحموي-رحمه الله-:

الفقيه العالم المشهور صاحب التصانيف^(٥).

وقال عنه ابن نقطة^(٦) : الملقب بمحي السنة الحافظ... وهو إمام من أئمة النقل حسن التصانيف^(٧)، وقال في مكان آخر إمام حافظ ثقة صالح^(٨).

(١) طبقات الشافعية للسبكي، (٧٥/٧).

(٢) ذكر ذلك محقق شرح السنة، الشيخ شعيب الارناؤوط (٢٩/١).

(٣) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، للكتاني، كشف الظنون، (١٩٥/٠١).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، (٤٣٩/١٩)، مرآة الجنان (٢١٣/٣).

(٥) معجم البلدان للحموي، (٤٧٨/١).

(٦) هو أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي يعرف بابن نقطه ، من طلبه الحديث المشهورين به ، المكثرين من سماعه وكتابته ، والراجلين في طلبه، توفي(٦٢٩هـ) ببغداد. ودفن عند قبر أبيه. ذيل طبقات الحنابلة (ص: ٢٥٨) تاريخ اربل (ص: ٢٤٨).

(٧) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة الحنبلي (ص: ٢٥١).

(٨) تكملة الإكمال، محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، (٤٢٠/١).



وقال عنه الإمام الذهبي-رحمه الله:- الإمام الحافظ الفقيه المجتهد محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي ... وبورك له في تصانيفه لقصد الصالح فإنه كان من العلماء الربانيين، كان ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير، وكان يأكل كسرة وحدها، فعذوه، فصار يأكلها بزيت^(١).

وقال أيضاً: والبغوي محيي السنة، الحسين بن مسعود المحدث المفسر، صاحب التصانيف وعالم خراسان، ... وكان سيداً زاهداً قانعاً^(٢).

وقال عنه السبكي-رحمه الله:- كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالماً سبيل السلف ... له في الفقه اليد الباسطة^(٣).

قال الصفدي^(٤): الفقيه الشافعي المحدث المفسر كان بحراً من العلوم، كان لا يلقي الحديث إلا عن طهارة^(٥).

قال ابن كثير^(٦) -رحمه الله:- الحسين بن مسعود صاحب التفسير ... اشتغل على القاضي حسين، وبرع في هذه العلوم، وكان علامة زمانه، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً^(٧).

(١) تذكرة الحفاظ، (٤/ ١٢٥٧).

(٢) العبر للذهبي، (١/ ٤٠٦).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي، (٧/ ٧٥ - ٧٧).

(٤) هو: خليل بن أبيك بن عبدالله العلامة الأديب البليغ البارع المفسر صلاح الدين الصفدي، ولد سنة ست أو سبع وتسعين وست مائة، وسمع الكثير وقرأ الحديث وكتب بعض الطباقي، وأخذ عن القاضي بدر الدين ابن جماعة، مات بالطاعون ليلة عاشر شوال سنة أربع وستين وسبع مائة. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: (١٠/ ٥)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه (٣ / ٨٩).

(٥) الوافي بالوفيات، للصفدي، (١٣/ ٤١).

(٦) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري الشيخ عماد الدين، أبو الفداء، ولد سنة: (٧٠٠هـ)، واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، فجمع التفسير، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية ولازم المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال وصاهره على ابنته وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتنح لسببه وكان كثير الاستحاضار حسن المفاكهة سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته، توفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٤٤٥).

(٧) البداية والنهاية (٢١/ ١٩٣).

وقال عنه طاش كبرى زاده^(١) : كان إماماً في الفقه والحديث، وكان متورعاً ثبتاً حجة صحيح العقيدة في الدين^(٢).

وقال الإمام الخازن^(٣) -رحمه الله- في مقدمة تفسيره: الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم محيي السنة، قدوة الأمة، وإمام الأئمة، مفتي الفرق، ناصر الحديث، ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي^(٤).

فهذه بعض الأوصاف والثناء ممن ترجم له، والتي تدل على سعة علمه وفضله وإطلاعه ومعرفته، ورسوخ قدمه في العلم.

قلت: وما اجتمعت هذه الفضائل، وثناء العلماء عليه، إلا بصدق نيته، وحسن قصده، وطهارة سريرته، وإخلاصه مع الله، وتواضعه العجيب، وتعففه وزهده عن الدنيا.

قال الداودي^(٥) -رحمه الله-: فقد بورك له في تصانيفه ومؤلفاته، ورزق فيها القبول التام، لحسن نيته^(٦).

(١) هو: أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي، من علماء الروم في عدة فنون وتولى القضاء بمدينة بروسا إحدى مدائن الروم، كان عالماً بالعلوم والأصول والتفسير وله مصنفات في التفسير والأصول والعربية له "الشقائق النعمانية، توفي ٦٦٨هـ)، الطبقات السننية في تراجم الحنفية (ص: ١٥٣)، البدر الطالع (١/ ١١٤).

(٢) مفتاح السعادة، (٢/ ١٠٢).

(٣) هو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيعي علاء الدين خازن الكتب بالسميساطية، جمع تفسيراً كبيراً سماه: التأويل لمعالم التنزيل، وكان حسن السميت والبشر والتودد قاله ابن رافع، توفي سنة: (٧٤١هـ) بحلب. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤/ ١١٥).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بتفسير الخازن، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، (٣/١).

(٥) هو: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي: شيخ أهل الحديث في عصره. مصري. من تلاميذ جلال الدين السيوطي. توفي بالقاهرة. له كتب، منها (طبقات المفسرين) و (ذيل طبقات الشافعية للسبكي) و ترجمة الحافظ السيوطي، في مجلد ضخمة، ٩٤٥هـ). شذرات الذهب، (٨/ ٢٦٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩١).

(٦) طبقات المفسرين للداودي، (١/ ١٦٢).



المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي:

عقيدته:

إن لعقيدة المسلم أهمية عظمى على فكره وسلوكه وحياته العلمية، فكان الإمام البغوي-رحمه الله- من أئمة السلف الصالح الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، اعتقاداً وعملاً، خاصة فيما يتعلق في أسماء الله وصفاته، وقد جاءت شهادات العلماء ممن ترجم له تشهد له بذلك، فهو كم يقول الذهبي: على منهاج السلف حلاً وعقداً (١).

وشهد له بذلك السبكي-رحمه الله- فقال: كان إماماً جليلاً ورعاً، زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل سالكاً سبيل السلف (٢).

وسبب سلامة عقيدته -رحمه الله- أنه نشأ مع كتاب الله-عز وجل- واشتغل بحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وتتبع حال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فكانت ذلك وقاية له من الخطأ والزلل، ولذا وجدناه صحيح العقيدة، مُذمماً لعلم الكلام والفلسفة، منتقداً للابتداع، داعياً للتابع، ولعل خير شاهد على سلامة عقيدته وصفائها، مؤلفاته التي قرر فيها ما يذهب اليه في أمور الاعتقاد، وسنورد شيئاً من ذلك على سبيل الإيجاز.

أما مذهبه الفقهي:

فقد نشأ -رحمه الله- شافعيًا بحكم البيئة التي ولد فيها وتعلم ونشأ فيها، والعلماء الذين درس عليهم وأخذ منهم، حتى أصبح من أئمة الشافعية المحققين المحررين خاصة وقد ألف في الفقه الشافعي كتباً كثيرة على رأسها "التهذيب" الذي يعد من كتب الشافعية المعتمدة، قال السبكي: وقدره عال في الدين.... وفي الفقه متسع الدائرة نقلاً وتحقيقاً (٣). وقد اشتهر ذلك لدى العلماء، وأكدته من ترجم له، فقال عنه الذهبي: له القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه (٤).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، (٤٤١/١٨).

(٢) طبقات الشافعية للسبكي، (٧٥/٧).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي، (٧٥/٧).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، (٤٤١/١٩).

-المبحث الثاني: عصر الإمام البخوي وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الناحية السياسية.

المطلب الثاني: الناحية العلمية.

المطلب الثالث: الناحية الاجتماعية.



المطلب الأول: الناحية السياسية:

لاشك أن معرفة بيئة الشخص وعصره تعكسان صورته وشخصيته، ومدى تأثره بها دينياً وثقافياً وسياسياً واجتماعياً، فكلها عوامل تسهم في تكوين تلك الشخصية، لذا كان لا بد لنا من بعض الإشارات عن حياة هذا العالم المفسر ليتصور لنا تصوراً واضحاً عما يحيط به من تيارات وأفكار، ومدى تأثره بها.

فقد عاش الإمام البغوي-رحمه الله- في أواخر النصف الأول من القرن الخامس عشر الهجري في الفترة ما بين (٤٣٣-٥١٦هـ) في عهد الدولة العباسية، حيث قد استحكم فيها الضعف، واختل فيها الأمر، وخرج من بين يديها الولايات والدويلات والإمارات، ولم يبق بيد الخليفة العباسي غير بغداد والسواد^(١).

وفي الفترة التي عاش فيها البغوي كانت الخلافة العباسية واقعة تحت تأثير دولة السلاجقة التي قامت تحت أنقاض الدولة البويهية الشيعية، ويجدر بنا أن نشير باختصار عن دولة بني بويه، ودولة السلاجقة.

أولاً: الدولة البويهية الشيعية: ينتسبون إلى رجل من الديلم^(٢)، يقال له بويه، كنيته أبو شجاع، قامت الدولة البويهية الشيعية في الجزء الغربي من إيران وفي العراق، وأسسها أسرة بني بويه، وكان أشهر رجال أسرة بني بويه الحاكمة ثلاثة هم: علي والحسن وأحمد أبناء بويه، وكانوا يرون أن بني العباس قد غصبوا الأمر من العلويين حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة إلى العلويين^(٣)، حيث استطاعوا ان يوسعوا نفوذهم ويقيموا لهم دولة، فدخلوا بغداد سنة: (٣٣٤هـ) فأسند إليه الخليفة المستكفي منصب أمير الأمراء ولقبه بلقب "معز الدولة"، وأعطى أخاه علياً لقب "عماد الدولة"، وأخاه الآخر حسناً لقب "ركن الدولة" ولكن أحمد بن بويه "معز الدولة" نجح بعد أسابيع قليلة في عزل الخليفة العباسي، وعين بدلاً منه الخليفة ابن المقتدر

(١) هي: رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمي بذلك لسواده بالزرع والنخيل والأشجار. معجم البلدان، (٢٧٢/٣).

(٢) الديلم: إقليم جبلي يقع في الجنوب الغربي من بحر قزوين، ويحده في شماله جيلان، وفي شرقه طبرستان، وفي غربه أذربيجان، وفي جنوبه جهات قزوين، الكامل في التاريخ لابن الأثير، (٩٧/٨).

(٣) البداية والنهاية، (٢١١/١١).

ولقبه المطيع، وأصبح آل بويه هم الحكام الفعليين للخلافة العباسية في بغداد^(١)، ولعل من أبرز معالم هذه المرحلة:

الاستخفاف بالخليفة العباسي، اضعاف سلطته السياسية والدينية، محاولة إنهاء الخلافة السنية، إقامة الخلافة الشيعية، نشر المذهب الشيعي، تسلط الروم على دولة الخلافة من خلال الإغارة على أطرافها، ثم ضعف سلطان بني بويه في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس، واشتد الخصام بين أهل السنة والشيعية، وحصلت بينهم معارك وفتن، وقتل خلق كبير من الفريقين، ونبشت قبور للشيعية وأحرقت، ونبشت قبور لأهل السنة وأحرقت^(٢).

ثم صاحب هذه الأحداث اختلال الأمن، وانتشار الفوضى، وظهر الفسق والفجور، وقطاع الطرق، وسلب الأموال، والفطر في رمضان^(٣).

ثم بعد ذلك خف نشاط سلاطين البويهيين، واخذ السلاجقة يثبتون دعائم دولتهم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري^(٤).

ثانياً: دولة السلاجقة: ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق التركمانية، وتمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بالغز^(٥)، وفي منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم تركستان، والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً الى بحر قزوين غرباً، ومن السهل السيبيرية شمالاً الى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، وعرفوا بالترك أو الأتراك^(٦).

عرفوا بهذه التسمية نسبة الى زعيمهم سلجوق بن دقاق، الذي سار بقبيلته وأنصاره الى بلاد الاسلام، وجاوروا السامانيين والغزنويين، فاعتنقوا الإسلام، على المذهب السني الذي كان يدين به حكام هذه الدول^(٧).

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، دار صادر - بيروت، (٢٤٠/٣)، تاريخ ابن خلدون (٤٢٦)، تاريخ الإسلام، (١١٥/٢٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، (٣٦١/١١)، شذرات الذهب، (٢٧٠/٣).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٢٢٩/٣-٢٣٠).

(٤) دولة السلاجقة د. عبدالمنعم حسنين، (ص ١٤-١٥).

(٥) أخبار الدولة السلجوقية (ص ٢-٣).

(٦) تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد العيد، (ص ١٠٦)، الدولة العثمانية (ص ٢٣) أخبار الامراء والملوك السلجوقية تحقيق د. محمد نورالدين، (ص ٢-٤).

(٧) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (٦١١-٤٩٦/٩).



وهكذا استقر السلاجقة في بلاد ما وراء النهر في مستهل القرن الخامس الهجري، وكانت الدولة السامانية قد انهارت في (٣٨٩هـ) فتوزعت أراضيها بين الخانيين والغزنويين^(١)، وسرعان ما ظفروا بتأييد أئمة الدين الإسلامي، بعد دخولهم فيه، لكنهم لم يسلموا من حقد الخانيين الذين أوقعوا بهم لدى السلطان محمود الغزنوي، فاحتال هذا للقبض على زعيمهم وقتله في إحدى قلاع الهند عام (٤٢٢هـ)^(٢).

وقد أغضب هذا التصرف الغادر السلاجقة، فعزموا على أخذ الثأر، وانتقلوا إلى خراسان، وكان انتقالهم بداية لمرحلة جديدة من الكفاح، ودار بينهم وبين الغزنويين معارك حامية انتصر فيها السلاجقة، ثم رأى السلاجقة أن الوقت حان لإعلان دولتهم، فوحدوا قيادتهم على يد طغر بك، الذي سارع واحتل نيسابور، ثم شرع في إرساء قواعد دولتهم في إيران، وقام طغر بك بحروب كثيرة فاستولى على جرجان وطبرستان، ثم فتح خوارزم، وأصفهان، وبسط السيطرة على كل أجزاء إيران، ثم تطلع السلاجقة إلى بغداد مركز الحكم والخلافة العباسية، حيث كانت أحوال الخلافة العباسية مضطربة^(٣)، فدخلها في عام (٤٤٧هـ) عن طريق حلوان، وأمر له الخليفة القائم بأمر الله بالخطبة في مساجد بغداد، كما أمر أن ينقش اسمه على السكة^(٤).

ثم أخذ السلاجقة في محاربة الفاطميين والاسماعيليين تأمينا للوحدة المذهبية تحت لواء المذهب السني، فتابعوا رسالة العرب في قتال الروم، فاجتازوا الثغور والعواصم، وانتزعوا الأناضول من الروم، وحولوها إلى أرض تركية إسلامية^(٥). وبهذا كله تهيأ للسلاجقة توحيد العالم الإسلامي، وبنوا فيه روح جديدة، وأمنوا له الاستقرار، وأقاموا نهضة علمية تجلت بظهور شخصية مهمة في تلك الحقبة، وهو نظام الملك، كما وقف السلاجقة زمناً طويلاً في وجوه الحملات الصليبية، وفي الدفاع عن العالم الإسلامي ضد غارات المغول، وإن كانوا قد اخفقوا أخيراً أمام

(١) دولة السلاجقة (ص ١٨-١٩)، سلاجقة إيران والعراق عبدالمنعم حسنين، (ص ١٨).

(٢) سلاجقة إيران والعراق، (ص ٢١-٢٦).

(٣) المرجع السابق، (ص ٣١-٣٧).

(٤) الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، فاضل الخالدي، (ص ١٧٥).

(٥) سلاجقة إيران والعراق، عبدالمنعم حسنين، (ص ٣٨-٤٠).

المغول، وأعاد السلاجقة المذهب السني الى الخلافة العباسية بعد أن قضوا علي دولة البويهيين الشيعة في بغداد، وقضوا على مزيد من الانقسام^(١).

وقد استمرت دولة السلاجقة حتى سنة: (٥٨٩هـ)، وهي السنة التي قتل فيها طغرل بن أرسلان آخر سلاطين السلاجقة، وقد كان قتله على يد السلطان خوارزم شاه^(٢).

فعلى هذا يكون الإمام البغوي -رحمه الله- عاصر أربعة من الخلفاء العباسيين: وهم:

- ١- القائم بأمر الله، أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله، وخلافته من (٤٢٢-٤٦٧هـ)، وكان السلطان في عهده من السلاجقة، طغرل بك محمد بن ميكائيل، (٤٢٩-٤٥٥هـ) وهو أول من حكم العراق من السلاجقة التي فيها دار الخلافة^(٣).
- ٢- المقتدي بأمر الله: عدة الدين أبو القاسم عبدالله بن محمد بن القائم، وخلافته من (٤٦٧-٤٨٧هـ)^(٤)، وفي عهده تولى ألب أرسلان من سنة: (٤٥٥-٤٦٥) ثم صار الحكم الى بركياروق بن ملكشاة من سنة (٤٦٥-٤٨٥هـ)^(٥).
- ٣- المستظهر بأمر الله: أبو العباس أحمد بن المقتدي^(٦)، وخلافته من (٤٨٧-٥١٢) وفي عهده من السلاطين ركن الدين أبو المظفر بركياروق من (٤٨٧-٤٩٨هـ)، ثم ركن الدين ملكشاة الثاني من (٤٩٨-٤٩٨هـ)، ثم غياث الدين أبو شجاع من (٤٩٨-٥١١هـ)^(٧).
- ٤- المسترشد بالله: أبو منصور الفضل بن المستظهر^(٨)، وخلافته من (٥١٢-٥٢٩هـ).

(١) تاريخ الدولة العثمانية، د. علي سلطان، مكتبة طرابلس العلمية العالمية

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق، للأصفهاني، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي الاصفهاني، بيروت (ص ٢٧٦).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، (٣٣/١٢)، سير أعلام النبلاء، (١٠٧/١٨).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير، (١١٢/١٢).

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوري، (٢٧٧/١٥)، البداية والنهاية، (٥٠/١٣).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير، (١٥٢/١٢)، تاريخ الخلفاء، (٤٢٦).

(٧) البداية والنهاية لابن كثير، (٥٠/١٣).

(٨) المرجع السابق، (١٩٥/١٢).



المطلب الثاني: الناحية العلمية:

لقد تأصلت في فترة الإمام البغوي-رحمه الله- أنواع العلوم والمعارف، وازدادت حركة التصنيف والتأليف، وظهر فيه أئمة أعلام في سائر علوم الإسلام، وعلى الرغم مما كان يحدث على رقعة بلاد الإسلام من أحداث جسام، واضرابات وانقلابات، فقد زخر ذلك العصر بالعلماء الكبار، الذين كانت لهم جهود عظيمة، ونتاج علمي ضخم، في نشر العلم، وإثراء المكتبة الإسلامية في شتى العلوم، بالتعليم والتصنيف والتأليف،

ومن هؤلاء العلماء المبرزين، ممن يشار إليهم بالبنان في ذلك العصر، على

سبيل المثال لا الحصر:

- ١- الإمام الثعلبي^(١)، له تفسير الكشف والبيان.
- ٢- أبو اسحاق الشيرازي^(٢)، اشتهر بالتصانيف العظيمة.
- ٣- أبو بكر البيهقي^(٣).
- ٤- أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني صاحب كتاب الحلية^(٤).
- ٥- الحافظ أبو القاسم الجرجاني^(٥).
- ٦- إمام الحرمين الجويني^(٦).

(١) الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري، كان أحد أوعية العلم، له كتاب (التفسير الكبير)، وكتاب: العرائس في قصص الأنبياء، توفي: (٤٢٧هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء، (٤٣١/٣٣)، طبقات السبكي (٢٦٧/٥).

(٢) الإمام، المجتهد، شيخ الإسلام، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، سير أعلام النبلاء (٤٢٨/٣٥).

(٣) الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أحمد بن علي بن موسى، احد زمانه في الحفظ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط. سير أعلام النبلاء، (١٦٣/١٨).

(٤) الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام، أبو نعيم المهراني، الأصبهاني، سير أعلام النبلاء (٤٥٤/١٧).

(٥) هو: يوسف بن عبد الله الزجاجي الجرجاني، أبو القاسم: أديب لغوي، محدث، (٤١٥هـ). بغية الوعاة، (٤٢٢)، الأعلام للزركلي (٢٣٩/٨).

(٦) الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف، مجمعا على إمامته شرقا وغربا، لم تر العيون مثله. صاحب التصانيف، ت: (٤٧٨هـ) سير أعلام النبلاء، (٤٦٨/١٨)، طبقات السبكي، (١٦٥/٥)

٧- ابن عطية^(١).

٨- أبو بكر الخطيب البغدادي^(٢).

٩- أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي^(٣).

١٠- ابن حزم الظاهري^(٤).

ومما يجدر بنا التنبيه عليه في هذا العصر، ظهور ما يسمى بالمدارس النظامية، ومعاهد العلم، حيث انتشرت في جميع أنحاء دولة الخلافة، واستقطب لها العلماء الكبار للتدريس والتعليم، وأشهر تلك المدارس.

المدرسة النظامية :

سميت بالنظامية نسبة الى الوزير نظام الملك^(٥)، حيث بنى مدرسة ببغداد،

(١) الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالمك بن تمام بن عطية، أبو محمد الغرناطي، الغرناطي القاضي، حدث عن أبيه الحافظ الحجة أبي بكر، وخلائق، كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيرا بلسان العرب واسع المعرفة له يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاء، له التفسير المشهور ولي قضاء المرية، طبقات المفسرين، للسيوطي (ص: ٥٠).

(٢) الإمام الأوحى، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ، توفي: (٤٦٣هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء، (٢٧٠/١٨).

(٣) الإمام، العلامة، البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، محلة بشرفي بغداد كبيرة، وإلى جانبها محلة أخرى كبيرة يقال لها: قراح ظفر، وهي في قبلي باب أبرز، والظفرية في غربيه، أظنه منسوبتين إلى ظفر أحد خدم دار الخلافة ومسجده بها مشهور، توفي: (٥١٣هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء، (٤٤٣/١٩).

(٤) الإمام الأوحى، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، توفي: (٤٥٦هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء، (١٨٤/١٨).

(٥) الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي، الوزير الكبير العالم العادل أبو علي الملقب بنظام الملك، عاقل، سائس، خبير، سعيد، متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء، ملك طائفة الفقهاء بإحسانه وسلك في سبيل البر معهم سبيلا لم يعهد قبل زمانه هو أشهر من بنى لهم المدارس وشيد أركانهم ولولاه خيف أن يكون كالطلال الدارس. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٤/٣٠٩)، المنتظم ج١٦/٣٠٢، الكامل لابن الأثير (٧٠/١٠) سير أعلام النبلاء، (٩٤/١٩)، شذرات الذهب، (٥/٣٦٢).



ومدرسة ببلخ^(١)، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة في بهراة^(٢)، والبصرة، وطبرستان، والموصل، ويقال إنه بنى مدارس في كل مدينة بالعراق وخراسان^(٣)، وتعد المدارس النظامية أول نوع ظهر في الإسلام من المؤسسات العلمية، وتلقت الدعم من قبل السلطة السياسية، واعتماد الأرزاق والهبات على من يرد هذه المدارس من طلبة العلم، وفوق ذلك تعيين الأئمة الكبار للتدريس فيها، وأصبحت مثلاً يحتذى به لمن جاء بعدها من دور العلم ومراكز الثقافة، وقد كان نظام الملك أشعرياً في الأصول شافعيّاً في الفروع، مما كان له الأثر الكبير في نشر هذين المذهبين، وانتشار النهضة العلمية والثروة التراثية.

(١) مدينة مشهورة بخراسان، وقال أبو عون: بلخ في الإقليم الخامس، طولها ثمان وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، وبلخ من أجلّ مدن خراسان وأكثرها خيراً وأوسعها غلّة، تحمل غلّتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم، قلت وتسمى الآن أفغانستان، معجم البلدان (١/٤٧٩).

(٢) بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها، معجم البلدان (٥/٣٩٦) قال صاحب كتاب الخلافة الشرقية: بلد في خراسان بقرب بوشنج، ويقع إقليم هراة في البلاد المعروف اليوم بأفغانستان، بلدان الخلافة الشرقية، للمؤلف كي لسترنج، (ص٤٤٩).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى. للسبكي، (٤/٣١٣).

المطلب الثالث: الناحية الاجتماعية:

إن الوضع الاجتماعي في أي عصر من العصور هو الأكثر تأثيراً وتأثراً بالجوانب الأخرى التي ترسم معالم ذلك العصر، لأنه يتعلق بحياة العامة والخاصة على حد سواء، ولأنه يمس ويلامس جميع فئات الناس على اختلاف أشكالهم وألوانهم وعقائدهم وأفكارهم وطبائعهم... الخ

ولذا فسوف نشير هنا الى بعض الأحداث الاجتماعية العامة، التي كانت تشغل الرأي العام آنذاك دون تتبع لأحوال المجتمع الخاصة، فلقد كان السلاجقة عنصراً جديداً في تلك البلاد التي يتسم بالقبليّة في مختلف مظاهر الحياة، ولم تؤثر تلك القبليّة في سياستهم ونظم حكمهم فحسب، بل امتد ذلك الى العلوم والآداب والفنون^(١)، إذ اعتمد سلاطينهم على القبائل التركيّة، وكونوا من أفرادها جيوشاً عظيمة، وشجعوها الى السير الى إيران والى غيرها من الأقطار الإسلاميّة، ونظراً الى قلة الثقافة لدى السلاجقة، فقد عمدوا الى طبقة المثقفين والمتعلمين من الوزراء والحجاب وغيرهم، فاستطاعوا بقيام دور هام وكبير من الأحداث السياسيّة وغير السياسيّة، حتى تراجعت كثيراً من الفتن والفتاقل والحروب، فمال الناس الى مذهب السلاجقة، الامر الذي كان له أثر واضح في كثير من مظاهر الحياة^(٢).

فاستقرت الأوضاع في عصر السلاجقة، وردوا القوة والوحدة والحياة والأمن والأمان الى البلاد الإسلاميّة، وقد قضى نظام الملك على ما تبقى من اضطرابات واختلافات بين الأتراك وغيرهم، فجمع القلوب حول أمراء السلاجقة، وطبعها على الإخلاص للمذهب، فكان هذا الملك القدير مصلحاً اجتماعياً وسياسياً، حقق للشعب طمأنينة النفس ورجد العيش، إضافة الى إنشاء المدارس كما تقدم، حتى ظهر أثرها في تقوية وتثبيت المذهب السني، الذي كان له الاثر الطيب في تقوية دعائم السلجوقية السنية، وتمكنها من سلطة الحكم، ومن هذا نرى كيف وفق نظام الملك

(١) سلاجقة إيران والعراق د. عبد النعيم حسنين (ص ٢).

(٢) المرجع السابق، (ص ١٩).



السياسي المحنك الى تحقيق هدفين عظيمين يكمل أحدهما الآخر، وهما تهدئة النفوس بإزاحة ستار البلبلة والقلق المرير عنها، ثم تحقيق حضانة دولة السلجوقيين بوضعها في حراسة جيوش التابعين للمذهب السني، وبذلك مهد لعصر عرفت فيه النفوس طعم السكينة والهدوء، بعد أن ذاقت فترة طويلة من القلق والاضطرابات والفتن^(١).

وبهذا يتبين لنا أن الحياة السياسية والعلمية والإجتماعية وغيرها، تعطي صورة حقيقية لتلك الحقبة من الزمن، ويصعب على الباحث أن يحدد بالقطع أي هذه العوامل كان لها الأثر الواضح على الإمام البغوي، حيث أن المصادر التي ترجمت له لم تذكر شيئاً من ذلك، لكن الذي يظهر لي - والله أعلم - أن الإمام البغوي-رحمه الله- تأثر بالحركة العلمية القوية في ذلك العصر، حتى صار من روادها، ومن كبار فقهاء الشافعية على طريقة الخراسانيين^(٢)، ومن العلماء المحدثين والمفسرين، فقد كانت له دورس في المساجد، واهتمام بالتأليف والتصنيف.

ولم يُدرَس في المدارس النظامية- على رغم جلالته وإمامته- ولعل السبب في ذلك بعده عن الحكام، ومخالفته لعقيدة الأشاعرة القائمين على تلك المدارس، وتمسكه بمنهج السلف الصالح- خاصة- في مسائل الصفات والقدر وغيرها.

(١) سلاجقة إيران والعراق، د. عبد المنعم حسنين ص (٢٠-٢١).

(٢) هي: الطائفة الكبرى بعد العراقيين في الاهتمام بفقهاء الشافعي ونقل أقواله، قال النووي: والخراسانيون أحسن تصرفاً وبحثاً وتقريراً وترتيباً غالباً. المجموع شرح المذهب (١/ ٦٩).

**-المبحث الثالث: نبذة مختصرة عن كتاب "معالم التنزيل"
وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: مكانة الكتاب وأهميته، وسبب تأليفه،
وأهم مميزاته، وأثره فيمن بعده.

المطلب الثاني: مصادره.

المطلب الثالث: منهج الإمام البغوي في كتابه.



المطلب الأول: مكانة الكتاب وأهميته:

يعتبر تفسير البغوي-رحمه الله- من كتب التفسير المأثورة، وذلك لحرص المؤلف على النقل والبعد عن الرأي وقلة الإسرائيليات، وهو من أجل الكتب وأنبليها وأسناها، حاو للصحيح من الأقوال، عار من الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، محلى بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة، وهو من أشهر آثار البغوي-رحمه الله- ويسمى "معالم التنزيل" نسبة كل من ترجم له، وأثبتوه له ضمن مؤلفاته^(١).

وقد شرع البغوي-رحمه الله- في تأليف هذا الكتاب في وقت مبكر من حياته، قيل: أنه بدأ في تصنيفه وهو في عمر الثلاثين، بعد أن قرأ كتباً كثيرة في التفسير وعلومه، فأخرج لنا تفسيراً متوسطاً معتدلاً كاملاً للقرآن الكريم، مجتنباً الإطالة والتفصيل، موضعاً لآيات القرآن الكريم، كاشفاً عن أهدافه ومقاصده، فهو كما أسماه "معالم التنزيل"

وتكمن أهمية تفسير البغوي-رحمه الله- في كونه أقرب إلى الكتاب والسنة، فقد اعتمد على النقل، ونبذ الرأي، وترك الاستشهاد بالأحاديث الموضوعية، لكن الدراسة العلمية لأسانيده أظهرت وجود أحاديث ضعيفة، وضعيفة جداً، فقد سئل ابن تيمية^(٢)-رحمه الله- أي: التفسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي، أم البغوي؟ أو غير هؤلاء؟ فأجاب: "وأما التفسير الثلاثة المسئول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة- البغوي" ولكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحذف منه الأحاديث الموضوعية والبدع التي فيه وحذف أشياء غير ذلك^(٣).

وقال الكتاني^(٤) -رحمه الله- : وكتاب البغوي المسمى بمعالم التنزيل، قد يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه^(٥).

(١) ينظر معجم البلدان، (ص ٤٦٨) وفيات الأعيان، (١٣٦/٢)، سير أعلام النبلاء، (١٩ / ١٠٣).

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم، الدمشقي، الحنبلي، من تصانيفه (تفسير آيات أشكلت)، و(درء تعارض العقل والنقل)، و(منهاج السنة النبوية)، توفي سنة (٧٢٨هـ)، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (١ / ١٦٨)، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، (٦ / ١٨٦).

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٣ / ٣٨٦).

(٤) هو: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، أبو عبد الله: مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف. له مصنفات كثيرة نافعة منها: الرسالة المستطرفة، (١٣٤٥هـ) الأعلام للزركلي (٦ / ٧٢).

(٥) الرسالة المستطرفة للكتاني، (ص ٥٨).

وليس الغرض هنا أن نعرض أقوال العلماء وأفكارهم عن تفسير البغوي، وإنما من حق القارئ أن نعطيه فكرة سريعة عن التفسير. ومن أهميته أن هذا التفسير قد نال شهرة واسعة في الأقطار الإسلامية، واتجهت الأنظار إليه، فقد طبع عدة مرات، وتناوله العلماء بالاختصار والاقتباس، واعتمدوا عليه في تصنيف تفاسيرهم، وممن اختصره واعتنى به "علاء الدين علي بن محمد الشيحي البغدادي، المعروف بالخازن المتوفي: (٧٤١هـ) وأسماء" لباب التأويل في معاني التنزيل"، واختصره أيضاً: تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب الحسيني^(١) ت: (٨٧٥هـ)، وكذلك مختصر لأحمد بن علي الفيومي^(٢) ت: (٧٧٠هـ)، وغيرهم كثير ذكرهم بروكلمان^(٣).

سبب تأليفه:

صرح البغوي -رحمه الله- بالسبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب فقال: فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله -تعالى- وتيسيره، ممثلاً وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ((إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً))^(٤).

(١) هو: عبد الوهاب بن محمد بن حسن بن محمد بن أبي الوفاء، العراقي الأصل، المقدسي، ثم الخليلي، تاج الدين، أبو نصر، قاض، مفسر، من فقهاء الشافعية. ولي القضاء بجلب. قال السخاوي، كتب مجموعاً فيه فوائد، وقال البغدادي أنه مات سنة ٨٥٠ هـ وذكر له عدداً من التصانيف منها "مختصر معالم التنزيل" للبغوي في التفسير، وغير ذلك. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/ ١٠٨)، معجم المفسرين، (١/ ٣٣٩).

(٢) هو: اللغوي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس. من مشايخه: أبو حيان وغيره، كان فاضلاً عارفاً باللغة والفقه، توفي: (٧٧٠ هـ). الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (١/ ٣٥٠).

(٣) بروكلمان، (٦/ ٢٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي: في العلم - باب ما جاء في الإيضاء بمن يطلب العلم: ٤٠٩/٧ - ٤١٠ وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون العبدى، وأبو هارون العبدى اسمه (عمارة بن جوين) متروك ومتهم بالكذب، شيوعي من الرابعة. ينظر: الجرح والتعديل، (٦/ ٣٦٣)، الميزان، (٣/ ١٧٣)، الضعفاء والمتروكين، (ص ١٩٢)، لسان الميزان (٧/ ٣٢١)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب الوصاة بطلب العلم: (١/ ٩١ - ٩٢)، وأخرجه أيضاً عن أبي هريرة وفيه: المعلى بن هلال، كذبه أحمد وابن معين وغيرهما، ونسبه إلى الوضع غير واحد.



واقترء بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد تنبيها للمتوقفين وتحريضا للمتثبطين.

فجمعت- بعون الله-تعالى- وحسن توفيقه- فيما سألوا كتاباً وسطاً بين الطويل الممل، والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً^(١). ومن هذا النص نستفيد أن تفسيره جاء نزولاً عند رغبة طلابه وتلاميذه المخلصين، والمقبلين على اقتباس العلم، وتحقيقاً لوصية الرسول الكريم عليه-أفضل الصلاة وأتم التسليم- واقترء بالسلف الصالح في تقييد العلم وتدوينه.

أهم مميزاته:

اجتمعت في البغوي-رحمه الله- أدوات التفسير، بحفظ كتاب الله، ودراسة العربية، وقراءة الأصول الأساسية في العلوم المختلفة لتي لا بد للمفسر منها، مما أهله وأوصلته الى هذه المكانة المرموقة، والمنزلة الرفيعة، التي جعلته في عداد المفسرين المعترين الكبار.

وفي ضوء الدراسة لمنهج البغوي في كتابه معالم التنزيل، توصلنا الى بعض مزايا تفسيره، وقيمه العلمية الكبيرة، ومن هذه المزايا ما يلي:

١- يعتبر تفسير البغوي من التفاسير المبكرة المتقدمة، حيث أن البغوي -رحمه الله- عاش في القرن الخامس الهجري، ولم يسبقه الى كتابة التفسير، تفسيراً مطولاً مفصلاً، إلا قليل، كالطبري، والثعلبي، وغيرهما، فبهذا ندرك أهمية تفسير البغوي الذي يعتبر من أوائل كتب التفسير المتوسطة، الذي أفادت من السابقين، وكانت مرجعاً للمتأخرين.

٢- جاء تفسير البغوي-رحمه الله- معتمداً على الكتاب والسنة، وسيأتي بيان وتوضيح لهذه الفقرة عند الحديث على منهجه في التفسير.

٣- كتب التفسير جاءت متنوعة ذات اتجاهات مختلفة، على حسب تخصص وميول مؤلفيها، فمنها المعنية بالمأثور، ومنها المعنية بالأحكام، وبالبلغة، والإعراب، والإعجاز، إلى غير ذلك من الاتجاهات، وقد جاء تفسير الإمام

ينظر: الجرح والتعديل، (٣٣١/٨)، المغني، (٦٧١/٢)، الميزان (١٥٢/٤)، تهذيب التهذيب، (٢٤٠/١٠)، لسان الميزان، (٣٩٤/٧).

(١) تفسير البغوي، (٤٥/١).

البغوي جامعاً شاملاً لجوانب متعددة واتجاهات مختلفة، فكان حريصاً على المأثور من الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، معتنياً باللغة والنحو والقراءات، والاحكام الفقهية المهمة، وكان في بعض الأحيان يتطرق إلى الصناعة النحوية ضرورة الكشف عن المعنى، ولكنه مقل لا يكثر (١).

٤- ترك البغوي-رحمه الله- التفرعات والتفصيلات الدقيقة والمملة في المسائل اللغوية والنحوية، كما ترك الاستطراد الخارج والبعيد الذي لا يمت للتفسير بصلة، فخرج البغوي-رحمه الله- بتفسير خال من الحشو والإطالة، فيه من السهولة والفهم والإيضاح لكل من قرأه ودرسه وبحث فيه.

قال الشيخ محمد حسين الذهبي (٢) -رحمه الله-: وقد لاحظتُ على هذا التفسير أنه يروى عن الكلبى وغيره من الضعفاء، كما لاحظتُ أنه يتعرض للقراءات، ولكن بدون إسراف منه في ذلك، كما أنه يتحاشى ما ولع به كثير من المفسرين من مباحث الإعراب، ونكت البلاغة، والاستطراد إلى علوم أخرى لا صلة لها بعلم التفسير (٣).

٥- اهتم البغوي -رحمه الله- بالعلوم التي لها صلة بعلوم القرآن المعينة على فهم وكشف بيان مراد الله في الآيات دون تعمق وتوسع، بل يكتفي في ذلك بما يكشف عن معني الآية في السياق القرآني، كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وأسباب النزول والقراءات وغيرها، وكذلك كان له اهتمام بالغ واضح بذكر الأقوال المتعددة في الآية الواحدة، موجهاً ومختاراً في بعض الأحيان للرأي القريب للصواب من بين الأقوال التي فيها خلاف.

٦- اعتنى بطرح بعض التساؤلات وأجاب عنها، واستخدم أسلوب حسن لتحقيق الفهم والإيضاح والحل للإشكالات.

(١) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، (١/ ١٧٠).

(٢) هو: محمد حسين الذهبي، عالم أزهري كبير، عرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، من مؤلفاته: "التفسير والمفسرون"، و "نور اليقين من هدي خاتم النبيين"، و "علم التفسير"، اغتيل في شهر رجب سنة (١٣٩٧هـ)، يُنظر ترجمته في: تنمة الأعلام للزركلي؛ لمحمد يوسف (٢/ ١٤٥).

(٣) التفسير والمفسرون، (١/ ١٧٠).



وسأعقد فصلاً كاملاً لدراسة التساؤلات والإجابة عنها في كتاب البغوي، حيث أنها موضوع رسالتي.

آثره فيمن بعده:

تأثر كثير من المفسرين الذين جاءوا بعد البغوي-رحمه الله- وانتفعوا بتفسيره وأفادوا منه كثيراً، وما ذاك الا لشهرة الكتاب، وصونه من الغث والسمين، والاحاديث الموضوعية، فهو كمال قال مؤلفه: وسطاً بين الطويل الممل والقصير المخل، متحاشياً عوار التفسير التي سبقتة في النصف الأول من هذا القرن، ولهذا فقد نال شهرة واسعة في الأقطار الإسلامية، فاتجهت الأنظار إليه، وحاز رضا العلماء وامتدحه الأئمة الموثوق بهم في هذا الشأن، فأقبلوا عليه تأليفاً، وتديساً، واقتباساً، واختصاراً، وقد تقدم ذكر من أثنى عليه ومن اختصره.

المطلب الثاني: مصادره:

يعتبر تفسير البغوي-رحمه الله- من أشهر كتب التفسير في العناية بما روي عن مفسري السلف، وقد استمد البغوي-رحمه الله- أكثر تفاسير السلف من تفسير الثعلبي-الكشف والبيان- الذي قرأه على شيخه أبي سعيد الشريحي الخوارزمي، وهذه بعض مصادره التي ضمنها إلى كتابه.

أولاً: مصادره من كتب التفسير بالمأثور:

بلغت حوالي ثلاثة عشر تفسيراً، على رأسها:

- ١- تفسير ابن عباس-رضي الله عنهما-، وتلقى تفسير ابن عباس بطرق ثلاث مسندة، من طريق عكرمة عن ابن عباس، وطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وطريق عطية العوفي عن ابن عباس.
- ٢- تفسير مجاهد بن جبر المكي، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد
- ٣- تفسير الحسن البصري، من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن البصري.
- ٤- تفسير عطاء بن أبي رباح، من طريق أبي جريح عن عطاء.
- ٥- تفسير قتادة، وله طريقان، طريق شيبان بن عبدالرحمن النهوي عن قتادة، والطريق الثاني عن معمر بن راشد عن قتادة.
- ٦- تفسير أبي العالية واسمه رفيع بن مهران، من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

- ٧- تفسير القرظي، من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.
 ٨- تفسير زيد بن أسلم، من طريق ابنه عبدالرحمن عن أبيه زيد بن أسلم.
 ٩- تفسير الكلبي، من محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي.
 ١٠- تفسير الضحاك بن مزاحم، من طريق عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

- ١١- تفسير مقاتل بن حيان، من طريق أبي معاذ عن مقاتل بن حيان.
 ١٢- تفسير مقاتل بن سليمان، من طريق الهذيل بن حبيب عن مقاتل بن سليمان.
 ١٣- تفسير السدي، أسباط عن السدي^(١)
 ويلاحظ تطابق كثير من الطرق مع طرق الثعلبي، وان كانت طرق ومصادر الثعلبي أكثر من مصادر البغوي، بل قد تكون ضعفي ذلك العدد.^(٢)

ثانياً: مصادره في السير والتاريخ والغزوات:

اعتمد في ذلك في الغالب على:

- ١- وهب بن منبه، من طريق أبي عبدالله عبدالمنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه.
 ٢- محمد بن اسحاق، صاحب المغازي، من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق، وكذلك من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق.
 قال البغوي-رحمه الله- بعد سوق هذه الطرق والإسانيد: فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها، تركت ذكرها حذراً من الإطالة، وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد، أذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله-تعالى عز وجل-^(٣).

ثالثاً: مصادره في علم القراءات:

لقد اعتمد الإمام البغوي-رحمه الله- على مصادر عديدة في علم القراءات، إلا أنه لم يذكر لنا إلا كتاب الغاية لابن مهران، الذي اعتمد عليه في القراءات المتواترة، والذي يدلنا على أخذه من مصادر أخرى أمور كثيرة منها:

(١) معالم التنزيل للبغوي، (١/٥٠).
 (٢) انظر الكشف والبيان للثعلبي، المقدمة.
 (٣) معالم التنزيل ط احياء التراث، (١/٥٤).



أ- أنه يذكر قراءات شاذة كثيرة، منها ما يخالف رسم المصحف، مثل قراءة عمر رضي الله عنه- غير المغضوب عليهم وغير الضالين، ومنها ما لا يخالف الرسم مثل قراءة مجاهد-رحمه الله- ﴿فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٠]. بضم السين مضافاً الى هاء الضمير.

ب- أنه يذكر خلاف المصاحف العثمانية، كذكره أن في مصحف أهل مكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]. وهي قراءة ابن كثير المكي، وكذلك يذكر خلاف العلماء في عدد آي القرآن، كالفاتحة والروم وغيرهما، وهذا يدل على معرفته بعلم الرسم والفواصل، ولعله تلقاه من مشايخه الذين أخذ عنهم علم القراءات.

وقد ذكر في مقدمة تفسيره، مصادره في عرض القراءات فقال-رحمه الله-: وقد ذكرت في الكتاب قراءات علماء اشتهر منهم بالقراءات واختياراتهم، على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المقرئ المروزي^(١)-رحمة الله عليه- تلاوة ورواية، قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور، في كتابه المعروف بكتاب الغاية.

وقد ذكر البغوي-رحمه الله- في كتابه معالم التنزيل من اشتهر من القراء بالقراءات، ممن جاءوا بعد الصحابة والتابعين، واتفقت الأمة على تواتر قراءتهم وقبولها وهم^(٢):

(١) شيخ القراء بخراسان، أبو نصر محمد بن أحمد بن علي بن حامد المروزي، سكن جرجانية خوارزم مدة، فنسب إليها، أخذ القراءات والآداب بمرو، عن أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد الدهان، ثم ارتحل، فلحق الحمامي ببغداد، فتلا عليه، وعلى الرهاوي بدمشق، وعلى الشريف الزيدي بحران، وعلى جماعة كبار، وانتهت إليه الإمامة في القراءات، تخرج به أئمة، وعاش نيفاً وتسعين سنة، وكانت وفاته في ثاني عشر ذي الحجة، سنة (٤٨٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨٠/٣٦).

(٢) قال الزركشي: وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة وتابعه الناس وألحق المحققون منهم البغوي في تفسيره بهؤلاء السبعة قراءة ثلاثة وهم يعقوب الحضرمي وخلف وأبو جعفر بن قعقاع المدني شيخ نافع لأنها لا تخالف رسم السبع. ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١/٣٣٠).

- ١- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني^(١).
- ٢- أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدني^(٢).
- ٣- أبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي^(٣).
- ٤- أبو عمران عبد الله بن عامر الشامي^(٤).
- ٥- أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي البصري^(٥).
- ٦- أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري^(٦).
- ٧- أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي^(٧).

(١) مولى أم سلمة-رضي الله عنها- قال سليمان بن مسلم: أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع أنه كان يقرئ في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل الحرة، وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين سنة من مقدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة، رؤى بعد موته على ظهر الكعبة وهو يخبر أنه من الشهداء الكرام. ينظر: وفيات الاعيان، لابن خلكان، (٢٧٤/٦).

(٢) أحد القراء السبعة الأعلام، كان- رحمه الله-. رجلاً أسود اللون حالكا، عالماً بوجوه القراءات والعربية، متمسكاً بالأثر، فصيحاً ورعاً، إماماً للناس في القراءات بالمدينة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها وأجمع الناس عليه بعد التابعين، أقرأ أكثر من سبعين سنة. ينظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي، (١٠٧/١).

(٣) أبو معبد: أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة، وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار " داريا " يعرف بالداري. وهو فارسي الأصل. مولده ووفاته بمكة ت ١٢٠ هـ. ينظر: الاعلام للزركلي (١١٧/١).

(٤) يكنى أبا أو أبو موسى، ولد سنة ٢١ هـ وهو إمام أهل الشام وقاضيه، كان تابعياً جليلاً إماماً بالجامع الأموي في أيام عمر بن عبدالعزيز وقبله وبعده، جمع له بين الإمامة والقضاء والإقراء بدمشق، وقد على الكوفيين لقدم سنه، توفي سنة: (١١٨ هـ). ينظر: وكذلك معرفة القراء الكبار، للذهبي، (٨٣/١).

(٥) أحد القراء السبعة خزاعي من مازن ولد بالحجاز وسكن البصرة سمع نافعاً مولى ابن عمر وأخذ القراءة عرضاً وسماعاً للحروف عن جماعة، وهو إمام أهل البصرة ومقرئها، كان يلقب بسيد القراء، وكان عالماً بالقرآن والعربية، مات بالكوفة سنة: (١٥٤ هـ) وعمره ٨٦ سنة. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، (ص٢٢)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، لابي العباس القسطلاني، (ص٩٥).

(٦) مولاهم النحوي المقرئ البصري إمام عصره في القراءات والعربية والدين والورع، توفي سنة: (٢٠٥ هـ) وعمره (٨٨) سنة. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي، (ص٨٣). قال أبو حاتم السجستاني هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلمه ومذاهبه ومذاهب النحو، وقال أحمد بن حنبل هو صدوق. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، (١٥٨/١).

(٧) هو: عاصم بن بهدلة كان اسم أبي النجود بهدلة كنيته أبو بكر، وكان من القراء، قال يحيى بن آدم حدثنا حسن بن صالح قال ما رأيت أحداً قط كان أفصح من عاصم إذا تكلم كاد يدخله خيلاء مات سنة: (١٢٨ هـ). ينظر: مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان، (ص٢٦١)، الانساب للسمعاني، (١٦٣/٢)، إغاثة الطالب بتراجم القراء، الشيخ فائز عبد القادر شيخ الزور (ص٢١).



٨- أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات^(١).

٩- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي^(٢).

ثم أسند الإمام البغوي-رحمه الله- لكل من القراء المذكورين الطرق التي تلقوا بها قراءتهم عن الصحابة-رضي الله عنهم- عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مثل أبي بن كعب وعلي وعثمان وغيرهم.

فقال: فأما أبو جعفر فإنه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما، وهم قرؤوا على أبي بن كعب.

وأما نافع فإنه قرأ على أبي جعفر القاري، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وشيبة بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرؤوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- وقال الأعرج: قرأت على أبي هريرة، وقرأ أبو هريرة على أبي بن كعب.

وأما عبد الله بن كثير فإنه قرأ على مجاهد بن جبر، وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وأما عبد الله بن عامر فإنه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب، المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان.

وأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ أبو عبد الرحمن على بن أبي طالب-رضي الله عنه- قال عاصم: فكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأقرأ على زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود.

وأما حمزة، فإنه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وسليمان بن مهران الأعمش وحرمان بن أعين وغيرهم، وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي، وقرأ سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله، وقرأ حرمان على أبي الأسود الدئلي، وقرأ أبو الأسود على عثمان وعلي.

(١) كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله -تعالى- حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية عابداً خاشعاً قانتاً لله تخين الورع عديم النظير، توفي: (١٥٦هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، (١١٢/١)، مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان، (ص٢٦٦).

(٢) أخذ عن أبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ الهراء، وكان أحد أئمة القراء السبعة؛ وكان قد قرأ على حمزة الزيات وأقرأ بقراءته ببغداد، ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ بها الناس. قال عبد الرحيم بن موسى: قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأنني أحرمت في كساء. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابو البركات الأنباري، (ص٢٧).

وأما الكسائي، فإنه قرأ على حمزة، وأما يعقوب فإنه قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخراساني، وقرأ سلام على عاصم، فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها.

ملاحظة: لم يذكر الإمام البغوي الطريق لأبي عمرو بن العلاء التي قرأ بها القرآن وتلقاها ممن فوقه، ولعل ذلك كان سهواً من بعض الناسخ والناشر، والله أعلم.

رابعاً: مصادره في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

قال -رحمه الله- وما ذكرت من أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم، فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين، فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير (١).

خامساً: مصادره في اللغة:

يتضمن تفسير البغوي -رحمه الله- وينطوي على مصادر أخرى لم ينص عليها في مقدمته في مجال اللغة والنحو، فيذكر في تفسيره بعض أسماء الاعلام في اللغة ممن أخذ عنهم تلك المعاني والشروح، ومن تلك الأسماء التي ذكرها في تفسيره: أبو عبيدة النحوي (٢)(٣)، والأخفش (٤)، وابن الانباري (٥)(٦)، والزجاج (١)(٢)، وغيرهم كثير، وقد لا يذكر الأسماء ويكتفي بالقول فيقول: قال أهل المعاني، قال أهل البصرة، قال أهل الكوفة (٣).

(١) هذا في أكثر الأحيان، لكن لا يخلو أيضاً من بعض الروايات الغريبة والمنكرة، ولكن إذا ما قورن ذلك بتفسير آخر، فهي قليلة نسبياً، وسيتم بعون الله -تعالى- التنبيه على ذلك في مواضعه، والله أعلم.

(٢) هو: معمر بن المثنى التيمي البصري، أبو عبيدة، اللغوي النحوي العلامة، قال الزبيدي: "كان من أجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها، من أشهر مصنفاته "مجاز القرآن" و"غريب القرآن" توفي سنة: (٢٠٩هـ)، ترجمته في: معجم الأدباء (٦/٢٧٠٤)، ووفيات الأعيان (٥/٢٣٥)، وبغية الوعاة (٢/٢٩٤).

(٣) ذكره في تفسيره، في مواضع كثيرة، انظر على سبيل المثال (١/٧٧)، (٣/٧٧).

(٤) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، ثم البصري، أبو الحسن، الأخفش الأوسط، نحوي عالم باللغة والأدب، من تصانيفه: معاني القرآن، والاشتقاق، توفي سنة (٢١٥هـ)، يُنظر ترجمته في: وفيات الاعيان (٢/٣٨٠)، وبغية الوعاة (١/٥٩٠)، وشذرات الذهب (٣/٧٣).

(٥) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له، توفي سنة (٣٢٨). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٣/٢٠١).

(٦) ذكره في تفسيره، في مواضع كثيرة، انظر على سبيل المثال، (٣/١٩٦).



المطلب الثالث: منهج الامام البغوي في كتابه:

يقصد بالمنهج، الأفكار النظرية التي صاغها في تفسيره والتزم تطبيقها وابرازها من خلال التفسير، ثم الأسس العامة التي بنى عليها اختياراته وترجيحاته بين آراء وأقوال سابقية التي اتسعت لها نظريته في التأويل.

لذا نجد أن معالم التنزيل للإمام البغوي، كتاب متوسط، نقل فيه مصنفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو من أجل الكتب وأنبها وأسناها، حاو للصحيح من الأقوال، عار عن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، محلى بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة.

ومن خلال البحث يمكننا أن نقف على منهج الإمام البغوي فنوجزه بما يلي:
أولاً تفسير القرآن بالقرآن:

جرح كثير من السلف الى تطبيق هذه الفكرة في التفسير منذ عصر الصحابة- رضوان الله عليهم- وقد استعان البغوي بهذه الفكرة في تفسيره لبيان معنى الآية، أو للترجيح والاختيار بين الاقوال المنقولة في التفسير، ومن أمثلة ذلك في تفسيره قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: من علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. أن يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله-تعالى-: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: ٢٦].

وقوله-تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [سورة البقرة: ٣٤]. اختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض. والأصح: أنه مع جميع الملائكة لقوله-تعالى-: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سورة الحجر: ٣٠].

(١) هو: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق، النحوي اللغوي كان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد، وله المصنفات الحسنة، منها: "معاني القرآن" و"الاشتقاق" و"شرح أبيات سيويه" توفي سنة: (٣١١هـ) يُنظر ترجمته في: البلغة (ص: ٥٩)، وبغية الوعاة (٤١١/١)، وطبقات المفسرين للداوودي (٩/١).
(٢) ذكره في تفسيره، في مواضع كثيرة، انظر على سبيل المثال، (٢٦/١) وأكثر من ذكره للزجاج كثيرا.
(٣) تفسير البغوي، (٨٣/٣). تفسير البغوي، (٢٣٥/٦)، تفسير البغوي، (٢٣٣/٦).

ثانياً تفسير القرآن بالسنة:

لما كانت منزلة السنة من القرآن مما لا يسع عاقل الحط من شأنها أنزلها البغوي في تفسيره تلك المنزلة، واعتمد عليها في تفسيره القرآن الكريم فهو سمة واضحة في تفسيره.

كيف لا وهو محي السنة! ولذا فقد جاء تفسيره حافلاً بالأحاديث التي انتخبها فذكرها بأسانيدها، وقل أن يذكر حديثاً بغير إسناد، أو يورد حديثاً ضعيفاً، وقد نجده يسوق عدة أحاديث عند الآية الواحدة كما فعل عند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣] (١).

أو عند قوله -تعالى-: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٤] (٢).

وقد يذكر الحديث في دعم قوله للآية، مثل قوله -تعالى-: ﴿وَلَهُ الْمَلَأُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الأنعام: ٧٣]. يعني: ملك الملوك يومئذ زائل، كقوله -تعالى-: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة: ٤]. وكما قال -تعالى-: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [سورة الانفطار: ١٩]. والأمر له في كل وقت، ولكن لا أمر في ذلك اليوم لأحد مع أمر الله، والصور: قرن ينفخ فيه، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وقال أبو عبيدة: الصُّورُ هُوَ: الصُّورُ وَهُوَ جَمْعُ الصُّورَةِ، وهو قول الحسن: والأول أصح.

والدليل عليه ما ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه)) (٣).

(١) تفسير البغوي، (١/١٨٩).

(٢) تفسير البغوي، (٦/١٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي في القيامة، باب ما جاء في الصور: (١١٧/٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقد رواه غير واحد عن سليمان التيمي، ولا نعرفه إلا من حديثه، وأخرجه أيضاً في التفسير: (٩/١١٦). وأخرجه الدارمي في الرقاق، باب في نفخ الصور: (٢/٣٢٥)، وصححه الحاكم: (٢/٥٠٦)، (٤/٥٦٠). ووافقه الذهبي. وابن حبان، (٦٣٧) من موارد الظمان، والإمام أحمد في المسند: (٢/١٩٦، ١٦٢)، تفسير البغوي (٣/١٥٧).



وكذلك حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر؟ فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل))^(١).
وقد يذكر الحديث استشهاده لترجيح واختيار قول من بين الآراء، مثل قوله-تعالى-: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩]. نصب على الاستثناء واختفوا في القليل الذين لم يشربوا، فقال السدي^(٢): كانوا أربعة آلاف وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح.
ثم ساق السند الى البراء-رضي الله عنه قال: ((كنا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة))^(٣).
فلما وصلوا إلى النهر وقد ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل^(٤).

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في الصور: (١١٧/٧-١١٨)، وقال هذا حديث حسن، وقد روي من غير هذا الوجه عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وأخرجه في تفسير سورة الزمر: (١١٦ / ٩)، وصححه الحاكم من حديث ابن عباس: ٤ / ٥٥٩، وابن حبان ص (٦٣٧)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (٤ / ٣٧٤)، من حديث زيد بن أرقم. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، وأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس ... وفي أسانيد كل منها مقال". وأخرجه المصنف في شرح السنة: "(١٥/١٠٣)، وقال: هذا حديث حسن. تفسير البغوي (٣/١٥٧).

(٢) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخرمة، صاحب التفسير، حدث عن أنس وابن عباس، وحدث عنه شعبة والثوري، توفي سنة (١٢٧هـ)، يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (٥/٢٦٤)، وشذرات الذهب (٢/١١٩)، والأعلام (١/٣١٧).

(٣) رواه البخاري في المغازي: باب: عدة أصحاب بدر. (٧٣/٥) برقم (٣٩٥٧).

(٤) تفسير البغوي، (١/٣٠٢).

* الفصل الثاني: التساؤلات في تفسير البغوي "معالم التنزيل" وفيه ثلاثة مباحث.

-المبحث الأول: تعريف التساؤلات .

-المبحث الثاني: نشأة وأسباب ظهور التساؤلات.

-المبحث الثالث: صيغ التساؤلات عند البغوي في

تفسيره "معالم التنزيل" ومنهجية في الإجابة عنها.



-المبحث الأول: تعريف التساؤلات وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التساؤل لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني تعريف التفسير لغةً واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف التساؤل لغةً واصطلاحاً:

التساؤل لغة: مصدر تَسَاءَلَ، يتساءل، تساؤلاً، فهو مُتَسَاءِلٌ، والمفعول مُتَسَاءَلٌ به، ومادته (س أ ل) سأل يسأل سؤالاً، وتساءل: من إثارة السؤال وتبادلته^(١). ويأتي على معانٍ منها^(٢):

• تساءل الرجل: سأل نفسه بشكٍّ وحيِّرة "تساءل عما سيقرّر - وجه إليه نظرات تساؤليّة" تعبيرٌ تساؤلي: صورة لغوية تستعمل للتعبير عن أن المتحدث متردد يسأل نفسه أي قرار يحسن أن يتخذ.

• تساءل القوم: تخاصموا كقوله -تعالى- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة الطور: ٢٥].

• تساءل بالله: حلف به وطلب حقه، كقوله -تعالى- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [سورة النساء: ١].

• تساءلوا عن سبب الكارثة: سأل بعضهم بعضاً، يثير عدداً من التساؤلات الأساسية الهامّة، كقوله -تعالى- ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الكهف: ١٩].

• تساءل عن أمر: سأل الرأي فيه.

تعريف التساؤل اصطلاحاً:

هناك بعض التعريفات التي ساقها بعض المفسرين لمعنى التساؤل منها: ما قاله ابن فورك^(٣) -رحمه الله-: التقابل بسؤال كل واحد من النفسين الآخر، تساءلاً تساؤلاً وسأله مسألةً، والسؤال الإخبار^(٤).

(١) ينظر: لسان العرب: لابن منظور الأنصاري، (٣١٨/١١)، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، (١/ ٤١١)، تهذيب اللغة (٤٧/١٣)، مختار الصحاح (ص ١٤٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد، (٢/ ١١٢٠).

(٢) معجم اللغة (١٠١٩/٢).

(٣) هو: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواظ، من فقهاء الشافعية. سمع بالبصرة وبغداد. وحدث بنيسابور، وبنى فيها مدرسة. وتوفي على مقربة منها، فنقل إليها. بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المئة، توفي: (٤٠٦ هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٢)، الأعلام للزركلي (٦/ ٨٣).

(٤) تفسير ابن فورك، (٣/ ١٢٥).



وقال الطيبي^(١)-رحمه الله-: التساؤل جريان السؤال بين اثنين فصاعداً، ويجوز بين العبد والشيطان، أو النفس، أو إنسان آخر، ويجري بينهما السؤال في كل نوع^(٢).
وقال ابن عاشور^(٣)-رحمه الله-: والتساؤل تفاعل، وحقيقة صيغة التفاعل تفيد صور معنى المادة المشتقة منها من الفاعل الى المفعول، وصدور مثله من المفعول الى الفاعل^(٤).

ويمكن من خلال هذه التعريفات ان نستنتج تعريفاً مناسباً للتساؤلات وهو: ما يفترضه الإنسان في نفسه من سؤال في أمر مشكل على الأفهام، أو تحير، أو تهكم، لا يعرف المراد منه إلا بالطلب والتأمل، ويقصد منه تنبيه القارئ أو السامع، وهي أسئلة استفهامية يضعها المصنف في كتابه.

المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير لغةً: من الفَسَّرَ، وهو الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل ومن ذلك قوله تعالى:- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٣]. أي: أحسن توضيحاً وبيانياً للمطلوب^(٥).

قال ابن فارس^(٦)-رحمه الله-: " (فَسَّرَ) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك فسر، يقاله: فسرت الشيء وفسرته^(٧)."

(١) هو: حسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي، إمام مشهور عالم في المعقولات والمعاني والبيان، وله مؤلفات كثيرة منها التفسير للقرآن العظيم وغيره، ت: (١٧٤٣هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداوودي، (١/١٤٦).

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ج ٢/٥١٩.

(٣) هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا). ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف، له مؤلفات وتصانيف نافعة، توفي بتونس سنة: (١٩٩٣هـ)، الأعلام للزركلي (٦/١٧٣).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/٧).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري: ١٢/٤٠٧، والبرهان، للزركشي: (٢/١٤٨).

(٦) هو: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، الإمام اللغوي المفسر. أشهر مصنفاته "جامع التأويل في تفسير القرآن" وغيره، توفي سنة: (٣٩٥هـ). وقيل غير ذلك. يُنظر ترجمته في: وفيات الإعيان (١/١١٨)، وبغية الوعاة (١/٣٥٢)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/٦٠)، وشذرات الذهب (٤/٤٨٠).

(٧) معجم مقاييس اللغة: (٤/٥٠٤).

وقال الراغب الأصفهاني^(١) -رحمه الله-: (الْفَسْر) و(السَّفَر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جُعِلَ (الْفَسْر) لإظهار المعنى المعقول ... وجعل (السَّفَر) لإبراز الأعيان "الأبصار"، فقيل: سَفَرَت المرأة عن وجهها، وأسْفَرَ الصبح^(٢).

تعريف التفسير اصطلاحاً: لقد تعددت عبارات العلماء في تعريف التفسير نذكر بعضاً منها ثم نختار التعريف الجامع الشامل:

قال ابن جُزَيِّ^(٣) -رحمه الله-: معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه^(٤).

قال أبو حيان^(٥) -رحمه الله-: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك^(٦).

(١) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني العلامة الماهر والمحقق الباهر، الملقب بالراغب من أهل (أصبهان)، كان من أذكى المتكلمين، وصاحب التصانيف، منها: "المفردات في غريب القرآن"، و"محاضرات الأدباء"، و"الزريعة إلى مكارم الشريعة"، توفي سنة (٥٠٢هـ).. يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء؛ (١٨/١٢٠ - ١٢١)، وطبقات المفسرين؛ للداوودي (٢/٣٢٩)، والأعلام للزركلي (٢/٢٥٥).

(٢) المفردات، للأصفهاني، (٦٣٦).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة، اشتهر بالعكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقرآيات وحديث وأدب حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال، فُقِدَ وهو يحرض الناس يوم معركة طريف. ينظر ترجمته في: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/٢٧٤)، معجم المفسرين، (٢/٤٨١).

(٤) تفسير ابن جزي، (١/١٥).

(٥) هو: محمد بن يوسف: بن علي بن يوسف بن حيان. الشيخ الإمام الحافظ العلامة. فريد العصر وشيخ الزمان، وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي، قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية، وثغر الإسكندرية، وديار مصر، والحجاز. وحصل الإجازات من الشام والعراق، ت: (٧٤٥هـ). ينظر ترجمته في: نكت الهميان في نكت العميان (ص: ٢٦٦).

(٦) البحر المحيط، (١/٢٦).



وقال ابن عرفة المالكي^(١)-رحمه الله-: هو العلمُ بمدلول القرآن وخاصة كيفية دلالاته، وأسبابِ النُّزول، والنَّاسخ والمنسوخ^(٢).
وأجمع تعريف واخصره تعريف الزركشي^(٣) -رحمه الله-: حيث قال: هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله-تعالى- بقدر الطاقة البشرية^(٤).
بعد أن عرفنا التساؤل والتفسير لغة واصطلاحاً، نستنتج من هذه التعريفات معنى للمركب اللفظي " التساؤلات التفسيرية" فنقول: هي المسائل التي يطرحها المفسر على نفسه في تفسيره، أو يفترضها المفسر عن أمر مشكل على الأفهام، بغرض الإثارة والرد، ويأتي بصيغٍ متعددة أشهرها، فإن قيل، قلنا، ومن ثم يقوم بالإجابة عنها.

(١) هو: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها. تولى إمامة الجامع الأعظم سنة: (٧٥٠هـ) وقدم لخطابته سنة: (٧٧٢)، له مصنفات في الفقه والتفسير وغيرها، توفي: (٨٠٣هـ). ينظر ترجمته في: البدر الطالع للشوكاني، (٢/ ٢٤٨)، الأعلام للزركلي (٤٣/٧).

(٢) تفسير ابن عرفة، (١/ ١٩).

(٣) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين، أبو عبد الله الزركشي الشافعي، الفقيه، الأصولي، المحدث، المفسر، الأديب، العلامة المصنف المحرر، دَرَسَ وأفتى، له تصانيف كثيرة، منها: "البرهان في علوم القرآن"، و"البحر المحيط في أصول الفقه"، و"شرح جمع الجوامع"، و"تخريج أحاديث الرافعي"، توفي سنة: ٧٩٤هـ. يُنظر ترجمته في: الدرر الكامنة (١٣٣/٥)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٣٠٢)، والأعلام للزركلي (٦٠/٦).

(٤) البرهان للزركشي، (١٣/١).

المبحث الثاني: نشأة، وأسباب ظهور التساؤلات: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة التساؤلات.

المطلب الثاني: أسباب ظهور التساؤلات.



المطلب الأول: نشأة التساؤلات.

أنزل الله الكريم بلسان عربي مبين، على أقوام قد أوتوا من الفصاحة والبلاغة شيئاً كبيراً، فكانوا يفهمونه ويعرفوا معانيه في الغالب، قال -تعالى-: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥]. وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف: ٢]. لكنهم يتفاوتون في الفهم بحسب علمهم ومعرفتهم، فإذا أشكل على أفهامهم شيءٌ منه سألوا عننه النبي -صلى الله عليه وسلم- فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبين المجل، ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه. كما علم من قوله -تعالى-: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١]. إنها نعي للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة -رضوان الله تعالى- عليهم أجمعين. وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم. ولم يزل متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين (١)

فكان الصحابة -رضى الله عنهم- تتبدى لهم الحاجات التشريعية؛ فينزل القرآن ببيانها، وكانت الحقائق الشرعية مقدمة في الفهم، نزلت بمعان وأوصاف خصها النبي -عليه الصلاة والسلام- بالبيان، فقد لا يقع عليها المتفقه على كتاب الله -تعالى- بظاهر اللفظ، بل تمس الحاجة إلى سؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- فهنا كان ينقدح التساؤل عند الصحابة عما لم يفهموه وأشكل عليهم، ولما كانوا أعلم بخطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت تساؤلاتهم قليلة، ولذلك جاءت في أحاديث معدودة، فمن ذلك ما جاء في الصحيح، عن عبد الله -رضي الله عنه- قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة

(١) تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (١٥٥٤).

[الأنعام: ٨٢]. شق ذلك على أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إنه ليس بذاك، ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣] (١).

ومن هذه التساؤلات أيضاً: ما صح عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: ((لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]. عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذكرت له ذلك، فقال: إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار)) (٢).

وفي عهد الخلفاء الراشدين كان عهد النبوة قريباً، وكان الصحابة -رضي الله عنهم- أوعية المعارف والعلوم التي ورثوها من النبي -صلى الله عليه وسلم- وكانت التساؤلات مناسبة لما تبدى من أسباب إرفاه وخير، وغير ذلك من صور حب الاطلاع، لذا قال الشاطبي (٣) -رحمه الله- في توجيه الاهتمام بالمعاني وسنة العرب في ذلك: " أن يكون الاعتناء بالمعاني الماثورة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناءً على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود، ولا أيضاً كل المعاني (٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا (١٣/٩)؛ برقم (٦٩١٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ {٢٨/٣}؛ برقم: (١٩١٦) مسلم، كتاب الصيام، باب بيان الدخول في الصوم بطلوع الفجر، (٧٦٦/٢) برقم (١٠٩٠).

(٣) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد، أبو إسحاق، اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية، كان إماماً، محققاً، أصولياً، مفسراً، فقيهاً، محدثاً، نظاراً، ثبناً، بارعاً في العلوم، له استنباطات جليلة، وفوائد لطيفة، وأبحاث شريفة، مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع، من تصانيفه (الموافقات) في أصول الفقه، و(الاعتصام)، توفي سنة (٧٩٠ هـ)، ينظر: نيل الابتهاج: (٤٦)، وشجرة النور الزكية، (١/ ٣٣٢).

(٤) الموافقات، للشاطبي (١٣٨/٢).



ثم يذكر مثالا على ذلك يظهر فيه موقف عمر-رضي الله عنه- من التساؤلات في هذا المنحى: " عن أنس بن مالك، أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- ((قرأ: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ [سورة عبس: ٣١]. قال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا هذا. أو قال: ما أمرنا بهذا))، وفيه أيضا عن أنس-رضي الله عنه- ((أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله-تعالى-: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبًا﴾ [سورة عبس: ٣١] ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف)). ومن المشهور تأديبه لصبيغ حين كان يكثر السؤال عن قال-تعالى-: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [سورة المرسلات: ١]. و﴿فَالْعَصْفَتِ﴾ [سورة المرسلات: ٢]. ونحوهما(١).

فمثل هذا الموقف ونظائره من الصحابة كان له أثر في حصر فضول النظر التي تثور التساؤلات التي ليس تحت بعضها عمل، فقد جاء نظير هذا التوجيه من علي-رضي الله عنه- لابن الكواء عندما سأله عن صدر سورة الذاريات، فابتدأه علي-رضي الله عنه- بالتأديب، فقال له علي: ويلك سل تفقها، ولا تسأل تعنتا(٢). فكانت هذه التساؤلات والاشكالات من الصحابة والتابعين لما أشكل عليهم من معاني القرآن هي اللبنة الأولى لنشأة التساؤلات في التفسير. وتبقى هذه التساؤلات قليلة بالنسبة لمن جاء بعدهم من التابعين، حيث اتسعت دائرة التساؤل بعد الفتوحات الاسلامية، ودخل بعض العجم في الاسلام، واختلط اللسان العربي بغيره. ومن هذه التساؤلات التي كان يسأل عنها الصحابة-رضي الله عنهم-سؤالات نافع بن الأزرق المشهورة التي سألتها ابن عباس-رضي الله عنهما- وقد ساقها السيوطي(٣) -رحمه الله- بتمامها في كتابه الإتيقان(٤).

(١) الموافقات للشاطبي، (١٣٩/٢).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٢٣٤/٣).

(٣) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي، جلال الدين أبو الفضل، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، رزق التبحر في التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، له نحو ستمائة مصنف بين كتاب كبير ورسالة صغيرة، لم يترك فنا من الفنون إلا وصنف فيه، توفي سنة (٩١١هـ)، يُنظر ترجمته في: شذرات الذهب (٧٤/١٠)، وطبقات المفسرين للداوودي (٣/ق)، والأعلام للزركلي (٣/٣٠١ - ٣٠٢).

(٤) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي، (٦٧/٢).

وفي زمن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى القرن الثالث: ظهرت وكثرت التساؤلات مما كان في عهد الصحابة، كما أسلفنا لوجود الاسباب والإشكالات التي تضاعفت مع مرور الوقت، والبعد عن عهد النبوة، ودخول العجم في الإسلام، أضف الى ذلك ظهور أسباب الترف الفكري، ونشوء علم الكلام، ودخول الفلسفة والإقبال على نصوص القرآن الكريم لطلب الحجج، وكثرة الخصوم والمناظرات، حتى ظهر عصر التدوين، وبدأ تدوين العلوم في القرن الثاني الهجري، ثم زاد طرح التساؤلات بشكل كبير حتى أفردت بكتب وتصانيف وموضوعات مستقلة، تحت مسمى الاشكالات أو المشكل، هذا مع ما يورده المفسرون في تفاسيرهم ويكشفون اللبس فيه، ويزيلون ما أشكل.

ومن هذه المؤلفات: كتاب "متشابه القرآن" لمقاتل بن سليمان البلخي، وكتاب ابن قتيبة الدينوري مشكل القرآن، وتفسير المشكل من غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب، وغيرها مما هو في معناه. وفي هذه الفترة ظهر تفسير ابن جرير الطبري ليشكل موسوعة عن أهم التساؤلات التي نشأت في ذلك العصر^(١).

وهذه التساؤلات تترجم عن أسباب نشأة التساؤلات، ثم تبعه مؤلفات في التفسير تناولت ما ذكره الطبري ومن تلاه، لكنها متأثرة أيضاً باطلاع المفسر وما يتنامى إلى مسامعه من صور التساؤلات التي عاصرها، ومع هذا يراعي المفسر ما استقر من إجابات، ويرجح بينها، ومن تلك التفاسير التي فيها تعرض للتساؤلات الواردة في القرآن تفسير الماوردي^(٢)، وغيره، ومنها تفسير الإمام البغوي -رحمه الله- وتميزه بطرق التساؤلات الصعبة، والاجابة عنها بتبصر ودقة فاقت من قبله في بعض مظانه.

(١) الإشكالات التي أجاب عنها ابن جرير الطبري في تفسيره جمعاً ودراسة بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن إعداد الطالب عبدالملك إبراهيم عبدالله الأهدل.

(٢) هو: علي بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، كان إماماً في الفقه والأصول والتفسير، بصيراً بالعربية، صاحب المصنفات القيمة في مختلف الفنون، أهم مصنفاته: "الحاوي" في الفقه، و"النكت" في التفسير، و"أدب الدنيا والدين"، و"أعلام النبوة"، توفي سنة (٤٥٠هـ)، يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢٨٢/٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢٦٧/٥)، وشذرات الذهب (٢١٨/٥).



المطلب الثاني : أسباب ظهور التساؤلات.

هناك عوامل كثيرة أدت الى ظهور التساؤلات التفسيرية في القرآن الكريم، ولعل العامل الرئيسي في ظهور هذه التساؤلات هو الحرص على فهم كتاب الله- عز وجل- وبذل الطاقة في معرفة مرادة، ولكن الناس يتفاوتون في أفهامهم وقدراتهم وعلمهم، ولذا فإن قلة الفهم وضعف العلم والمعرفة سبب مشترك في ظهور التساؤل، وبسببه كثر التساؤل حول آيات الكتاب، وتتنوعت هذه الاسئلة، فبعضها كان في الألفاظ، وبعضها في المعاني، وبعضها في الاعراب، وبعضها في القراءات الى غير ذلك.

وإذا أردنا أن نذكر أهم أسباب ظهور التساؤلات التفسيرية عند المفسرين عموماً

وعند الإمام البغوي على وجه الخصوص فيمكننا أن نلخصها في النقاط التالية:

١- تساؤل يقع بسبب اعتقاد مخالف للكتاب والسنة: فأهل الزيغ والانحراف انطلقوا من معتقداتهم الباطلة في فهم كتاب الله- عز وجل- فحرفوا النصوص وألوهها عن معناها لتوافق أهواءهم ومعتقداتهم، وزعموا أنها من المشكل والمتشابه، قال ابن تيمية-رحمه الله-: وأهل البدع ابتدعوا ألفاظاً ومعاني إما في النفي وإما في الإثبات، وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه، ثم نظروا في الكتاب والسنة، فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه، وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة لا ندري ما أريد بها، فجعلوا بدعهم أصلاً محكماً، وما جاء به الرسول فرأ له ومشكلاً إذا لم يوافق^(١)

مثاله تأويل صفات الله- عز وجل- التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كقوله-

تعالى:- ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ﴾. قال الشنقيطي^(٢) -رحمه الله-: هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه، سبحانه وتعالى علواً كبيراً

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (١٧/٣٠٦).

(٢) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي، كان عالماً بالتفسير، والفقه، والأصول، والتاريخ، والأدب، والأنساب، والشعر، من مؤلفاته: "تفسير أضواء البيان وغيرها، توفي سنة: (١٣٩٣هـ). يُنظر ترجمته في: أضواء البيان (٩/٤٧٩)، والأعلام للزركلي (٦/٤٥)، وطبقات النسابين (١٩٨).

عن ذلك كله والله-جل وعلا- أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال (١).

٢- تساؤل يقع بسبب اختلاف الموضوع في الآيات: وهو أن يتوهم القارئ اتحاد الموضوع الذي نتحدث عنه الآيات، بينما الحق أن كل آية لها معناها ودلالاتها الخاصة بها، ومثاله ما ذكره الزركشي-رحمه الله- فقال: ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [سورة النساء: ٣]. مع قوله في أواخر السورة: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [سورة النساء: ١٢٩]. فالأولى تفهم إمكان العدل والثانية تنفيه، والجواب أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن وهذا ممكن الوقوع وعدمه والمراد به، في الثانية الميل القلبي للإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض (٢).

٣- تساؤل يقع بسبب معاني المفردات قبل التركيب وبعده وما يقع من علل اقتران الألفاظ: حيث إن بعض الألفاظ تترادف معانيها، ولكنها تلتقي في الآية فتثير تساؤلاً بسبب ما يقع من تبادل معنى التكرار الذي ينبغي أن يكون لحكمة، ومثال ما يرجع إلى الاقتران مع اشتراك في الاشتقاق والمعنى، واختلف في الصيغة، مما جاء من تساؤل في سبب اجتماع لفظ الرحمن والرحيم في قوله -تعالى-: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الفاتحة: ٣].

قال ابن جرير (٣)-رحمه الله-: "فإن قال قائل: فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر؟ قيل له: ليس الأمر في ذلك كما ظننت، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (٢/ ١٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (٢/ ٥٨).

(٣) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن الإمام أبو جعفر الطبري الأملي البغدادي أحد الأعلام وصاحب التفسير والتاريخ والتصانيف، كان أحد أئمة العلم يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، توفي سنة (٣١٠هـ) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٦/ ٢٤٤١) غاية النهاية في طبقات القراء (ص: ٣٢٥).



عنها. فإن قال: وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة منهما، فصارت إحداهما غير مؤدية المعنى عن الأخرى؟ قيل: أما من جهة العربية، فلا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل: الرحمن عن أبنية الأسماء من فعل يفعل أشد عدولاً من قوله: الرحيم. ولا خلاف مع ذلك بينهم أن كل اسم كان له أصل فعل ويفعل^(١).

قال البغوي-رحمه الله- فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال: ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الحجر: ١]. وكلاهما واحد؟ قلنا: قد قيل كل واحد يفيد فائدة أخرى، فإن الكتاب: ما يكتب، والقرآن: ما يجمع بعضه إلى بعض^(٢).

٤- تساؤل يقع بسبب توهم تعارض نص حديث لنص آية: ومن ذلك: ما جاء في التفضيل بين الأنبياء، حيث جاء في القرآن: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]. مع قوله-عليه الصلاة والسلام-: في الحديث الصحيح "لا تفضلوا بين أنبياء الله"^(٣).

قال القرطبي^(٤)-رحمه الله-: "فلا يقال: النبي أفضل من الأنبياء كلهم ولا من فلان ولا خير، كما هو ظاهر النهي لما يتوهم من النقص في المفضل؛ لأن النهي اقتضى منه إطلاق اللفظ لا منع اعتقاد ذلك المعنى؛ فإن الله تعالى أخبر بأن الرسل متفاضلون، فلا تقول: نبينا خير من الأنبياء، ولا من فلان النبي اجتناباً لما نهى عنه وتادباً به وعملاً باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل، والله بحقائق الأمور عليم"^(٥)

(١) تفسير الطبري، (١/١٢٦).

(٢) تفسير البغوي، (٤/٣٦٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ (٤/١٥٩)؛ برقم: (٣٤١٤)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٤/١٨٤٣)؛ برقم: (٢٣٧٣).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح -إسكان الرءاء وحاء مهملة أبو عبد الله، الأنصاري، القرطبي، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة فيما بين توجّه وعبادة وتصنيف جمع تفسير القرآن كتاباً في (١٥) مجلداً، توفي سنة (٦٧١هـ). ينظر ترجمته في: المقفى الكبير (٥/٨٥)، والوافي بالوفيات (٢/٨٧).

(٥) تفسير القرطبي، (٣/٢٦٢).

قال البغوي-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١]. فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث: ((كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي))^(١).

قيل: معناه لا يبقى يوم القيامة سبب ولا نسب إلا نسبه وسببه، وهو الإيمان والقرآن^(٢).

٥-تساؤل يتعلق بسبب إمكان وجود ناسخ لحكم آية : وذلك أن المفسر قد تشكل عليه آية مع آية أخرى، فيبحث عن الجمع بينما فإن لم يجده لجأ الى القول بالنسخ، وبعضهم يتبن له الجمع فيذكره ويبين لا نسخ في الآية.

ومثال ذلك: ما ذكره الإمام ابن الجوزي^(٣) -رحمه الله- في تفسير قوله- تعالى:- ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]، أورد الإمام ابن الجوزي تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، وهو: "فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين ما روى ابن عباس عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ((أنه صلى يوم الخندق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق؟))^(٤).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: (١٤٢/٣)، عن عمر رضي الله عنه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: منقطع، والطبراني: ٣ / ٣٧، قال الهيثمي: (٢٧٢/٤). رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ٤ / ١٧٧ ونسبه لابن أبي عمر، وقال البوصيري: رواه ثقات، وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٦ / ١١٧ للبخاري والضياء في المختارة، وانظر: تفسير ابن كثير: (٣ / ٢٥٧).

(٢) تفسير البغوي، (٥ / ٤٢٩).

(٣) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي جمال الدين الفُرشي، التميمي، البغدادي، الحنبلي، الإمام، الحافظ، المفسر، الواعظ، المؤرخ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، ومنها: "زاد المسير في التفسير"، و"ناسخ القرآن ومنسوخه"، و"الوجوه والنظائر" توفي سنة ٥٩٧هـ. يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٥٢/٢٢)، والبداية والنهاية (٣٤/١٣)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٦١)، وطبقات المفسرين (١/٢٧٦).

(٤) لم أره من حديث ابن عباس، ولعله سبق قلم، وإنما هو من حديث ابن مسعود، رواه الترمذي، باب: الرجل تقوته الصلوات، (١/٢٢٠) برقم (١٧٩) إسناده ليس به بأس، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. وحسنه الألباني. وأخرجه النسائي، كتاب الاذان، (١٨/٢) برقم (٦٦٣).



وأجاب الإمام ابن الجوزي عن هذا التساؤل بقوله: "الجواب: أن أبا سعيد الخدري -رضي الله عنه- روى أن ذلك كان قبل نزول قوله -تعالى-: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٩]. قال أبو بكر الأثرم: فقد بين الله أن ذلك الفعل الذي كان يوم الخندق منسوخ" (١).

٦- تساؤل يتعلق بسبب غرابة اللفظ: والمقصود به الغامض من الكلام البعيد من الفهم كالغريب من الناس (٢).

وقد ذكر ابن تيمية -رحمه الله- أن ذلك قد يسبب اشكالا عن العلماء فقال: قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آية معينة بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره (٣).

ومن هذا الباب كثرت المؤلفات في غريب القرآن، لأنه سبب من أسباب التساؤل واستشكال الآيات، ومن ذلك كتاب مكي بن أبي طالب، الذي أسماه: تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم. ومثاله قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها)) (٤).

٧- تساؤل بسبب خفاء المعنى وغموضه: وهو من أبرز أسباب ظهور التساؤل، لأن بعض المعاني قد تخفى على غير المتبحر في العلم والمفسر، ومن أمثلة ذلك، ما ذكره الشوكاني -رحمه الله- في تفسيره في تفسير قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدَلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة المائدة: ١٠٦]. قال مكي -رحمه الله-: هذه الآيات الثلاث عند أهل المعاني من أشكال ما في القرآن إعرابا ومعنى وحكماً (٥).

(١) زاد المسير في علم التفسير، (١/ ٢١٧).

(٢) غريب الحديث للخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨

هـ) ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر - دمشق (١/ ٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى، (١٧/ ٤٠٠).

(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام، دار ابن كثير (دمشق - بيروت) (ص: ٣٤٥)، الدر المنثور في التفسير

بالمأثور (٣/ ٢٥٥)، قال ابن كثير، اسناده جيد، فضائل القرآن لابن كثير، (ص: ١٢٥).

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكي، وتام كلامه، قال: وقد أفردت لها كتابا بينها فيه، (١/ ٢٤٣).

قال ابن عطية-رحمه الله-: هذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها، وذلك بين من كتبه-رحمه الله-: يعني من كتاب مكي^(١).
وما ذكره مكي ذكره أبو جعفر النحاس^(٢)-رحمه الله- قبله أيضاً^(٣).
قال السعد^(٤) في حاشيته على الكشاف: واتفقوا على أنها أصعب ما في القرآن إعراباً ونظماً وحكماً^(٥).

٨- تساؤل يتعلق بتبادر مخالفة أو معارضة آية لنص آخر: هو أن ترد عدد من الآيات تتحدث عن شيء واحد وتكون ألفاظها مختلفة، مما يوقع الإشكال لدى قارئ القرآن الكريم، ومثاله ما تساءل به البغوي -رحمه الله- في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَبَانُ مُبِينٌ﴾^(١٧). والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن قيل: أليس قال في موضع: ﴿كَانَهَا جَانٌّ﴾. والجان الحية الصغيرة؟^(٦).

٩- تساؤل بسبب وقوع المخبر به عن أحوال مختلفة وأطوار شتى: بمعنى: أن ترد عدد من الآيات تتحدث عن شيء واحد، وتكون ألفاظها مختلفة مما يوقع الإشكال، وهي متجانسة، ومثال ذلك، ما ذكره البغوي-رحمه الله- في قوله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. فإن قيل: قد قال في موضع: ﴿بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وقال في موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ وقال في موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ قيل: أما قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أراد به الجهة، فالمشرق جهة والمغرب جهة^(٧).

(١) لعله يقصد من لم يقع له الاطمئنان في تفسيرها، تفسير ابن عطية، (٢١٧/٥).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر المرادي، النحوي، ابن النحاس، العلامة، إمام العربية، صنف كتباً كثيرة، منها: "إعراب القرآن"، و"معاني القرآن"، و"ناسخ القرآن ومنسوخه"، توفي سنة (٣٣٨ هـ). يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٩٩/١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٠١/١٥)، وطبقات المفسرين للأذنه وي (ص: ٧٢).
(٣) إعراب القرآن للنحاس، (١/ ٢٨٥).

(٤) مسعود بن عمر بن عبد الله النقتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق، انتفع الناس بتصانيفه، قال ابن حجر: "انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار، لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم، بغية الوعاة (٢/٢٨٥)، معجم المفسرين، (٢/ ٦٧٠).

(٥) حاشية سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي النقتازاني، (١/٤٢٥).

(٦) تفسير البغوي، (٣/ ٢٦٢).

(٧) تفسير البغوي (٧/ ٣٤).



-المبحث الثالث: صيغ التساؤلات، عند البغوي في تفسيره معالم التنزيل، ومنهجه في الإجابة عنها: وفيه مطلبان::

المطلب الأول: صيغ التساؤلات عند البغوي في كتابه معالم التنزيل.

المطلب الثاني : منهج البغوي في الإجابة عن تساؤلاته.

المطلب الأول: صيغ التساؤلات عند البغوي في كتابه معالم التنزيل.

من خلال البحث في التساؤلات التي أوردها الإمام البغوي-رحمه الله- في تفسيره تبين لي تعدد عباراته في إيراد التساؤلات، سواءً كان التساؤل عنده أويورده لغيره.

وبعد التتبع يمكن حصر الصيغ عند الإمام البغوي-رحمه الله- في العبارات

التالية:

١- فإن قيل: وهي أكثر الصيغ استخداماً، بل هي الأغلب والأشهر عنده، وعند غيره من المفسرين.

٢- إن قيل: مثاله ما أورده من تساؤل عند قوله-تعالى- ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ [سورة الكهف: ٣٦]. حيث قال: إن

قيل: كيف قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وهو منكر البعث؟ قيل: معناه: ولئن رددت

إلى ربي-على ما تزعم أنت-يعطيني هنالك خيراً منها فإنه لم يعطني هذه الجنة في

الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها^(١).

٣- فإن قال قائل: مثاله ما أورده من تساؤل عند قوله-تعالى- ﴿فَيَسْئَلُونَ فِي الْأَرْضِ

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزٌ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [سورة

التوبة: ٢]. حيث قال: فإن قال قائل: كيف بعث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أبا

بكر-رضي الله عنه-ثم عزله وبعث علياً-رضي الله عنه-؟ قلنا: ذكر العلماء أن

رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لم يعزل أبا بكر-رضي الله عنه- وكان هو

الأمير، وإنما بعث علياً-رضي الله عنه- لينادي بهذه الآيات^(٢).

(١) تفسير البغوي، (٥/ ١٧٢).

(٢) المصدر السابق، (٤/ ١١).



المطلب الثاني: منهج البغوي في الإجابة عن تساؤلاته.

للإمام البغوي-رحمه الله- في تفسيره أساليب مختلفة في الإجابة عن التساؤل، تختلف باختلاف معاني الآيات والمسألة التي وقع عنها التساؤل. ويمكننا أن نحدد منهجه في الإجابة عن التساؤلات في النقاط التالية:

١- يبدأ في تفسير الآية وبيان معناها-كالتمهيد للتساؤل- قبل ذكر التساؤل والإجابة

عليه، ومثاله: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [سورة التوبة: ٣١]. أي:

علماءهم وقراءهم، والأخبار: العلماء، واحداها حبر، وحبر بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع، فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأخبار والرهبان؟ قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالآرباب(١).

٢- يكتفي بجواب واحد عن لتساؤل وهو كثير، كما في تفسيره لقوله تعالى:-

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة: ٦١]. قال-رحمه الله-: فإن قيل: فلم

قال: بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ قيل ذكره وصفا للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق(٢).

٣- يذكر الاقوال في الإجابة عن التساؤل دون نسبتها إلى قائلها-وهذا كثيراً- كما

في قوله-تعالى-: ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ﴾ [سورة

يوسف: ٩٩]. قال-رحمه الله-: فإن قيل: فقد قال فلما دخلوا على يوسف أوى إليه

أبويه فكيف قال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمِينٌ﴾ بعدما أخبر أنهم

دخلوها؟ وما وجه هذا الإستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل: إن يوسف إنما قال لهم

هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر. وفي الآية تقديم وتأخير، والإستثناء

يرجع إلى الإستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾

[سورة يوسف: ٩٨]. إن شاء الله. وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٣٨).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٠١).

كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله -تعالى-، كما قال: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [سورة الفتح: ٢٧]. وقيل: ﴿إِنْ﴾ ها هنا بمعنى إذ، يريد: إذ شاء الله، كقوله -تعالى- : ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩]. أي: إذ كنتم مؤمنين (١).

٤- يسوق الأقوال في الجواب عن التساؤل دون أن يرجح إلا ما ندر كما في قوله -تعالى-: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]. قال -رحمه الله-: فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء: القاسم، والطيب، والظاهر، وإبراهيم، وكذلك: الحسن والحسين، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للحسن: إن ابني هذا سيد؟. قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً، والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم (٢).

٥- يوفق ويجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض كما في قوله -تعالى- ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٧٨-٧٩]. قال -رحمه الله-: فإن قيل كيف وجه الجمع بين قوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وبين قوله -تعالى-: ﴿فَمِن نَّفْسِكُمْ﴾؟ قيل: قوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكُمْ﴾،

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٧٨).

(٢) المصدر السابق، (٦/ ٣٥٨).



أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله -تعالى-:
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]، يدل عليه ما روى
مجاهد عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: أنه قرأ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ
نَفْسِكَ﴾ وأنا كتبتها عليك.

وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمّر تقديره: فمال هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ (١).

٦- يدخل الإسرائيليات في تقرير بعض الأجوبة وعدم التعقيب عليها غالباً، كما في قوله-
تعالى-: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
فَاسْتَعَفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [سورة ص: ٢٤]. قال-رحمه الله-: فإن قيل: كيف
قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟. قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد
ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (٢).

٧- الإكثار من إيراد التساؤل في آخر تفسير الآية: كما في قوله-تعالى-: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]؟ فإن قيل: فما وجه
هذا السؤال مع علم الله عز وجل أن عيسى لم يقله؟ قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ
قومه وتعظيم أمر هذه المقالة (٣).

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٢٥٣)

(٢) المصدر السابق، (٧/ ٨١).

(٣) المصدر السابق، (٣/ ١٢١).

***الفصل الثالث: قسم الدراسة التطبيقية:**

**وتشمل عرض ودراسة التساؤلات التفسيرية التي أوردتها
الإمام البغوي في تفسيره.
مرتبةً حسب ترتيب سور القرآن الكريم، من سورة
الفاتحة إلى سورة ص.**



التساؤلات في سورة الفاتحة

[١] قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل: لم قدم نكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة؟^(١).

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل: فقال: "هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل. ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير"^(٢).

دراسة التساؤل:

هذه المسألة من مسائل التفسير التي ظهرت عناية المفسرين بها واشتهرت، وتعددت أقوالهم فيها وكثرت، وتنوعت مسالكهم في الجواب عنها، في تلمس الحكمة العجيبة في تقديم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ في سورة قد أحكمت غاية الأحكام.

وخلاصة ما ذكره المفسرون من أقوال في هذه المسألة ما يلي:

القول الأول: قيل: يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل، ونحن بحمد الله نجعل الاستعانة والتوفيق مع الفعل، سواء قرنه به أم أخره جاز، وهذا قول البغوي، ووافقه السمعاني، والخازن^(٣).

القول الثاني: أنه لمراعاة فواصل الآيات في السورة، وهذا ذكره البيضاوي وجهاً^(٤)(٥)، واختاره النسفي^(٦)، وابن عاشور^(١).

(١) تفسير البغوي، (١/ ٥٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٣٧)، تفسير الخازن، (١/ ٢٠).

(٤) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي الامام ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي الفقيه الشافعي، تولى أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته، تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لخصه من تفسيري الزمخشري والرازي وأضاف إليهما ملاحظات كثيرة، توفي سنة (٦٩١هـ). ينظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين، (٢/ ١٣).

(٥) تفسير البيضاوي، (١/ ٢٩).

(٦) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول له المستصفي في شرح المنظومة، توفي: (٧٠١هـ). ينظر: طبقات الحنفية (١/ ٢٧٠)، والدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ١٧).

القول الثالث: أن العبادة أعم من الاستعانة ، لأن الاستعانة نوع من أنواع العبادة فقدم الأعم على الأخص، ذكر هذا القول البغوي أيضاً في تفسيره، والخازن^(٢).

القول الرابع: ما قاله ابن كثير -رحمه الله- إنما قدم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم هو أن يقدم ما هو الأهم فالأهم، والله أعلم^(٣)، وبه قال القرطبي -رحمه الله-^(٤).

القول الخامس: أن الواو لا تقتضي الترتيب، وهو قول مكى بن أبي طالب^(٥)(٦).

قال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- موجهاً لهذا القول: أن الله -تعالى- علم خلقه بذلك أن يقدموا حقه ثم يسألوه ليمونوا مستحقين للإجابة^(٧). قال الواحدي^(٨) -رحمه الله-: إن الواو عند النحويين لا توجب ترتيباً، وإنما هي للجمع، يدل على ذلك أنه لو اتفقت الأسماء لم نحتج إليها^(٩).

القول السادس: قال الشنقيطي -رحمه الله- وإتيانه بقوله: ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا

(١) تفسير النسفي، (١/ ٣٢)، التحرير والتنوير (١/ ١٨٦).

(٢) تفسير البغوي، (١/ ٥٤)، تفسير الخازن، (١/ ٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير، (١/ ١٣٥).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ١٤٥).

(٥) هو: مكى بن أبى طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسى المقرئ ، يكنى أبا محمد؛ أصله من القيروان، وسكن قرطبة. من أهل التبحر فى علوم القرآن والعربية، حسن الفهم، جيد الدين كثير التأليف فى علوم القرآن والعربية، قال ابن بشكوال: وله ثمانون تأليفاً، توفي سنة (٤٣٧هـ) . ينظر ترجمته فى: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٣١٣)، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٨٤).

(٦) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ١٠٧).

(٧) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٥٩).

(٨) هو: أبو الحسن، عليّ بن أحمد بن محمّد الواحدي النيسابوري الشافعي كان واحد عصره فى التفسير، طويل الباع فى العربية واللغة، له التفسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز، وله كتاب أسباب النزول. توفي سنة (٤٦٨هـ)، يُنظر ترجمته فى: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٣٩)، وطبقات المفسرين للأذنه وي (ص: ١٢٧).

(٩) التفسير البسيط (١/ ٥١٧).



على من يستحق العبادة ؛ لأن غيره ليس بيده الأمر. وهذا المعنى المشار إليه هنا جاء مبيناً واضحاً في آيات أخر كقوله تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود: ١٢٣]. وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]. وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة المزمل: ٩]. وإلى غير ذلك من الآيات (١).

القول السابع: قدمت العبادة على الاستعانة لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب، وإطلاق الاستعانة لقصد التعميم، وهذا قول الشوكاني (٢) (٣).

قال ابن القيم (٤): وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها (٥).

وفي المسألة أقوال أخرى، ترجع جملتها الى الأقوال السالفة الذكر. وقد أوصلها الألوسي (٦) -رحمه الله- في تفسيره إلى أحد عشر وجهاً للتقديم. وقال ابن القيم بعد ذكر الأقوال: فهذه الأسرار يتبين بها حكمة تقديم قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١).

-
- (١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ٧).
- (٢) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، مفسر ومحدث، وفقهه مجتهد، من كبار علماء اليمن، له مصنفات عديدة، من أشهرها: فتح القدير، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ. يُنظر ترجمته في: البدر الطالع للشوكاني (٢ / ٢١٤)، وأبجد العلوم للفتوحجي (ص ٦٨٣)، والأعلام للزركلي (١ / ٢٤٦).
- (٣) فتح القدير للشوكاني (١ / ٢٧).
- (٤) هو: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزراعي الدمشقي، شمس الدين، ابن قيم الجوزية الحنبلي، الفقيه الأصولي المفسر النحوي، له مصنفات نافعة كثيرة، منها: "مدارج السالكين"، و"زاد المعاد"، و"إعلام الموقعين"، وغيرها، توفي سنة ٧٥١هـ، يُنظر ترجمته في: الدرر الكامنة لابن حجر (٥ / ١٣٧)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ٢٨٤)، شذرات الذهب (٨ / ٢٨٧).
- (٥) مدارج السالكين (١ / ٧٥).
- (٦) هو: أبو الوفاء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوي، شارك في علوم كثيرة، من تصانيفه روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، توفي سنة: (١٢٧٠هـ). يُنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٧ / ١٧٦)، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (٢ / ٤١٨)، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا كحالة (١٢ / ١٧٥).

قلت ولكنها تحتاج إلى تمحيص وتدقيق.

الترجيح:

الراجح- والعلم عند الله- من خلال ما سبق من الأجوبة على هذا التساؤل، تبين أن مبنى الأقوال عند المفسرين على تلمس الحكمة من تقديم اياك نعبد على اياك نستعين، وقد تقرر أن الله تعالى حكيم عليم، وان الله قد أحكم كتابه غاية الأحكام، وأن القرآن قد بلغ الذروة العليا في الفصاحة والبلاغة وحسن البيان، فذلك قد تجتمع في المسألة الواحدة من المسائل البيانية حكم متعددة، ولطائف متنوعة، ويتفاوت العلماء في إدراكها واستنباطها وصياغتها بحسن بيان.

وقد ألفت بعض العلماء قواعد ترجيحية، يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى.

فالقاعدة في مثل هذه المسائل: أن يقبل ما يحتمله السياق ومقاصد الآيات

بشروط منها:

- ١- أن يكون القول المفسر به صحيحاً في نفسه.
 - ٢- أن تكون جميع الأقوال محتملة في الآية.
 - ٣- أن لا يقتصر معنى الآية على هذا المعنى المأخوذ من الآية.
- فعلى هذا يبقى الاختلاف الذي ترجع فيه الأقوال إلى أكثر من معنى، وتحتملها الآية على جميع الوجوه ما لم يمنع مانع، ولا يمنع هذا من القول بأن أحد هذه الوجوه أظهر، فإن ظهر أحد هذه الوجوه وكان أرجح من غيره، فهذا لا يعني إلغاء بقية المعاني، بل تكون جميعها مرادة، ويكون هذا من باب تكثير المعاني مع إيجاز اللفظ، والإيجاز من أروع مظاهر الإعجاز القرآني والله أعلم.

(١) المرجع السابق.



التساؤلات في سورة البقرة

[٢] قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [سورة البقرة: ٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل ما معنى قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ والمفاعلة للمشاركة، وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل فقال قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلانا، وطارقت النعل^(١).

دراسة التساؤل: فسر البغوي-رحمه الله- قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بقوله يخالفون الله.

وأصل الخدع في اللغة: الإخفاء ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع يظهر خلاف ما يضمّر والخدع من الله في قوله تعالى ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٤٢]. أي: يظهر لهم ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيّب عنهم من عذاب الآخرة^(٢).

ثم ذكر أن المفاعلة تقع غالباً من اثنين إلا في بعض الأحيان، وهذه الآية أحدها، ومنه قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة التوبة: ٣٠]. أي: قتلهم الله تعالى واستدل باللغة كقولك: عافاك الله وعاقبت فلاناً، وطارقت النعل.

وممن وافق البغوي-رحمه الله- في هذا الجواب: اللحياني^(٣)، وأبو عبيدة بن المثني، والزجاج^(٤).

(١) تفسير البغوي، (١/ ٦٥).

(٢) تفسير البغوي، (١/ ٦٥).

(٣) هو: علي بن حازم اللحياني، لغويّ مذكور، وأخذ عنه العلماء، عاصر الفراء وتصدّر في أيامه، وكان إذا دخل على الفراء وهو يملئ كتابه النوادر أمسك الفراء عن الإملاء حتى يخرج اللحياني، فإذا خرج قال: هذا أحفظ الناس للنوادر، وللحياني كتاب في النوادر حسن جليل، ينظر ترجمته في: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٢٥٥).

(٤) مجاز القرآن، لأبي عبيدة، (١٤٠٨هـ).

وقد أجاب غير البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بالآتي:

الجواب الأول: أن الخداع منهم يقع بالاحتتيال والمكر، ومن الله تعالى بأن يظهر ويجعل لهم الأموال والأولاد ما يدخر ويؤخر خلفه، فأشبهه هذا فعلهم إذ كانوا يظهرن الإيمان بالله ورسوله، ويضمرون خلاف ما يظهرن، والله عزو جل يظهر لهم الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستتر من عذاب الآخرة، و فجمع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة^(١). وذهب الى هذا القول ابن جرير الطبري-رحمه الله- ووافقه ابن الأنباري^(٢).

الجواب الثاني: أن يخادعون استعارة تمثيلية تشبيهاً للهيئة الحاصلة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله ، ومن معاملة الله إياهم في الإملاء لهم والإبقاء عليهم، ومعاملة المؤمنين إياهم في إجراء أحكام المسلمين عليهم، بهيئة فعل المتخادعين^(٣). قال الزمخشري^(٤)-رحمه الله-: كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون، صورة صنع الخادعين، وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار - صورة صنع الخادع، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم^(٥).

الجواب الثالث: أن معناه يخادعون رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الأحزاب:٥٧]. أي: أولياء الله. وهذا قول الحسن-رحمه الله- واختاره من المفسرين ورجحه، السمعاني، وابن عطية، والجصاص^(٦).

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٧٣)، تهذيب اللغة للأزهري، (١/١١١).

(٢) المرجعين السابقين.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/٢٧٦).

(٤) هو: محمد بن عمر بن محمد بن أحمد العلامة أبو القاسم الزمخشري، النحوي اللغوي المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زمانا، كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متقنا في كل علم، توفي سنة (٥٣٨هـ). ينظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣١٤).

(٥) تفسير الكشاف للزمخشري، (١/ ٥٧).

(٦) تفسير السمعاني (١/ ٤٨)، تفسير ابن عطية، (١/ ٩٠)، أحكام القرآن للجصاص، (١/ ٣٠).



وعلق الطاهر ابن عاشور-رحمه الله- على هذا القول بقوله: إذا كان الإسناد إلى الله تعالى إما على طريقة المجاز العقلي لأجل الملازمة بين الرسول ومرسله وإما مجاز بالحذف للمضاف، فلا يكون مرادهم خداع الله حقيقة، ويبقى أن يكون رسول الله مخدوعاً منهم ومخادعاً لهم، وأما تجويز مخادعة الرسول والمؤمنين للمنافقين لأنها جزء لهم على خداعهم فذلك غير لائق^(١).

الجواب الرابع: أن ذكر الله في الآية تحسين، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ﴾ [سورة الأنفال: ٤١]^(٢). وممن اختار هذا القول ابن قتيبة^(٣)، والرازي^(٤).

قال الرازي-رحمه الله-: ذكر تعالى نفسه وأراد به رسوله على عادته في تخميم وتعظيم شأنه، فالمنافقون لما خادعوا الرسول قيل إنهم خادعوا الله تعالى^(٥). وقال الزمخشري: فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله. وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص، ولما كان المؤمنون من الله بمكان، سلك بهم ذلك المسلك^(٦).

واعترض أبو حيان-رحمه الله- على الزمخشري فقال: لا ضرورة تدعو إلى أن نذهب إلى أن اسم الله مقحم، وقد صح نسبة مخادعتهم إلى الله حقيقة^(٧).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، (١/ ٢٧٦)

(٢) تفسير البغوي، (١/ ٦٥).

(٣) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، كان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر، متقناً في العلوم، سكن بغداد، وحدث بها، من تصانيفه (الإمامة والسياسة)، و(مشكل القرآن)، توفي سنة (٢٧٦ هـ)، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: (١٨٣)، ونزهة الألباء، (١٥٩ - ١٦٠) وإنباه الرواة، (٢/ ١٤٣ - ١٤٧)، والتاج المكلل (٤٧).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة، (ص: ٤٢)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢/ ٣٠٣).

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢/ ٣٠٣).

(٦) تفسير الكشاف للزمخشري، (١/ ٥٨).

(٧) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، (١/ ٩٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- من خلال الأجوبة عند بعض المفسرين تبين أن الدافع للإشكال هو نفي الخداع عن الله تعالى، لأنه يوهم النقص والعجز والضعف، وهذا لا يليق بالله تعالى، وقد أطبق غالب المفسرين أن الله تعالى لا يوصف بالمكر إلا مقيداً، فلا يوصف الله تعالى به وصفاً مطلقاً.

وعليه فإن ما أجاب به ابن جرير الطبري ومن معه، على دفع الإشكال هو الأسلم في إثبات ما أثبتته الله لنفسه من حقيقة خداع الله للمناققين، وإجراء لظاهر القرآن دون التكلف في التأويل، والقاعدة تقول: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^(١). والله أعلم.

(١) مختصر قواعد الترجيح للحربي، (٥٣).



[٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ

السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [سورة البقرة: ١٣].

نص التساؤل: أورد البغوي-رحمه الله-تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة فقال:

فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل: أنهم كانوا

يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فأخبر الله نبيه -صلى الله عليه

وسلم-والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا

يَعْلَمُونَ﴾. أي: أنهم كذلك (١).

دراسة التساؤل: اختلف المفسرون في الجواب عن هذا التساؤل على ثلاثة

أقوال:

القول الأول: أن المنافقين كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند

المؤمنين، فأخبر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين بذلك، وهذا قول

جماعة من المفسرين منهم، البغوي، والواحدي، وابن عطية، والخازن، والثعالبي (٢)

والألوسي (٣).

قال ابن عطية: وهذا القول إنما كانوا يقولونه في خفاء فأطلع الله عليه نبيه

والمؤمنين، وقرر أن السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر إنما هو في حيزهم وصفة

لهم، وأخبر أنهم لا يعلمون أنهم السفهاء للزّين الذي على قلوبهم (٤).

القول الثاني: أن المنافقين لعنهم الله كانوا يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أن

ينطقوا به بألسنتهم لكن هتك الله تعالى أستارهم وأظهر أسرارهم عقوبة على عداوتهم

(١) تفسير البغوي، (١/ ٦٧).

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي، كان إماماً علامة مصنفاً، اختصر تفسير

ابن عطية في جزأين، وصنف التفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" توفي سنة ٨٧٦هـ. يُنظر: الضوء

اللامع، (٤/ ١٥٢).

(٣) التفسير البسيط، (٢/ ١٦٤)، تفسير ابن عطية، (١/ ٩٤)، تفسير الثعالبي، (١/ ١٨٩)، تفسير

الألوسي، (١/ ١٥٧).

(٤) تفسير ابن عطية، (١/ ٩٤).

وهذا كما أظهر ما أضره أهل الإخلاص من الكلام الحسن وإن لم يتكلموا به بالألسن تحقيقاً لولايتهم قال الله -تعالى-: ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾. إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان: ٩]. وكان هذا في قلوبهم فأظهره الله تعالى تشریفاً لهم وتشهيراً لحالهم، وهذا قول صاحب "التيسير" (١).

القول الثالث: أن هذا القول وإن صدر عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جواباً عن نصيحتهم لكن لا يقتضي كونهم مجاهرين لا منافقين، فإنه ضرب من الكفر أنيق، وفن في النفاق عريق، لأنه محتمل للشر وللخير، بأن يحمل على ادعاء الإيمان كإيمان الناس، وإنكار ما اهتموا به من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذي لا اعتداد بإيمانهم لو آمنوا، ولا نؤمن كإيمان الناس حتى تأمرون بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرأين لإرادة المعنى الأخير، وهم يقولون على الأول فرد عليهم ذلك بقوله ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ﴾ (٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجمع بين هذه الأقوال، وكلها معتبرة، إذ لا تنافر ولا تعارض بينها، والاختلاف الموجود من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، والقول بالجمع بين الأقوال موافق للقاعدة المقررة -عند المفسرين- التي تقول: إذا احتمل اللفظ عدة معان ولم يمتنع إرادة الجميع، حمل عليها (٣).
وعليه: فكل ما ذكره المفسرون هو حال المنافقين، سواءً أظهره فيما بينهم، أو أسروه في أنفسهم، أو صدر منهم بحضرة الناصحين، فهذا ديدنهم ومنهجهم وطريقتهم، فالمنافقون يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر والعداوة، وتكاد قلوبهم تشقق حسداً وغيظاً وحقداً على المؤمنين. والله أعلم.

(١) التيسير في التفسير للنسفي: (١/ ٥٩).

(٢) تفسير روح البيان، (١/ ٤٥).

(٣) مختصر التفسير (ص ٢٩) التحرير والتتوير (١/ ٩٣).



[٤] قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة: ٦١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية

الكريمة فقال: فإن قيل: فلم قال: بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟
جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل فقال: قيل: ذكره
وصفا للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُمْ
بِالْحَقِّ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٢]. ذكر الحق وصفا للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى
الجور والحق^(١).

دراسة التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل: بأنه خرج مخرج
الصفة لقتلهم أنه ظلم وليس بحق، فالقتل يوصف تارة بالحق، وتارة بغير الحق، فهم
قتلوا الانبياء من غير أن يكون ذلك القتل حقاً في اعتقادهم وخيالهم بل كانوا عالمين
بقبحه ومع ذلك فعلوه، فكان هذا تعظيماً للشنعة عليهم. وهو مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ
رَبِّ أَحْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٢]. ذكر الحق وصفاً للحكم لا أن حكمه ينقسم
إلى الجور والحق.

قال الواحدي: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو صفة للقتل، كأنه قيل: قتلاً بغير حق،
يعني بالظلم^(٢). وإلى هذا القول ذهب كثير من المفسرين، منهم السمعاني، وابن
عطية، والقرطبي، والخازن، والسمين الحلبي^(٣)، وابن عادل^(٤)، والشوكاني وأبي
زهرة، رحمهم الله جميعاً^(٥).

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٠١).

(٢) التفسير البسيط للواحدي، (٢/ ٥٩٧).

(٣) هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي الشافعي أبو العباس، المعروف بالسمين، مفسر، عالم بالعربية
والقراءات، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، استقر واشتهر في القاهرة، من تصانيفه: الدر المصون في علم
الكتاب المكنون، توفي سنة (٧٥٦هـ). يُنظر ترجمته في: بغية الوعاة (١/ ٤٠٢)، وطبقات المفسرين (١/ ١٠١).

(٤) هو: عمر بن علي سراج الدين الدمشقي الحنبلي النعماني أبو حفص، الشهير بابن عادل، من تصانيفه:
اللباب في علوم الكتاب في التفسير، وقيل غير ذلك، توفي سنة (٧٧٥هـ)، يُنظر ترجمته في: طبقات المفسرين
للأدنه وي (ص: ٤١٨)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٣٠٠).

(٥) تفسير السمعاني (١/ ٨٧)، تفسير ابن عطية، (١/ ١٥٦)، تفسير القرطبي (١/ ٤٣٢)، تفسير الخازن،
(٥٠/١)، تفسير السمين (١/ ٤٠٣)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ١٢٩)، فتح القدير، (١/ ١٠٩).

وأجاب غير البغوي على هذا التساؤل بالآتي:

الجواب الثاني: جاء ذلك على سبيل التأكيد كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: ٤٦]. إذ لا يقع قتل نبي إلا بغير الحق، ولم يأت نبي قط بما يوجب قتله، وإنما قتل منهم من قتل كراهة له وزيادة في منزلته^(١)، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧] ويستحيل أن يكون لمدعي الإله الثاني برهان. وهذا قول: والرازي، وأبي حيان، وذكره قبلهما ابن الحوزي-رحمهم الله- جميعاً^(٢).

الجواب الثالث: أن معناه: ويقتلون النبيين من غير جرم وذنوب أتوها توجب دماءهم، وتلزمهم أن يمحووا من ديوان النبوة لأجلها، قاله ابن الأنباري^(٣)

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجمع بين الأجوبة المذكورة آنفاً، فإنه ليس بينهم تعارض ولا اختلاف، فكلها تعليقات صحيحة، وأنت ترى أن هذه الأجوبة إنما هي مجرد توجيهات قائمة في الأساس على النظر والاجتهاد؛ ولا دليل يعتد به للقول أو الجزم بأحدها، فهي مجرد نظرات قد تصيب، وقد تخطئ، والمصيب فيها له أجران، والمخطئ فيها له أجر، والقاعدة التفسيرية تقول: إذا احتمل اللفظ عدة معان، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها^(٤).

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٨٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٣/ ٥٣٥)، البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٨٣)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٧٣).

(٣) أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار روة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب؛ كان علامة وقته في الآداب، وكان صدوقاً ثقة ديناً خيراً من أهل السنة، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغيره، توفي سنة ٣٢٧هـ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٤١) الوافي بالوفيات (٢/ ٧٢).

(٤) مختصر قواعد التفسير (ص: ٢٩).



[٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل: كيف يستقيم قوله-تعالى-: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل بقوله: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على التحقيق، ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السني، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وبحيرا الراهب، ووفد النجاشي، فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم- وبايعه، ومنهم من لم يدركه. وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية.

وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾، الذين كانوا على دين موسى-عليه السلام- ولم يبدلوا، والنصارى، الذين كانوا على دين عيسى-عليه السلام- ولم يغيروا وماتوا على ذلك قالوا: وهذان الاسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى-عليهما السلام- حيث كانوا على الحق، كالإسلام لأمة محمد-صلى الله عليه وسلم- والصابئون زمن استقامة أمرهم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي: من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة.

ويجوز أن يكون الواو مضمراً أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة.

ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم: الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك. وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذه الأصناف بالقلب واللسان قال تعالى:
﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (١).

دراسة التساؤل: اختلف المفسرون في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على عدة أقوال، ذكرها البغوي في جوابه على التساؤل بلفظ قيل، وسبب هذا الاختلاف قوله تعالى: في آخر الآية ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سورة البقرة: ٦٢] فإن ذلك يقتضي أن يكون المراد من الإيمان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ غير المراد منه في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ ونظيره في الإشكال قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة النساء: ١٣٦]. فلأجل هذا الإشكال ذكروا أقوالاً عدة، وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في هذه الآية نذكر منها:

القول الاول: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وغيره، فمنهم من أدرك النبي -صلى الله عليه وسلم- وبأيعه، ومنهم من لم يدركه، وهذا المروي عن ابن عباس (٢)، وبه قال السدي (٣)، وذهب الى هذا القول من المفسرين: السمعاني (٤)، وقدمه البغوي في جوابه على هذا التساؤل (٥).

القول الثاني: المراد الذين آمنوا بالله الواحد، والرسول محمداً، من هذه الأمة وصدقوا بكل ما جاء به نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وثبتوا على إيمانهم وآمنوا باليوم الآخر على ما حسب ما ذكره القرآن، فيكون الفرق بين قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ و﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أن معنى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أحدثوا الإيمان، ومعنى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. ثبتوا وداوموا واستمروا عليه في المستقبل، وإما أن نقول: في ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. تقييد لم يذكر في: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فقد

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٠٣).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٢/ ١٣٢).

(٣) تفسير الماوردي، (١/ ١٣٣).

(٤) تفسير السمعاني (١/ ٨٨).

(٥) تفسير البغوي - طيبة (١/ ١٠٣).



زاد قيد وعمل صالحاً؛ لأن الصلة تركبت من شيئين الإيمان والعمل الصالح، والمخلصون وإن كان إيمانهم حاصلًا فقد بقي عليهم العمل الصالح ، فلما تركب الشرط أو الصلة من أمرين ، فكأنه قال من آمن وصدق إيمانه بالعمل، واختار هذا القول: الطبري، والزجاج، والقرطبي، والماوردي، وصديق حسن خان^(١)، وابن عاشور، وأبو زهرة^(٢)، وسيد طنطاوي^(٣)، ونسبه الإمام الرازي للمتكلمين^(٥).

القول الثالث: أن يكون المراد ب﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الذين آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصابئون بعض أصناف الكفار وهذا قول سفيان الثوري^(٦).

(١) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين، له مصنفات نافعة تزيد على ستين مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية، توفي: ١٣٠٧هـ)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٧).

(٣) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، عمل في ميدان التعليم ودرّس العربية في المدارس الثانوية، مؤلفات كثيرة تمثل ثروة فكرية ضخمة عالج فيها جوانب مختلفة في الفقه الإسلامي، وجلى بقلمه فيها موضوعات دقيقة؛ فتناول الملكية، ونظرية العقد، والوقف وأحكامه، والوصية وقوانينها، والتركات والتزاماتها، والأحوال الشخصية في مؤلفات مستقلة. توفي الشيخ سنة ١٣٩٤هـ). منقول من مقدمة كتابه، زهرة التقاسير (١/ ٣).

(٤) هو: محمد سيد طنطاوي، ولد بقرية سليم الشرقية في محافظة سوهاج. حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث بتقدير ممتاز، له مؤلفات جميلة نافعة وبعضها انتقد عليها، منها: الوسيط في التفسير، توفي سنة: ١٤٣١هـ). انظر بطاقة كتابه الوسيط في التفسير، والموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ١٤٨)، معاني القرآن وإعراجه للزجاج (١/ ١٤٦)، تفسير القرطبي (١/ ٤٣٢)، تفسير الماوردي (١/ ١٣١)، في ظلال القرآن (١/ ٤٧)، التحرير والتنوير، (١/ ٥٣٩)، فتح البيان في مقاصد القرآن، (١/ ١٨٥)، زهرة التقاسير، (١/ ٢٥٤)، التفسير الوسيط لطنطاوي، (١/ ١٥٦)، مفاتيح الغيب، (٣/ ٥٣٦).

(٦) هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب ، الثوري الكوفي؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، وروى له السيخان، وتوفي سنة (١٦١هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (١/ ٢٥٠) تهذيب التهذيب، (٤/ ١١١-١١٣).

وقال به من المفسرين: الزمخشري، وأبو السعود، والبقاعي (١)(٢).

القول الرابع: هم المؤمنون من هذه الأمة: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الذين كانوا على دين موسى - عليه السلام - ولم يبدلوا، والنصارى، الذين كانوا على دين - عيسى عليه السلام - ولم يغيروا وماتوا على ذلك. واختار هذا القول الحافظ ابن كثير، والراغب الأصفهاني، وسيد قطب، والسعدي (٣) (٤).

الترجيح:

الراجح - والعلم عند الله - هو القول الرابع: قول من قال كل من آمن بالله وأحسن من الأمم السابقة وأطاع، وكل من آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وصدق به من أمته.

وقد أورد الطبري - رحمه الله - القصة بسنده عن السدي ومجاهد، وكذلك ابن كثير عن ابن أبي حاتم (٥) عن مجاهد، عن سلمان سبباً لنزول هذه الآية إلا أن في السند انقطاع؛ لأن مجاهد لم يسمع من سلمان. وقال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا (٦).

قال ابن كثير: وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية فأنزل الله بعد ذلك: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

(١) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مفسر مقرئ، من مؤلفاته: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، و"مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور". توفي (٨٨٥هـ). يُنظر: الضوء اللامع (١/١٠١)، وطبقات المفسرين، (٣٤٧)، وشذرات الذهب، (٩/٥٠٩).

(٢) تفسير الزمخشري، (١/١٤٦)، تفسير أبي السعود، (١/١٠٨)، نظم الدرر (١/٤٥٥).

(٣) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، التميمي، النجدي، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، واعظ. من تصانيفه: "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن"، و"تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن" توفي سنة (١٣٧٦هـ). يُنظر ترجمته في: الأعلام (٣/٣٤٠)، ومعجم المؤلفين (١٣/٣٩٦).

(٤) تفسير ابن كثير، (١/٢٨٤)، تفسير الراغب (١/٢١٥) في ظلال القرآن (١/٤٨) تفسير السعدي (٤/٥٤).

(٥) هو: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم بن إدريس، شيخ الإسلام، أبو محمد التميمي الحنظلي الرازي - من كبار حفاظ الحديث. وإماماً في معرفة الرجال. أدرك الأسانيد العالية، وروى عنه كثيرون، من مصنفاته: "تفسير القرآن العظيم"، و"الجرح والتعديل"، توفي سنة: ٣٢٧ هـ. يُنظر ترجمته في: طبقات الحنابلة (٢/٥٥).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم، (١/١٢٧).



دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿ [سورة آل عمران: ٨٥]. فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد-صلى الله عليه وسلم- بعد أن بعثه الله بما بعثه به.

فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة، فاليهود أتباع موسى-عليه السلام-، الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم. فلما بعث عيسى-عليه السلام- وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له، فلما بعث الله محمداً-صلى الله عليه وسلم- خاتماً للنبيين، ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر، وهؤلاء هم المؤمنون^(١).

قلت: وهذا إعمال لظاهر القرآن وعمومه والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير، (١/ ٢٨٥).

[٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٧٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة فقال: فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم، فكيف يخشى؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل فقال: قيل الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه^(١).

دراسة التساؤل: فسر البغوي-رحمه الله- معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود.

ثم تساءل البغوي-رحمه الله- كيف يخاطب الله الجمادات وهي لا تعقل ولا تفهم، فأثبت قول أهل السنة، واستدل لذلك بنصوص أخرى من القرآن ومن السنة.

ولهذا قال مجاهد في قول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]. قال: كل حجر يتفجر منه الماء، أو يتشقق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فهو من خشية الله عز وجل، نزل بذلك القرآن^(٢).

وممن وافق البغوي في الجواب عن هذا التساؤل: ابن الأنباري، والسمعاني، وابن كثير، والنيسابوري^(٣)، والخازن^(٤).

قال السمعاني: إن الله تعالى يفهمهم ويلهمهم ذلك فيخشون بإلهامه، وبمثل هذا وردت الأخبار^(٥).

(١) تفسير البغوي، (١ / ١١١).

(٢) تفسير الطبري، (٢ / ٢٤٠).

(٣) هو: الحسن بن محمد الشهير بابن القمي النيسابوري، العالم الفاضل العلامة الشيخ، نظام الدين، وكان يعرف بنظام الأعرج، أصله من بلدة قم ومنشأه ومسكنه في نيسابور، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، له كتب منها: غرائب القرآن ورجائب الفرقان. وهو مؤلف جليل القدر والشأن. وكلك كتاب لب التأويل. ينظر طبقات المفسرين للأندروني (ص ٤٢٠).

(٤) التفسير البسيط (٣ / ٧٢)، تفسير السمعاني (١ / ٩٦)، غرائب القرآن ورجائب الفرقان (١ / ٣١٤) تفسير ابن كثير، (١ / ١٩٨)، تفسير الخازن، (١ / ٥٥).

(٥) المرجع السابق.



وأجاب غير البغوي على هذا التساؤل بالآتي:

الجواب الثاني: أن الله تعالى يخلق للحجارة قدراً ما من الإدراك، تقع به الخشية والحركة، وهذا قول الزجاج، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي والألوسي^(١). قال ابن عبد السلام^(٢)-رحمه الله-: يعطي بعض الجبال المعرفة فيعقل طاعة الله تعالى^(٣).

الجواب الثالث: أن الخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى، وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تتقاد ولا تفعل ما أمرت به، وهذا قول الزمخشري، والنسفي، وأبي السعود، والقاسمي^(٤)، وابن عاشور، قال القاسمي وهذا قول أكثر المحققين^(٥).

وقد أعترض ابن كثير-رحمه الله- على هذا القول فقال: وقد زعم بعضهم أن هذا من باب المجاز، وهو إسناد الخشوع إلى الحجارة كما أسندت الإرادة إلى الجدار في قوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [سورة الكهف: ٧٧] قال الرازي والقرطبي وغيرهما من الأئمة: ولا حاجة إلى هذا، فإن الله تعالى يخلق فيها هذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].^(٦)

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٥٧)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٦٧)، تفسير القرطبي (١/ ٤٦٥)، تفسير البيضاوي، (١/ ٨٨)، تفسير الألوسي، (١/ ٢٩٦).

(٢) هو: عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، كان ناسكاً ورعاً، أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم؛ توفي: (٦٦٠هـ). فوات الوفيات (٢/ ٣٥٠)، طبقات السبكي، (٥/ ٨٠)، رفع الإصر عن قضاة مصر (ص: ٢٣٩).

(٣) تفسير العز بن عبد السلام، (١/ ١٣٨).

(٤) هو: جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، أبو محمد، إمام الشام في عصره، عالم مشارك بأنواع العلوم، من تصانيفه: "محاسن التأويل"، و"قواعد التحديث"، و"إصلاح المساجد من البدع والعيوائد"، توفي بالشام سنة (١٣٣٢هـ)، يُنظر: الأعلام (٢/ ١٣٥)، ومعجم المؤلفين (٣/ ١٥٧).

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٥٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٠٢)، تفسير أبي السعود، (١/ ١١٥)، تفسير القاسمي، (١/ ٣٣٠).

(٦) تفسير ابن كثير، (١/ ١٩٩).

الجواب الرابع: أن المراد بالحجارة البرد الذي يهبط من السحاب تخويفاً من الله تعالى لعباده ليزجرهم به^(١)، وهذا قول علي الجبائي^(٢).
قال القاضي: هذا التأويل ترك للظاهر من غير ضرورة؛ لأن البرد لا يوصف بالحجارة؛ لأنه ماء في الحقيقة^(٣).
بل قال الألويسي: إن هذا القول أبرد من الثلج^(٤).
وهناك أقوال أخرى ذكرها أهل التفسير منها: أن المراد بالحجارة هو الجبل الذي جعله الله دكاً إذ تجلى إليه، خر له، وهذا قول مكي بن أبي طالب^(٥).
وقد حكى ابن جرير عن فرقة أن الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الإرادة للجدار^(٦) إلى غير ذلك من الأقوال.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو القول الأول: والقائل بأن إسناد الخشوع إلى الحجارة من باب الحقيقة لا من باب المجاز، وأن ما قاله البغوي: هو مذهب أهل السنة والجماعة.
ويؤيد ذلك: أن الله-تعالى- علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره- فلها صلاة، وتسبيح، وخشية، قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا أَيْسَّرُ بِهِ حِمْدَهُ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].
وقد ذكر البغوي-رحمه الله- نصوص من الكتاب والسنة شهدت بأن الله تعالى خلق في الحيوان والنبات والجماد فهماً غير العقل، ولا يعلم هذا الفهم سوى الله تعالى.

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢/ ١٩٠).

(٢) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبي، من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبي. له تفسير مطول، ردّ عليه الأشعري، توفي: (٣٠٣ هـ) الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٦).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (٣/ ٥٥٨).

(٤) تفسير الألويسي، (١/ ٢٩٦).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٣١٤).

(٦) تفسير الطبري، (٢/ ٢٤٢).



ومن هذه النصوص، قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النور: ٤١].

ومن السنة ما جاء في الصحيح: عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- ((أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر الى أحد، قال هذا جبل يحبنا ونحبه))^(١). وفي صحيح مسلم: ((إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن))^(٢).

ثم قال البغوي-رحمه الله- بعد أن ساق النصوص في ذلك: فيجب على المؤمن الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى. وهذا ما رجحه الطبري-رحمه الله-: بعد ذكره للأقوال حيث قال: وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل، فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها، فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها^(٣). والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب فضل الخدمة في الغزو (٢٧٣٢) (ج ٣ / ص ١٠٥٨) ومسلم في كتاب الحج - ٨٥ - باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرماها (١٣٦٥) (ج ٢ / ص ٩٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل - باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٢٢٧٧) (ج ٤ / ص ١٧٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٢٤٣)

[٧] قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِ
هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^ط
[سورة البقرة: ١٠٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية
الكريمة، فقال: فإن قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل فقال: قيل
له تأويلان:

التأويل الأول: أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه
ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتها ويتعلم السحر من
صنعتهما.

والتأويل الثاني: وهو الأصح أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك
الوقت، فمن شقي يتعلم السحر منهما ويأخذه عنهما ويعمل به فيكفر به، ومن سعد
يتركه فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً، ففيه ابتلاء للمعلم
والمتعلم، والله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم^(١).

دراسة التساؤل: من خلال الجوابين اللذين أوردهما الإمام البغوي-رحمه الله-
في صحة قصة الملكين اللذين ابتلاههما الله -تعالى- فقد لاحظت أن كثيراً من
المفسرين ممن تناول تفسير الآية وتأويلها لم يحملها على ظاهر النص بل استعان
بنصوص إسرائيلية أو تأويلات غريبة أخرج الآية عن مفهومها الظاهر، ولعل السبب
في ذلك، أنه لا يوجد حديث صحيح صريح يرفع الإشكال إلا ما ورد من آثار عن
الصحابة والسلف ليس بعضها أولى بصرف ظاهر الآية من بعض.
وقد ذكر المفسرون في تفسير الآية تأويلات كثيرة أهمها تأويلان:

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٢٩).



التأويل الأول:

ما ذكره البغوي أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه.

وممن قال بهذا القول ابن السري^(١) كما ذكره عنه ابن الجوزي في تفسيره^(٢).
وقد قرر ابن جرير-رحمه الله- ما أورده ابن السري في سياق الإجابة عن هذا التساؤل فقال: إن الله-جل ثناؤه- عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم، فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه^(٣).

ونقل ابن جرير-رحمه الله- جملةً من الأقوال المقررة لهذا الوجه: قالوا: ليس في العلم بالسحر إثم، وإنما الإثم في عمله وتسويته، فالإثم في العمل به وأن يضرَّ به من لا يحل، ولا إثم كذلك إذ كان تعليمهما مَنْ علَّماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بأنهما فتنة، وينهاه عن السحر والعمل به والكفر إذ كان الله تعالى ذكره قد نهى عن تعلمه والعمل به، ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك، لم يكن من تعلمه حرجاً، كما لم يكونا حرجين لعلمهما به، إذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما.

وقال آخرون: معنى ﴿وَمَا﴾ معنى (الذي)، وهي عطف على (ما) الأولى، غير أن الأولى في معنى السحر، ومعنى الآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه.

(١) هو: أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن السريّ الرّاعوني - كذا نسبه ابن شافع وابن الجوزي- الفقيه الحنبلي، شيخ الحنابلة، وواعظهم، وأحد أعيانهم، من مصنّفاته في الفقه الإقناع، والواضح، والخلاف الكبير، والمفردات، وتوفي: (٥٢٧هـ)، ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، (١/ ٤٠١)، شذرات الذهب، (٦/ ١٣٣- ١٣٤)
(٢) ينظر: زاد المسير: (١/ ٩٤).
(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٢٦).

فتأويل الآية على هذا القول: "واتبعوا السحر الذي تتلو الشياطين في ملك سليمان، والتفريق بين المرء وزوجه الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت(١). وتابعهم في هذا القول ابن عطية، حيث قال: والتعليم على هذا القول إنما هو تعريف يسير بمبادئه(٢).

وذكر هذا الوجه الواحدي، والقرطبي(٣).

التأويل الثاني: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما ويأخذه عنهما ويعمل به فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان، وقد قرر ابن جرير هذا التأويل فقال: فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما ﴿إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما. ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك لله مطيعين، إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه يعلمان(٤). وقرر ذلك ابن العربي(٥) فقال: كل خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزل من عند الله -تعالى- قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤٢٣).

(٢) تفسير ابن عطية، (١/ ١٨٦).

(٣) التفسير البسيط (٣/ ١٩٩)، الجامع لأحكام القرآن: (٢/ ٥٤).

(٤) تفسير الطبري، (٢/ ٤٢٦).

(٥) هو: محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأندلسي المالكي، المعروف بأبي بكر بن العربي القاضي، محدثاً، فقيهاً، أصولياً، مفسراً، أديباً، متكلماً، أشهر مصنفاته: "أحكام القرآن"، و"العواصم من القواصم"، و"عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي" وغيرها. توفي سنة: ٥٤٣هـ. يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٩٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٣٢).



الصحيح: ((ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحجر، رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة))^(١)
فأخبر - عليه السلام - عن نزول الفتن على الخلق^(٢)، وقد قال بهذا القول أكثر المفسرين^(٣).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن التأويلين فيهما قوة بما تقرر تحتها من أدلة وقرائن خارجية، ولا تنافي بينهما بحيث يستقل كل واحد منهما عن الآخر، بل التأويل الأول يُجوز نوع التعليم الذي يتناول الأسباب، فمن تناول الأسباب وسعى وتتبع ونفذ أتم.

وفي التأويل الثاني: العلم المحيط الشامل الذي لا يخرج عنه شيء، فلا يحصل أثر هذا السحر إلا لمن سبق في علم الله أن ذلك يحصل له.
والله تعالى إذا كانت حكمته قد اقتضت أن يكون السحر من فتن الدنيا وابتلاءاتها، فإنه- سبحانه- قد حكم على كل من يعمل بالسحر بأنه كافر، ولذلك لا يجب أن يتعلم الإنسان السحر أو يقرأ عنه، لأنه وقت تعلمه قد يقول سأفعل الخير ثم يستخدمه في الشر.

وهذا القول له قرائن تجعله يقدم على غيره، ومن أهمها ما ذكره ابن جزى^(٤)، في مقدمته في قواعد الترجيح عنده، حيث قال: أن يكون القول قول الجمهور، وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل، (١ / ٣٤) برقم (١١٥) عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي، (١ / ٤٥).

(٣) الوسيط لسيد طنطاوي، (ص: ١٧٠).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى، يكنى: أبا القاسم، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، له مؤلفات كثيرة نافعة، وفاته: فقد وهو يشحذ الناس ويحرضهم، ويثبت بصائرهم، يوم الكائنة بطريف، ضحوة يوم الاثنين السابع (٥/١١) سنة: (٧٤١هـ)، تقبل الله شهادته. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣ / ١٠).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (١ / ١٥).

[٨] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ

وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [سورة البقرة: ١٠٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل: أليس قد قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ فما معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ بعدما أخبر أنهم علموا؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل:

فقال: قيل أراد بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني الشياطين وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. يعني: اليهود.

وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا^(١).

دراسة التساؤل: تبين من إجابة الإمام البغوي-رحمه الله- أنه دفع عن هذا التساؤل باحتمالين، وهي الأقوال التي اختلف فيها أهل التفسير في تعليل هذا التساؤل بها:

القول الأول: أن يكون الذين أثبت لهم العلم الشياطين، والذين نفى عنهم العلم الإنس، وعلى هذا يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا، فالذين علموا هم الشياطين والذين علموا السحر، وأما الجهال من الناس الذين يرغبون في تعلم السحر فهم الذين لا يعلمون، وبهذا يندفع إشكال نفى العلم عنهم لانهم متغايرون، وممن ذهب الى هذا القول قطرب^(٢)، والأخفش حكاها عنهما القرطبي^(٣).

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٣٢).

(٢) هو: أبو علي محمد بن المستنير، يعرف بقطرب، مولى سلم بن زياد، نشأ بالبصرة، ولم تتقطع صلته ببغداد. وله مؤلفات منها: كتاب الأضداد، مثلث قطرب، الأزمنة. توفي سنة (٢٠٦ هـ) طبقات النحويين واللغويين (ص: ٩٩)، المعارف (المقدمة/ ٤٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٥٦).



وضعف الطبري-رحمه الله- هذا القول فقال: وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ، يعني به الشياطين ، وأن قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، يعني به الناس، وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف.

وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ ، معني به اليهود دون الشياطين: ثم هو -مع ذلك - خلاف ما دل عليه التنزيل، لأن الآيات قبل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ وبعد قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، جاءت من الله بزم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم، وذما لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم، مع علمهم بخطأ فعلهم. فقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أحد تلك الأخبار عنهم^(١).

القول الثاني: وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعلموا بما علموا فكأنهم لم يعلموا، وهذا مروى عن قتادة^(٢) والسدي^(٣)، وقد حكى ابن عطية اتفاق العلماء على أن الضمير في يعلمون عائد على بني إسرائيل^(٤). وانتصر لهذا القول ابن جرير الطبري-رحمه الله- وقال: بأنه من باب التقديم والتأخير، ومعنى الكلام: وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، وردّ وضعف غيره من الأقوال^(٥).

(١) تفسير الطبري، (٢/ ٤٥٦).

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، الأكمه، التابعي، قدوة المفسرين والمحدثين كان عالماً بالتفسير، وإماماً في النسب، ورأساً في العربية وأيام العرب، وكان معروفاً بالتدليس، توفي بواسط في الطاعون سنة ١١٧هـ. يُنظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٤٧).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، (١/ ١٩٥).

(٤) تفسير ابن عطية، (١/ ١٨٨).

(٥) تفسير الطبري، (٢/ ٤٥٥-٤٥٦).

ووافقه: السمرقندي^(١)، والواحدي، والراغب الأصفهاني، وابن عطية،
وابن الجوزي^(٢)، وقد اختلفوا في توجيه ذلك على عدة أوجه أبرزها:
الوجه الاول: أن المراد بالذين وصفهم بقوله: ولقد علموا، هم الذين أخبر الله
أنهم نبذوا الكتاب وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان...، فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر ماله في الآخرة من
خلاق، ووصفهم بأنهم يرتكبون المعاصي على علم منهم بها.

والذين نفى عنهم العلم بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ المتعلمون من
الملكين التفريق بين المرء وزوجه، وأخير-جل وعلا- عنهم أنهم بنس ما شروا به
أنفسهم، برضاهم بالسحر عوضاً عن دينهم الذي به نجاة أنفسهم من الهلكة، جهلا
منهم بسوء عاقبة فعلهم، وخسارة صفقة بيعهم، إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا
يعرف الله، ولا يعرف حلاله وحرامه، وأمره ونهيه^(٣)، ونصر هذا التوجيه الإمام
الطبري ووافقه النيسابوري^(٤).

الوجه الثاني: أن الذين وصفهم الله-عز وجل- بالعلم هم أنفسهم الذين نفى
عنهم العلم، وإنما نفى الله-عز وجل- عنهم العلم، لأنهم لم يعملوا بما علموا، فكانوا
بمنزلة الجاهل الذي لم يعلم، والى هذا القول ذهب أكثر المفسرين، منهم السمرقندي،
والزمخشري، وابن عطية، والخازن، وابن عرفة^(٥).

(١) هو: نصر بن محمد بن إبراهيم الخطاب السمرقندي البلخي، أبو الليث المعروف بإمام الهدى الحنفي فقيه،
مفسر، محدث، حافظ، له مصنفات عديدة، منها: "تفسير السمرقندي"، و"خزانة الفقه"، و"تتبيه الغافلين"، توفي
سنة: ٣٧٣هـ. يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٤٦/٢).
(٢) بحر العلوم، (٨٠/١)، التفسير البسيط، (٢١٢/٣)، الراغب الأصفهاني، (٢٨٠/١)، المحرر الوجيز،
(١٨٨/١). زاد المسير في علم التفسير (٩٦ /١).
(٣) تفسير الطبري، (٤٥٥ /٢).
(٤) تفسير النيسابوري، (٣٥١-٣٥٢ /١).
(٥) تفسير السمرقندي، (٨٠ /١)، تفسير الزمخشري، (١٧٣ /١)، تفسير ابن عطية، (١٨٨ /١)، تفسير
الخازن، (٦٧ /١)، تفسير ابن عرفة (٣٨٨ /١).



وهذا الوجه وإن كان له وجهة، لكنه مخالف لظاهر الآية كما قال الطبري - رحمه الله - وهذا تأويل وإن كان له مخرج ووجه فإنه خلاف الظاهر المفهوم بنفس الخطاب، أعني بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وإنما هو استخراج وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب دون الخفي الباطن منه، حتى تأتي دلالة - من الوجه الذي يجب التسليم له - بمعنى خلاف دليله الظاهر المتعارف عليه في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن أولى^(١) وهناك أوجه أخرى ذكرها الرازي، والألوسي^(٢).

الترجيح:

الراجح - والعلم عند الله - هو القول الثاني، والوجه الأول: أن المراد بالذين وصفهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ الفريق - الذين أخبر الله عنهم أنهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما أنزل على الملكين - فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر، ماله في الآخرة من خلاق، ووصفهم بأنهم يركبون المعاصي على علم منهم بها عناداً منهم، وبغياً على رسله، وتعدياً منهم لحدوده، على معرفة منهم بما أعد لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب، وهذا التفسير هو الموافق لظاهر الخطاب، والأصل أن نصوص الوحي تحمل على ظواهرها، والقاعدة التفسيرية تقول: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^(٣).

(١) تفسير الطبري، (٢/٤٥٧).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/٦٣٣). تفسير الألوسي، (١/٣٤٤-٣٤٥).

(٣) مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين الحربي، (٥٣).

[٩] قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة: ١١٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل كيف قال: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ والمعدوم لا يخاطب؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله عن هذا التساؤل فقال: قال ابن الأنباري: معناه فإنما يقول له أي "لأجل تكوينه" فعلى هذا ذهب معنى الخطاب، وقيل: هو وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب^(١).

دراسة التساؤل: اختلف العلماء في هذا التساؤل الذي أورده الإمام البغوي-رحمه الله- على أقوال أبرزها ثلاثة: ذكر منها اثنين البغوي في إجابته وزاد بعض العلماء قولاً ثالثاً سيأتي ذكره بعد القول الثاني إن شاء الله تعالى.

القول الأول: أن معنى اللام في قوله ﴿لَهُ﴾ لام أجل فيكون المعنى إذا قضى أمراً ، فإنما يقول : لأجل تكوينه وإرادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب. وهذا قول ابن الانباري، والسمعاني، والخازن^(٢).

وقد اعترض على هذا القول مكي-رحمه الله- فقال: وقد قيل إن المعنى فإنما يقول من أجله كن ف ﴿لَهُ﴾ بمعنى من أجله، وهذا أيضاً قول لا يمتنع وهو عام، لا يقتضي الأمر لموجود، لأن القول من أجله وقع لا له^(٣).

القول الثاني: هو وإن كان معدوماً ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب.

قال القرطبي-رحمه الله- إن الله- عز وجل- عالم بما هو كائن قبل كونه، فكانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة بعلمه قبل كونها مشابهة لتي هي موجودة،

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٤٢).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ١٣١)، تفسير الخازن، (١/ ١٠٠).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٤١٥).



فجاز أن يقول لها: كوني. ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود، لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال العدم^(١).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: إذا أراد إحكامه وإتقانه - كما سبق في علمه - قال له كن^(٢).

واستدل اصحاب هذا القول: بما صح عن عمران بن حصين -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض))^(٣).
وبما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة))^(٤).

ووجه الدلالة من هذه النصوص: أن المخلوقات كانت معلومة، وإنما قال لها ﴿كُنْ﴾ فخرجت للوجود، وقد بين ابن تيمية -رحمه الله- ذلك فقال: إن المخلوق قبل أن يخلق كان معلوماً مخبراً عنه مكتوباً فهو شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي وإن كانت حقيقته التي هي وجوده العيني ليس ثابتاً في الخارج بل هو عدم محض ونفي صرف وهذه المراتب الأربعة المشهورة للموجودات، وإذا كان كذلك كان الخطاب موجهاً إلى من توجهت إليه الإرادة وتعلقت به القدرة وخلق وكون، كما قال -تعالى- : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل: ٤٠]. فالذي يقال له: كن هو الذي يراد وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره^(٥). وإلى هذا القول ذهب، كل من البغوي، ومكي، وابن الجوزي، وابن تيمية، وابن جزى، والشربيني، والشنقيطي^(٦).

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٩١)

(٢) تفسير القرطبي (٢ / ٨٧)

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده... الآية [سورة الروم] [٢٧] رقم (٣١٩١) (٤ / ١٠٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٣) (٤ / ٢٠٤٤).

(٥) مجموع الفتاوى، (٨ / ١٨٥)، دقائق التفسير، (٢ / ٣٢٥).

(٦) الهداية الى بلوغ النهاية، (١ / ٤١٥)، تفسير البغوي، (١ / ١٤٢)، زاد المسير (١ / ١٠٥)، مجموع الفتاوى،

(٨ / ١٨٤-١٨٦)، تفسير ابن جزى، (١ / ٩٥)، السراج المنير للشربيني، (١ / ٨٨)، أضواء البيان

للشنقيطي (٢ / ٣٧٧).

القول الثالث: أن ذلك خبر من الله -تعالى- عام عن جميع ما يحدثه ويكونه، ، إذا أراد خلقه وإنشاءه كان، ووجد من غير أن يكون هناك قول يقوله، ف كن فيكون، من كان التامة، أي احدث فيحدث، وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول، وإنما هو قضاء يريده، فعبر عنه بالقول وإن لم يكن قولاً.
ورجح هذا القول: الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وأبو حيان -رحمهم الله-(^١).
وقد رد هذا القول الإمام الطبري-رحمه الله- بقوله: فإنهم لا صواب للغة أصابوا، ولا كتاب الله، وما دلت على صحته الأدلة اتبعوا(^٢).
كما رد هذا القول ابن عطية-رحمه الله- وبين أنه يجي مع قول المعتزلة في نفي الكلام عن الله تعالى (^٣).

الترجيح:

الراجح- والعلم عند الله- هو القول الثاني: أن الله- عز وجل- عالم بما هو كائن قبل كونه، فكانت الأشياء التي لم تكن بعلمه قبل كونها مشابهة للتي هي موجودة، فجاز أن يقول لها: كوني، ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود، لتصور جميعها له ولعلمه بها في حال العدم.
وقد قال ابن جزى-رحمه الله- والأحسن قول من قال: إن الشيء الذي يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو موجود في علم الله وإنما يقول له: كن ليخرجه إلى العيان لنا(^٤).

ولأن هذا القول تجتمع به الأدلة، ويندفع به التساؤل، ويسلم من المعارضة، ويتقوى هذا القول بالقاعدة التي تقول: علة انتزعت من أصل سلم من المعارضة مقدمة على علة انتزعت من أصل لم يسلم من المعارضة بمثلها(^٥).

(١) تفسير الزمخشري، (١/١٨١)، مفاتيح الغيب، (٤/٢٦)، تفسير البيضاوي، (١/١٠٢)، تفسير أبي حيان، (١/٥٨٤).

(٢) تفسير الطبري، (٢/٥٤٨).

(٣) تفسر ابن عطية، (١/٢٠٢).

(٤) تفسير ابن جزى، (١/٩٥).

(٥) المستصفي (ص: ٣٨٢).



[١٠] قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل ما معنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ فيرتد.

وفي أمر القبلة عندما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آباءه، وقال أهل المعاني معناه: إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ فَلِمَ نَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩١]. أي فلم قتلتموهم (١).

دراسة التساؤل: اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ وبيان مرجع الضمير فيه على أقوال:

القول الأول: لنعلم ذلك موجوداً إذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب، قال ابن تيمية -رحمه الله- ولفظ بعضهم فقال العلم على منزلتين: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده، والعلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده، هو العلم الذي يترتب

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٦٠).

عليه المدح والذم والثواب والعقاب. قال فمعنى قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب ولا ريب أنه كان عالماً - سبحانه - بأنه سيكون لكن لم يكن المعلوم قد وجد (١).

قال الواحدي -رحمه الله-: ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس أنه فسر العلم هاهنا بالرؤية، وقال: معنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلا لنرى، وهذا راجع إلى ما ذكرنا؛ لأنه إنما يراه إذا علمه موجوداً (٢).

وقد ذهب إلى هذا القول: البغوي، السمعاني، والخازن، والبيضاوي، وابن جزري، والشنقيطي -رحمهم الله جميعاً (٣).

القول الثاني: لنميز أهل اليقين من أهل الشك والريبة، رواه الطبري (٤)، وابن أبي حاتم (٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما، وأورده السيوطي (٦).

قال البيضاوي: وهذا كقوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٧]. فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه، وأشار إليه ابن كثير -رحمه الله- فقال: ليظهر حال من يتبعك ويطيعك، ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه (٧).

القول الثالث: إلا ليعلم رسولي وحزبي وأوليائي من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ومعناه: ليعلم رسولي وأوليائي، إذ كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأوليأؤه من حزبه، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس إلى الرئيس، وما فعل بهم إليه، نحو قولهم: "فتح عمر بن الخطاب سواد العراق، وجبى خراجها"، وإنما فعل ذلك أصحابه، عن سبب كان منه في ذلك.

(١) مجموع الفتاوى، (٨ / ٤٩٦).

(٢) التفسير البسيط (٣ / ٣٧٩).

(٣) تفسير السمعاني (١ / ١٥٠)، تفسير الخازن، (١ / ٨٧)، تفسير البيضاوي، (١ / ١١١)، تفسير ابن جزري،

(١ / ١٠٠)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ٤٦).

(٤) تفسير الطبري، (٣ / ١٦٠).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم، (١ / ٢٥٠).

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١ / ٣٥٣).

(٧) تفسير ابن كثير، (١ / ٣٢٨).



وكالذي روي في نظيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((يقول الله -جل ثناؤه-: مرضت فلم يعدني عبدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني))^(١).

وأضاف ذلك إليه لأنهم حزبه وخواصه، وهذا شائع في كلام العرب نحو قولهم: "فتح عمر العراق"، وإنما فعل ذلك جنده وأتباعه. هذا حاصل ما قاله ابن جرير ورجحه، واختاره العز بن عبدالسلام، وذكره البيضاوي^(٢).

القول الرابع: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ لنرى، والعرب تضع العلم مكان الرؤية، والرؤية مكان العلم، كقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [سورة الفيل: ١] بمعنى ألم تعلم.

وهذا مروى عن علي بن أبي طالب، ذكره القرطبي وقال هذا أظهر الأقوال^(٣). وأعترض ابن جرير الطبري على هذا القول، وقال: وهذا تأويل بعيد، ودلل على ذلك بأنه غير موجود في كلام العرب أن "علمت" بمعنى "رأيت"^(٤).

القول الخامس: ليتبين لكم أيها المنافقون واليهود وأهل الكفر بالله الذين أنكروا أن يكون الله تعالى يعلم الشيء قبل كونه - أنا نعلم ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ ذكره ابن جرير وقال: وهذا وإن كان وجهاً له مخرج، فبعيد من المفهوم^(٥).

القول السادس: إلا لعلنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾، أي: فلم قتلتموهم ﴿وإن كانت﴾ أي: قد كانت أي: تولية الكعبة^(٦)، وهذا قول أهل المعاني.

(١) قال ابن عبد البر: ولفظ هذا الحديث، (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار هكذا قاله ابن عيينة، وجاء في المسند بلفظ استقرضت عبدي فلم يقرضني، وشتمني عبدي ولا يدري) مسند أحمد، (٣٦٨ / ١٣) رقم الحديث، (٧٩٨٨)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨ / ١٥٣).

(٢) تفسير الطبري (٣ / ١٥٩) تفسير العز بن عبد السلام (١ / ١٦٩)، تفسير البيضاوي، (١ / ١١١).

(٣) تفسير القرطبي (٢ / ١٥٦).

(٤) تفسير الطبري (٣ / ١٦١).

(٥) المرجع السابق (٣ / ١٦٢).

(٦) تفسير البغوي، (١ / ١٦٠).

قال ابن عثيمين -رحمه الله- في رده عليهم: لكن هذا وإن كان له وجه من حيث اللفظ، لكن من حيث المعنى ما له وجه؛ لأنه ما يناسب أن الله ما جعل هذه القبلة إلا لأنه يعلم من يبقى ومن لا يبقى، هذا لا وجه له، لكن ما جعلناها إلا للإمتحان، حتى يعلم من يسلم ومن لا يسلم ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ (١).

الترجيح:

الراجح - والعلم عند الله - هو القول الأول: وهو قول البغوي وأكثر المفسرين: لنعلم علماً يترتب عليه الثواب والعقاب، ويظهر هذا العلم واضحاً بين الناس، وإلا فهو عالم بكل شيء قبل وقوعه، لكن هذا العلم لم يظهر للناس ولم يتعلق به ثواب ولا عقاب ولا إقامة حجة، ولكن بالامتحان في الأمور ثم نسخها إلى غيرها ليحصل به إقامة الحجة ويترتب عليه الثواب والعقاب، ويظهر علم الله جلياً بين الناس فيمن يتبع الرسول وينقاد للأمر وفيمن يضطرب إيمانه فينقلب على عقبيه. ولأنه تعالى برحمته وعدله قضى أن يحاسب الناس بما ظهر من أعمالهم ولا يحاسبهم بعلمه، إذ لو حاسب الناس بعلمه، لخلق الناس وخلق الجنة وخلق النار، ثم أدخل أهل الجنة الجنة، وأدخل أهل النار النار، إذ يعلم من يكون على الإيمان ومن سيكون على الكفر.

قال الشنقيطي -رحمه الله- ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه - سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون.

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١١٠).



[١١] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٦١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله تسأولاً يتعلق بهذه الآية الكريمة فقال: فإن قيل فقد قال: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي عن هذا التساؤل فقال: قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة العنكبوت: ٢٥]. وقيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه (١).
دراسة التساؤل اللعن لغة:

أصل اللعن في اللغة: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، أو الطرد، والإبعاد من الخير، وكلاهما بمعنى واحد، لكن قد يختلف المعنى بحسب قائل اللعن، فإذا كانت اللعنة من الله تعالى في الآخرة؛ فهي العقوبة والعذاب.
. وإذا كانت منه سبحانه في الدنيا؛ فهي انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه.
. وإذا كانت من الإنسان؛ فهي بمعنى الدعاء على غيره.
. وقد تكون من الإنسان بمعنى السب لغيره (٢).

قال ابن كثير: "أخبر تعالى عن كفر به، واستمر به الحال إلى مماته بأن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها، أي في اللعنة التابعة لهم إلى يوم القيامة، ثم المصاحبة معهم في نار جهنم التي لا يخفف عنهم العذاب فيها أي: لا ينقص عما هم فيه، ولا هم ينظرون، أي لا يُغَيَّر عنهم ساعة واحدة، ولا يفتر، بل هو متواصل دائم، فنعوذ بالله من ذلك.

(١) تفسير البغوي، (١/ ١٧٦).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٤١)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٨٩)، لسان العرب

(١٣/ ٣٨٧) مختار الصحاح (ص: ٢٨٣)،

قال أبو العالية^(١) -رحمه الله- : إن الكافر يُوقَف يوم القيامة فيلعنه الله، ثم تلعنه الملائكة، ثم يلعنه الناس أجمعون^(٢).

وقد اختلف أهل العلم في اللعن المقصود في الآية على أقوال:

القول الأول: قيل يلعن نفسه في القيامة قال تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ

بَعْضًا﴾، وذكر ابن جرير صورة ذلك فقال: " ذلك يوم القيامة يُوقَف على رؤوس

الأشهاد الكافر فيلعنه الناس كلهم، روي هذا القول عن أبي العالية، وذهب إليه ابن جرير، والسمعاني، و الزجاج، وابن كثير، والشوكاني رحمهم الله^(٣).

قال الكيا الهراسي^(٤) -رحمه الله-: ويدل على صحة هذا القول أن الآية دالة على الإخبار من الله تعالى بلعنهم لا على الأمر^(٥).

واعترض الجصاص -رحمه الله- على قول أبي العالية فقال: قيل له هذا

تخصيص بلا دلالة ولا خلاف أنه يستحق اللعن من الله -تعالى- والملائكة في الدنيا بالآية فكذلك من الناس^(٦).

القول الثاني: قيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين

والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه، وذلك مثل قول القائل كائناً من كان "لعن الله الظالم" فيلحق ذلك كل كافر؛ لأنه من الظلمة " وهذا قول الرازي^(٧).

(١) هو: رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، مولى امرأة من بنى رياح، تابعي مشهور، أدرك زمان النبي، وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر، ولزم ابن عباس، وأخذ عنه العلم، ثقة كثير الإرسال، توفي (٩٠هـ).. يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧)، وشذرات الذهب (١/٣٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير، (١/٣٤٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، (١/٢٧١) تفسير الطبري، (٣/٢٦٢)، تفسير السمعاني (١/١٦١)، معاني القرآن (١/٢٦٣)، تفسير ابن كثير، (١/٢٤٣)، فتح القدير (١/١٨٧).

(٤) هو: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن، عماد الدين الطبري المعروف بالكيا الهراسي، أحد فحول العلماء فقهاً وأصولاً وجدلاً وحفظاً للحديث. من مصنفاته: "أحكام القرآن"، و"شفاء المسترشدين". توفي سنة (٥٠٤هـ). يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/٢٨٦)، وسير أعلام النبلاء؛ للذهبي (١٩/٣٥٠)، وشذرات الذهب (١٤/٦).

(٥) أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/٢٦).

(٦) أحكام القرآن للجصاص ت قمحاوي (١/١٢٥).

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/١٤٣).



وقد روي عن السدي قولاً قريباً من هذا حيث قال: أما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فإنه لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافران، فيقول أحدهما: لعن الله الظالم، إلا وجبت تلك اللعنة على الكافر لأنه ظالم، فكل أحد يلعنه من الخلق^(١) واستحسنه النحاس^(٢).

القول الثالث: أن المراد بالناس هاهنا المؤمنون، قاله ابن مسعود وقتادة، ومقاتل^(٣) والربيع^(٤)(٥).

فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص. وذهب الى هذا القول الزمخشري والخازن، وابو السعود^(٦).

وهذا القول ضعفه ابن جرير -رحمه الله- حيث قال: وأما ما قاله قتادة، من أنه عنى به بعض الناس، فقول ظاهر التنزيل بخلافه، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا نظر، فإن كان ظن أن المعني به المؤمنون، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة. ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة، وداخل في الظلمة كل كافر، بظلمه نفسه، وجحوده نعمة ربه، ومخالفته أمره^(٧).

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (١ / ٢٧١).

(٢) معاني القرآن للنحاس (١ / ٤٣٥).

(٣) هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، بالولاء الخراساني المروزي، البلخي وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور. ومن مصنفاته: "نظائر القرآن"، و"متشابه القرآن"، "توادر التفسير" توفي سنة ١٥٠ هـ. يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/٢٥٥)، وتاريخ الإسلام (٩/٤١٦)، وطبقات المفسرين (٢/٣٣٠).

(٤) هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي، عالم مرو في زمانه. سمع أنس بن مالك، وأبا العالبيه الرياحي. والحسن البصري، روى عنه: سليمان التيمي، والأعمش. توفي سنة ١٣٩ هـ، وقيل: ١٤٠ هـ. يُنظر ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار (١/٢٠٣)، وسير أعلام النبلاء (٦/١٦٩)، وتهذيب التهذيب (٣/٢٣٨).

(٥) تفسير الطبري (٣/٢٦٢)، الهداية الى بلوغ النهاية (١/٥٣٢)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/١٤٣)، النكت والعيون (١/٢١٤) زاد المسير في علم التفسير (١/١٢٨).

(٦) تفسير الزمخشري، (١/٢١٠)، تفسير الخازن، (١/٩٨) تفسير أبي السعود، (١/١٨٣).

(٧) تفسير الطبري (٣/٢٦٣).

ومما يُرد على هذا القول أيضاً: التوكيد بـ (أجمعين)، حيث إن التوكيد جاء ليستوعب أفراد الجنس، ثم قرينة أخرى وهي العطف على كل ما سبق؛ ليفيد المعنى أبلغ صور اللعن التي ينزجر لها العاقل ويخشاها، وهذا يناسب ما سيق الكلام لأجله من الزجر عن الكفر، والاستمرار عليه حتى يختم به.

القول الرابع: أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها لعنة جميع الناس؛ تغليباً لحكم الأكثر على الأقل، أي: أن الناس جميعاً يلعنونهم؛ لأنهم يقولون: (لعن الله الظالمين)، كما قال -تعالى-: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وهذا موافق للقاعدة الفقهية: "للأكثر حكم الكل" أو "معظم الشيء يقوم مقام بعضه" أو "الأقل يتبع الأكثر" (١).

ومثلوا له بقول صالح -عليه السلام لقومه كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النمل: ٤٦].

فخطبهم بلفظ "يا قوم" وفيهم المؤمن والكافر، وخطابه هذا لا يكون إلا للكفرة، فجعله في حكم الكل لأن فريق الكفرة أكثر.

وهذا القول وإن كان له وجه من النظر في عرف الناس وخطابهم، إلا أن ما جرت به العادة التي يتعلق بها موضوع الخطاب أن الأكثر من الناس والأغلب هم أهل الكفر، وأن أهل الإيمان بجانب أهل الكفر قليل في كل عصر ومصر وإن اخترقت العادة بزمن معين إلا أن العادة تستمر في الاطراد، وهي اليوم أوضح ما يكون.

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- هو القول الثاني: وهو ما رجحه ابن جرير الطبري -رحمه الله- حيث قال مرجحاً هذا القول: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قول من قال: عنى الله بذلك جميع الناس، بمعنى لعنهم إياهم بقولهم: "لعن الله الظالم - أو

(١) المبسوط للسرخسي (٥٤/٢)، الاشباه والنظائر للسبكي (٩٨/١)، القواعد والضوابط الفقهية للدكتور: عبدالرحمن عبداللطيف (٤٣٧/١).



الظالمين" فإن كل أحد من بني آدم لا يمتنع من قيل ذلك كائناً من كان، ومن أي أهل ملة كان، فيدخل بذلك في لعنته كل كافر كائناً من كان (١).

وتابعه في ذلك الفخر الرازي -رحمه الله- منقحاً من وجه أخص، فقال: حيث خصص الكافر بعينه، "كل أحد يلعن الظالم، وإذا لعن الكافر الظالم فقد لعن نفسه". وهذا عام في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يكون بلعن الناس جميعاً للظالم، وأظلم الظلم الكفر، وفي الآخرة يكون بأن يوقف الكافر على رؤوس الأشهاد فيلعنه الناس كلهم (٢).

وفي هذا إجابة عن التساؤل ورفع الإشكال المتبادر من فهم الظاهر، ومما يرجح هذا القول أيضاً:

القاعدة المقررة عن المفسرين: أن الأصل أن تحمل نصوص الشرع على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص (٣) والله أعلم.

(١) تفسير الطبري، (٣/ ٢٦٣).

(٢) مفاتيح الغيب، (٨/ ٢٨٥).

(٣) مختصر في قواعد التفسير (ص ٢٢).

[١٢] قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قال: يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته، فلما بعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، قالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه إخراج كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه، كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٣٧]. ولم يكن قط في ملتهم^(١).

دراسة التساؤل: يذكر المفسرون أن الظلمات في القرآن دائماً تأتي في معنى الكفر، وضدها النور يأتي في معنى الإيمان، وظاهر الآية أن المؤمن كان في ظلمات فأخرجه الله إلى النور، وهذا مشكل باعتبار ملابسة المؤمن الظلمة مع قيام الإيمان بصاحبه، ومثله في الكفر، كيف يكون في النور، وهو متلبس بمسمى الكفر، فما وجه التأويل الذي يرفع الإشكال؟

قال الواقي^(٢): كل شيء في القرآن من الظلمات والنور فإنه أراد به الكفر والإيمان غير التي في الأنعام وهو: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [سورة الأنعام: ١]، فإنه أراد به الليل والنهار^(٣).

(١) تفسير البغوي، (١/ ٣١٥).

(٢) هو: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، المدني، الواقي، القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، العلامة، الإمام، أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه، المتفق عليه، سمع من صغار التابعين، قال عنه الذهبي: جمع فأوعى، وخط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، توفي سنة ٢ هـ. يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٤)، وشذرات الذهب (١/ ١٩).

(٣) تفسير الثعلبي: (٢/ ٢٣٧)، التفسير البسيط (٤/ ٣٦٩)، تفسير البغوي: (١/ ٣٥٠) البحر المحيط: (٢/ ٦١٨).



ولهذا كانت إجابة البغوي-رحمه الله-مبنية على الخلاف في المراد بقوله-
تعالى-: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ وقد اختلف فيه العلماء على أقوال
منها:

القول الأول: قيل: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد-صلى الله عليه وسلم- قبل
أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته، فلما بعث كفروا به. وهذا القول مروى عن
ابن عباس، وعن مجاهد، ومقاتل وقتادة، وعبد بن أبي لبابة^(١)
وممن وافق البغوي من المفسرين: مكي بن أبي طالب، والثعلبي،
والخازن^(٢).

وهذا القول فيه تنقيح للقول بخصوص الآية، حيث أخرج ابن المنذر
والطبراني عن ابن عباس-رضي الله عنهما-في قوله-تعالى-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ قال: ((قوم كانوا كفروا بعبسى فآمنوا
بمحمد- صلى الله عليه وسلم- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم
مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قال: هم قوم آمنوا بعبسى فلما بُعث محمد كفروا به))^(٣).
وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد، ومقسم، مثله^(٤).

وقد رد على هذا التخصيص ابن عطية-رحمه الله-: حيث قال: فكأن هذا
القول أحرز نوراً في المعتقد خرج منه إلى ظلمات، ولفظ الآية مستغن عن هذا
التخصيص، بل هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب، ومترتب في
الناس جميعاً، وذلك أن من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور
الإيمان، ومن كفر بعد وجود الداعي النبي المرسل فشيطنه ومغويه كأنه أخرجه من
الإيمان، إذ هو معد وأهل للدخول فيه^(٥).

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٢٦)، تفسير الثعلبي، (٢/ ٢٣٨).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٨٥٥)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (٢/ ٢٣٨)، تفسير البغوي، (١/
٣١٥) تفسير الخازن، (١/ ١٩٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١١/ ٨٢) برقم (١١١١٤)، وقال الهيثمي: " رواه الطبراني، وفيه أبو
بلال الأشعري، وهو ضعيف"، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٦/ ٣٢٣).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، (٢/ ٤٩٧).

(٥) تفسير ابن عطية، (١/ ٣٤٥).

وهذا القول وإن كان مطابقاً من حيث التمثيل لحقيقة الآية، إلا أنه خصّ به طائفةً دون أخرى، والسياق جاء عاماً شاملاً، ويدل على تنوع أفراده ضمير الجمع في قوله -تعالى- ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾. وإسناده إلى ضمير الجمع يؤيد أن جمع الظلمات؛ لكثرة أنواع الكفر^(١)، فتخصيص المثال بـ أهل الكتاب خاصة، فيه قصر لا يناسب الخطاب وعمومه الذي يطال الأميين وغيرهم بهذا الاعتبار.

القول الثاني: قيل: هو على العموم في حق جميع الكفار. قال الرازي موضحاً وناصرراً لهذا القول: أن يحمل اللفظ على كل من آمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم- سواء كان ذلك الإيمان بعد الكفر أو لم يكن كذلك، وتقريره أنه لا يبعد أن يقال يخرجهم من النور إلى الظلمات وإن لم يكونوا في الظلمات البتة، ويدل على جوازه: القرآن والخبر والعرف، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار وقال تعالى: ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة يونس: ٩٨]. ولم يكن نزل بهم عذاب البتة، وقال في قصة يوسف -عليه السلام-: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٣٧].

وأما الخبر: فروي أنه -صلى الله عليه وسلم- سمع إنساناً قال: ((أشهد أن لا إله إلا الله، فقال على الفطرة، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال خرج من النار))^(٢).

ومعلوم أنه ما كان فيها، وروي أيضاً أنه -صلى الله عليه وسلم- ((أقبل على أصحابه فقال: تتهافتون في النار تهافت الجراد، وما أنا آخذ بحجزكم))^(٣).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور (٤/ ٤٦)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان (٢٨٨/١) (٣٨٢)، هو بلفظ (خرجت من النار).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق باب الانتهاه عن المعاصي ١٢٦/٨ (٦٤٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب: شفقتة -صلى الله عليه وسلم- على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، رقم (٢٢٨٤)، (١٧٨٩/٤).



ومعلوم أنهم ما كانوا متهافتين في النار، وأما العرف فهو أن الأب إذا أنفق كل ماله فالابن قد يقول له: أخرجتني من مالك أي: لم تجعل لي فيه شيئاً، لا أنه كان فيه ثم أخرج منه. وتحقيقه أن العبد لو خلا عن توفيق الله-تعالى- لوقع في الظلمات، فصار توفيقه -تعالى- سبباً لدفع تلك الظلمات عنه، وبين الدفع والرفع مشابهة، فهذا الطريق يجوز استعمال الإخراج والإبعاد في معنى الدفع والرفع^(١).
وقد حكى الواحدي-رحمه الله- في تفسيره أن هذا القول قال به سائر المفسرين^(٢).

القول الثالث: أنها نزلت في قوم مرتدين كانوا على الإيمان أولاً، ثم أُخرجوا منه. وهذا القول مروى عن مجاهد وذهب إليه العز بن عبد السلام^(٣).
وهذا القول وإن كان هو ظاهر اللفظ، فهو من باب التخصيص، والأصل في نصوص الشرع أن تحمل على العموم.

قال ابن جرير-رحمه الله- بعد ذكر من ذهب إلى تخصيصه كمجاهد وجماعة: وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد وعبد بن أبي لبابة، يدل على أن الآية معناها الخصوص، وأنها -إذ كان الأمر كما وصفنا- نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد-صلى الله عليه وسلم-، وفيمن آمن بمحمد-صلى الله عليه وسلم- من عبدة الأوثان الذين لم يكونوا مقرين بنبوة عيسى-عليه السلام، وسائر الملل التي كان أهلها يكذب بعيسى^(٤).

ومن الأجوبة عن هذا التساؤل:

ما قاله الماوردي في الإجابة على نفس التساؤل: قال: فإن قيل: فكيف يخرجونهم من النور، وهم لم يدخلوا فيه؟ قال: فعن ذلك جوابان:
أحدهما: أنها نزلت فيمن لم يزل كافراً، وإنما قال ذلك لأنهم لو لم يفعلوا ذلك بهم لدخلوا فيه، فصاروا بما فعلوه بمنزلة من قد أخرجهم منه.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧ / ١٩).

(٢) التفسير البسيط (٤ / ٣٧٠).

(٣) تفسير الماوردي، (١ / ٣٢٩)، تفسير ابن عبد السلام (١ / ٢١٦).

(٤) تفسير الطبري (٥ / ٤٢٧).

الثاني: أنهم كانوا على الفطرة عند أخذ الميثاق عليهم ، فلما حملوهم على الكفر أخرجوهم من نور فطرتهم^(١).

قلت ويؤيد قول من قال بالفطرة الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))^(٢).

الترجيح:

الراجح- والعلم عند الله- أن الآية تجاذبها معنيان، أحدهما: يرجع إلى التخصيص بمن نزلت فيهم الآية، وإن كانت تلك الآثار لا يصح فيها حديث مرفوع صريح، لكن ضم بعضها إلى بعض يُقوي الاستدلال بها عند مَنْ يراه.

والقول الآخر: يرجع إلى عموم الآية، التي كل من آمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم- سواء كان ذلك الإيمان بعد الكفر أو لم يكن كذلك، وتقريره أنه لا يبعد أن يقال يخرجهم من النور إلى الظلمات وإن لم يكونوا في الظلمات البتة، وهذا القول لا حاجة له للتخصيص المذكور، وأن تفسير الظلمات بـ الكفر ودواعيه ومقدماته من شكوك، وفتن، ودواعي مؤدية إليه، ويقابلها الإيمان وتفسيره بـ النور، وتفسيره بما يضاد الكفر هو الأقرب، وعليه يجاب على التساؤل في ضوء تفسير الآية، وربطها بما قبلها. وعلى هذا فالقول الثاني هو الأقرب، لدلالة النصوص والأخبار على جوازه، ولإطباق أغلب المفسرين على القول به، كما حكى ذلك الواحدي^(٣).

ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والسياق ينبه على العموم أكثر من الخصوص المأثور، والله -تعالى- أعلم.

(١) تفسير الماوردي، (١/ ٣٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ رقم الحديث (١٣٥٩) مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم (٢٦٥٨).

(٣) التفسير البسيط (٤/ ٣٧٠).



[١٣] قوله تعالى: ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٨﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله تسأولاً يتعلق بهذه الآية الكريمة فقال: **فإن قيل:** كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيخته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام^(١).

دراسة التساؤل: لما ذكر الله تعالى ولايته لأوليائه وأنه مؤيدهم وناصرهم ومخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر مثلاً لذلك وهو محاجة النمرود لإبراهيم عليه السلام، ولهذا لم يأت من تفاصيل المحاجة التي وقعت بين الخليل - عليه السلام - وبين النمرود إلا ما ساقته الآية من بيان مختصر تقتضيه بلاغة القرآن ومقاصد السياق، فيما تضمنته هذه الآية من أعظم برهان بأوجز عبارة واتقان، فالمقصد إثبات الربوبية، وأن هناك رباً ليس الآلهة التي يعبدها النمرود وقومه، والتي كان إبراهيم- عليه السلام- قد أنفد جهده في تحطيمها، فأوقدت له النار وألقي فيها^(٢)، وجاء في توطئة المحاجة: "وكان الناس يخرجون يمتارون من عنده الطعام، قال: فخرج إبراهيم يمتاره مع مَنْ يمتار، فإذا مر به ناس قال: مَنْ رَبُّكُمْ؟ قالوا: أنت، حتى مرَّ به إبراهيم قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت، قال: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي

(١) تفسير البغوي، (١/ ٣١٧).

(٢) جامع البيان: (٥/ ٤٣٥) وتفسير ابن أبي حاتم: (٢/ ٤٩٩).

كَفَرًا^(١). فبين إبراهيم كيف وفقه الله وتولاه بولايته إلى الحجج القيمة التي أزال بها تلك الشبهات التي عرضها عليه خصمه حتى فاز عليه وفلج بحجته، وأن الذي حابه كيف عمى عن نور الحق، فانقل من ظلمة من ظلمات الشكوك والأوهام إلى أخرى، وتردى في مهاوى الهلاك بولاية الطاغوت له^(٢).
ومن هنا نشأ التساؤل عند الإمام البغوي-رحمه الله- ودفع الإجابة عن هذا التساؤل بجوابين:

الأول: أن النمرود لم يعارض إبراهيم لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم- عليه السلام- ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه.
لأن هذه المحاجة- على قول بعض العلماء- كانت مع إبراهيم بعد إلقائه في النار، وخروجه منها سالماً، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة، قاله السدي^(٣).
فعلم أن من قدر على حفظ إبراهيم في تلك النار العظيمة من الاحتراق، يقدر على أن يأتي بالشمس من المغرب. وذهب إلى هذا القول الواحدي، والمظهري^(٤).

الجواب الثاني: أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم- عليه السلام-.
قال أبو حيان-رحمه الله- ولكن الله تعالى جعله بهوتاً دهشاً متحيراً منقطعاً إكراماً لنبيه إبراهيم- عليه السلام- وإظهاراً لدينه^(٥). وقد ذهب إلى هذا القول كثير من المفسرين^(٦).

(١) تفسير الطبري، (٥ / ٤٣٣).

(٢) تفسير المراغي (٣ / ٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير، (١ / ٥٢٦)، اللباب في علوم الكتاب (٤ / ٣٣٧).

(٤) التفسير البسيط (٤ / ٣٧٧) التفسير المظهري (١ / ٣٦٦)، مفاتيح الغيب (٧ / ٢٣).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٢ / ٦٣٠).

(٦) تفسير السمعاني (١ / ٢٦٢)، تفسير الماوردي، (١ / ٣٣٠) تفسير ابن عبد السلام (١ / ٢١٦)، تفسير

البغوي، (١ / ٣١٧) تفسير الخازن، (١ / ١٩٣).



الجواب الثالث: ذكره النسفي-رحمه الله- أن النمرود كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره^(١).

فقد أخرج الطبري في تفسيره عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^(٢) في قول الله-تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ قال: ((هو نمرود كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه، قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت!))^(٣).

وهناك **جواب رابع:** ذكره مكي في تفسيره فقال: فلم يجب لأنه لو ادعى أنه هو الذي يأتي بالشمس من المشرق لكذبه جميع أهل مملكته، لأنهم يعرفون أنه محدث، والشمس كانت على حالها قبل حدوثه، فليس يقدر أن يقول: " أنا أتيت بها من المشرق قبل حدوثي ، ولو قال: أنا آتي بها من المغرب لعجز عن ذلك، فلما رأى أنه لا مخرج له سكت وانقطع فبهت^(٤).

قال ابن عرفة-رحمه الله- إنه لا يقدر أن يقول ذلك لئلا تقوم عليه الحجة، لأن الشمس كانت تطلع من المشرق قبل أن يوجد نمرود، وذكره ابن عطية، وزاد عليه فقال: إن ذوي الأسنان يكذبونه^(٥).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثاني: كما جزم بصحته الإمام البغوي- رحمه الله- وغيره، لأن حكمة الله-تعالى- اقتضت أن لا يرسل رسولاَ إلا ويؤيده بالدلائل الواضحات والبراهين الساطعات، على صدقه، وصحة نبوته، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]. أي: بالآيات والحجج،

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٢١٣).

(٢) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاها، روى عن أبيه وابن المنكر وضعفوه، له "التفسير" و"الناسخ والمنسوخ" توفي سنة: (١٨٢هـ). يُنظر ترجمته في: تقريب التهذيب (٣٤٠)، وطبقات الداوودي (١/ ٢٧١)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٦٥).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٤٣٤)

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٨٥٩)

(٥) تفسير ابن عرفة، (١/ ٣١٤).

والمعجزات البينة والشرائع الظاهرة، والعلامات الواضحة التي تدل على صدقهم^(١). وفي الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ((قال: ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر))^(٢).

قال القرطبي -رحمه الله- الأنبياء دلت على صدقهم دلائل المعجزات^(٣). وقال -رحمه الله-: فمن ارتاب في صدقهم، فجوابه بالمعجزات الدالة على صدقهم، التي تدل قطعاً على صحة قولهم وصواب فعلهم^(٤).

فالله -تعالى- أجرى على أيدي الأنبياء السابقين خوارق العادات لتكون معجزة لهم، وبرهاناً على صدقهم، وسبيلاً لإقامة الحجة على أقوامهم.

فقد أيد الله دعوة الرسل والأنبياء بالمعجزات الحسية لتدل على صدق رسالتهم، وتقطع حجج الجاحدين المنكرين لدعوتهم، فأجرى على أيديهم أموراً خارقة للعادة، مخالفة للسنن الكونية، يعجز البشر عن فعل مثلها، ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها عن طريق ممارسة العلوم، أو عن طريق السحر والشعوذة والتنجيم، وفي معجزات الأنبياء عبر وعظات وهي مليئة بالإيمان والعقيدة الخالصة، والله أعلم.

(١) فتح القدير للشوكاني (٥ / ٢١٢) تفسير البيهقي، (٥ / ٣٣).

(٢) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي بعثت بجوامع الكلم، برقم، (٧٢٧٤))

(٢٦١/١٣)، مسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان بنينا محمد، رقم (١٥٢) (٥٤٥/٢).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦ / ٧).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥ / ٥٩٥).



[١٤] قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله تسأولاً يتعلق بهذه الآية الكريمة فقال: فإن قيل فما رأينا سنبله فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
 قيل: ذلك متصور، غير مستحيل، وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد، معناه^(١).

دراسة التساؤل: تساءل البغوي-رحمه الله- في هذه الآية وأجاب عن تساؤله بقوله: ذلك متصور، غير مستحيل، وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد معناه. والمعنى: في كل سنبله مائة حبة إن جعل الله ذلك فيها، وليس القصد في المثل تصوير سنبله فيها مائة حبة، وإنما القصد التشبيه بمثل هذه السنبله، على تقدير التصوير، لا على تحقيق التصوير، والعادة في الأمثال التي تضرب أن يشبه الشيء بما يجوز أن يتصور، وإن لم ير ذلك الشيء^(٢).
 وقد سبق البغوي الى هذا القول: الطبري، الثعلبي، والسمعاني^(٣).
 قال السمعاني: ومثله ما قاله امرؤ القيس^(٤):
 أتوعدني والمشرفي مضاجعي....ومسنونة زرق كأنياب أغوال^(٥).
 وناب الغول لا يعرف، ولكن لما تصور وجوده بالجملة مثل به^(٦).

(١) تفسير البغوي، (١/ ٣٢٥).

(٢) التفسير البسيط (٤/ ٤٠٨).

(٣) تفسير الطبري، (٥/ ٥١٤)، تفسير الثعلبي، (٢/ ٢٥٨)، تفسير السمعاني (١/ ٢٦٨).

(٤) هو: حندج، ولقب بذئ القروح، وبامرئ القيس، وطغى هذا اللقب على اسمه وعرف به. صاحب المعلقة المشهورة. يعتبر من شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي، ينظر ترجمته: شرح المعلقات العشر، الشنقيطي،

(ص٧)، طبقات فحول الشعراء، ص (٥١)، خزنة الأدب، البغدادي (١/ ٢٩٩) الأغاني: (٩/ ٧٧).

(٥) الكامل في اللغة والأدب (٣/ ٧٢)، رجال المعلقات العشر للغلابيني (ص:)، نهاية الأرب (٧/ ٥٥)

(٦) تفسير السمعاني (١/ ٢٦٨).

وقد أجاب غير البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بالآتي:

الجواب الثاني: قيل: هو موجود في سنبله الدخن^(١)، فهو الذي يكون في السنبله منه هذا العدد. وذهب الى هذا القول بعض المفسرين، منهم: الزمخشري، أبو السعود، والنسفي، وابن عجيبة^(٢)، والشوكاني- رحمهم الله جميعاً^(٣).

وقد اعترض القرطبي-رحمه الله- على أصحاب هذا القول فقال: هذا ليس بشيء فإن سنبل الدخن يجيء في السنبله منه أكثر من هذا العدد بضعفين وأكثر، على ما شاهدناه^(٤).

وقال ابن عطية: وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مئة حبة، فأما في سائر الحبوب فأكثر^(٥).

وقال الإمام الرازي-رحمه الله- أنه شوهد ذلك في سنبله الجاورس، قال: وهذا الجواب في غاية الركاكة^(٦).

قال ابن عرفة: كان ابن عبد السلام يقول: هذا عندهم في أرض الحجاز، وأما نحن فهو عندنا كثير، والحبة الواحدة تثبت قدر الخمسين سنبله أو مائة، وأما أن في كل سنبله مائة حبة فهذا عندنا قليل الوجود^(٧).

(١) الدخن، بالضم: حب الجاورس، أو حب أصغر منه، أملس جداً، بارد يابس، حابس للطبع. : القاموس المحيط (ص: ١١٩٥)، وقال عبد الكريم يونس الخطيب: الدخن هو نبات عشبي من النجيليات، حبه صغير أملس، كحب السمسم، ينبت برياً ومزروعاً. ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٣٣٣)

(٢) هو: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، أبو العباس، صوفي، مفسر، مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه: "إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله في التصوف"، و"البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، و"شرح على الأجرومية في النحو"، و"إزهار البستان في طبقات الأعيان"، توفي سنة: (١٢٢٤هـ)، يُنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١/ ٢٤٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٦٣).

(٣) تفسير الزمخشري، (١/ ٣١٠)، تفسير أبي السعود، (١/ ٢٥٧)، تفسير النسفي، (١/ ٢١٦)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٢٩٥)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٢٦).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٣٠٤).

(٥) تفسير ابن عطية، (١/ ٣٥٥).

(٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ٤٠).

(٧) تفسير ابن عرفة، (١/ ٣١٩).



وقد عنى بتطبيق هذا المثل علمياً بعض أعضاء الجمعية الزراعية بمصر في مزارع القمح التي لها في التفتيش النموذجي وفي غيره، فهدتهم التجارب إلى أن الحبة الواحدة لا تنبت سنبله واحدة بل أكثر، وقد وصلت أحياناً إلى أربعين، وأحياناً إلى ست وخمسين، وأحياناً إلى سبعين، كما دلتهم أيضاً على أن السنبله الواحدة تغل أحياناً ستين حبة أو أكثر، وقد عثر في عام (١٩٤٢م) أحد مفتشى الجمعية على سنبله أنبتت سبعاً ومائة حبة، وعرض نتيجة بحثه على الأخصائيين من رجال الجمعية وغيرهم في حفل جامع، ورأوا تلك السنبله وعدوها عدداً، فاتفقت كلمتهم على صدق ما عد ورأى، وشكروه على جهوده الموفقة- والزمان كفيل بتأييد قضايا الكتاب الكريم مهما طال عليها الأمد وكلما تقدم العلم ظهر صدق ما أخبر به^(١).

الجواب الثالث: أن هذا مثل ضربه الله-تعالى- لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته وأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة. ولعل هذا يكون أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة. فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله -عز وجل- لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة. وقد وردت أحاديث في السنة تؤيد هذا القول وتقويه منها: عن أبي مسعود الأنصاري-رضي الله عنه- قال: ((جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة))^(٢)

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها))^(٣).

(١) تفسير المراغي (٣/ ٣٠).

(٢) صحيح مسلم، باب: فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها، (٣/ ١٥٠٥) برقم (١٨٩٢).

(٣) صحيح البخاري، باب حسن إسلام المرء، (١/ ٤٥) برقم (٤١).

الترجيح:

الراجح-والله أعلم- هو الجواب الثالث: الذين قالوا إن هذا مثل ضربه الله لمضاعفة ثواب النفقة في سبيل الله-تعالى- وأن هذا المثل يتضمن التحريض على الإنفاق في سبيل الله جميع ما هو طاعة، وعائد نفعه على المسلمين، وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر، وإحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتتقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجلييلة، ومما يقوي هذا القول: ورود أحاديث كثيرة في السنة بتضعيف الحسنه إلى سبعمائة ضعف.

وهذه الآية تعم جميع الإنفاق في وجوه الخير، ومن أعظمها الجهاد في سبيل الله.

وحمل الآية على العموم هو الأولى، لأن الأصل في نصوص الشرع أن تحمل على العموم ما لم يرد دليل على التخصيص، ومسألة الإنفاق إحدى أهم المسائل التي أكد عليها الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية.



التساؤلات في سورة آل عمران

[١٥] قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ [سورة آل عمران: ١٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية الكريمة، فقال: فإن قيل: كيف قال: مثليهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل: فقال: قيل: هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا أحتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواء فيكون ثلاثة دراهم والتأويل الثاني -وهو الأصح- كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم، قللهم الله تعالى في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم (١).

دراسة التساؤل: ظهر في المسألة احتمالات يجوزها الظاهر، ويكثرها عود الضمير في قوله-تعالى-: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ وفي ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾، وفي ﴿لَكُمْ﴾، وعلى مدار الخلاف ظهرت الاحتمالات والأقوال المتباينة بين المفسرين، ورجح بعضهم بالآثار التي قربت قرائن السياق من عدد وعدة وغيرها، ورجح بعضهم باللغة، وهذه القرائن مما يقوي احتمال، ويضعف آخر، وفي ضوء هذا التباين ظهر التساؤل عند الإمام البغوي وغيره، وتباينت إجاباتهم على هذا الإشكال، ويمكن تحصيل الأقوال في هذه المسألة على النحو التالي:

القول الأول: يرونهم ثلاثة أمثالهم، كما تقول وعندك عبد: أحتاج إلى مثله فأنت محتاج إليه وإلى مثله، وتقول: أحتاج إلى مثلي عبدي، فأنت إلى ثلاثة محتاج.

(١) تفسير البغوي، (٢/ ١٤).

ويقول الرجل: معي ألف وأحتاج إلى مثليه، فهو يحتاج إلى ثلاثة، ورجح هذا القول ابن جرير الطبري، والفراء (١)(٢).

قال ابن جرير -رحمه الله- ومثله في الكلام: أراكم مثلكم كأنه قال: أراكم ضعفكم وأراكم مثليكم. يعني: أراكم ضعفيكم، قالوا: فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم (٣). وقد استدل ابن جرير على هذا المعنى بقوله: وأولى هذه القراءات بالصواب، قراءة من قرأ: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ بالياء، بمعنى: وأخرى كافرة، يراهم المسلمون مثليهم (٤). قال ابن كيسان (٥) -رحمه الله-: والذي أوقع الفراء ومن معه في ذلك أن الكفار كانوا يوم بدر ثلاثة أمثالهم، فتوهم أنه لا يجوز أن يروهم إلا على عدتهم (٦). وقد اعترض الزجاج -رحمه الله- على ما أجاب به الفراء وابن جرير، فأبطله لغة ومعنى، فقال -رحمه الله-: وهذا باب الغلط فيه غلط بين في جميع المقاييس وجميع الأشياء، لأننا إنما نعقل مثل الشيء ما هو مساو له، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين، فإذا جهلنا المثل فقد بطل التميز، وإنما قال هذا لأن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً وكان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً، فالذي قال يبطل في اللفظ ويبطل في معنى الدلالة على الآية التي تعجز، لأنهم إذا رأوهم على هيئتهم فليس هذا آية، فإن زعم أن الآية في هذا غلبة القليل على الكثير فقد أبطل أيضاً لأن القليل يغلب الكثير موجود ذلك أبداً، فهذا الذي قال يبطل في اللغة وفي المعنى (٧).

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء، قال ابن خلكان: "كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب"، وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال، من تصانيفه: "معاني القرآن"، و"المقصود والممدود"، توفي وهو ذاهب إلى مكة سنة (٢٠٧هـ)، يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١٧٦/٦)، وسير أعلام النبلاء (١١٨/١٠)، وبغية الوعاة (٣٣٣/٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ١٩٤)، تفسير الطبري، (٦/ ٢٣٨).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٩)

(٤) المرجع السابق

(٥) هو: صالح بن كيسان المدني أبو محمد ويقال أبو الحارث مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، رأى ابن عمر وابن الزبير، كان من فقهاء المدينة، جمع بين الفقه والحديث والمروءة، قال ابن معين: ليس في أصحاب الزهري أثبت من مالك ثم صالح بن كيسان. توفي سنة (١٤٠) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٩٩).

(٦) تفسير القرطبي (٤/ ٢٦)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٥٣).

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٨١).



ومما يدفع قول الفراء الآنف: أن المثل في اللغة: شبه الشيء، والمعادل له في المثل والقدر والمعنى^(١).

قال أبو حيان -رحمه الله- واستبعد هذا المعنى لأنهم جعلوا هذه الآية، وآية الأنفال، قصة واحدة، وهناك نص على أنه تعالى قلل المشركين في أعين المؤمنين، فلا يجمع هذا التكثر في هذه الآية على هذا التأويل^(٢).

وقد دافع عن الفراء والطبري ابن الأنباري مبيناً أن الأعجوبة لم تكن في العدد، وإنما كانت في الجزع الذي أوقعه الله -جل وعز- في قلوب المشركين، على كثرة عددهم، وقلة عدد المسلمين، وللشجاعة التي أوقعها الله في قلوب المسلمين، فهان المشركون عليهم وهم يتبينون كثرة عددهم، وصار احتقار المسلمين إياهم على كمال العدد أعجب من احتقارهم إياهم على نقصان العدد^(٣).

القول الثاني: كان المسلمون يرون المشركين مثلي عدد أنفسهم، قللهم الله - تعالى- في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين ثم قللهم الله في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم، وهذا القول مروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله -تعالى- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَعَّتَيْنِ الْأَتْقَاتِ﴾ قال: أنزلت في التخفيف يوم يدر على المؤمنين كانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وكان المشركون مثليهم ستة وعشرين وستمائة فأيد الله المؤمنين فكان هذا في التخفيف على المؤمنين^(٤).

وممن وافق البغوي في هذا القول جمع من المفسرين: منهم: الزجاج، ومكي، والثعلبي، والواحدي، وابن عبد السلام، والقرطبي، والرازي، وابن جزي، رحمهم الله جميعاً^(٥).

واعترض ابن جرير -رحمه الله- على هذا الجواب: بأنه خلاف ما دل عليه ظاهر التنزيل، لأن الله -جل ثناؤه- قال في كتابه: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي

(١) كتاب "العين": (٢٢٨ / ٨) ونيل كتاب "الأضداد" للصفار: (٢٤٥).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤٦ / ٣).

(٣) الأضداد لابن الأنباري (ص: ١٣٣).

(٤) تفسير الطبري، (٢٣٥ / ٦).

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٩٦٣ / ٢)، تفسير الثعلبي، (٢٢ / ٣)، تفسير العز بن عبد السلام (٢٥٤ / ١)،

تفسير القرطبي (٢٦ / ٤)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (١٥٨ / ٧)، تفسير ابن جزي، (١٤٦ / ١).

أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴿٤٤﴾ [سورة الأنفال: ٤٤]. فأخبر أن كلاً من الطائفتين قلل عددها في مرأى الأخرى (١).

القول الثالث: أن الله كثر الكافرين في أعين المؤمنين، فرأى المؤمنون الكافرين مثليهم في العدد، وهو أبلغ في القدرة؛ حيث رأى المؤمنون الكافرين مثلي عدد الكافرين، ومع ذلك انتصروا عليهم وغلّبوهم، وأوقعوا بهم الأفاعيل (٢).

ويؤيده قوله بعد ذلك: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩]. وقد ذهب إلى هذا القول: السدي، والشيخ أبوشامة (٣)، والسمين الحلبي (٤).

واعترض على هذا القول: الإمام القرطبي -رحمه الله- فقال: وهذا بعيد في المعنى، لأن الله -تعالى- لم يكثر المشركين في أعين المسلمين بل أعلمنا أنه قللهم في أعين المؤمنين (٥).

وقال الرازي: وهذا قول لا يمكن أن يقول به أحد لأن هذا يوجب نصره الكفار وإيقاع الخوف في قلوب المؤمنين، والآية تنافي ذلك (٦).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- أن الرؤية تحتمل وجهين: ذكرهما الإمام الرازي في تفسيره فقال: **الوجه الأول:** أن يكون المراد أن الفئة الكافرة رأيت المسلمين مثلي عدد المشركين قريباً من ألفين.

والاحتمال الثاني: أن الرائيين هم المسلمون، والمرئيين هم المشركون، فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين ستمائة وأزيد، والسبب فيه أن الله -تعالى-

(١) تفسير الطبري، (٦/ ٢٣٩).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٦١).

(٣) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، شهاب الدين أبو القاسم المقدسي، المعروف بأبي شامة المقدسي، قرأ القرآن صغيراً، وأكمل القراءات على شيخه السخاوي، مات في تاسع عشر رمضان سنة (٦٦٥هـ)، يُنظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٣٦١)، وغاية النهاية (١/ ٣٦٥).

(٤) تفسير أبي السعود، (٢/ ١٣)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٥٢).

(٥) تفسير القرطبي (٤/ ٢٦).

(٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ١٥٨).



أمر المسلم الواحد بمقاومة الكافرين قال الله-تعالى-: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [سورة الأنفال: ٦٦] (١).

وأجاب عن التناقض مع تفصيل سورة الأنفال بقوله: فإن قيل: هذا متناقض لقوله - تعالى-: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيِّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الأنفال: ٤٤].

فالجواب: أنه كان التقليل والتكثير في حالين مختلفين، فقللوا أولاً في أعينهم حتى اجترءوا عليهم، فلما تلاقوا كثرتهم الله في أعينهم حتى صاروا مغلوبين، ثم إن تقليلهم في أول الأمر، وتكثيرهم في آخر الأمر، أبلغ في القدرة وإظهار الآية (٢). قلت: وهذا لا يتنافى مع معنى الآية العام، وهو أن الغاية والحكمة من ذلك نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين، وظاهر الآية وسياقها يقوي الاحتمال الثاني، لأنه يتوافق مع آية الأنفال التي تدل على تقليل المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن كيسان: وإنما أراهم الله على غير عدتهم لجهتين: إحداهما أنه رأى الصلاح في ذلك، لأن المؤمنين تقوى قلوبهم بذلك.

والأخرى: أنه آية للنبي -صلى الله عليه وسلم- (٣).

ومن الحكم كذلك: أن في رؤية المسلمين للكافرين أنهم مثلهم تقوية لقلوبهم، وتشبيهاً لأقدامهم، وربطاً لأفئدتهم، وفي ذلك انتصار معنوي لهم بين يدي المعركة، فيكون مقدمة لهم للانتصار الحقيقي في ميدان المعركة.

كما أن في رؤية الكفار للمسلمين أنهم مثلهم تشبيهاً لهم، وقذف الرعب في قلوبهم، واضطراباً لأفئدتهم، وفي ذلك هزيمة معنوية لهم بين يدي المعركة، تكون مقدمة للهزيمة الحقيقية في ميدان المعركة. والله أعلم.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ١٥٨).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ١٥٧).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٧).

[١٦] قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَلَيْسَ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَّغَنِي الْكِبَرَ وَأَمَرَّتَنِي

عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٦﴾ [سورة آل عمران: ٤٠].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية

الكريمة، فقال: فإن قيل لم قال زكريا بعدما وعده الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي عِلْمٌ﴾
أكان شاكاً في وعد الله وفي قدرته؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله تعالى- عن هذا التساؤل: فقال:

قيل: إن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي
سمعت ليس هو من الله إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما
يوحي إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعاً للوسوسة، قاله عكرمة^(١) والسدي،
وجواب آخر: وهو أنه لم يشك في وعد الله إنما شك في كيفيته أي: كيف ذلك؟^(٢).

دراسة التساؤل: كان نبي الله زكريا-عليه السلام- قد تقدمت به السن وانتشر

الشيب في رأسه وبلغ من الكبر عتياً، وكانت امرأته عاقراً لا تلد، فلما رأى من آيات
الله الباهرات عاين هذه الآية والكرامة العجيبة من رزق الله تعالى لمريم أم عيسى-
عليهما السلام- الفاكهة في غير حينها، هنالك رغب في الولد على الكبر، فطلب من
ربه أن يرزقه غلاماً تقياً يرثه في العلم والنبوة ويعلم الناس الخير ولما بُشِّرَ نبي الله
زكريا-عليه السلام- بالغلام وبتحقيق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود
الولد له وليس على وجه الشك في قدرة الله-تعالى على ذلك، فالأنبياء كلهم عارفون
بالله تعالى ويعلمون يقيناً أن الله-عز وجل- على كل شيء قدير. ومن خلال هذا
الاستعلام والتعجب ظهر التساؤل وتعددت أجوبة المفسرين عن هذا التساؤل على
عدة أقوال:

(١) هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس
بالتفسير والمغازي، روى عن موله وعائشة وأبي هريرة وعقبة بن عامر وأبي سعيد وغيرهم، توفي سنة (١٠٦هـ)،
يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/٥)، وتهذيب التهذيب (٢٦٣/٧)، والأعلام (٢٤٤/٤).
(٢) تفسير البغوي، (٣٥ / ٢).



القول الأول: أن زكريا-عليه السلام- لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحى إليك في سائر الأمور، فقال ذلك دفعاً للوسوسة، قاله عكرمة والسدي^(١). وهذا ما ذهب إليه البغوي-رحمه الله- ووافقه، الطبري، والثعلبي، ومكي^(٢).

وكان مقصود زكريا-عليه السلام- من ذلك أن يريه الله-تعالى- آية تدل على أن ذلك الكلام من الوحي لا من الشيطان.

واعترض على هذا القول: بأنه لو اشتبه على الرسل كلام الملك بكلام الشيطان لم يبق الوثوق بجميع الشرائع^(٣).

قال الرازي-رحمه الله- ويمكن أن يجاب: لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين لا جرم حصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله-تعالى- بواسطة الملائكة ولا مدخل للشيطان فيه، أما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فربما لم يتأكد ذلك المعجز فلا جرم بقي احتمال كون ذلك من الشيطان فلا جرم رجع إلى الله-تعالى- في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال^(٤).

وقال الألويسي بعد مناقشة هذا القول: القول بأشتباه الأمر على زكريا-عليه السلام- في غاية البعد لا سيما وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة أنه قال: إن الملائكة شافهته-عليه السلام- بذلك مشافهة فبشرته بيحيى^(٥).

القول الثاني: أنه لم يشك في وعد الله إنما شك في كفيته، أي: كيف ذلك؟ أتجعلني وامرأتي شابيين، أم ترزقنا ولداً على الكبر منا؟ أم ترزقني من امرأة أخرى؟

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (٢/ ٦٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٨٢)، تفسير الثعلبي، (٣/ ٦٦)، الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٠٠٦)،

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٣٦)

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨/ ٢١٤).

(٥) تفسير الألويسي، (٢/ ١٤٤).

قاله مستفهماً لا شاكاً، وهذا قول الحسن، والربيع ابن أنس، والأصم، وابن الأنباري، وابن كيسان (١).

بل قال ابن عطية بعد أن حكى هذا القول: وهذا تأويل حسن يليق بذكرها - عليه السلام - (٢).

القول الثالث: إنما سأل لأنه نسي دعاءه لطول المدة بين الدعاء والبشارة وذلك أربعون سنة. ونقل عن سفيان بن عيينة (٣) - رحمه الله - أن دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة، فكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة، فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مئة وعشرون سنة، وكانت امرأته في ثمان وتسعين سنة (٤).

فكان الاستبعاد من هذه الحثية، وهذا القول مروى عن ابن عباس والضحاك (٥).

قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف المعنى (٦).

القول الرابع: ﴿أَنْ يَكُونَ لِي عُلْمٌ﴾ استبعاد من حيث العادة، وهذا قول الزمخشري، والنسفي، والنيسابوري (٧).

القول الخامس: أنه استفهام استعظام وتعجب من كمال قدرة الله - تعالى - يحدث ذلك عند معاينة الآيات وهو يرجع معناه إلى ما قاله بعضهم:

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (٢ / ٦٤٤). الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣ / ٦٦)، زاد المسير في علم التفسير (١ / ٢٨٠) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨ / ٢١٤).

(٢) تفسير ابن عطية، (١ / ٤٣١).

(٣) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي، أبو محمد، العلامة الحافظ شيخ الإسلام محدث الحرم، فقيه إمام حجة، وتوفي سنة (١٩٨هـ)، يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٥٤)، تنكرة الحافظ (١ / ٢٦٢).

(٤) تفسير النيسابوري، (٢ / ١٥٥)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٢ / ٢٣٠).

(٥) زاد المسير في علم التفسير (١ / ٢٨٠) تفسير القرطبي (٤ / ٧٩).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١ / ٤٣١).

(٧) تفسير الزمخشري، (١ / ٣٦٠) تفسير النسفي، (١ / ٢٥٤)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٢ / ١٥٥).



إن ذلك من شدة الفرح، لكونه كالمدهوش عند حصول ما كان مستبعدا له عادة (١).

وذهب الى هذا القول: السمرقندي، والماوردي، والقرطبي (٢).
قال ابن عاشور-رحمه الله- وهذا التعجب يستلزم الشكر على هذه المنة فهو كناية عن الشكر (٣). وهناك أقوال أخرى، ذكرها أبو حيان وغيره (٤)
الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن مثار الإشكال في الآية قائم على معنى الاستفهام في كلمة ﴿أَنْ﴾. وقد ذكر ابن عطية وغيره-رحمهم الله- في معنى استفهام، ﴿أَنْ﴾ أن معناها "كيف" "ومن أين" (٥).

قال القرطبي-رحمه الله- وفي معنى هذا الاستفهام وجهان:
أحدهما: أنه سأل هل يكون له الولد وهو وامرأته على حالهما أو يردان إلى حال من يلد؟.

الثاني: سأل هل يرزق الولد من امرأته العاقر أو من غيرها، فعلى هذا فإن الآية تدل على أن زكريا-عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- ليس عنده شك في قدرة الله على أن يرزقه الولد على ما كان منه من كبر السن، وعقر زوجته، بعد أن أخبر بكونه غلاماً صالحاً عند التبشير، يحيى حياة طيبة، كما في قوله-تعالى-: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أَصْمٍ وَيَسْمَعُ وَيَنْصِتُ﴾ [سورة مريم: ٧].

فعلى هذا نستطيع القول: بأن تساؤل سيدنا زكريا-عليه السلام- كان نتيجة لطبيعته البشرية، فالأنبياء-عليهم السلام- مهما بلغوا من الثقة العالية بقدرة الله، هم في النهاية

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٤٠)، البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٣٥).

(٢) تفسير السمرقندي، (١/ ٢١١)، النكت والعيون (١/ ٣٩١).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٤٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٣٥).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٣١).

بشر يستغربون من المعجزات، وتملكهم الدهشة عند رؤيتها، وأن هذا الاستفهام حقيقي، سأل زكريا-عليه السلام- ربه أن يفهمه سبب الولادة و كفيئتها، مع أنه وزوجته شيخان كبيران، وهى عاقر.

وهذا زكريا- عليه السلام- يسمع الحق- جل وعلا- يستجيب دعاءه، ويبشره بالولد الذي طلب، فتعترية حال كتلك الحال التي اعترت موسى حين انقلبت العصا إلى حية تسعى! فلا يملك أن يسأل ربه: أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟ إنها صدمة المفاجأة بهذا الأمر الخارق العجيب^(١). ولعل أقربها من الصواب: هو القول الثاني، والقول الخامس، ويليها في القوة القول الأول : وبهذا يندفع الاشكال في هذه الآية، وكلها صالحة لأن تكون جواباً للتساؤل، والله أعلم.

(١) التفسير القرآني للقرآن، (٢/ ٤٤١)



[١٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل ما معنى قوله ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ولا تكوين بعد الخلق؟

جواب التساؤل: اجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل معناه؟ ثم خلقه ثم أخبركم أنني قلت له: كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهما ثم أعطيتك أمس درهما أي: ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهما^(١).

دراسة التساؤل: أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت عند حضور وقد نجران على الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذين حاجوه في عيسى-عليه السلام- فعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وذلك أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد -صلى الله عليه وسلم- وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد؟: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: من هو؟ قالوا عيسى، تزعم أنه عبد الله، فقال محمد-صلى الله عليه وسلم-: أجل إنه عبد الله، فقالوا له: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم فقال: قل لهم إذا أتوك، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾^(٢). وهذا قول: قتادة وعكرمة والسدي^(٣).

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٤٧).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (٢/ ٦٦٥)، تفسير الطبري، (٦/ ٤٦٨).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٤٦).

فتبين أن خلق آدم-عليه السلام- أعجب من خلق عيسى-عليه السلام- فهذا خلق من حيوان من نوعه، وذلك قد خلق من التراب فهو أولى بالمزية إن كانت، والإنكار إن صح الإنكار، وأمر الخلقة غريب بالنسبة إلينا، لكنه ليس بالغريب بالنسبة إلى الخالق عز-وجل-. وقد أجاب العلماء على هذا التساؤل بعدة أجوبه منها:

الجواب الأول: أن معناه: أنه خلقه من تراب، ثم أخبركم أنني قلت له: كن، فكان من غير ترتيب في الخلق، أي: صيره بشراً سوياً.

قال ابن عادل: خلق آدم من غير نكر، ولا أنثى، ثم ابتداءً أمراً آخر - يريد أن يخبرنا به - فقال: إني مخبركم - أيضاً بعد خبري الأول - أنني قلت له: كن فكان، فجاء «ثم» لمعنى الخبر الذي تقدم، والخبر الذي تأخر في الذكر؛ لأن الخلق تقدم على قوله ﴿كُنْ﴾^(١).

ومثله قوله-تعالى-: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء: ١].

وقد خلقنا بعد خلق زوجها، ولهذا نظائر كثيرة.

ومثل هذا قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده^(٢).

ومعلوم أن الأب متقدم له، والجد متقدم للأب^(٣).

فعلى هذا يعود الترتيب إلى الخبر لا إلى الوجود، كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة البلد: ١٧]. فكذا قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: صيره خلقاً سوياً، ثم إني أخبركم أنني إنما خلقتة بأن قلت له: كن، فالتراخي في الخبر، لا في هذا المخبر

(١) اللباب في علوم الكتاب (٥ / ٢٧٨)

(٢) البيت لأبي نواس، وهو في ديوانه: (٤٩٣) وورد البيت غير منسوب، في غرائب التفسير للكرمانى: (١ / ٢٦٠) "رصف المباني" (٢٥٠) والجنى الدانى: (٤٢٨)، مغني اللبيب (١٥٩) منهج السالك (٩٤/٣) همع الهوامع (٥ / ٢٣٦)، (١٦٠٥)، خزنة الأدب (١١ / ٣٧، ٤٠) الدرر اللوامع (٢ / ١٧٣). قال البغدادي في "خزنة الأدب" (١١ / ٤٠)، (وهذا البيت من شعر مولد لا يوثق به، وأوله مغير اشتهر به، وهو أول أبيات سبعة مدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر) وهو عم هارون الرشيد.

(٣) التفسير البسيط (٥ / ٣١٦)، اللباب في علوم الكتاب (٥ / ٢٧٨)



عن ذلك المخبر، ومثلوا له بقولك : أعطيت زيداَ اليوم ألفاً ثم أعطيته أمس ألفين، ومراده: أعطيته اليوم ألفاً، ثم أنا أخبركم أنني أعطيته أمس ألفين فكذا قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾. أي: صيره خلقاً سويّاً ثم إنه يخبركم أنني إنما خلقته بأن قلت له ﴿كُنْ﴾، وممن ذهب الى هذا القول من المفسرين: مكّي، والسمعاني، والواحدي، وابن عادل، والخازن، والنسفي، والسمين والحلبي، رحمهم الله جميعاً^(١). وقد رد بعض العلماء على هذا القول: فقالوا: وفساد هذا القول ظاهر لمن تأمله أدنى تأمل؛ وإلا فكيف يقاس كلام الله الذي هو الأعلى في البلاغة والفصاحة بقول مصطنع لا يمتُّ إليهما بأية صلة؟ كيف يكون قوله-تعالى-: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، مثل قول الرجل: أعطيتك اليوم درهماً، ثم أخبرك أنني أعطيتك أمس درهماً؟ تأمل الآية جيداً، ثم انظر كيف تفكك نظمها، ومسح معناها مسخاً بهذا التقدير، هكذا: خلقه اليوم من تراب، ثم أخبره أمس أنه قال له: كن فيكون. فالمعنى على هذا التقدير: ﴿قَالَ لَهُ﴾ في الأزل: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾.

الجواب الثاني: أن ﴿ثُمَّ﴾، لترتيب الأخبار لمحمد-عليه الصلاة والسلام-، والمعنى خلقه من تراب ثم كان من أمره في الأزل أن قاله له كن وقت كذا^(٢). وذهب الى هذا القول ابن عطية، والبيضاوي، والثعالبي^(٣). ورد الشيخ مساعد الطيار على هذا القول: فقال: هذا يعني أن أمر الله كان في الأزل، ولا يحصل له كلام عند إرادة إيجاد شيء من المخلوقات أو المأمورات بقوله: ﴿كُنْ﴾. وهذا المذهب خطأ محض، وهو مبني على مسألة العلم والقدر

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٠٣٥) تفسير السمعاني (١/ ٣٢٦) التفسير البسيط (٥/ ٣١٤)، اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٢٧٩)، تفسير الخازن، (١/ ٢٥٣)، تفسير النسفي، (١/ ٢٦٠).
(٢) تفسير ابن عطية، (١/ ٤٤٦).
(٣) تفسير ابن عطية، (١/ ٤٤٦)، تفسير البيضاوي، (٢/ ٢٠)، تفسير الثعلبي، (٢/ ٥٤)

والكلام، وهي عنده أنها قديمة قدم الذات، فهو قال: ﴿كُنْ﴾ في الأزل، وإنما تأخر المقدر، قال: وتلخيص المعتقد في هذه الآية أن الله عز وجل لم يزل أمراً للمعدومات بشرط وجودها، قادراً على تأخير المقدورات، عالماً مع تأخر وقوع المعلومات، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال، فهو بحسب المأمورات، إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن، وكل ما يستند إلى الله تعالى من قدرة وعلم وأمر، فهو قديم لم يزل (١).

الجواب الثالث: خلقه أي: ابتداءً وصور جسد آدم من تراب ثم قال له ﴿كُنْ﴾. أي: بشراً كاملاً روحاً وجسداً، فإن أمره -تعالى- يفيد قوة التكون. قال الواحدي -رحمه الله- بعد ذكره للأقوال: ويجوز أن يكون المراد: أنه خلقه قالباً من تراب، ثم قال له: ﴿كُنْ﴾ بشراً، فيصح النظم (٢). أي: لا إشكال في نظم الآية.

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- هو الجواب الثالث، لأن معنى الآية لا يخرجها عن سياق الآيات، فهو ظاهر المعنى، لا يحتاج إلى تأويل، ولا إلى تقدير. والقاعدة تقول: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه، فالأصل في نصوص الوحي أن تحمل على ظواهرها. وقد قال بعض العلماء: أن قول الله -تعالى- للشيء، ﴿كُنْ﴾. لا يقتضي وقوع هذا الشيء في الحال؛ إذ قد يكون الأمر موقوتاً بوقت، أو متعلقاً بأسباب لا بد أن يقترن حدوثه بها. وهذه الأسباب لا متعلق لها بقدرة الله؛ وإنما متعلقها بالشيء ذاته، الذي دعت القدرة إلى الظهور، والذي قضت حكمة الله ألا يظهر؛ إلا بعد أن يستكمل أسبابه المقتزنة به، وهذا ما يشير إليه قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

(١) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، (ص: ٢٤٧).

(٢) التفسير البسيط (٥/ ٣١٦).



يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [سورة يس: ٨٢]. وذلك الشيء - كما قال ابن تيمية - هو معلوم، قبل إبداعه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه؛ وبذلك كان مقدراً مقضياً، فإن - سبحانه وتعالى - يقول ويكتب مما يعلمه ما شاء؛ كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث، عن عبد الله بن عمرو: ((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة))^(١).

وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((كان الله، ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض))^(٢).

وفي سنن أبي داود، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة))^(٣).

إلى أمثال ذلك من النصوص، التي تبين أن المخلوق قبل أن يخلق، كان معلوماً، مخبراً عنه، مكتوباً فيه كل شيء، فأمره - سبحانه وتعالى - بين الكاف والنون^(٤)، والله أعلم.

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٥١/٨) برقم (٢٦٥٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق، (١٠٥/٤) برقم (٣١٩١).

(٣) صحيح سنن أبي داود، أول كتاب السنة، باب: في القدر (٥/٥٢) برقم (٤٧٠٠)، والترمذي، أبواب القدر، (٢٩/٤) برقم (٢١٥٥) والمسند، مسند الانصار (٣٧٨/٣٧) برقم (٢٢٧٠٥) صححه الألباني.

(٤) مجموع الفتاوى، (٨/١٨٤).

[١٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٠].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعاينة، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَلَنْ﴾ [سورة النساء: ١٨].

وقيل: هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أمسكوا عن الإسلام، وقالوا: نترصب بمحمد فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه، لن يقبل منهم ذلك لأنهم متربصون غير محققين^(١).

دراسة التساؤل: اختلف العلماء في المراد بقوله -تعالى-: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ على أربعة أقوال:

القول الأول: لن تقبل توبتهم يعني إذ تابوا عند حضور الموت وهو وقت الحشجة، والغرغرة والمعاينة ونقل ابن جرير هذا الوجه، الذي هو التقييد بحضور الموت عن الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسدي^(٢).
قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول حسن^(٣)، فإن الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال إن اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم.

(١) تفسير البغوي (٢/ ٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٧٩)، ابن أبي حاتم (١/ ٧٠٢)، تفسير الخازن (١/ ٢٦٧).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٧٠).



قال البيضاوي: أو أنهم لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك، فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الأيسين من الرحمة، لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لارتدادهم وزيادة كفرهم^(١).
وذهب الى هذا القول من المفسرين: مكّي، والثعلبي، والواحي في الوجيز، وابن كثير^(٢).

ورد ابن جرير الطبري هذا القول: فقال-رحمه الله-: ولا خلاف بين جميع الحجة في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين، أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه، والموارثة، وسائر الأحكام غيرهما. مما يدل على صحة إسلامه^(٣).

القول الثاني: أن المعنى: إن الذين كفروا من اليهود بمحمد-صلى الله عليه وسلم- بعد إيمانهم به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب في كفرهم لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم. وهذا مروى عن أبي العالية، وهو اختيار ابن جرير^(٤). واستظهره صاحب تفسير المنار^(٥).

واستدل ابن جرير على صحة اختيار هذا القول: بالسياق فقال: الآيات التي قبلها والتي بعدها نزلت فيهم، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها، إذ كانت في سياق واحد. ثم وجه قوله وأجرى النظم على ظاهره في السياق فقال: ما أصابوا في كفرهم من المعاصي، لأنه جل ثناؤه قال: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ فكان

(١) تفسير البيضاوي (٢/ ٢٧).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٠٧٠)، تفسير الثعلبي، (٣/ ١٠٩)، الوجيز للواحي (ص: ٢٢٢)، تفسير ابن كثير، (٢/ ٦١).

(٣) تفسير الطبري، (٦/ ٥٨٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٥٨١).

(٥) تفسير المنار (٣/ ٣٠٢).

معلوماً أن معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إنما هو معنى به: لن تقبل توبتهم مما زادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم^(١).

وقال الشنقيطي: ويدل لهذا الوجه قوله-تعالى-: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ لأنه يدل على أن توبتهم مع بقائهما على ارتكاب الضلال وعدم قبولها حينئذ ظاهر^(٢).

القول الثالث: أنهم قوم ارتدوا ثم عزموا على إظهار التوبة على طريق التورية، لستر أحوالهم، فأطلع الله نبيه-عليه الصلاة والسلام- على سريرتهم، فلن يقبل منهم ذلك لأنهم متربصون غير محققين، وقد قيل هذا في قوم كانوا مع الحارث بن أوس ارتدوا، فلما رجع هو إلى الإسلام، أمسكوا عن الإسلام أولئك القوم، وقالوا: نتربص الدهر بمحمد، فإن ساعده الزمان، ونفذ أمره نرجع إلى دينه. وهذا قول ابن عباس، ونقل ابن جرير هذا القول عن ابن جريح^(٣).

واعترض الشنقيطي-رحمه الله- على هذا القول فقال: ولا يخفى ضعف هذا القول وبُعدُه عن ظاهر القرآن^(٤).

القول الرابع: رجح ابن عطية-رحمه الله- قولاً قريباً من القول الذي قبله، فقال: وتحتل الآية عندي: أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريمتهم ونكايتهم في الدين، وهم الذين أشار إليهم بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ٨٦]. فأخبر عنهم أنهم لا تكون لهم توبة فيتصور قبولها، أي: قد جعلهم الله من سخطه في حيز من لا تقبل له توبة إذ ليست لهم، فهم لا محالة يموتون على الكفر، ولذلك

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٨٢).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٤٦).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٨١).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٤٧).



بين حكم الذين يموتون كفاراً بعقب الآية، فبانت منزلة هؤلاء، فكأنه أخبر عن هؤلاء المعينين، أنهم يموتون كفاراً، ثم أخبر الناس عن حكم من يموت كافراً^(١).

واعترض ابن جرير -رحمه الله- على هذا القول فقال: وأما قول من زعم أن معنى ذلك: "التوبة التي كانت قبل الكفر"، فقول لا معنى له، لأن الله -عز وجل- لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر، ثم كفر بعد إيمان، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه^(٢).

القول الخامس: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، فجعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتوا على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم. وهو قول مجاهد، والزمخشري^(٣).

قال الشوكاني -رحمه الله- والأولى: أن يحمل عدم قبول توبتهم في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب، فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة، وتكون الآية المذكورة بعد هذه الآية، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [سورة آل عمران: ٩١]. أي: في حكم البيان لها^(٤).

وقال النيسابوري -رحمه الله- ويحتمل أن يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كأنه قيل: إن اليهود والمرتدين المصيرين على الكفر ما يتوبون عن الكفر لما في فعلهم من قساوة القلوب والإفضاء إلى الرين وانجراره إلى الموت على حالة الكفر. وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة^(٥).

(١) تفسير ابن عطية، (١/ ٤٧٠).

(٢) تفسير الطبري، (٦/ ٥٨٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٠٢)، تفسير الزمخشري، (١/ ٣٨٢).

(٤) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤١١).

(٥) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٢/ ٢٠٤).

وقد رد الطبري ذلك قائلاً: أنكرنا ذلك، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة، وقد وعد الله -عز وجل- عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم (١).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- أن قوله -تعالى-: ﴿لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَهُمْ﴾ تحتل وجهين: **الوجه الأول:** أنه تكون منهم توبة ولا تقبل، وقد علم أن توبة كل كافر تقبل سواء كفر بعد إيمان وازداد كفرًا، أم كان كافرًا أول مرة، فاحتيج في ذلك إلى تخصيص.

الوجه الثاني: أن يكون المعنى: لا توبة لهم فتقبل، فنفي القبول، والمراد نفي التوبة، ويكون ذلك في قوم بأعيانهم، ختم الله عليهم بالكفر أي: ليست لهم توبة فهم لا محالة يموتون على الكفر.

والأقوال التي ذكرت لا تخرج عن هذين الاحتمالين. ولعل القول الأول هو الراجح في هذه المسألة، ويدل على رجحانه أمران:

الأول: أنه تعالى بين في مواضع أخر أن الكافر الذي لا تقبل توبته هو الذي يصر على الكفر حتى يحضره الموت فيتوب في ذلك الوقت، كقوله -تعالى-: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [سورة النساء: ١٨]. فجعل التائب عند حضور الموت والميت على كفره سواء.

الثاني: أنه تعالى أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا﴾ فإنه يدل على عدم توبتهم في وقت نفعها. والله أعلم.

(١) تفسير الطبري، (٦/ ٥٨٣).



[١٩] قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف قال: أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: حكى عن أبي بن كعب أنه أراد به: الإيمان يوم الميثاق، حين قال لهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق؟ وقال الحسن: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم. وعن عكرمة: أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم وبمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به. وقال أبو أمامة: هم الخوارج. وقال قتادة: هم أهل البدع^(١).

دراسة التساؤل: ساق البغوي في الإجابة عن هذا التساؤل خمسة أجوبة وهي كالتالي:

الجواب الأول: أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، حين قال لهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى يقول: أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق. قاله أبي بن كعب- رضي الله عنه-. وقد أخرج الطبري بسنده الى أبي بن كعب في قوله-تعالى-: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: ((صاروا يوم القيامة فريقين، فقال لمن اسود وجهه، وغيرهم ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقروا كلهم بالعبودية، وفطرتهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يقول: بعد ذلك الذي كان في زمان آدم.

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٨٨).

وقال في الآخرين: الذين استقاموا على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته^(١).

وممن وافق البغوي في هذا الجواب من المفسرين: منهم ابن جرير، والثعلبي، والسمعاني، والخازن، -رحمهم الله جميعاً-^(٢).

الجواب الثاني: هم المنافقون تكلموا بالإيمان بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم، فيقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؟ أي ذلك الإيمان بألسنتهم. وهذا قول الحسن رحمه الله^(٣).

وقال أبو العالية: هذا للمنافقين خاصة، يقول: أكفرتهم في السر بعد إيمانكم، أي: مع إقراركم في العلانية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بمحمد-صلى الله عليه وسلم- وبالقرآن^(٤). واختار هذا القول ابن كثير^(٥).

الجواب الثالث: أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم وبمحمد-صلى الله عليه وسلم- قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به. وهذا قول: عكرمة والأصم والزجاج^(٦).

قال يونس بن أبي مسلم: سألت عكرمة عن هذه الآية فقال: لو فسرتها لم أخرج من تفسيرها ثلاثة أيام، ولكني سأجمل لك: هؤلاء قوم من أهل الكتاب كانوا مصدقين بأنبيائهم، مصدقين بمحمد-صلى الله عليه وسلم- قبل أن يبعث، ولما بعث كفروا به، فذلك قوله-تعالى-: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٧).

(١) تفسير الطبري، (٧ / ٩٥)، تفسير ابن أبي حاتم، (٣ / ٧٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٩٥)، تفسير الثعلبي، (٣ / ١٢٥)، تفسير السمعاني (١ / ٣٤٧)، تفسير الخازن (١ / ٢٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٩٥).

(٤) تفسير السمرقندي، (١ / ٢٣٧).

(٥) تفسير ابن كثير، (٢ / ٩٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (١ / ٤٥٥)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨ / ٣١٩).

(٧) تفسير الثعلبي (٣ / ١٢٥).



ورجح هذا القول: الزمخشري فقال: والظاهر أنهم أهل الكتاب، وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بعد اعترافهم به قبل مجيئه^(١).
قال ابن عاشور مرجحاً هذا القول: فمعنى كفرهم بعد إيمانهم تغييرهم شريعة أنبيائهم وكتمانهم ما كتموه فيها، أو كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم بموسى وعيسى، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ٩٠].

وهذا هو المحمل البين، وسياق الكلام ولفظه يقتضيه، فإنه مسوق لوعيد أولئك^(٢).

الجواب الرابع: أنهم الخوارج. فإنه-عليه الصلاة والسلام- قال فيهم: ((إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية))^(٣).

ولما أتى برؤوس الأزارقة، فنصبت على درج دمشق جاء أبو أمامة-رضي الله عنه- ((فلما رأهم دمعت عيناه، ثم قال: كلاب النار كلاب النار، هؤلاء لشر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، قيل له: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام، قيل له: أبرأيك قلت: كلاب النار، أو شيء سمعته؟ قال: إني إذا لجريء، بل سمعته من رسول-الله صلى الله عليه وسلم- غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاثاً، فعدد مراراً، ثم تلا قوله-تعالى-: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ حتى بلغ ﴿هم فيها خالدون﴾ [آل عمران: ١٠٧]))^(٤).

الجواب الخامس: قيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة. قاله قتادة والسدي^(٥).

(١) تفسير الزمخشري، (١/ ٣٩٩).

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٤٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب قول الله: وأما عاد فأهلكوا بريح... الآية (٤/ ١٣٧) برقم (٣٣٤٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب، ذكر الخوارج، (٣/ ١٠٩) برقم (١٠٦٣).

(٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠/ ١٥٢) برقم (١٨٦٦٣)، تفسير ابن أبي حاتم، (٣/ ٧٢٩).

(٥) تفسير الطبري، (٧/ ٩٤)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣١٣).

وذكر الألويسي-رحمه الله- في تفسيره هذا القول: عن علي بن أبي طالب،
وأبي سعيد الخدري-رضي الله عنهما(١).

واستدل أصحاب هذا القول: ببعض الأحاديث الواردة في ذم أهل البدع
ومنها: إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظماً أبدا ليردن
علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا
تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول: سحاً سحاً لمن غير بعدي، وفي بعض طرقه: ألا
هلم، ألا هلم(٢).

وروي عن مالك(٣) -رحمه الله- أنه قال: الآية في أهل الأهواء(٤).

واعترض الإمام الرازي-رحمه الله- بعد حكاية هذين القولين الرابع والخامس
فقال: وهذان الوجهان الأخيران في غاية البعد لأنهما لا يليقان بما قبل هذه الآية،
ولأنه تخصيص لغير دليل، ولأن الخروج على الإمام لا يوجب الكفر البتة(٥)

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن الوجه الأول هو الأقرب: أنه عنى بذلك جميع
الكفار، حتى تكون الآية عامة في جميع حق كل كافر، ويدل على رجحان هذا
الجواب الآتي:

الأول: ما قاله الطبري-رحمه الله- مرجحاً لهذا القول: إن الله-جل ثناؤه-
جعل جميع أهل الآخرة فريقين: أحدهما: سود الوجوه. والآخر: بيض الوجوه.
فمعلوم -إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان- أن جميع الكفار داخلون في
فريق من سود وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه. فلا

(١) تفسير الألويسي، (٢/ ٢٤٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب، في الحوض، (٨/ ١٢٠) برقم (٦٥٨٣)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب:
استحباب إطالة الغرة، (١/ ١٥٠) برقم (٢٤٩).

(٣) هو: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك، بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني إمام دار
الهدية وأحد الأئمة الأعلام. وإليه تنسب المالكية، كان صلوا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه
سيطا انخلعت لها كتفه. وأخباره كثيرة، وقد أفردوه بالتأليف، توفي سنة: (١٧٩ هـ). ينظر ترجمته في: وحية
الأولياء، (٦: ٣١٦) وفيات الأعيان (٤/ ١٣٥). الأعلام للزركلي (٥/ ٢٥٧)

(٤) تفسير ابن عطية، (١/ ٤٨٧)، تفسير القرطبي (٤/ ١٦٧).

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٨/ ٣١٩)



وجه إذاً لقول قائل: عنى بقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض، وقد عم الله-جل ثناؤه- الخبر عنهم جميعهم، وإذا دخل جميعهم في ذلك، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة، كان معلوماً أنها المرادة بذلك^(١).

الثاني: قال الألويسي-رحمه الله- ويحتمل أن يراد بالإيمان الإيمان بالقوة والفترة، كما قال ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه))... الحديث^(٢).

فكفر جميع الكفار كان بعد هذا الإيمان لتمكنهم بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة من الإيمان بالله-تعالى- ورسوله-صلى الله تعالى عليه وسلم-. والله اعلم

(١) تفسير الطبري، (٧/٩٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين (١٠٠/٢) برقم (١٨٥) ومسلم، كتاب القدر، باب: ما معنى كل مولود يولد على الفطرة.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: ذكره تأكيداً وقيل: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ليعلم أن المراد بالرؤية النظر، وقيل: وأنتم تنظرون إلى محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

دراسة التساؤل: أخرج ابن أبي حاتم - في سبب نزول هذه الآية - بسنده، عن

ابن عباس -رضي الله عنهما- ((أن رجلاً من أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر ونستشهد، أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين، ونبلي فيه خيراً، ونلتمس الشهادة والجنة والحياة والرزق، فأشهدهم الله أحداً فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فقال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.))

وروي عن الحسن، ومقاتل ومجاهد والسدي ومحمد بن كعب والربيع بن أنس

نحو ذلك^(٢). وقد أجاب البغوي عن التساؤل بثلاث إجابات:

الجواب الأول: ذكره تأكيداً، وإخراجها من الاشتراك الذي بين رؤية القلب

ورؤية العين في اللفظ. أي: فقد رأيته رؤية حقيقة، معانين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا، فعلى هذا يكون متعلق النظر متعلق الرؤية، قاله الأخفش، وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بصراء، كقولك: رأيت كذا وكذا ولم يكن في عينيك علة^(٣)، وقال الواحدي: وهو راجع إلى معنى التوكيد^(٤).

وقال أبو حيان -رحمه الله- بعد ذكره لقول الزجاج: ويرجع معناه إلى قول

الأخفش، ورجحه أبو حيان بقوله: وهذا هو الظاهر^(٥).

(١) تفسير البغوي، (٢/ ١١٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (٣/ ٧٧٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٤٨-٢٤٩).

(٣) تفسير السمرقندي، (١/ ٢٥٣)، البحر المحيط، (٣/ ٣٦٢).

(٤) التفسير البسيط (٦/ ٣٦).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٣٦٢).



وقال الشوكاني-رحمه الله-: وقيد الرؤية بالنظر مع اتحاد معناهما: للمبالغة، أي: قد رأيتموه معانين له حين قتل من قتل منكم^(١).

وقد وافق البغوي-رحمه الله- من المفسرين: مكّي، والواحدى، والزمخشري، والبيضاوى^(٢).

وأكثر المفسرين على أنها مؤكدة، لأن من رأى فقد نظر.
وقد ذكر الطبري-رحمه الله- هذا القول: ولم يرتضه فقال: وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. على وجه التوكيد للكلام، كما يقال: "رأيت عياناً" و"رأيت به عيني، وسمعت بأذني"^(٣).

الجواب الثاني: الرؤية قد تكون بمعنى العلم، فقال: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. ليعلم أن المراد بالرؤية النظر^(٤). أي: علمتم الموت حاضراً، بمعنى تتأملون وتتفكرون أي: وأنتم تتأملون الحال كيف هي^(٥).

فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر، لأن النظر هو تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، وليس معناه الرؤية على وجه الحقيقة^(٦).

الجواب الثالث: وأنتم تنظرون إلى محمد-صلى الله عليه وسلم- وما فعل به. واعترض على هذا القول ابن عطية-رحمه الله فقال: وهذا قول ضعيف^(٧).

قال مكّي بن أبى طالب-رحمه الله- بعد حكاية هذا القول: فلما كان يوم أحد حضروا القتال، فولى قوم وأبلى قوم العذر، وأوفوا بما عاهدوا، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ حُبَّهُ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣]. أي: استشهد فقتل، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ أي: الشهادة ﴿وَمَا بَدَّلُوا

(١) فتح القدير للشوكاني (١ / ٤٤١).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٢ / ١١٣٨)، الوجيز للواحدى (ص: ٢٣٤)، تفسير الزمخشري، (١ / ٤٢١) تفسير البيضاوى، (٢ / ٤٠).

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٢٤٨-٢٤٩).

(٤) تفسير البغوي، (٢ / ١١٢)، اللباب في علوم الكتاب (٥ / ٥٦٦).

(٥) تفسير الألوسي، (٢ / ٢٨٦).

(٦) تفسير مجمع البيان (٢ / ٤٠٢).

(٧) تفسير ابن عطية، (١ / ٥١٦).

تَبَدِيلًا ﴿﴾ أي: ما بدلوا العهد الذي عاهدوا الله عليه من ابتلاء العذر في الجهاد في الله-عز وجل- (١).

الجواب الرابع: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمنيتم، وفي الآية إضمار، أي: فقد رأيتموه فلم انهزمتم!؟.

فعلى هذا المعنى لا تكون جملة حالية، بل هي جملة مستأنفة الإخبار أتى بها على سبيل التوبيخ. فكأنه قيل: وأنتم حسباء أنفسكم فتملوا قبح فعلكم. وهذه الآية وإن كانت صيغتها صيغة الخبر فمعناها العتب والإنكار على من انهزم يوم أحد (٢).

قال الطبري: فقد رأيتم ما كنتم تمنونه، و"الهاء" في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ عائدة على "الموت"، والمعنى: القتال ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. يعني: قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر، أي: بقرب منكم (٣).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ مؤسسه لا مؤكدة، وذلك:

لأن الإنسان قد يرى ولكن لا يحقق ما رأى، قد يرى الشيء وهو غافل عنه، لكن إذا رآه وهو ينظر إليه تماماً قد ركز فهذا نظر خاص، أخص من النظر العام، فنحملها على ذلك.

ودليل ذلك القاعدة المقررة عند المفسرين، والتي تقول: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى (٤).

فالأصل في الكلام التأسيس؛ لأن التوكيد نوع زيادة، ليس فيه إلا توكيد ما مضى، وقد لا يحتاج إليه، لكن التأسيس هو الأصل. فعلى هذا فالجواب الرابع هو الأقرب، والله أعلم.

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١١٣٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٣٦٢).

(٣) تفسير الطبري، (٧/ ٢٤٨).

(٤) مختصر قواعد الترجيح، للحري (١٨٥).



[٢١] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [سورة التحريم: ٨]، ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾.

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلص في النار فقد أخزيت، وقال سعيد بن المسيب (١) -رحمه الله- هذه خاصة لمن لا يخرج منها (٢).

دراسة التساؤل: فسر الإمام البغوي -رحمه الله- قوله تعالى: - ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته، لقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي﴾ [سورة هود: ٧٨].

وقال الواحدي: الإخزاء -في اللغة- يرد على معان، يقرب بعضها من بعض.

وذكر أن أهل المعاني قالوا: إن الإخزاء يحتمل معنيين:

أحدهما: الإهانة والإهلاك والإبعاد، وهذا للكفار.

الثاني: الإخجال، يقال: خزي خزياً: إذا استحيا، وأخزاه غيره: إذا عمل به عملاً يخجله، ويستحي منه. فعلى هذا، خزي المؤمنین: الحياء من سائر أهل الإيمان، بدخول النار إلى أن يخرجوا منها، وخزي الكافرين: الهلاك بالخلود فيها من غير موت (٣).

(١) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، الإمام العلم، أبو محمد القرشي، المخزومي، سيد التابعين في زمانه، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان قد سمع من كثير من الصحابة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان من أعبد الناس، توفي بالمدينة سنة: (٩٤هـ)، يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/٣٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/٢١٧)، والأعلام للزركلي (٣/١٠٢).

(٢) تفسير البغوي، (٢/١٥٢).

(٣) التفسير البسيط (٦/٢٥٥).

وقال ابن الأنباري: الخزي في اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع في بلاء، وكل هذه الوجوه متقاربة^(١).

وبعد هذا التقرير نذكر جواب الإمام البغوي - عن التساؤل المذكور، وقد أجاب عنه بجوابين هما:

الجواب الأول: ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها، فقد أخزيتته، وهذا مخصوص بمن يدخل النار للخلود، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أي: الكفار.

قال النيسابوري - رحمه الله - وفائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم أنه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق^(٢)

وهذا القول مروى عن: أنس بن مالك، و أبو سعيد الخدري، وقتادة، وابن المسيب، وابن جريج^(٣)، وسعيد بن جبير^(٤)، ومقاتل^(٥).

واعترض الرازي - رحمه الله - على هذا القول فقال: وهذا الجواب عندي ضعيف،

لأن مذهب المعتزلة أن كل فاسق دخل النار فإنما دخلها للخلود^(٦)، فهذا لا يكون سؤالاً عنهم^(٧).

(١) مفاتيح الغيب (٩ / ٤٦٤).

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٢ / ٣٣١).

(٣) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي، الأموي مولاهم، المكي، أبو الوليد، ويقال: أبو خالد، من تابعي التابعين، أحد العلماء المشهورين، من فقهاء مكة وقرائهم. قال أحمد: أول من صنف الكتب ابن جريج وابن أبي عروبة. وقال عطاء: سيد أهل الحجاز ابن جريج. توفي سنة (١٥٠هـ). يُنظر ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار (ص: ٢٣٠)، ووفيات الأعيان (٣/١٦٣)، وتذكرة الحفاظ (١/١٢٧).

(٤) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الوالبي مولاهم الكوفي، المقرئ، المفسر، الفقيه، المحدث، أحد أعلام التابعين، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ). يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/٣٧١)، وسير أعلام النبلاء (٥/١٨٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (١/٣٨٢).

(٥) تفسير الطبري (٧ / ٤٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم، (٣ / ٨٤٢).

(٦) قال ابن المنير: هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فمن يدخل النار من المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بالعفو، كما حقق في محله، تفسير الزمخشري، (١ / ٤٥٥).

(٧) مفاتيح الغيب (٩ / ٤٦٤).



وقال ابن الأنباري: وحمل الآية على العموم أولى من نقلها إلى الخصوص إذ لا دليل عليه^(١).

وذهب إلى هذا القول كثير من المفسرين منهم: الثعلبي، السمعاني، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي^(٢).

الجواب الثاني: ربنا إنك من تدخل النار، من مخلد فيها وغير مخلد فيها، فقد أخزي بالعذاب.

وهذا قول: جابر بن عبدالله، واختاره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي^(٣)، ومكي بن أبي طالب^(٤).

واستدل أصحاب هذا القول: بما روى عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا جابر بن عبدالله-رضي الله عنه- في عمرة، فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٧]. قال: أخبرني رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أنهم الكفار، قلت لجابر فقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ ((قال: وما أخزاه حين أحرقه بالنار! وإن دون ذلك لخزياً))^(٥).

ومن الأجوبة عن هذا التساؤل:

الجواب الثالث: وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه أن قوله-تعالى-

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [سورة التحريم: ٨]. يقتضي نفي

الإخزاء مطلقاً، وإنما يقتضي أن لا يحصل الإخزاء حال ما يكونون مع النبي-صلى الله عليه وسلم- وهذا النفي لا يناقضه إثبات الإخزاء في الجملة،

(١) التفسير البسيط (٦/ ٢٥٨).

(٢) تفسير الثعلبي، (٣/ ٢٣٢)، تفسير السمعاني (١/ ٣٨٩)، الوجيز للواحدي (ص: ٢٤٩)، تفسير ابن عطية، (١/ ٥٥٦)، تفسير القرطبي (٤/ ٣١٦).

(٣) محمد بن عبد الله بن سليمان السعدي، أبو سليمان الدمشقي، مُفسِّر، صنف مجتبي التفسير، والمهذب في التفسير، عاش في القرن الرابع. ينظر: تاريخ دمشق (٣٤٩/٥٣) طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٠٣)

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٢٠٣).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٧٨).

لاحتمال أن يحصل ذلك الإثبات في وقت آخر قال: وهذا هو الذي صح
عندي في الجواب (١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثاني: وذلك لحمل الآية على العموم
إذ لا دليل صريح على التخصيص.

قال ابن جرير-رحمه الله-: وأولى القولين بالصواب عندي، قول جابر-
رضي الله عنه-: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾. أي: فقد أخزي بدخوله
إياها، وإن أخرج منها، وذلك أن الخزي إنما هو هتك ستر المخزي وفضيحته، ومن
عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه، فقد فضحه بعقابه إياه، وذلك هو الخزي (٢).
وبهذا الجواب يرتفع الإشكال، ويزول الالتباس، والله أعلم.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩ / ٤٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٤٧٩).



[٢٢] قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَعَايَتَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿١٩٤﴾ [سورة آل عمران: ١٩٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: ما وجه قولهم: ﴿رَبَّنَا وَعَايَتَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ وقد علموا أن الله لا يخلف الميعاد؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله قيل: لفظه دعاء ومعناه خبر أي: لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك تقديره: قال تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣]. وقوله - تعالى:- ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٤]. لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة وقيل: معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها، وقيل: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، قالوا: قد علمنا أنك لا تخلف ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم(١).

دراسة التساؤل: أجاب البغوي - رحمه الله - بما ذكر ابن جرير هذا التساؤل، فقد ذكر ثلاثة أجوبة هي كالتالي:

الجواب الأول: قيل: لفظه دعاء ومعناه خبر. فخرج مخرج المسألة.

ويكون تأويل الكلام: لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك تقديره: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [سورة آل عمران: ١٩٣]. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة. وهذا قول مكي بن أبي طالب، وابن الجوزي،(٢).

وذكر ابن جرير-رحمه الله- تحت هذا القول: قالوا وليس ذلك على أنهم قالوا: "إن توفيتنا مع الأبرار، فأنجز لنا ما وعدتنا"، لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد، وأن ما وعد على السنة رسله ليس يعطيه بالدعاء،

(١) تفسير البغوي، (٢/ ١٥٣).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٢٠٥)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٦٢)

ولكنه تفضل بابتدائه، ثم ينجزه^(١).

واعترض ابن جرير الطبري-رحمه الله- معقباً على هذا القول الذي حكاه قال: وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيت قولهم في شيء. وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال: افعل بنا يا رب كذا وكذا، بمعنى: لتفعل بنا كذا وكذا، ولو جاز ذلك، لجاز أن يقول القائل لآخر: أقبل إلي وكلمني، بمعنى: أقبل إلي لتكلمني، وذلك غير موجود في الكلام ولا معروف جوازه^(٢).

وممن اعترض على هذا الجواب كذلك الألويسي-رحمه الله- فقال: ولا يخفى أنه بمعزل عن التحقيق، ويزيده وهناً على وهن قوله-سبحانه-: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥]. الاستجابة الإجابة^(٣)

الجواب الثاني: معناه ربنا واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها^(٤).

وذهب الى هذا القول: الراغب، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي-رحمهم الله جميعاً^(٥).

قال ابن عاشور-رحمه الله- في تبيين هذا الوجه: إنهم سألوا ذلك ليكون حصوله أمانة على حصول قبول الأعمال التي وعد الله عليها بما سألوه، فقد يظنون أنفسهم آتين بما يبلغهم تلك المرتبة ويخشون لعلمهم قد خلطوا أعمالهم الصالحة بما يبطلها، ولعل هذا هو السبب في مجيء الواو في قولهم: وآتانا ما وعدتنا دون الفاء، إذ جعلوه دعوة مستقلة لتتحقق ويتحقق سببها، ولم يجعلوها نتيجة فعل مقطوع بحصوله، ويدل لصحة هذا التأويل قوله-تعالى- بعد: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾

(١) تفسير الطبري، (٧/ ٤٨٣).

(٢) تفسير الطبري، (٧/ ٤٨٥).

(٣) تفسير الألويسي، (٢/ ٣٧٧).

(٤) تفسير الطبري، (٧/ ٤٨٤)، الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٢٠٥).

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٠٥٢)، تفسير ابن عطية، (١/ ٥٥٦)، تفسير البيضاوي (٢/ ٥٥).



لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ ﴿ [سورة آل عمران: ١٩٥]. مع أنهم لم يطلبوا هنا عدم إضاعة أعمالهم (١).

الجواب الثالث: إنما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، قالوا: قد علمنا أنك لا تخلف، ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم وانصرنا عليهم (٢).

وقد ذكر هذه الأجوبة ابن جرير الطبري -رحمه الله-، وقال: والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي، أن هذه الصفة، صفة من هاجر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من وطنه وداره، مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى الله ورسوله، وغيرهم من اتباع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم (٣). وتابع الطبري في ترجيح هذا القول: الرازي، والألوسي (٤).

وعلى الرغم من وجاهة هذا القول: فقد استدرك عليه ابن عطية -رحمه الله- كون ذلك في الدنيا، والآية فيها: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حيث قال: وقال الطبري وغيره: معنى الآية ما وعدتنا على أسنة رسلك من النصر على الأعداء، فكان الدعوة إنما هي في حكم الدنيا، وقولهم: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. إشارة إلى قوله -تعالى- ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [سورة التحريم: ٨]. فهذا وعده -تعالى-، وهو دال على أن الخزي إنما هو مع الخلود (٥).

الجواب الرابع: أنه ليس المقصود من الدعاء طلب الفعل، بل المقصود منه إظهار الخضوع والذلة والعبودية، وقد أمرنا بالدعاء في أشياء نعلم قطعاً أنها توجد لا

(١) التحرير والتنوير (٤ / ٢٠١)

(٢) تفسير الثعلبي، (٣ / ٢٣٤) تفسير الماوردي، (١ / ٤٤٣).

(٣) تفسير الطبري (٧ / ٤٨٤).

(٤) تفسير الطبري، (٧ / ٤٨٥)، مفاتيح الغيب للرازي (٩ / ٤٦٨) روح المعاني (٢ / ٣٧٧).

(٥) تفسير ابن عطية، (١ / ٥٥٦).

محالة، كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٢]. وقوله: ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [سورة غافر: ٧].

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثالث: وهو تعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، وهذا ما رجحه الطبري والرازي والألوسي-رحمهم الله- وذلك للآتي:

لأن سياق الآية يدل عليه، كما بين ذلك الطبري-رحمه الله- فقال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي، أن هذه الصفة، صفة من هاجر من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من وطنه وداره، مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى الله ورسوله، وغيرهم من أتباع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم.

ويدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى، وهي قوله -تعالى- ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ الآيات بعدها(١).

والترجيح بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فقد وضعوا قواعد وأسس أغلبية يتوصلوا بها الى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة. والقاعدة الترجيحية تقول: ادخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له(٢).

وهذا المعنى المذكور ينحل به التساؤل، ويزول به الإشكال، وكما قال الرازي-رحمه الله- إن الله-تعالى- وعد المؤمنين بأن ينصرهم في الدنيا، ويقهر عدوهم، فهم طلبوا تعجيل ذلك، وعلى هذا التقدير يزول الإشكال(٣).

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤٨٤).

(٢) مختصر قواعد الترجيح، عند المسرين، للحري (ص ٥٠).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي، (٩/ ٤٦٨).



التساؤلات في سورة النساء

[٢٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعْذُوهُمْ ۖ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: ذكر الحبس في الآية الأولى وذكر في هذه الآية الإيذاء، فكيف وجه الجمع؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: الآية الأولى في النساء وهذه في الرجال، وهو قول مجاهد، وقيل: الآية الأولى في الثيب وهذه في البكر (١).

دراسة التساؤل: كي يتضح الجواب عن التساؤل، وينحل الإشكال، يحسن بنا أن نذكر نظرة العلماء الى هاتين الآيتين، هل وقع عليهما النسخ أم لا؟
فقد اختلفوا في حكم نسخ الآيتين على قولين:

القول الأول: أن هذا الحكم كان في أول الإسلام ثم نسخ، قال ابن عطية: وأجمع العلماء على أن هاتين الآيتين منسوختان بآية الجلد في سورة النور، قاله الحسن ومجاهد وغيرهما، إلا من قال: إن الأذى والتعيير باق مع الجلد لأنهما لا يتعارضان بل يتحملان على شخص واحد، وأما الحبس فمنسوخ بإجماع (٢).
وقال ابن الجوزي -رحمه الله- ولا يختلف العلماء في نسخ هذين الحكيمين عن الزانيين أعنى الحبس والأذى (٣).

وينحو هذا قال ابن كثير -رحمه الله-، وذكر الذين قالوا به من السلف، ونص عبارته: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت فثبت زناها بالبينة العادلة، حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ [سورة النساء: ١٥]. يعني: الزنا، ﴿مِنْ سَائِرِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

(١) تفسير البغوي، (٢/ ١٨٢).

(٢) تفسير ابن عطية، (٢/ ٢٢).

(٣) نواسخ القرآن، (ص: ١٢١).

مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ
اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: كان الحكم كذلك، حتى أنزل الله سورة
النور فنسخها بالجلد، أو الرجم.

وكذا زوي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وعطاء الخراساني، وأبي
صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك: أنها منسوخة. وهو أمر متفق عليه^(١).

القول الثاني: أنه محكم غير منسوخ، لأنه لم يكن دائماً، بل كان ممدوداً إلى
غاية ينتهي إليها بدليل قوله -تعالى-: ﴿لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

قال القرطبي: وهذا نحو قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [سورة
البقرة: ١٨٧]. فإذا جاء الليل ارتفع حكم الصيام لانتهاء غايته لا لنسخه.

وهذا قول المحققين المتأخرين من الأصوليين، فإن النسخ إنما يكون في
القولين المتعارضين من كل وجه اللذين لا يمكن الجمع بينهما، والجمع ممكن بين
الحبس والتعبير والجلد والرجم. لأنهما لا يتعارضان بل يحملان على شخص واحد،
وأما الحبس فمنسوخ بإجماع، وإطلاق المتقدمين النسخ على مثل هذا تجوز^(٢).

وقال السعدي: وهذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي مغيية إلى ذلك الوقت،
فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله لهن سبيلاً، وهو رجم المحصن
وجلد غير المحصن^(٣).

فعلى ما سبق يمكن القول بأن الحبس الذي جاء في قوله -تعالى-:
﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾

﴿١٥﴾ [سورة النساء: ١٥]. سواءً أكان منسوخاً أم كان ممدوداً إلى غاية، فإنه غير معمول
به بالإجماع، وأما الأذى الي جاء في قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ
فَاعْزَوْهُمَا﴾ فهو محكم، لأنه لا تعارض مع إقامة الحد على الزانيين، ويستأنس

(١) تفسير ابن كثير، (٢/ ٢٣٣).

(٢) تفسير القرطبي، (٥/ ٨٥).

(٣) تفسير السعدي، (ص: ١٧١).



بقوله -تعالى-: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٢]. ففي إقامة الحد عليهما إيذاء جسدي، وفي شهود عذابهما والتشهير بهما إيذاء نفسي، ولعل سبب هذا التضاد: هو هل يسمى ما وقع نسخاً أو تخصيصاً؟ وقد وقع الخلاف بين العلماء المتقدمين والمتأخرين في التفريق بين هذين المصطلحين. وهذه الأنواع داخلة في مصطلح النسخ باعتباره مصطلحاً شاملاً عند السلف. والله أعلم.

فإذا تقرر هذا فقد اختلف العلماء في هذه الآية على أقوال منها:

القول الأول: أن الآية الأولى في النساء وهذه الآية في الرجال، وهو قول مجاهد^(١).

قال ابن الفرس الأندلسي^(٢): وهذا القول في الآية عندي أحسن الأقوال، وأصح على قوانين العربية يؤيده من جهة اللفظ: قوله -تعالى- في الأولى: ﴿مِن نِّسَائِكُمْ﴾. وقوله -تعالى- في الثانية: ﴿مِنْكُمْ﴾^(٣).

وممن وافق البغوي في هذا الجمع: أبو مسلم الأصفهاني، والنحاس، وابن العربي، وأبو حيان^(٤).

ودليلهم هو لفظ ﴿وَالَّذَانِ﴾ مثى الذي فهو لفظ مذكر فاقتضى الرجال خاصة، مع تقدم حكم النساء في الآية التي قبلها.

قال ابن العربي: والصواب مع مجاهد؛ وبيانه أن الآية الأولى نص في النساء بمقتضى التأنيث والتصريح باسمهن المخصوص لهن، فلا سبيل لدخول الرجال فيه، ولفظ الثانية يحتمل الرجال والنساء، وكان يصح دخول النساء معهم فيها لولا أن حكم النساء تقدم، والآية الثانية لو استقلت لكانت حكماً آخر معارضاً له، فينظر فيه، ولكن لما جاءت منوطة بها، مرتبطة معها، محالة بالضمير عليها

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٨٦)، تفسير ابن كثير، (٢/ ٢٠٥).

(٢) هو: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، أبو عبد الله، المعروف بابن الفرس، قاضي أندلسي، من علماء غرناطة. ولي القضاء بجزيرة شقر، ثم في وادي آش، ثم في جيان، وأخيراً بغرناطة، له تأليف، منها: "كتاب أحكام القرآن"، و"أدب القضاء"، و"مسائل الخلاف"، في النحو، توفي في إلبيرة سنة (٥٩٧هـ)، يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٤)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٦٨)، وكشف الظنون (٢/ ١٦٦٩).

(٣) أحكام القرآن لابن الفرس (٢/ ١٠٣).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠)، أحكام القرآن لابن العربي، (١/ ٤٦٥)، البحر المحيط، (٣/ ٥٥٦).

قال-تعالى:- ﴿يَأْتِيَنَهَا مِنْكُمْ﴾. علم أنه أراد الرجال ضرورة^(١).

واعترض الألوسي-رحمه الله- على هذا القول فقال: وزيف هذا القول بأنه لم يقل به أحد، وبأن الصحابة-رضي الله تعالى عنهم- اختلفوا في حكم من عمل عمل قوم لوط، ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية، وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم إلى نص يدل على الحكم دليل على أن الآية ليست في ذلك^(٢).

القول الثاني: أن الآية الأولى في النساء المحصنات، وبدخل معهن الرجال المحصنون، والآية الثانية: في الرجل والمرأة البكرين. وهذا مروى عن السدي، وقتادة، ورجحه الطبري، والواحدي^(٣). واعتمدوا في ترجيحهم هذا القول: على وجوه:

الوجه الأول: قوله: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ فأضافهن إلى

الأزواج.

الوجه الثاني: أنه سماهن نساء، وهذا الاسم أليق بالثيب.

الوجه الثالث: أن الإيذاء أحق من الحبس في البيت، والأخف للبكر دون

الثيب.

وضعف هذا القول: النحاس-رحمه الله- وقال: تغليب المؤنث على المذكر

بعيد^(٤).

وقال ابن عطية-رحمه الله-: إن معنى هذا القول تام إلا أن لفظ الآية يقلق

عنه^(٥).

القول الثالث: أنه عام في الأبكار والثيب من الرجال والنساء، قاله الحسن،

وعطاء.

قال الرازي-رحمه الله- موضحاً قول الحسن: أي: أن الثانية مقدمة في

النزول، أمروا بإيذاء الزانيين أولاً، ثم أمروا بإمساك النساء في البيوت إلى أن يتبين

أحوالهن. فيكون معنى الآية: واللذان يأتیان الفاحشة من النساء والرجال فأذوهما فإن

تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما.

(١) أحكام القرآن لابن العربي، (١/ ٤٦٥).

(٢) تفسير الألوسي، (٢/ ٤٤٥).

(٣) تفسير الطبري، (٨/ ٨٣) الوجيز للواحدى (ص: ٢٥٦).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٢)



ثم نزل قوله-تعالى-: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ يعني: إن لم يتوبا وأصرا على هذا الفعل القبيح فأمسكوهن في البيوت إلى أن يتبين لكم أحوالهن، وهذا القول عندي في غاية البعد، لأنه يوجب فساد الترتيب في هذه الآيات(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن مثار الإشكال في معرفة المراد بالفاحشة في الآيتين: والأقرب أن المراد بالفاحشة في الآيتين هي: فاحشة الزنا. ففي الآية الأولى: بيان عقوبة المرأة المحصنة المتزوجة إذا وقعت في الزنا، وأنه إذا شهد عليها أربعة شهود فإنها تُحبس حتى تموت، أو يجعل الله لها عقوبة أخرى، والدليل على هذا القول: قوله-تعالى-: من نسائكم، فالعرب تقول: هذه امرأتي: وتعني بها زوج الرجل، وتقول: نساؤنا ونسائكم، وتعني بها: زوجاتنا وزوجاتكم. ولا فائدة من ذكر لفظ ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾. أقوى وأصح من هذا المعنى؛ وكذلك نون النسوة في الكلمات في قوله-تعالى-: ﴿وَالَّتِي﴾ و﴿يَأْتِينَ﴾ و﴿عَلَيْهِنَّ﴾ و﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ و﴿يَتَوَفَّاهُنَّ﴾، و﴿لَهُنَّ﴾، وبذلك يتبين أن هذه الآية تتحدث عن عقوبة المرأة المحصنة بالزواج إذا وقعت في الزنا.

أما الآية الثانية: فلما بين الله-تعالى- عقوبة الثيبات أراد بيان عقوبة البكر من الجنسين: الذكور والإناث، فقال -تعالى-: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ فالمراد بالثنية: البكران: رجلاً كان أو امرأة.

وهذا هو ما صح من تفسير ابن عباس-رضي الله عنهما-، وهو قول: السدي، وزيد بن أسلم(٢)، ومقاتل بن سليمان، وسفيان الثوري، وهو ترجيح ابن جرير الطبري والواحدي(٣).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩ / ٥٣١).

(٢) هو: زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة، فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد ابن يزيد، في جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتياً في أمر، وكان ثقة، وله كتاب في (التفسير) رواه عنه ولده، (١٣٦هـ) طبقات الحفاظ (ص: ١٨)، الأعلام للزركلي (٣ / ٥٦).

(٣) تفسير الطبري، (٨ / ٨٣) الوجيز للواحدى (ص: ٢٥٦).

[٢٤] قوله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النساء: ٤٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد أوعدهم بالطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسح في اليهود قبل قيام الساعة.
وقيل: كان هذا وعيداً بشرط، فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقيين.

وقيل: أراد به القيامة، وقال مجاهد: أراد بقوله: ﴿نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي: نتركهم في الضلالة، فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أدبارها في الكفر والضلالة (١).

دراسة التساؤل: لتقرير ما ذكره البغوي-رحمه الله- من جواب يحسن بنا أن نقف على معنى الطمس في اللغة والاصطلاح، وننظر في المراد من اللفظ في سياق الآية.

قال ابن فارس: الطاء والميم والسين أصل يدل على محو الشيء ومسحه. يقال: طمست الخط، وطمست الأثر (٢).

وفي لسان العرب: طمس: الطموس: الدروس والانمحاء. وطمس الطريق ويطمس طموساً: درس وامحى أثره، والطمس: استئصال أثر الشيء (٣).

قال الراغب: الطمس: إزالة الأثر بالمحو. قال-تعالى-: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ [سورة المرسلات: ٨].

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٢٣١).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٤).

(٣) لسان العرب (٦/ ١٢٦).



وقوله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾ [سورة يونس: ٨٨]، أي: أزل صورتها.
 وقوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَيَّ أَعْيُنَهُمْ﴾ [سورة يس: ٦٦]، أي: أزلنا
 ضوأها وصورتها كما يطمس الأثر (١).
 وفسر البغوي -رحمه الله- الطمس فقال: وأصل الطمس: المحو والإفساد والتحويل،
 وقال ابن زيد: نمحو آثارهم من وجوههم ونواحيهم التي هم بها.
 وبعد هذا التقرير جاءت إجابة التساؤل عند البغوي -رحمه الله- مبنية على الخلاف
 في المراد بقوله -تعالى-: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهًا﴾ وقد اختلف فيه العلماء
 على قولين:

القول الأول: حمل اللفظ على حقيقته، وهو طمس الوجوه، فيكون المعنى:
 محو آثارها حتى تصير كالعقوى، ونجعل عيونها في ألقائها. وهذا القول مروى عن:
 ابن عباس -رضي الله عنهما-، وقتادة، وعطية العوفي (٢).
 قال ابن كثير -رحمه الله- وهذا أبلغ في العقوبة والنكال (٣).
 ورجح هذا القول من المفسرين: ابن جرير، والثعلبي، والواحدي، وأبو حيان،
 والثعالبي، والقاسمي -رحمهم الله جميعاً- (٤).
 وعلى هذا يرد التساؤل الذي أورده الإمام البغوي -رحمه الله- فأجابوا عنه بعدة
 وجوه:

الوجه الأول: هذا الوعيد باق، ويكون طمس ومسح في اليهود قبل قيام
 الساعة، قالوا ويدل على ذلك قوله -تعالى-: ﴿أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهًا﴾ ولم يقل من قبل
 أن نطمس وجوهكم، فإنه لا بد من طمس في اليهود أو مسح قبل قيام الساعة.

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٨ / ٤٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير، (٢ / ٢٨٦).

(٤) تفسير الطبري (٨ / ٤٤٣)، تفسير الثعلبي، (٣ / ٣٢٤)، التفسير الوسيط للواحدي (٢ / ٦٢)، البحر المحيط

في التفسير (٣ / ٦٦٧)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢ / ٢٤٥)، محاسن التأويل (٣ / ١٤٣).

ومما يدل على أن المراد ليس طمس وجوههم بأعيانهم، بل طمس وجوه غيرهم من أبناء جنسهم قوله -تعالى-: ﴿أَوْ نَذَرَهُمْ﴾، فذكرهم على سبيل المغيبة، ولو كان المراد أولئك المخاطبين لذكرهم على سبيل الخطاب (١).

واعترض على هذا الوجه: كيف ينصرف العذاب الموعود عن أوائلهم وهم الذين باشروا أسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكذبوها، وفي التوراة فحرفوها، وأصروا على الكفر والضلالة، وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجه بعد ما فات من السنين من أعقابهم الضالين بإضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية (٢).

الوجه الثاني: كان هذا وعيداً بشرط، فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه دفع ذلك عن الباقيين. واستدلوا بعموم الخطاب في بداية الآية حيث قال جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فهذا خطاب عام لجميع علمائهم بالإيمان، فكان التهديد بهذا الطمس مشروطاً بأن لا يأتي أحد منهم بالإيمان، وهذا الشرط لم يوجد لأنه آمن عبدالله بن سلام ر-ضي الله عنه- وجمع من أصحابه، ففات المشروط بفوات الشرط. واستدلوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال: ٢٥].

فإنه اذا جاز أن ينزل -سبحانه- البلاء على قوم بسبب عصيان بعض منهم، فمن باب أولى أن يرفع ذلك عن الكل بسبب طاعة البعض لأنه -سبحانه الرحمن الرحيم- الذي سبقت رحمته غضبه (٣).

وقد ذهب الى هذا الوجه كثير من المفسرين: منهم ابن جرير، والجصاص، والقرطبي، والزمخشري، والشوكاني، -رحمهم الله جميعاً (٤).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠ / ٩٦).

(٢) تفسير الألوسي، (٣ / ٤٩).

(٣) تفسير الألوسي، (٣ / ٤٩).

(٤) تفسير الطبري، (٨ / ٤٤٥)، أحكام القرآن للجصاص، (٣ / ١٧١)، تفسير القرطبي (٥ / ٢٤٥)، تفسير الزمخشري، (١ / ٥١٩)، فتح القدير للشوكاني (١ / ٥٤٩).



وأورد الألويسي -رحمه الله- اعتراضاً على هذا الوجه فقال: بأن إسلام البعض أن لم يكن سبباً لتأكد نزول العذاب على الباقي لتشيدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحاً، وقيام الحجة عليهم بشهادة أمثالهم العدول، فلا أقل من أن لا يكون سبباً لرفعه عنهم^(١).

الوجه الثالث: أن الوعيد في الآية بطمس الوجوه متوجه إلى يوم القيامة، واللعن في الدنيا، فإن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم، فلزم أن يكون قوله -تعالى-: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهَهَا﴾، واقعاً في الآخرة، فصار التقدير: آمنوا من قبل أن يجيء وقت نطمس فيه وجوهكم، وهو ما بعد الموت.

ومما يقوي هذا القول ويقرره قوله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ [سورة الانشقاق: ١٠]. فإنه إذا ردت الوجوه إلى القفا أوتوا الكتاب من وراء ظهورهم، لأن في تلك الجهة العيون والأفواه التي بها يدرك الكتاب ويقرأ باللسان، وهذا قول الرازي^(٢).

الوجه الرابع: أن الآية فيها الوعيد بوقوع أحد الأمرين كما ينطق به قوله -تعالى-: ﴿أَوْ نَلَعْنَهُمْ كَمَا لَعَنَّاهُمْ أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ فإن لم يقع الأمر الأول فلا نزاع في وقوع الأمر الثاني.

فكأنه -تعالى- ما جعل الوعيد هو الطمس بعينه، بل جعل الوعيد إما الطمس أو اللعن فإنه قال: ﴿أَوْ نَلَعْنَهُمْ كَمَا لَعَنَّاهُمْ أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وقد فعل أحدهما وهو اللعن وهو قوله: ﴿أَوْ نَلَعْنَهُمْ﴾.

واعترض بأن اللعن الواقع عليهم ما تداولته الألسنة وهو بمعزل من صلاحيته أن يكون حكماً لهذا الوعيد أو مزجراً عن مخالفة للعنيد، فاللعن هنا الخزي بالمسوخ وجعلهم قردة وخنازير^(٣).

(١) تفسير أبي السعود، (٢/ ١٨٦).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ٩٦).

(٣) تفسير الألويسي، (٣/ ٤٩).

القول الثاني: المراد به المجاز وليس على الحقيقة، فيكون المعنى: نظمها عن الهدى، وتركهم في الضلالة، أي نزلهم ضلالاً لا يؤمنون بعدها أبداً، فيكون المراد طمس وجه القلب، والرد عن بصائر الهدى على أديارها في الكفر والضلالة، وهذا القول مروى عن: الحسن، والضحاك، ومجاهد، والسدي^(١).

وقال به من المفسرين: الزجاج، وأبو السعود، وابن عاشور، والمراغي^(٢) - رحمهم الله جميعاً^(٣). وعلى هذا القول لا يرد التساؤل، لأنه محمول على المجاز. قال الخازن - رحمه الله - بعد حكايته هذا القول: وعلى هذا لا يرد الإشكال، إنما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة^(٤).

الترجيح:

الراجح - والعلم عند الله - ما رجحه أصحاب القول الأول: وهو حمل اللفظ على الحقيقة، لأنه الأصل، والقاعدة تقول: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^(٥).

فيكون المعنى: محو آثارها حتى تصير كالقفي، ونجعل عيونها في أفئائها، فإن المتبادر من اللفظ الحقيقة. ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر إرادتها ولا تعذر هنا^(٦).

(١) تفسير الطبري، (٤٤٢/٨)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٣٤٨ / ٢)، مفاتيح الغيب (٩٥/٥)، فتح القدير (٥٤٩/١).

(٢) هو: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من مؤلفاته "تفسير المراغي"، و"الحسبة في الإسلام"، و"الوجيز في أصول الفقه"، و"علوم البلاغة". توفي بالقاهرة سنة (١٣٧١هـ). يُنظر ترجمته في: الأعلام (٢٥٨/١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٩ / ٢)، تفسير أبي السعود، (١٨٥ / ٢)، التحرير والتنوير (٧٩ / ٥)، تفسير المراغي (٥٦ / ٥).

(٤) تفسير الخازن، (٣٨٦ / ١).

(٥) مختصر قواعد الترجيح، للحري، (١٥١).

(٦) تفسير القاسمي، (١٤٥ / ٣).



قال الطبري في توجيه ترجيحه لهذا القول: وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب: لأن الله جل ثناؤه خاطب بهذه الآية اليهود الذين وصف صفتهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الضَّالَّةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ ۗ﴾ [سورة النساء: ٤٤]. ثم حذرهم جل ثناؤه بقوله-تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا ؕ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۗ﴾ بأسه وسطوته وتعجيل عقابه لهم، إن هم لم يؤمنوا بما أمرهم بالإيمان به، ولا شك أنهم كانوا لما أمرهم بالإيمان به يومئذ كفاراً.

وإذ كان ذلك كذلك، فبين فساد قول من قال: تأويل ذلك: أن نعميها عن الحق فنردها في الضلالة. فما وجه رد من هو في الضلالة فيها؟! وإنما يرد في الشيء من كان خارجاً منه، فأما من هو فيه، فلا وجه لأن يقال: نرده فيه(١).
ويترجح من الوجوه ما رجحه الرازي-رحمه الله- في الوجه الثالث: أن الوعيد في الآية بطمس الوجه، متوجه الى يوم القيامة، واللعن في الدنيا، لأنه يسلم من المعارضة، فأن الطمس على وجوهها سيكون حقيقية في يوم القيامة، وهو ما دلت عليه الآيات.

(١) تفسير الطبري، (٨ / ٤٤٣).

[٢٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ٥٦].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف تعذب جلوداً لم تكن في الدنيا ولم تعصه؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل يعاد الجلد الأول في كل مرة، وإنما قال: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لتبدل صفتها، كما تقول: صنعت من خاتمي خاتماً غيره، فالخاتم الثاني: هو الأول إلا أن الصناعة والصفة تبدلت، وكمن يترك أخاه صحيحاً ثم بعد مرة يراه مريضاً دنفاً فيقول: أنا غير الذي عهدت، وهو عين الأول، إلا أن صفته تغيرت.

وقال السدي: يبدل الجلد جلدًا غيره من لحم الكافر ثم يعيد الجلد لحماً ثم يخرج من اللحم جلدًا آخر.

وقيل: يعذب الشخص في الجلد لا الجلد، بدليل أنه قال: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، ولم يقل: لتذوق.

وقال عبد العزيز بن يحيى: إن الله-عز وجل- يلبس أهل النار جلوداً لا تألم، فيكون زيادة عذاب عليهم، كلما احترق جلد بدلهم جلدًا غيره، كما قال-تعالى-: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرِانٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٥٠]، فالسراويل تؤلمهم وهي لا تألم (١)

دراسة التساؤل: فسر الإمام البغوي-رحمه الله- في هذا التساؤل معنى: ﴿بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بذكر ثلاثة أقوال:

القول الأول: قيل يعاد الجلد الأول في كل مرة فيكون المعنى: ﴿كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أي: بدلناهم جلوداً غير محترقة، وذلك أنها

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٢٣٨).



تعاد جديدة، والأولى كانت قد احترقت، فأعيدت غير محترقة، فلذلك قيل: ﴿غَيْرَهَا﴾ نظير ذلك قول العرب للصائغ: إذا استصاغه خاتماً من خاتم مصوغ، بتحويله عن صياغته التي هو بها، إلى صياغة أخرى: "صغ لي من هذا الخاتم خاتماً غيره"، فيكسره ويصوغ له منه خاتماً غيره، والخاتم المصوغ بالصياغة الثانية هو الأول، ولكنه لما أعيد بعد كسره خاتماً قيل: "هو غيره". قالوا: فكذلك معنى قوله -تعالى- ﴿كَمَا نَصَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لما احترقت الجلود ثم أعيدت جديدة بعد الاحتراق، قيل: "هي غيرها" على ذلك المعنى (١).

وهذا القول مروى عن ابن عباس، وابن عمر -رضي الله عنهما (٢).

قال الحسن: تبدل عليهم في اليوم سبعين ألف مرة، عافانا الله من عذابه برحمته (٣).

وممن وافق البغوي في هذا الجواب من المفسرين: السمرقندي، ومكي، والسمعاني، والنسفي، والبيضاوي، والبقاعي، وأبو السعود، والألوسي، وغيرهم -رحمهم الله جميعاً (٤).

قال الإمام أحمد بن حنبل (٥) -رحمه الله- في معرض رده على الجهمية: إن قول الله -تعالى-: ﴿بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم، وإنما

(١) تفسير الطبري (٨ / ٤٨٦)

(٢) تفسير البغوي، (٢ / ٢٣٧)، تفسير الطبري، (٨ / ٤٨٤)، تفسير ابن عطية، (٢ / ٦٩).

(٣) الطبري (٤ / ١٤٥) برقم (٩٨٤٢)، وذكره البغوي (١ / ٣٢٨)، وابن عطية (٢ / ٦٩)، وابن كثير (١ / ٥١٤)

(٤) بحر العلوم (١ / ٣١١)، الهداية الى بلوغ النهاية (٢ / ١٣٦٢)، تفسير السمعاني (١ / ٤٣٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١ / ٣٦٦) تفسير البيضاوي، (٢ / ٧٩)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥ / ٣٠٥)، تفسير أبي السعود، (٢ / ١٩١)، تفسير الألوسي، (٣ / ٥٧).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، أحد الأئمة الأربعة الأعلام، فضائله ومناقبه وخصاله لا تكاد تعد، من مصنفاته: (المسند)، و(التاريخ)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(المناسك)، توفي سنة (٢٤١هـ)، ينظر: وفيات الأعيان: (١ / ٤٧)، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى: (١ / ٤)، ومناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي: (١٢)، وسير أعلام النبلاء للذهبي، (١١ / ١٧٧).

يعني: ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بتبديلها: تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت، جددتها الله (١).

وقال الواحدي -رحمه الله-: وكما تقول للإنسان: جئنتي بغير ذلك الوجه، إذا تغيرت حالته، وهذا الوجه ذكره الزجاج وابن كيسان وابن الأنباري (٢).
قال الجصاص: وهذا القول يبني على قول من قال: إن الجلد هو بعض الإنسان وإن الإنسان هو هذا الشخص بكماله (٣).

القول الثاني: أن التبديل للجلود حقيقي، لأن الجلود ليست بمعذبة ولا معاقبة، وإنما الألم واقع على النفوس، لأنها هي التي تحس وتعرف فتبديل الجلود زيادة في عذاب النفوس. ويدل عليه قوله -تعالى-: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٤).

وذهب إلى هذا القول: الواحدي، وابن عطية، والقرطبي، أبو حيان، والشوكاني، والالوسي، والقاسمي، وابن عاشور، -رحمهم الله- جميعاً (٥).

قال القرطبي -رحمه الله-: بعد حكايته وترجيحه هذا القول: فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح، ولو أراد الجلود لقال: ليزقن العذاب (٦).

قال ابن عاشور -رحمه الله- مبيناً أن تبديل الجلود لا ينافي العدل، بأن يعذب جلدًا غيره.

إلى أن قال: وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشئ عن الجلد الأول كما أن إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها لا يوجب أن تكون أناسا غير الذين

(١) الرد على الجهمية والزندقة (ص: ٦٠).

(٢) التفسير البسيط (٦/ ٥٢٩)، معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٦٥).

(٣) أحكام القرآن للجصاص، (٣/ ١٧٢).

(٤) تفسير القرطبي (٥/ ٢٥٣).

(٥) تفسير الطبري، (٨/ ٤٨٦)، التفسير البسيط (٦/ ٦٣١)، تفسير ابن عطية، (٢/ ٦٩)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٥٣)، البحر المحيط (٣/ ٦٨)، فتحي القدير (١/ ٥٤)، تفسير الألوسي، (٣/ ٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي، (٣/ ١٧٦)، التحرير والتنوير (٥/ ٩٠).

(٦) المرجع السابق، (٥/ ٩٠).



استحقوا الثواب والعقاب لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر فقد صارت هي هي ولا سيما إذا كانت إعادتها عن إنبات من أعجاب الأذنب، حسبما ورد به الأثر، لأن الناشئ عن الشيء هو منه كالنخلة من النواة (١).

قال الجصاص: والقائلون بهذا القول: هم الذين يقولون إن الجلد ليس بعض الإنسان وكذلك اللحم والعظم وإن الإنسان هو الروح اللابس لهذا البدن (٢).

وقال ابن الجوزي-رحمه الله- بعد حكايته هذا القول: ولا يلزم على هذا أن يقال: كيف بدلت جلود إلتذت بالمعاصي بجلود ما إلتذت، لأن الجلود آلة في إيصال العذاب إليهم، كما كانت آلة في إيصال اللذة، وهم المعاقبون لا الجلود (٣).

وقال الطبري-رحمه الله- موضحاً هذا القول: إن العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو غير الجلد واللحم، وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب. وأما الجلد واللحم، فلا يألمان. قالوا: فسواء أعيد على الكافر جلده الذي كان له في الدنيا أو جلد غيره، إذ كانت الجلود غير آمة ولا معذبة، وإنما الآمة المعذبة: النفس التي تحس الألم، ويصل إليها الوجع.

قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، فغير مستحيل أن يخلق لكل كافر في النار في كل لحظة وساعة من الجلود ما لا يحصى عدده، ويحرق ذلك عليه، ليصل إلى نفسه ألم العذاب، إذ كانت الجلود لا تألم (٤).

القول الثالث: أن المراد بالجلود السراويل، واستدلوا بقوله-تعالى-:

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٥٠]، سميت جلوداً للزومها جلودهم على المجاورة، كما يقال للشيء الخاص بالإنسان: هو جلده ما بين عينيه، فإنها لما صارت لهم لباساً لا تفارق أجسامهم، جعلت لهم جلوداً، فقليل: كلما اشتعل القطران

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥ / ٩٠).

(٢) أحكام القرآن للجصاص، (٣ / ١٧٢).

(٣) تفسير ابن الجوزي، (١ / ٤٢٢).

(٤) تفسير الطبري، (٨ / ٤٨٤).

واحترق، بدلوا سراييل من قطران آخر، قالوا: وأما جلود أهل الكفر من أهل النار، فإنها لا تحترق، لأن في احتراقها إلى حال إعادتها فناءها، وفي فنائها راحتها. قالوا: وقد أخبر الله -تعالى ذكره- عنها أنهم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [سورة فاطر: ٣٦]، قالوا: وجلود الكفار أحد أجسامهم، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى ثم يعاد بعد الفناء في النار، جاز ذلك في جميع أجزائها(١).

وضعف هذا القول جمع من المفسرين منهم: الجصاص، والواحدي، والرازي، وابن جزى، وأبو حيان، وابن كثير -رحمهم الله جميعاً(٢). وقالوا: السراييل لا تطلق عليها جلوداً، فذلك ترك للظاهر، وايضاً السراييل لا توصف بالنضج، وإنما توصف بالإحراق(٣).

الترجيح:

الراجح - والله أعلم - هو القول الثاني: وهو أن النضج معناه بلوغ الغاية في الكمال؛ يعني أنها إذا نضجت من الاحتراق واحترقت فإنها تبدل جلوداً غيرها غير الأولى؛ لأن الأولى احترقت وزالت، لماذا؟ ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: الألم؛ لأن الجلد إذا احترق صار حائلاً دون بقية الجسم فلا يحسون بالنار، لكن إذا بدل بجلد آخر جديد حينئذٍ أحسوا بحر النار.

ويدل على رجحان هذا القول أمور منها:

الأول: أنه قول جمهور المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه، والنفس إليه أسكن واتباعه أولى.

الثاني: أنه الأقرب لظاهر الآية، والحمل على ظاهر الآية أولى،

(١) تفسير الطبري، (٨ / ٤٨٧).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٥٩)، التفسير البسيط (٦/٥٣١)، مفاتيح الغيب (١٠/١٠٦)، تفسير ابن جزى، (١/١٩٧)، البحر المحيط (٣/٦٨٠)، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٧).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٥٩)، التفسير البسيط (٦/٥٣١)، مفاتيح الغيب (١٠/١٠٦)،



لأن القاعدة تقول: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه (١).

الثالث: أن الأصل في التبديل: تغيير الشيء من حاله (٢).

وهذا المعنى يوافق هذا القول: بل قال القاسمي -رحمه الله-: للعلماء في التبديل وجهان: الأول: أنه تبديل حقيقي مادي. فيخلق مكانها جلود أخرى جديدة مغايرة للمحترقة.

الثاني: أنه تبديل وصفي: أي أعدنا الجلود جديدة مغايرة للمحترقة صورة. وإن كانت عينها مادة. بأن يزال عنها الاحتراق ليعود إحساسها للعذاب. فلم تبدل إلا صفتها، لا مادتها الأصلية. وفيه بعد. إذ يأباه معنى التبديل (٣).

(١) مختصر قواعد الترجيح، للحري (٥٣).

(٢) أساس البلاغة (١ / ٥٠).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي، (٣ / ١٧٦).

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنِّ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٧٨-٧٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل كيف وجه الجمع بين قوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُلُّ مَنِّ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وبين قوله -تعالى-: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: قوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُلُّ مَنِّ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: الخصب والجذب والنصر والهزيمة كلها من عند الله، وقوله: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾، أي: ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]، يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنه قرأ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ وأنا كتبتها عليك.

وقال بعضهم: هذه الآية متصلة بما قبلها، والقول فيه مضمّر تقديره: فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ (١).

دراسة التساؤل: تفسير هذه المسألة يظهر في تناول مسألة القدر، حيث يستدل بها المجرى على غيره، ممن يؤمن بالقدر، ويستعين على ذلك بإضمار القول، حتى تجري على استدلالهم في أنّ الإنسان مجبر لا مخير، فقد أجاب البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بجوابين فأما الأول: فهو الذي عليه الجمهور في باب القدر.

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٢٥٣).



وقد بسط ذلك ابن تيمية -رحمه الله- بحسن استدلال ورد قوي على المسألة ونظائرها، مما يُذكر فيه القدر ومسائله، والاستدلال بلفظ الحسنة والسيئة على الذنوب في سياقات استعمالية ليست هي المتعينة بالقصد الوضعي، وخلاصته، أن هذه الآية: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، تتنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته، فهؤلاء يقولون: الأفعال كلها من الله، وهؤلاء يقولون: الحسنة من الله والسيئة من نفسك، وفي كل موضع ما يُبين المراد باللفظ، فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال، بل هو مبين، وذلك أنه إذا قال: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ و(ما مسك) كان من فعل غيرك بك، وإذا قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ كانت من فعله؛ لأنه هو الجائي بها، فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به. وسياق الآيتين يبين ذلك؛ فإنه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم المتخلفين عنه، ولو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، أمر بالخير، ونهى عن الشر، فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون سبباً للشر، بل الشر حصل بذنوب العباد، فما أصابك من نصر، ورزق، وعافية فمن الله نعمة أنعم بها عليك، وإن كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذي هداك وأعانك ويسرك لليسرى، ومنَّ عليك بالإيمان وزينَّه في قلبك، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان (١).

قال السمعاني: واعلم أنه ليس في الآية متعلق لأهل القدر أصلاً؛ فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي؛ إذ لو كان المراد ما توهموا، لقال: ما أصبت من حسنة، فمن الله وما أصبت من سيئة؛ فلما قال: ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة؛ دل أنه أراد: ما يصيب العباد من النعم والمحن، لا في الطاعات والمعاصي (٢).

القول الثاني: قالوا: في الكلام محذوف مُقدر، تقديره: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، يقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ فيكون هذا من قولهم، والمحذوف المقدر في القرآن كثير، وهذا التقدير يحتاج إلى دليل، والإضمار هنا يتخرج على مسألة الاقتضاء عند

(١) مجموع الفتاوى، (٨/ ١١٣).

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٤٥١).

الأصوليين، وهذه الدلالة زيادة على المنصوص يشترط تقديرها؛ ليصير المنظوم مفيداً، أو موجباً للحكم، وبدونها لا يمكن إعمال المنظوم وتصحيحه(١).

واعترض على هذا القول: بأن فيه خطأ في الاستدلال بالآية، قال أبو حيان-رحمه الله-: متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار، كان أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن، لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلف، وأسوغها في لسان العرب(٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو القول الأول: إن تصبهم حسنة أي: مطر وخصب وأرزاق وعافية يقولوا هذا أكرمنا الله به، وإن تصبهم سيئة أي: جذب وقحط وفقر وأمراض، يقولوا هذه من عندك أي: من شؤمك يا محمد وشؤم ما جئت به، فقال الله-تعالى- قل لهم: كل ذلك من الله(٣).

ومعلوم أن الله-تعالى- هو الذي يأتي بالمطر والرزق ، كما أنه يأتي بالجذب والقحط والفقر والأمراض والبلايا.

قال الواحدي-رحمه الله-: وهذا القول هو اختيارنا لموافقته الآثار واللغة، ودلالة الآية الأولى على صحته، ولأن الحسنة معلوم أنها تكون بمعنى الخصب، والسيئة بمعنى الجذب، قال الله-تعالى-: ﴿وَيَبَلِّغُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. أراد: واختبرناهم بالخصب والجذب(٤).

(١) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (٣٨٨ - ٣٨٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١ / ٦١).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٦٤).

(٤) التفسير البسيط (٦ / ٦١٦).



[٢٧] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ [سورة النساء: ٨٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: فإن قيل: كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هو راجع إلى ما قبله، قيل: معناه أذاعوا به إلا قليلاً لم يفشه، عني بالقليل المؤمنين، وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، وقال: لأن علم السر إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض، وقيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً ثم قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ كلام تام.

وقيل: فضل الله: الإسلام ورحمته: القرآن، يقول لولا ذلك لاتبعت الشيطان إلا قليلاً، وهم قوم اهدتوا قبل مجيء الرسول-صلى الله عليه وسلم- ونزول القرآن، مثل زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل وجماعة سواهما^(١).

دراسة التساؤل: اختلف العلماء في مرجع هذا الاستثناء على أقوال:

القول الاول: أن الاستثناء راجع لقوله-تعالى-: ﴿أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ﴾ فعلى هذا يكون المعنى: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً لم يفشه، فعني بالقليل المؤمنين، وهذا مروى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- وابن زيد، واختاره: الكسائي، والفراء، وأبو عبيد، وابن حرب، وجماعة من النحويين، ورجحه الطبري^(٢).
 قال الطبري موجهاً ومرجحاً هذا القول: وإنما قلنا إن ذلك أولى بالصواب، لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد الأقوال التي ذكرنا، وغير جائز أن يكون من

(١) تفسير البغوي - طيبة (٢/ ٢٥٥)

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٥٧٧)

قوله- تعالى-: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ﴾ لأن من تفضل الله عليه بفضلته ورحمته،
فغير جائز أن يكون من تباع الشيطان(١).

قال الفراء: وهذا القول: أجود الوجهين لأن علم السرايا إذا ظهر علمه
المستتب وغيره، والإذاعة قد تكون في بعضهم دون بعض. فلذلك استحسنت
الاستثناء من الإذاعة(٢).

واعترض الزجاج على قول النحويين فقال: وهذا في هذا الموضع غلط من
النحويين، لأن هذا الاستنباط ليس بشيء يستخرج بنظر وتفكر، إنما هو استنباط
خبر، فالأكثر يعرف الخبر، إذا خبر به، وإنما القليل المبالغ في البلادة لا يعلم ما
يخبر به(٣).

القول الثاني: أن الاستثناء راجع الى قوله-تعالى-: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

يَسْتَبْطِنُونَهُ مِنْهُمْ﴾، قاله: الحسن، وقتادة، وابن عيينة، ومكي، الزجاج(٤).

قال الزجاج: مرجحاً هذا القول: لأن القرآن قبل أن ينزل والنبى-عليه الصلاة
والسلام-قبل أن يبعث قد كان في الناس القليل ممن لم يشاهد القرآن ولا النبى -
صلى الله عليه وسلم - مؤمناً(٥).

واعترض الرازي-رحمه الله- مقارناً بين القولين: ويمكن أن يقال: كلام الزجاج إنما
يصح لو حملنا الاستنباط على مجرد تعرف الأخبار والأراجيف، أما إذا حملناه على
الاستنباط في جميع الأحكام كما صححنا ذلك بالدليل كان الحق، كما ذكره الفراء
والمبرد(٦).

(١) المرجع السابق.

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٩)

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٤)

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٤٠٠)

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٨٤)

(٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ١٥٦).



وممن اعترض على قول الزجاج ومن معه الطبري-رحمه الله- فقال: وكذلك لا وجه لتوجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله -تعالى-: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، لأن علم ذلك إذا رد إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، فبينه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأولو الأمر منهم بعد وضوحه لهم، استوى في علم ذلك كل مستنبط حقيقته، فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم، وخصوص بعضهم بعلمه، مع استواء جميعهم في علمه (١).

القول الثالث: أن الاستثناء راجع إلى قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، ومعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه إلى الشيء البعيد عنه (٢).

قال الرازي-رحمه الله- واعلم أن هذا القول لا يتمشى إلا إذا فسرنا الفضل والرحمة بشيء خاص، وهو قول جماعة من المفسرين، أن المراد بفضل الله وبرحمته في هذه الآية إنزال القرآن وبعثة محمد-صلى الله عليه وسلم-، والتقدير: ولولا بعثة محمد-صلى الله عليه وسلم- وإنزال القرآن لا تبعتم الشيطان وكفرتم بالله إلا قليلا منكم، فإن ذلك القليل بتقدير عدم بعثة محمد-صلى الله عليه وسلم- وعدم إنزال القرآن ما كان يتبع الشيطان، وما كان يكفر بالله، وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وهم الذين كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد-صلى الله عليه وسلم (٣).

وذهب إلى هذا القول: كثير من المفسرين منهم: البيضاوي، والنيسابوري، الشوكاني، والسمين الحلبي، والقاسمي،-رحمهم الله (٤).

(١) تفسير الطبري (٨ / ٥٧٨).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠ / ١٥٦).

(٣) المرجع السابق.

(٤) تفسير البيضاوي، (٢ / ٨٧)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٢ / ٤٥٨)، فتح القدير للشوكاني (١ / ٥٦٧)،

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٤ / ٥٢) محاسن التأويل (٣ / ٢٣٧).

وهناك قول قريب من هذا القول: نسبه الرازي لأبي مسلم الأصفهاني، واستحسنه فقال: وذكر أبو مسلم، أن المراد بفضل الله وبرحمته في هذه الآية هو نصرته تعالى ومعاونته اللذان عناهما المنافقون بقولهم: ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٧٣]، فبين-تعالى- أنه لولا حصول النصر والظفر على سبيل التابع لا تبعتم الشيطان، وتركتم الدين إلا القليل منكم، وهم أهل البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم المتمكنة من أفاضل المؤمنين الذين يعلمون أنه ليس من شرط كونه حقاً حصول الدولة في الدنيا، فلأجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقاً، ولأجل تواتر الإنهزام والإنكسار يدل على كونه باطلاً، بل الأمر في كونه حقاً وباطلاً على الدليل، وهذا أصح الوجوه وأقربها إلى التحقيق (١).

وهناك أقوال أخرى أوصلها بعضهم الى عشرة أقوال.

لكن الرازي-رحمه الله- بعد ذكره لمرجع الاستثناء في هذه الآية قال: واعلم أن الوجوه لا يمكن أن تزيد على هذه الثلاثة لأن الآية متضمنة للإخبار عن هذه الأحكام الثلاثة، ويصح صرف الاستثناء إلى كل واحد منها، فثبت أن كل واحد من هذه الأقوال محتمل (٢).

وما أجمل كلام ابن عاشور-رحمه الله- في تفسيره للآية، حيث ذكر توجيهه وبيان للمعاني التي تحتملها الآية: فقال: واستثناء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من عموم الأحوال المؤذن بها لا تبعتم، أي: إلا في أحوال قليلة، فإن كان المراد من فضل الله ورحمته ما يشمل البعثة فما بعدها، فالمراد بالقليل الأحوال التي تتساق إليها النفوس في بعض الأحوال بالوازع العقلي أو العادي، وإن أريد بالفضل والرحمة النصائح والإرشاد فالمراد بالقليل ما هو معلوم من قواعد الإسلام.

ولك أن تجعله استثناء من ضمير لا تبعتم أي: إلا قليلاً منكم، فالمراد من الاتباع اتباع مثل هذه المكائد التي لا تروج على أهل الرأي من المؤمنين (٣).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠ / ١٥٦).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠ / ١٥٦).

(٣) التحرير والتنوير (٥ / ١٤٢).



وهناك قول رابع: ذكره ابن كثير - رحمه الله - عن معمر، عن قتادة: ﴿لَا تَتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: كلكم. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ خرج مخرج الاستثناء في اللفظ، وهو دليل على الجمع والإحاطة، وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحد من الضلالة، فجعل قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دليلاً على الإحاطة.

واستشهد من نصر هذا القول. بقول الطرماح بن حكيم^(١)، في مدح يزيد بن المهلب:

أشتم كثير يدى النوال ... قليل المثالب والقادحة^(٢).

قالوا: فظاهر هذا القول: وصف الممدوح بأن فيه المثالب والمعائب، ومعلوم أن معناه أنه لا مثالب فيه ولا معائب. لأن من وصف رجلاً بأن فيه معائب، وإن وصف الذي فيه من المعائب بالقلّة، فإنما ذمّه ولم يمدحه. ولكن ذلك على ما وصفنا من نفي جميع المعائب عنه. قالوا: فكذاك قوله: ﴿لَا تَتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إنما معناه: لا تتبعتم جميعكم الشيطان^(٣).

واعترض الطبري، على هذا الكلام فقال: وغير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب، سبيل، ثم من زعم أن قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دليل على الإحاطة بالجميع، فهذا خروج من تأويل أهل التأويل^(٤).

(١) هو: الطرماح بن حكيم بن الحكم ويكنى أبا نضر والطرماح الطويل القامة، شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلماً فيها، كان جده قيس بن جدر أسره ملك من ملوك جفنة، فدخل عليه حاتم طيبي، فاستوهبه. ينظر: الأغاني (٤٣ / ١٢) البيان والتبيين (ص: ٣٩)، الشعر والشعراء (ص: ١٢٧).

(٢) ديوان الطرماح (ص: ٢٥).

(٣) تفسير الطبري (٥٧٧ / ٨) تفسير ابن كثير، (٢ / ٣٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٥٧٨ / ٨).

ورجح هذا القول وحققه الإمام الشنقيطي -رحمه الله^(١).

الترجيح:

الراجح - والعلم عند الله - أنه ليس في الآية إشكال - والله الحمد - وذلك أن المراد بفضل الله هنا: الإسلام، وبرحمته: القرآن؛ وليس المراد بهما عموم الفضل والرحمة، فإنه لا أحد يمكن أن يسلم من اتباع الشيطان بدون فضل من الله ورحمة، وعلى هذا المعنى فسرها الواحدي -رحمه الله- في الوجيز، فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: الإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ القرآن، ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ممن عصم الله كالذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسول ولا كتاب نحو زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وطلاب الدين وهذا تذكير للمؤمنين بنعمة الله عليهم حتى سلموا من النفاق وما ذم به المنافقون، وطلاب الدين^(٢).

وقال صاحب الجلالين^(٣) في تفسيره: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالقرآن، ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤).

فخلاصة القول في الجواب عن هذا التساؤل: أن المستثنى، إما أن يعود إلى المتبعين أو إلى ما اتبعوا به.

فيصبح المعنى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلاً منكم.

وإما أن يكون من أعمالهم، يعني: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لاتبعتم الشيطان في كل ما تفعلون إلا قليلاً من أفعالكم.

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ٦١).

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٢٧٨).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي: أصولي، مفسر. مولده ووفاته بالقاهرة، عرفه ابن العماد بتقازاني العرب. كان مهيباً صداداً بالحق، صنف كتاباً في التفسير أتمه الجلال السيوطي. فسمي "تفسير الجلالين، توفي: (٨٦٤ هـ) شذرات الذهب، (٧/ ٣٠٣)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣٣٣).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ١١٥).



[٢٨] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ [سورة النساء: ١٣١-١٣٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلًا يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: فأى فائدة في تكرار قوله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: لكل واحد منهما وجه:

أما الأول: فمعناه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته.

وأما الثاني فيقول: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾. أي: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون وأما الثالث فيقول: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: له الملك فاتخذوه وكيلًا ولا تتوكلوا على غيره (١).

دراسة التساؤل: أجاب العلماء عن سبب التكرار في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، بجوابين:

الجواب الأول: أن المقصود بالتكرار تأكيد وتقرير معنى واحد، وذهب إلى هذا القول، الزمخشري، والقرطبي، والنسفي (٢) -رحمهم الله- واختلفوا في بيان هذا الأمر: قال مكي -رحمه الله- فائدة التكرير أنه -تعالى- نبهنا على ملكه وسعته، بعد

(١) تفسير البغوي - طيبة (٢/ ٢٩٧).

(٢) تفسير الزمخشري، (١/ ٥٧٤)، تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٩)، تفسير النسفي، (١/ ٤٠٣).

قوله تعالى - ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾. فأعلمنا أنه من سعة ملكه أن له ما في السموات وما في الأرض (١).

وذكر القرطبي -رحمه الله- أن التكرار ليتنبه العباد وينظروا ما في ملكوته وملكه وأنه غني عن العالمين.

وأجاب غيره: تقرير لما هو موجب تقواه لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعاً في خلقه غير معصي وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله (٢).

الجواب الثاني: أن المقصود بالتكرار تقرير عدة معان، لأن الدليل الواحد إذا كان دالاً على مدلولات كثيرة فإنه يحسن ذكر الدليل ليستدل به على تلك المدلولات، ثم يذكره مرة أخرى ليستدل به على الثاني، ثم يذكره ثالثاً ليستدل به على المدلول الثالث، وهذه الإعادة أحسن وأولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة، لأن عند إعادة ذكر الدليل يخطر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول، فكان العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجلى، فظهر أن هذا التكرير في غاية الحسن والكمال (٣).

وذهب الى هذا القول كثير من المفسرين منهم: الطبري، والسمعاني، والخطيب الإسكافي، وابن عطية، والراغب، والخازن، والثعالبي، والبقاعي، -رحمهم الله جميعاً (٤).

واختلفوا في المقصود بتلك المعاني على وجوه من أبرزها:

الوجه الأول: أن المقصود في الأول: هو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته، وأما الثاني: هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون وأما الثالث: له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتوكلوا على غيره.

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٢ / ١٤٩٢).

(٢) تفسير القرطبي (٥ / ٤٠٩)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١ / ٤٠٣).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١ / ٢٣٩)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥ / ٤٢٨).

(٤) تفسير الطبري، (٩ / ٢٩٧)، تفسير السمعاني (١ / ٤٨٧)، درة التنزيل وغرة التأويل، (١ / ٤١٥)، تفسير ابن

عطية، (٢ / ١٢٢)، تفسير الراغب الأصفهاني (٤ / ١٨٧)، تفسير الخازن، (١ / ٤٣٦)، تفسير الثعالبي، (٢ /

٣١٠)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥ / ٤٢٨).



وممن وافق البغوي في هذا القول: السمعاني، والخازن، والشرييني^(١).
الوجه الثاني: ما ذكره القرطبي والرازي -رحمهما الله - من أن المقصود في
الأول: أن الله -تعالى- يغني كلاً من سعته، لأن له ما في السموات وما في الأرض
فلا تنفذ خزائنه.

والمراد منه كونه -تعالى- جواداً متفضلاً، فذكر عقبيه قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. والغرض تقرير كونه واسع الجود
والكرم.

وفي الثاني: أخبر أنه غني عنكم، والمراد منه أنه -تعالى- منزه عن طاعات
المطيعين وعن ذنوب المذنبين، فلا يزداد جلاله بالطاعات، ولا ينقص بالمعاصي
والسيئات، فهو غني لذاته عن الكل.

وفي الثالث: بحفظ خلقه وتدبيره إياهم، وأنه -تعالى- قادر على الإفناء
والإيجاد، فإن عصيته هو قادر على إعدامكم وإفنائكم بالكلية^(٢).

الوجه الثالث: ما ذكره الطبري -رحمه الله- فقال: كرر ذلك، لاختلاف معنى
الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين. وذلك أن الخبر عنه في إحدى
الآيتين: ذكر حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه - وفي الأخرى: حفظ بارئه إياه،
وعلمه به وتدبيره^(٣).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- هو **الجواب الثاني:** لأن أقوال المفسرين قد استفاضت في
حمل التكرار على عدة معانٍ، والآية تحمل على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن
اهل العلم وإن كان غيره محتملاً^(٤).

(١) تفسير السمعاني (١/ ٤٨٧)، تفسير الخازن، (١/ ٤٣٦)، السراج المنير للشرييني، (١/ ٣٣٧).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٩)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١/ ٢٣٩).

(٣) تفسير الطبري، (٩/ ٢٩٧).

(٤) مختصر في قواعد التفسير، (٢٩).

وكذلك أيضاً ما ذكره الرازي-رحمه الله- أن حمل التكرار على عدة معانٍ، له فوائد متنوعة فقال: فإذا أعدته ثلاث مرات وفرعت عليه في كل مرة إثبات صفة أخرى من صفات الله-عز وجل- تنبه الذهن حينئذ لكون تخليق السموات والأرض دالاً على أسرار شريفة ومطالب جليلة، فعند ذلك يجتهد الإنسان في التفكير فيها والاستدلال بأحوالها وصفاتها على صفات الخالق-سبحانه وتعالى-(١).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١ / ٢٣٩).



[٢٩] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا

كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ [سورة النساء: ١٣٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: ما معنى قوله -تعالى- ﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ومعلوم أنه لا يغفر الشرك إن كان أول مرة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: معناه: أن الكافر إذا أسلم أول مرة ودام عليه يغفر له كفره السابق، فإن أسلم ثم كفر ثم أسلم لا يغفر له كفره السابق، الذي كان يغفر له لو دام على الإسلام^(١).

دراسة التساؤل: ذكر العلماء أقوالاً في الجواب عن هذا التساؤل منها:

القول الأول: أن الله -تعالى- يغفر للكافر إذا آمن بعد كفره، فإن كفر بعد

إيمانه، لم يغفر الله له الكفر الأول، فهو مطالب بجميع كفره، لأن التائب راجع عن

الكفر، ومن لم يتب فإنه مستمر، ويزداد كُفْرًا بعد كفر، فقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ

أَزَادُوا﴾، بمنزلة قول القائل: ثم أصروا على الكفر واستمروا على الكفر وداوموا على

الكفر، فهم كفروا بعد إسلامهم، ثم زاد كفرهم ما نقص، فهؤلاء لا تقبل توبتهم وهي

التوبة عند حضور الموت؛ لأن من تاب قبل حضور الموت فقد تاب من قريب

ورجع عن كفره فلم يزد بل نقص؛ بخلاف المصر إلى حين المعاينة فما بقي له

زمان يقع لنقص كفره فضلاً عن هدمه^(٢)، وهذا القول مروى عن: ابن عباس،

ومجاهد^(٣).

وقد وافق البغوي كثير من المفسرين منهم: الزجاج، والسمرقندي، ومكي،

والسمعاني، وابن كثير، وابن الجوزي، -رحمهم الله جميعاً^(٤).

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٣٠٠).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٦/ ٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٣١٦)، تفسير ابن أبي حاتم، (٤/ ١٠٩١).

(٤) معاني القرآن وإعراجه للزجاج (٢/ ١٢٠)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٥٠٠)، تفسير السمعي (١/

٤٩٠)، تفسير ابن كثير، (٢/ ٣٨٤)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٤٨٦).

واستدلوا بحديث ابن مسعود-رضي الله عنه قال: ((قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر))^(١).

ومن قال بعدم توبة الكافر إذا تكرر منه الكفر، فإنما ذلك في الحكم الظاهر، قال ابن تيمية-رحمه الله- والفقهاء إذا تنازعوا في قبول توبة من تكرر رده أو قبول توبة الزنديق فذاك إنما هو في الحكم الظاهر؛ لأنه لا يوثق بتوبته أما إذا قُدر أنه أخلص التوبة لله-تعالى- في الباطن فإنه يدخل في قوله-تعالى-: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٥٣]^(٢).

القول الثاني: أن المراد به أهل الكتاب الذين أقرؤا بحكم التوراة، ثم كذبوا بخلافهم إياه، ثم أقر من أقر منهم بعبسى والإنجيل، ثم كذب به بخلافه إياه، ثم كذب بمحمد -صلى الله عليه وسلم- والفرقان فإزداد بتكذيبه به كفراً على كفره، فهو إخبار أنهم سيموتون على الكفر^(٣).

وهذا القول مروى عن قتادة، ورجحه ابن جرير، والثعلبي، والواحدي^(٤). واستدلوا بالسياق، لأن الآية قبلها في قصص أهل الكتابين، أعني قوله-تعالى-: ﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة النساء: ١٣٦]، ولا دلالة تدل على أن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ منقطع معناه من معنى ما قبله، فإلحاقه بما قبله أولى، حتى تأتي دلالة دالة على انقطاعه منه^(٥).

(١) أخرجه البخاري كتاب: استتابة المرتدين، باب: إثم من أشرك بالله، (١٤/٩)، وبرقم، (٦٩٢١) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية (٧٧/١) برقم، (١٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى، (٣٠ / ١٦).

(٣) تفسير الطبري، (٣١٦ / ٩).

(٤) تفسير الطبري، (٣١٥ / ٩)، الوجيز للواحدى (ص: ٢٩٥).

(٥) المرجع السابق، (٣١٥/٩).



القول الثالث: أن الكلام خرج على الغالب المعتاد، وهو أن كل من كان كثير الانتقال من الإسلام إلى الكفر لم يكن للإسلام في قلبه وقع ولا عظم، والظاهر من حال مثل هذا الإنسان أنه يموت على الكفر، لأنه يبعد منهم كل البعد أن يخلصوا لله، ويؤمنوا إيماناً صحيحاً، فإن هذا الاضطراب منهم - تارة يدعون أنهم مؤمنون وتارة يمرقون من الإيمان ويرجعون إلى ما هو دأبهم وشأنهم من الكفر المستمر والجحود الدائم، يدل أبلغ دلالة على أنهم متلاعبون بالدين، ليست لهم نية صحيحة، ولا قصد خالص^(١).

وذهب إلى هذا القول: الزمخشري، والبيضاوي، والخازن، والشوكاني، والألوسي، والقاسمي، والسعدي، -رحمهم الله^(٢).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- هو **القول الثاني:** وإن كان جميع ما ذكر من الأجوبة له حظ من النظر، وقد قال به أئمة من أهل التفسير، ولهم أدلة على ذلك، لكن الأقرب أن المراد: أهل الكتاب الذين أقرؤا بحكم التوراة، ثم كذبوا بخلافهم إياه، ثم أقر من أقر منهم بعبسى والإنجيل، ثم كذب به بخلافه إياه، ثم كذب بمحمد - صلى الله عليه وسلم- والفرقان فإزداد بتكذيبه به كفرةً على كفره، وقد بين ابن جرير - رحمه الله- سبب ترجيحه لهذا القول بقوله: أن الآية وما قبلها في قصص أهل الكتابين، ويعني بذلك قوله -تعالى- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ولا دلالة تدل على أن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، منقطع معناه من معنى ما قبله، فالحاقه بما قبله أولى، حتى تأتي دلالة دالة على انقطاعه منه^(٣).

والترجيح بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فقد قرروا أن الأولى بالآية أن تدخل في معنى قبلها وما بعدها، إذا كانت في سياق واحد^(٤).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١/ ٢٤٥) فتح القدير للشوكاني (١/ ٦٠٦)

(٢) تفسير الزمخشري (١/ ٥٧٧)، تفسير البيضاوي، (٢/ ١٠٣)، تفسير الخازن، (١/ ٤٣٨)، فتح القدير

للشوكاني (١/ ٦٠٦)، روح المعاني (٣/ ١٦٤)، محاسن التأويل للقاسمي، (٣/ ٣٧٠).

(٣) تفسير الطبري، (٩/ ٣١٧).

(٤) تفسير الطبري، (٢/ ٨٢) مختصر قواعد الترجيح، للحربي، (٥٠).

التساؤلات في سورة المائدة

[٣٠] قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حُلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حُلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٥﴾ [سورة المائدة: ٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من أهل الشرع؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قال

الزجاج: معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين.

وقيل: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم فكأنه قال:

حلال لكم أن تطعموهم حرام عليكم أن تزوجوهم (١).

دراسة التساؤل: أجاب البغوي عن التساؤل بجوابين:

الجواب الأول: أن يكون المعنى: حلال لكم أن تطعموهم، فيكون خطاب الحل مع

المسلمين، على أن يكون معنى التحليل يعود إلى إطعامنا إياهم، لا إليهم.

قال الزجاج: لأن الحلال والحرام والفرائض بعد عقد التوحيد، إنما يعقد على أهل

الشرعية والملة، فأما الكفار فالواجب فيهم القتل إلا من أدى الجزية من أهل

الكتاب (٢).

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- في قوله -تعالى-: ﴿وَطَعَامُكُمْ حُلٌّ لَهُمْ﴾ أي:

وذبايحكم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئاً كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلالاً (٣).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ١٨).

(٢) قال محقق: معاني الزجاج، عند هذا الموضع ما يأتي: أي: الإيمان والعقيدة أولاً ثم التكليف بعد ذلك، وهؤلاء لا إيمان عندهم فليأكلوا ما يأكلون ولا حرج علينا في تقديم ذلك لهم. معاني القرآن، للزجاج (٢/ ١٥١).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٧٣).



قال القرطبي-رحمه الله- بعد حكايته هذا القول: وفي هذا دليل على أنهم مخاطبون بتفاصيل شرعنا^(١).

وقال ابن كثير-رحمه الله: ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم كما أكلتم من ذبائحهم. وهذا من باب المكافأة والمقابلة والمجازاة، ((كما ألبس النبي-صلى الله عليه وسلم- ثوبه لعبد الله بن أبي بن سلول، حين مات ودفنه فيه، قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه، فجازاه النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك بذلك))^(٢).

فأما الحديث الذي فيه: ((لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي))^(٣). فمحمول على الندب والاستحباب^(٤).

ونقول استطراداً إنه ليس في القرآن الكريم كما أنه ليس في السنة المطهر فيما يبدوا تحريم على المسلمين إطعام غير المسلمين من غير الكتابيين من طعامهم، والحكمة الملموحة في النص على تبادل الطعام بين المسلمين والكتابيين هي التأنيس وقصد حسن التواصل والتعايش بين الذين تجمعهم في العقيدة والمبادئ مصدر واحد وهو الوحي، ويبقى إطعام المسلمين لغير المسلمين من غير الكتابيين مباحاً أيضاً على اعتبار أن الأصل هو الإباحة والإطلاق ما لم يرد نص^(٥).

(١) تفسير القرطبي (٦ / ٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في: الجنائز، باب: هل يخرج الميت من القبر واللحد لعة؟ (٩٢/٢) رقم، (٦٧٦)، ونصه: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي، بعد ما أدخل حفرته. فأمر به فأخرج. فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه. فإله أعلم. وكان كسا عباسا قميصا. وقال أبو هريرة: وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان. فقال له ابن عبد الله: يا رسول الله! ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك. قال سفيان: فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع.

(٣) رواه أبو دواد في السنن، كتاب الادب، (١٠٨/٥)، برقم (٤٨٣٢) الترمذي، ابوا الزهد (٢٠١/٤) برقم (٢٣٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، سنن الدارمي، كتاب الاطعمة (١٣٠٧/٢)، والمسند (٤٣٧/١٧) برقم، (١١٣٣٧) والحديث حسن

(٤) تفسير ابن كثير، (٣ / ٤١).

(٥) التفسير الحديث (٩ / ٥١).

الجواب الثاني: إنما قال ذلك: لأنه ذكر عقبيه حكم النساء، ولم يذكر حل المسلمات لهم، فكأنه قال: حلال لكم أن تطعموهم، حرام عليكم أن تزوجوهم، فذكر الله ذلك تنبيهاً على التمييز بين النوعين.

قال الرازي: لا جرم ذكر الله -تعالى- ذلك تنبيهاً على التمييز بين النوعين. (١)

وعلى بعضهم بأن الفائدة في ذكر ذبائح المسلمين دون نسائهم، لأن ذبائح المسلمين حلال على كافة الناس من غير اشتراط الايمان، بخلاف نسائهم فإنه يشترط لحل مناكحتهم الايمان (٢).

قال البقاعي -رحمه الله- ولما كانت الطيبات أعم من المطاعم وغيرها، وكانت الحاجة إلى المناكح بعد الحاجة إلى المطاعم، وكانت المطاعم حلالاً من الجانبين والمناكح من جانب واحد قال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ أي: الحرائر (٣).

وقال سيد طنطاوي -رحمه الله- فإن إباحة الذبائح حاصلة من الجانبين، بخلاف إباحة المنكاحات فإنها في جانب واحد، إذ لا يحل لغير المسلم أن يتزوج بمسلمة، لأنه لو جاز ذلك لكان لأزواجهن الكفار ولاية شرعية عليهن، والله -تعالى- لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً شرعياً، بخلاف إباحة الطعام من الجانبين فإنها لا تستلزم محظوراً (٤).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- أن الجوابين لهما حظ من النظر، والآية تحتل المعنيين، وليس بينهما تعارض ولا تنافر، إذ القاعدة الترجيحية تقول: إذا احتمل اللفظ عدة معان، ولم يمتنع إرادة الجميع، حمل عليها (٥)، والجواب الأول أظهر في المعنى.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١ / ٢٩٤).

(٢) التفسير المظهري (٣ / ٤٠).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦ / ٢٥).

(٤) الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ١١٨٠) روائع البيان تفسير آيات الأحكام (١ / ٥٣٦).

(٥) التحرير والتنوير (١ / ٩٣)، مختصر في قواعد التفسير، (٢٩).



[٣١] قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف قال إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، وإرادة القتل والمعصية لا تجوز؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل ليس ذلك بحقيقة إرادة، ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة، وقيل: معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة، لأنها موافقة لحكم الله عز وجل، فلا يكون هذا إرادة للقتل، بل لموجب القتل من الإثم والعقاب^(١).

دراسة التساؤل: ذكر الإمام البغوي-رحمه الله- جوابين عن هذا التساؤل:

ويمكن مناقشتها في ضوء الآية والسياق وما قبلها وما بعدها، إلا أنه من المفيد أن نسوق تفسير الآية عند السلف من المفسرين، وهل استشكلوا ما استشكله غيرهم، وكيف رفعوا ذلك الإشكال حتى يجتمع لنا في ذلك ما يمكن اعتباره في مناقشة الأجوبة المحتملة المذكورة، حيث إن كثيراً من المفسرين ذهب إلى ظاهر الآية، ولم يتأولها، أو يقدر محذوفاً في نفي ما قاله هابيل.

فقد روى ابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾، قال: بقتلك إياي، ﴿وَإِثْمِكَ﴾، قال: بما كان منك قبل ذلك، وهذا مروى عن ابن عباس، وابن مسعود-رضي الله عنهما^(٢). وأخرج الطبري، عن قتادة والضحاك، مثله^(٣).

وأخرج الطستي^(٤) عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله

(١) تفسير البغوي، (٣/٤٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/١٩٨).

(٣) تفسير الطبري (١٠/٢١٦)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/٥٨).

(٤) المحدث، الثقة، المسند، أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن محمد بن مكرم البغدادي، الطستي، الوكيل. يروي عن أحمد بن عبيد الله النرسي، والحارث بن أبي أسامة ومسلم بن عيسى الصفار، وغيرهم. وله جزءان مرويان للسلفي، حدث عنه: أبو الحسن بن رزقويه، وأبو الحسين بن بشران، وعلي بن داود الرزاز، وأبو علي بن شاذان، توفي (٣٤٦هـ)، سير أعلام النبلاء للذهبي، (٣٠/٥٥). الأنساب للسمعاني (٤/٦٦)

-تعالى-: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ ، قال: ((ترجع بإثمِي وإِثْمِكَ الذي عملت فتستوجب النار، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم))^(١).

وذكر ابن جرير عدة تفاسير للآية، ثم ذكر أكثرها صواباً عنده، فقال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن تأويله: إني أريد أن تتصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾، وأما معنى: ﴿وَإِثْمِكَ﴾ فهو إثمه بغير قتله، وذلك معصيته الله جل ثناؤه في أعمال سواه.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب، لإجماع أهل التأويل عليه، لأن الله- عز ذكره- قد أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه، وإذا كان ذلك حكمه في خلقه، فغير جائز أن يكون آثام المقتول مأخوذاً بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه، دون ما ركبته قتيله^(٢).
وبناءً على ما سبق من أقوال يمكننا مقارنة الأقوال التي ساقها الإمام البغوي -رحمه الله- وناقشها:

الجواب الأول: أنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام طلباً للثواب فكأنه صار مريداً لقتله مجازاً، وإن لم يكن مريداً حقيقة.
قال الألويسي: والمعنى أني أريد باستسلامي وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمِي أي تتحملة لو بسطت يدي إليك حيث كنت السبب له، وهذا نظير ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً ((المستبان ما قالوا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم))^{(٣)(٤)}.

قال ابن المنير^(٥) في حاشيته على الكشاف: معناه: إني لا أريد أن أقتلك فأعاقب، ولما لم يكن بد من إرادة أحد الأمرين: إما إثمه بتقدير أن يدفع عن نفسه فيقتل أخاه،

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٨).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢١٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب: النهي عن السباب، (٢٠/٨) برقم (٢٥٨٧).

(٤) تفسير الألويسي، (٣/ ٢٨٤).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، ناصر الدين ابن المنير: من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولي قضاءها وخطابتها مرتين. له تصانيف، منها (تفسير) و (ديان خطب) و (تفسير



وإما إثم أخيه بتقدير، أن يستسلم وكان غير مرید للأول اضطر إلى الثاني، فلم يرد إذا إثم أخيه لعينه، وإنما أراد أن الإثم هو بالمدافعة المؤدية إلى القتل ولم تكن حينئذ مشروعة فلزم من ذلك إرادة إثم أخيه. وهذا كما يتمنى الإنسان الشهادة^(١). فالضرورة ألجأته إلى هذه الإرادة.

وقال القاسمي -رحمه الله-: إني أريد أي: باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن تبوء أي: ترجع إلى الله ملتبساً بإثمي أي: بإثم قتلي وإثمك أي: الذي كان منك قبل قتلي، أو الذي من أجله لم يتقبل قربانك فتكون أي: بالإثمين من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين^(٢).

الجواب الثاني: إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي فتكون إرادة صحيحة، لأنها موافقة لحكم الله -عز وجل- فلا يكون هذا إرادة للقتل، بل لموجب القتل من الإثم والعقاب. والمراد من السياق بيّن، وهو أن ابن آدم المقتول أراد أن يبين له اختياره في هذه المواجهة الحتمية، وأنه إن دار الأمر بين المدافعة بينهما وبين قتله، فهو يختار الأخير، والإرادة هنا اختيار بين إرادتين، فالإرادة لحصول الإثم لأخيه ليست مقصودة ابتداء، بل هي اختيار بين إرادتين لا بد من تحقق إحداها.

قال الزجاج: أن ترجع إلى الله بإثمي وإثمك، ومعنى بإثمي: بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك أي: إن قتلتي فأنا مرید ذلك^(٣).

الجواب الثالث: أن في الكلام محذوفاً، تقديره: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف (لا)، كقوله -تعالى-: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: أن لا تميد بكم^(٤)، وكقوله -تعالى-: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [سورة النساء: ١٧٦]، أي: لا تضلوا.

حديث الإسراء) على طريقة المتكلمين. و (الانتصاف من الكشاف، توفي: (٦٨٣ هـ). فوات الوفيات (١)

(١٤٩)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٢٠).

(١) تفسير الكشاف للزمخشري، (١/ ٦٢٥).

(٢) تفسير القاسمي، (٤/ ١٠٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٦٧).

(٤) فسير الطبري، (١٠/ ٢١٧).

ومنه قول امرئ القيس:

فقلت: يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي^(١).
أراد: لا أبرح.

وقد اعترض على هذا الجواب، بأنه توجيه ضعيف في المعنى، وتجويز خلاف الظاهر.

قال القرطبي: وهذا ضعيف لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل^(٢)(٣).

وهناك قول ذكره ابن الجوزي -رحمه الله- أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمك وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمك وإثمك، فحذف ذلك، وقامت (أن) مقامه، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٩٣]، أي: حب العجل، وهذا القول في تقدير الحذف يشبه القول السابق وفي معناه: يحتاج إلى تقدير وإلى قرينة في السياق، أو من خارج السياق؛ لتصح دلالة الاقتضاء، فالكلام مستقيم، وحمله على ظاهره غير متعذر إذا نُظِرَ إلى دلالة السياق.

ويُفهم من أقوال المفسرين أنهم جروا على ظاهر الآية، ولم يستشكلوا قول هابيل، ولعلَّ هذا يرجع إلى أنهم فهموا قوله -تعالى-: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ بأنه جاء على جهة الوعظ، أو التهديد والزجر حتى لا يقدم، وهو ظاهر في معناه، وما جاء في الباب من اعتزال الفتن، وأن يكون الناجي هو المتمثل لقول هابيل في الآية، ومن ذلك ما جاء في حديث أبي ذر الطويل^(٤).

(١) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي (ص: ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، (٧٩/٢) برقم (٣١٨٢) ومسلم، كتاب القسامة والقصاص، باب إثم من سن القتل، (١٣٠٣/٣) برقم (١٦٧٧).

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ١٣٧).

(٤) عن أبي ذر قال لي رسول الله: (يا أبا ذر)، قلت: لبيك وسعديك، قال: ((كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم)، قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: (عليك بمن أنت منه)، قلت: يا رسول الله، أفلا أخذ سيفي وأضعه على عاتقي، قال: (شاركت القوم إذاً)، قلت: فما تأمرني؟ قال: (تلمز بيتك)، قلت: فإن دخل علي بيتي، قال: (فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك ببوء بإثمك وإثمه))، أخرجه أبو داود في سننه



وهو ما تدل عليه عبارة ابن جرير في الإجابة على نفس التساؤل، حيث قال: فإذا كان لله -جلَّ وعزَّ- معصية، فكيف جاز أن يريد ذلك منه المقتول، ويقول: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ وقد ذكرت أن تأويل ذلك: إني أريد أن تبوء بإثم قتلي؟ فمعناه: إني أريد أن تبوء بإثم قتلي إن قتلتي؛ لأنني لا أقتلك، فإن أنت قتلتني فإني مرید أن تبوء بإثم معصيتك الله في قتلك إياي، وهو إذا قتله، فهو لا محالة باء به في حكم الله، فأرادته ذلك غير موجبة له الدخول في الخطأ^(١).

الترجيح:

الراجح- والعلم عند الله- أن إجابة التساؤل في هذه الآية لا يقوم في تقديرات الحذف أو الإضمار-لأن الأمر إذا دار بين الحذف و عدمه كان الحمل على عدمه أولى.

والأصل عدم الحذف- وسياق الآية في الحوار بين الأخوين، ووجود القرائن التي تقوم على وعظ وزجر هابيل قابيل، وتذكيره بعاقبة فعله، وما يدركه إن أقدم على هذا الجرم العظيم، كل هذا يقوي ما قاله ابن جرير-رحمه الله- من أن المقتول ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتي أردت أن تبوء بالإثم لقتلك لي، وذلك لسلامة ما قاله من المعارضة.

وقد حكى ابن جرير-رحمه الله- إجماع أهل التأويل على هذا القول، وذكر الثعلبي-رحمه الله أن هذا قول أكثر المفسرين^(٢).

أبي داود:(٤/ ١٠١) برقم (٤٢٦١)، وسنن ابن ماجه:(٢/ ١٣٠٨) برقم (٣٩٥٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه ينظر: المستدرک ، (٢/ ١٦٩).

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢١٧).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢١٧)، تفسير الثعلبي، (٤/ ٥٠).

[٣٢] قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذى بضروب من الأذى؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك. وقيل: نزلت هذه الآية بعدما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن^(١).

دراسة التساؤل: لكي يتضح الجواب عن التساؤل المذكور، لا بد من النظر في القرائن التي تعين على تحرير الجواب في رفع الإشكال، ومن ذلك الإشارة الى أن هذه الآية جاء ترتيبها ضمن آيات سورة المائدة، وسورة المائدة تعتبر من آخر ما نزل، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن همام قال: ((بال جرير، ثم توضأ، ومسح على خُفَيْهِ فقيل: تفعل هذا، فقال: نعم، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال، ثم توضأ، ومسح على خُفَيْهِ، قال الأعمش: قال إبراهيم: كان يعجبهم هذا الحديث؛ لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة))^(٢).

وقد ذكر الزرقاني^(٣) -رحمه الله- في الأقوال التي تبين آخر ما أنزل: أن آخر ما نزل سورة المائدة، واحتج صاحب هذا القول برواية للترمذي والحاكم في ذلك، عن عائشة -رضي الله عنها- ويمكن رده بأن المراد أنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام فلم تنسخ فيها أحكام^(٤).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٧٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب: المسح على الخفين، (١/ ١٥٦) برقم (٢٧٢)

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث. من كتبه: "مناهل العرفان في علوم القرآن"، و"بحث في الدعوة والإرشاد"، توفي بالقاهرة سنة: ١٣٦٧ هـ. يُنظر ترجمته في: الأعلام (٦/ ٢١٠).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٩).



وفي معنى (عصم) قال الراغب: العصم: الإمساك، والاعتصام: الاستمساك، قال -تعالى-: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [سورة هود: ٤٣]، أي: لا شيء يعصم منه، ومن قال معناه: لا معصوم، فليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم، وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان، فأيهما حصل حصل معه الآخر، والعصام: ما يعصم به، أي: يشد، وعصمة الأنبياء: حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق، قال -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١).

وبعد هذه المقدمتين نقرر ما ذكره الإمام البغوي -رحمه الله- من أقوال حيث أجاب عن هذا التساؤل بجوابين:

الجواب الأول: أن الله يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك، وأسرک، فالمراد العصمة من اغتيال المشركين، لأن ذلك هو الذي كان يهيم النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذ لو حصل ذلك لتعطل الهدى الذي كان يحبه النبي -عليه الصلاة والسلام- للناس، إذ كان حريصاً على هدايتهم.

فأما ما دون ذلك من أذى وإضرار فذلك مما نال رسول -الله صلى الله عليه وسلم- ليكون ممن أودى في الله، فقد رماه المشركون بالحجارة حتى أدموه وقد شج وجهه، وهذا يوافق ما جاء في أن أشد الناس بلاءً الأنبياء، وذلك لما يدركون من رفعة وحسن جزاء، فالعصمة بهذا الاعتبار هي الأظهر.

أما أن لا يصيبه شيء في نفسه ولا غيره فهذا لم تجر به سنة الله تعالى في أنبيائه ولا أوليائه، وهذه العصمة التي وعد بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد تكرر وعده بها في القرآن كقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧]. فقد ائتمروا به بعد موت أبي طالب، وقرروا قتله في دار الندوة، ولكن الله -تعالى- عصمه منهم، وكذلك فعل اليهود بعد الهجرة، والأدلة من السنة في هذه القضية كثيرة جداً. وهذا قول جمهور المفسرين.

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٦٩).

الجواب الثاني: أن هذه الآية نزلت بعدما شج رأسه، لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن، بدليل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧) ومعناه: أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك، كما أنه -سبحانه- لا يهديهم إلى الطريق الذي يخلص منه إلى النبي أذى على أيديهم، فقد سد الله عليهم المنافذ التي يبلغون بها ما يريدون به من أذى.

قال الثعالبي -رحمه الله-: أصحابها: أن العصمة عامة في كل مكروه، وأن الآية نزلت بعد أن شج وجهه، وكسرت ربايعيته -صلى الله عليه وسلم- (١)، وقيل: إنه أراد من القتل خاصة، والأول أصح، وقد كان -صلى الله عليه وسلم- أوتي بعض هذه العصمة بمكة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٥]، ثم كملت له العصمة بالمدينة، فعصم من الناس كلهم (٢).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- أن الجوابين معتبرين، ولكل جواب حظ من النظر، وقد قال بكل جواب جمع من المفسرين، إذ لا تعارض بينهما، والآية تحتلها. وتؤيده القاعدة التفسيرية: إذا احتمل اللفظ عدة معان، ولم يمتنع إرادة الجميع، حمل عليها (٣). وعليه: فكلا الجوابين يرفعان الإشكال والاضطراب المذكور، وكلاهما له وجه مستقل، فالأول نظر إلى معنى العصمة المقصودة، وله مقرراته. **والثاني ظاهر، ويؤيده سبب النزول الذي ذكره العلماء في ذلك، وكذا قرائن خارجية بينت انقطاع طمع أعداء الإسلام فيه.**

(١) البخاري، كتاب السير، باب: المجن ومن يترس بترس صاحبه، (٤ / ٣٨) برقم، (٢٩٠٣)، وأخرجه مسلم كتاب «الجهاد والسير»، باب غزوة أحد (٥ / ١٧٩) برقم (١٧٩١).
(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢ / ٤٠٥).
(٣) مختصر في قواعد التفسير (٢٩).



[٣٣] قول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدْ عَلَّمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: فما وجه هذا السؤال مع علم الله-عز وجل- أن عيسى-عليه السلام- لم يقله؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل هذا السؤال عنه لتوبيخ قومه وتعظيم أمر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا وكذا؟ فيما يعلم أنه لم يفعله، إعلاماً واستعظاماً لا استخباراً واستفهاماً، وأيضاً: أراد الله-عز وجل- أن يقر عيسى-عليه السلام- عن نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك^(١).

دراسة التساؤل: يمكن تحليل إجابة الإمام البغوي-رحمه الله- إلى وجهين يعدا سبباً وجواباً وهما:

الوجه الأول: أنه تثبتت لحجة عيسى-عليه السلام- على قومه ممن ادعوا ألوهيته: وهذا يدل عليه ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: ((يلقي الله عيسى حجته، والله لقاها في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال أبو هريرة: عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: فلقاه الله-تعالى-: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدْ عَلَّمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾. الآية كلها))^(٢).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ١٢١)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٥/ ٢٦٠)، برقم (٣٠٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، السنن الكبرى، للنسائي: (١٠/ ٩٠) برقم (١١٠٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم، (٢٤٥ / ٥، ٥٨٢).

فالعبرة التي ساقها الإمام البغوي-رحمه الله- هي تنقيح لعبارة المفسرين ممن ذهبوا إلى ذلك القول ومن روه.

الوجه الثاني: أنه إكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرار من عيسى بالعجز في قوله: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، وبالعبودية في قوله: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وهذه العبارة هي عبارة البغوي مُنقحة، قال: أراد الله تعالى أن يقر عيسى-عليه السلام- عن نفسه بالعبودية، فيسمع قومه، ويظهر كذبهم عليه أنه أمرهم بذلك، والبغوي-رحمه الله- ذكرها تنقيحاً لقول من سبقه من المفسرين، حيث روي عن ابن جريج-رحمه الله- في قوله-تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. قال: ((والناس يسمعون فراجه بما قد رأيت فأقرّ له بالعبودية على نفسه، فعلم من كان يقول في عيسى ما كان يقول أنه إنما كان يقول باطلاً))^(١).

وللعلماء في تفسير هذه الآية قولان:

الأول: أنه -تعالى- سأله عن ذلك توبيخاً لمن ادعى ذلك عليه، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتفريع^(٢).

قالوا: وكانت الحكمة في سؤاله عنه؛ حتى يسمع قومه إنكاره؛ لأنهم كانوا يدعون أن عيسى أمرهم باتخاذها إلهاً^(٣).

القول الثاني: أنه قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده، وبدّلوا دينهم بعده، فيكون بذلك جامعاً لإعلامه حالهم بعده، وتحذيراً له قبله^(٤).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن كلا الوجهين متقاربان، وأنهما أجزاء لعبارة البغوي-رحمه الله- في جوابه عن التساؤل في هذه الآية.

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٢٣٩).

(٢) تفسير الماوردي، (٢/ ٨٧).

(٣) تفسير السمعاني، (٢/ ٨٢).

(٤) تفسير الطبري، (١١/ ٢٣٧).



وفي هذا الجواب مقصدان: عام يظهر فيه مساءلة الرسل، ومواجهة المكذبين من هذه البشرية برسلمهم الذين كانوا يكذبونهم، ليعلن في موقف الإعلان، أن هؤلاء الرسل الكرام إنما جاءوهم من عند الله بدين الله؛ وها هم أولاء مسؤولون بين يديه - سبحانه - عن رسالاتهم وعن أقوامهم الذين كانوا من قبل يكذبون.

ومقصد خاص: يظهر فيه: توبيخ للكفرة من قوم عيسى - عليه السلام -، وتبكييت كل من نسب إلى عيسى وأمه ما ليس من حقهما ، وفضيحتهم على رؤوس الأشهاد في ذلك اليوم العصيب، لأن عيسى سينفي عن نفسه أمامهم بقوله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ وإنما هو أمرهم بعبادة الله وحده، ولا شك أن النفي بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع وادعى لقيام الحجة على من وصفوه بما هو برئ منه.

التساؤلات في سورة الأنعام

[٣٤] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتلق بهذه الآية فقال: فإن قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعاً وقد قال في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١١]، فكيف وجه الجمع؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي عن التساؤل بقوله: فقيل: المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى الملك الذي يتولى أمورهم، والله -عز وجل- مالك الكل ومتولي الأمور، وقيل: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع^(١).

دراسة التساؤل: لكي يتم لنا حل إشكال التساؤل في هذه الآية، يحسن بنا أن نذكر معنى مولى في اللغة وفي اصطلاح العرب.

قال ابن فارس: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب من ذلك الولي: القرب. يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب. وجلس مما يليني، أي يقاربنى^(٢). وفي لسان العرب: ولي: في أسماء الله -تعالى-: الولي هو الناصر، وقيل: المتولي لأمر العالم والخلائق القائم بها، ومن أسمائه -عز وجل-: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها. وقال ابن الأثير: وكان الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل.

وقيل وهي بمعنى النصرة. والمولى له مواضع في كلام العرب، يأتي بمعنى: المولى في الدين، المُعْتَق والمُعْتَق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار، وغيرها من المعاني^(٣).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ١٥٢).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٤١).

(٣) لسان العرب (١٥/ ٤٠٦ - ٤٠٧) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٥ / ٢٢٧).



قال ابن عثيمين: الولاية بالفتح: بمعنى النصرة، كما قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]، والولاية بالكسر: بمعنى الملك والسلطة (١).

وقال القرطبي: أي خالقهم ورازقهم وباعثهم ومالكهم (٢).

وقال بعض العلماء أن أصل ولي يعود إلى معنيين:

الأول: ولي بمعنى: حكم، فيكون معنى (ولي) هو حاكم، والمعاني الأخرى المخصصة له كما في إمام، وسيد، ومالك، ومعتق، ومحرم، وغيرها، تكون مرادفات للمعنى الأصلي لهذه الكلمة، ونستدل عليها من سياق الكلام.

الثاني: ولي: بمعنى تبع، فيكون معنى ولي هو تابع، والمعاني الأخرى المخصصة له كما في خادم، وعبد، والمعتق، وغيرها، تكون مرادفات للمعنى الأصلي لهذه الكلمة، ونستدل عليها من سياق الكلام.

أما تعريف الولي في الاصطلاح: فقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: وقد قيل إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد (٣).

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره: والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتباب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٦٣] أي: يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه (٤).

وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والقرب هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولي ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه سواء في جانب أولياء الله أو في جانب أولياء أعداء الله وأعداء الشيطان (٥).

(١) تفسير العثيمين: الكهف (ص: ٧٦).

(٢) تفسير القرطبي (٧ / ٧).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، (ص: ٦).

(٤) فتح القدير ((٢ / ٤٥٧).

(٥) ولاية الله والطريق إليها، لإبراهيم هلال (ص: ٧١).

وبعد هذا التقرير يتضح لنا أن البغوي-رحمه الله- أجاب عن التساؤل، بذكر إجابتين في الجمع بين الآيتين:

الإجابة الأولى: المولى في تلك الآية بمعنى: الناصر ولا ناصر للكفار، والمولى هاهنا بمعنى: الملك الذي يتولى أمورهم، والله -عز وجل- مالك الكل ومتولي الأمور على الإطلاق.

فمعنى أنه مولى المؤمنين، أي: ولاية المحبة، والتوفيق، والناصر، فالله -تعالى- مولى المؤمنين، يعني: يتولاهم بمحبته، وتوفيقه، ونصره، ولاية محبة، وتوفيق، ونصر، وأما ولايته للكفار ولاية ملك، وتصرف فيهم، ونفوذ القدرة والمشية.

وعلى هذا الجواب، فقد قسم العلماء الولاية الى قسمين:

القسم الأول: ولاية مطلقة، وهذه لله -عز وجل- لا تصلح لغيره، كالسيادة المطلقة.

وولاية الله نوعان:

النوع الأول: عامة، وهي الشاملة لكل أحد، قال-تعالى-: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ﴾، فجعل له ولاية على هؤلاء المفترين، وهذه ولاية عامة.

النوع الثاني: خاصة بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١١]. وهذه ولاية خاصة، ومقتضى السياق أن يقال: وليس مولى الكافرين، لكن قال: ﴿لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾. أي: لا هو مولى للكافرين ولا أولياؤهم الذين يتخذونهم آلهة من دون الله موالى لهم لأنهم يوم القيامة يتبرؤون منهم.

القسم الثاني: ولاية مقيدة مضافة، فهذه تكون لغير الله، ولها في اللغة معان كثيرة، منها: الناصر، والمتولي للأمر، والسيد، والعتيق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّهَّرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التحريم: ٤].



وقال -صلى الله عليه وسلم- فيما يُروى عنه: ((من كنت مولاه، فعليّ مولاه)) (١)(٢).

ولابن عثيمين -رحمه الله- في تفسيره كلام قريب من هذا حيث قال: وولاية الله نوعان؛ الأول: الولاية العامة؛ بمعنى أن يتولى شؤون عباده؛ وهذه لا تختص بالمؤمنين، كما قال -تعالى-: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس: ٣٠]. يعني الكافرين؛

والنوع الثاني: ولاية خاصة بالمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ومقتضى النوع الأول أن لله تعالى كمال السلطان، والتدبير في جميع خلقه؛ ومقتضى النوع الثاني: الرأفة.

وقد تساءل الماوردي في هذه الآية وأجاب عن تساؤله فقال: عنه جوابان: أحدهما: أنه قال هذا لأنهم دخلوا في جملة غيرهم من المؤمنين المردودين فعمهم اللفظ. والثاني: أن المولى قد يعبر به عن الناصر تارة وعن السيد أخرى، والله لا يكون ناصرًا للكافرين، وهو سيد الكافرين والمؤمنين.

قال ابن عاشور: فقوله: وأن الكافرين لا مولى لهم أفاد شيئين: أن الله لا ينصرهم، وأنه إذا لم ينصرهم فلا ناصر لهم، وأما إثبات المولى للمشركين في قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ [سورة يونس: ٢٨]. إلى قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقِّ﴾ [سورة يونس: ٣٠]. فذلك المولى بمعنى آخر، وهو معنى: المالك والرب، فلا تعارض بينهما (٣).

(١) مسند الإمام أحمد، (٨٤/١)، والترمذي: كتاب المناقب/ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

حديث (٣٧١٣) وابن ماجه حديث (١٢١)، وقد صححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٦٠٨٢).

(٢) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد (٥٨/٧).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٨٩/٢٦).

الإجابة الثانية: أراد هنا المؤمنين خاصة يردون إلى مولاهم، والكفار فيه تبع، قال أبو حيان: ومولاهم لفظ عام لأنواع الولاية التي تكون بين الله وبين عبده من الملك والنصرة والرزق والمحاسبة وغير ذلك، وفي الإضافة إشعار برحمته لهم وظاهر الإخبار بالرد إلى الله أنه يراد به البعث والرجوع إلى حكم الله وجزائه يوم القيامة ويدل عليه آخر الآية (١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **الجواب الأول:** أن معنى كونه مولى الكافرين أنه مالكمهم، والمتصرف فيهم بما شاء، وكيف شاء، فهي ولاية ملك، وتصرف، ونفوذ القدرة والمشية.

ومعنى كونه مولى المؤمنين أنه يتولاهم بمحبته، وتوفيقه. ويدل على ذلك: دلالة الآيات بمجموعها، أن الولاية العامة تكون لجميع الخلق، و منها ولاية الثواب والتوفيق والإعانة، وولاية أخرى، ملك وقهر ونفوذ ومشية.

(١) البحر المحيط في التفسير، (٤/ ٥٤٠).



التساؤلات في سورة الأعراف

[٣٥] قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا بِيَكْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: ما معنى أهلكتناها فجاءها بأسنا؟ فكيف يكون مجيء البأس بعد الهلاك؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معنى قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا.

وقيل: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنَا﴾ هو بيان قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ مثل قول القائل: أعطيتني فأحسننت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فيكون أحدهما بدلا من الآخر^(١).

دراسة التساؤل: محلُّ النزاع هو في ظاهر موضع الفاء من الكلام، وما تقضي به من معنى، حيث إن معناها المتبادر هو أن ما بعدها جاء عقب ما قبلها، وهذا بناءً على استقراء النحويين لمعاني الفاء في كلام العرب والقرآن، فجاءت هذه الآية لتخرج من القياس.

وقد ذكر ابن هشام^(٢)-رحمه الله- في معاني الفاء: فقال: وأما الفاء فللترتيب والتعقيب نحو: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [سورة عبس: ٢١]. تقتضي أيضاً التسبب، إن كان المعطوف جملة؛ نحو: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [سورة القصص: ١٥].

واعترض على الأول بقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا﴾ ونحو: ((توضأ فغسل وجهه ويديه))^(٣).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢١٤).

(٢) هو: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام أبو محمد الأنصاري المصري، جمال الدين، إمام الدنيا في النحو، من مؤلفاته: "أوضح المسالك"، و"شذور الذهب"، و"مغني اللبيب" و"قطر الندى"، توفي: ٧٦١هـ. يُنظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٣/ ٩٥)، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ٤٠٢)، وبغية الوعاة، (٢/ ٣٩٠).

(٣) البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل الوجه، (٤٠/١) برقم (١٤٠).

والجواب: أن المعنى: أردنا إهلاكها، وأراد الوضوء، وعلى الثاني: بقوله-
 تعالى:- ﴿فَجَعَلَهُ عُنَاءً أَحْوَى﴾ [سورة الأعلى: ٥]. وكثيراً ما والجواب: أن التقدير:
 فمضت مدة، ﴿فَجَعَلَهُ عُنَاءً﴾ أو: بأن الفاء نابت عن ثم كما جاء عكسه^(١).
 وذهب قوم، إلى أن الفاء قد تكون للمهلة بمعنى ثم، وجعل من ذلك قوله-
 تعالى- ﴿الْمَرْتَرَانَّ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ [سورة
 الحج: ٦٣]. وتقولت هذه الآية على أن فتصبح معطوف على محذوف، تقديره: أنبتنا
 به، فطال النبات، فتصبح. وقيل: بل هي للتعقيب، وتعقيب كل شيء بحسبه.
 وذهب الفراء إلى أن ما بعد الفاء قد يكون سابقاً، إذا كان في الكلام ما يدل
 على ذلك، كقوله -تعالى-: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾
 والبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك. وأجيب بأن معنى الآية: وكم من قرية أردنا
 إهلاكها، كقوله إذا أكلت فسم الله. وقيل الفاء في الآية عاطفة للمفصل على المجرى،
 كقوله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [سورة الواقعة: ٣٥-٣٦]. وهذا
 مما انفردت به الفاء.

وذهب بعضهم إلى أن الفاء قد تأتي، لمطلق الجمع، كالواو، وقال به
 الجرمي^(٢) في الأماكن والمطر خاصة، كقولهم: عفا مكان كذا فمكان كذا، وإن كان
 عفاؤهما في وقت واحد.

وقد اتضح، بما ذكرته من هذه الأقوال، أن ما نقله بعضهم، من الإجماع،
 على أن الفاء للتعقيب، غير صحيح^(٣).

وقال الرضي^(٤)-رحمه الله-: وقد تفيد الفاء العاطفة للجمل: كون المذكور بعدها،
 كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمونها عقب مضمون ما قبلها في

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ٣٢٣)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون
 التوضيح في النحو (٢/ ١٦٠).

(٢) هو: صالح بن إسحاق، الجرمي بالولاء، أبو عمر، فقيه، عالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة. سكن بغداد.
 له كتاب في السير، و كتاب الأبنية وغيرها، توفي: ٢٢٥هـ) ينظر ترجمته في: بغية الوعاة، (٢٦٨)، الأعلام
 للزركلي (٣/ ١٨٩).

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٦٢).

(٤) محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، نجم الدين: الإمام المشهور. العالم بالعربية، اشتهر بكتابه (الوافية
 في شرح الكافية، لابن الحاجب) في النحو، و (شرح مقدمة ابن الحاجب) وهي المسماة بالشافية، في علم



الزمان، كقوله-تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
 الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [سورة الزمر: ٧٢]، وقوله-تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنْ
 الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ [سورة الزمر: ٧٤]، فإن ذكر ذم الشيء
 أو مدحه يصح بعد جري ذكره، ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على
 المجمل، كقوله -تعالى-: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ ﴿ [سورة هود: ٤٥]،
 وتقول: أجبته فقلت لبيك، وذلك أن موضع ذكر التفصيل بعد الإجمال، ومنه قوله-
 تعالى-: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا بِيَتًا ﴿ لأن تبييت البأس
 تفصيل للإهلاك، المجمل (١).

وبعد هذا التقرير السابق لبيان معنى الفاء وتناول معنى التعقيب يظهر رعاية
 تفسير السلف على المعنى، والذي يفهم من السياق بما دلت عليه القرائن، وهذا
 ظاهر في هذه الآية وغيرها من الآيات التي قد يدخل فيها تكلف التقدير النحوي
 والإضمار، فالتفسير على المعنى والنظر في السياق والأدلة الخارجة العاضدة هو ما
 عليه معظم السلف.

وعوداً إلى ما ساقه البغوي-رحمه الله- من أجوبة على هذا التساؤل، فقد

ذكر جوابين:

الجواب الأول: قيل: معنى قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أي: حكمنا بإهلاكها فجاءها

بأسنا، وعلى هذا فالمعنى أن الإهلاك حكم واقع مقرر قبل مجيء البأس، وأن هذه
 القرى الظالمة كانت تحت حكم الإهلاك قبل أن تهلك بزمن طويل، لما كان عليه
 أهلها من ضلال، وعناد، وإفساد في الأرض، وأن الله- سبحانه وتعالى- أمهلهم،
 وبعث فيهم الرسل، مبشرين ومنذرين، فلم يلتفتوا إلى هدى الله، ولم يقبلوا على
 دعوته، بل صدوا عنه، وازدادوا كفراً إلى كفر وضلالاً إلى ضلال حتى إذا بلغ

الصرف قال السيوطي في طبقات النحاة: شرح الكافية لابن الحاجب، الشرح الذي لم يؤلف عليها، بل ولا في
 غالب كتب النحو مثله، جمعاً وتحقيقاً، وحسن تعليل، توفي سنة: ٦٨٦ هـ وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته في:
 بغية الوعاة (١/ ٥٦٧)، وشذرات الذهب (٦/ ٦٩١)، والأعلام (٦/ ٨٦).
 (١) شرح الرضي على الكافية، (٤/ ٣٨٥).

الكتاب أجله، جاءهم بأس الله، فأخذهم العذاب وهم ظالمون^(١). وعلى هذا القول يكون في الآية إضمار وتقدير.

وهذا القول انتقده ابن جرير، فقال: " إنَّ بعض أهل العربية يزعم أن في الكلام محذوفاً، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحاً، وأن معنى ذلك: وكم من قرية أهلكتها، فكان مجيء بأسنا إياها قبل إهلاكنا، هذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل، ولا من خبر يجب التسليم له^(٢).

وقال ابن عادل-رحمه الله- بعد حكايته هذا القول: وهذا ليس بشيء؛ لأن التقادير إنما تكون لأجل الحاجة، والحاجة لا تدعو إلى تقدير هذا المضاف في هذا الموضع المذكور^(٣).

الجواب الثاني: أن الهلاك والبأس يقعان معاً مثل قول القائل: أعطيتني فأحسنت إلي، لا فرق بينه وبين قوله: أحسنت إلي فأعطيتني، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله: إنما وقعا معاً، فاستجيز ذلك، وهذا قول الفراء^(٤).

وقد نقح هذا القول ووجهه ابن جرير-رحمه الله- فقال: أن يكون الإهلاك هو البأس بعينه، فيكون في ذكر الإهلاك الدلالة على ذكر مجيء البأس، وفي ذكر مجيء البأس الدلالة على ذكر الإهلاك، وإذا كان ذلك كذلك، كان سواء عند العرب بُدئ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس، أو بُدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك، وذلك كقولهم: زرتني فأكرمتني، إذ كانت الزيارة هي الكرامة، فسواء قدّم الزيارة وأخّر الكرامة، أو قدّم الكرامة وأخّر الزيارة، فقال: أكرمتني فزرتني^(٥).

وهناك جواب ثالث: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، تقديره ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ

أَهْلَكْتَهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيْتًا﴾ فأهلكناها.

(١) التفسير القرآني للقرآن، (٤/ ٣٦٧).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٠١)

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ١٤)

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧١)

(٥) تفسير الطبري، (١٢/ ٣٠١).



لكن هذا القول يخالف الأصل في أسلوب القرآن، الذي نزل بلسان العرب، حيث أن العلماء وضعوا قواعد وضوابط وأسس تضبط النظر في الأقوال المختلفة في تفسير الآية، فتعمل على تضعيف بعض الاقوال أو إبطالها، وترجح البعض. ومن هذه القواعد، قاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير^(١). فكل تقديم وتأخير في الكلام هو خلاف الأصل، ما لم يكن هناك قرينة تدل على التقديم والتأخير مشروط بعدم الإخلال بأصل المعنى وعدم اللبس على السامع. قال ابن القيم-رحمه الله- التقديم والتأخير الذي لا يخل بأصل المعنى وإن أخل بالعرض المقصود فيكون مراعاته من باب إخراج الكلام على مقتضى الحال وهذا هو الذي يتكلم عليه علماء المعاني والبيان، وهذا يقع في باب الاستفهام والنفي والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول^(٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثاني، وهو ما ذكره الفراء، وأن القرينة الصارفة قوية، وهي العادة والعقل ودلالات السياق، فكلها تُقَرُّ بأن ما بعد الفاء واقع قبل ما قبلها، فلا حاجة للتعسف بالتقدير أو الإضمار. وقد قال ابن جرير-رحمه الله- أن هذا التأويل صحيح واضح المنهج. وقال النيسابوري بعد حكايته هذا القول: وهذا كلام صحيح^(٣).

(١) مختصر قواعد الترجيح، للحري، (١٧٧).

(٢) الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/٧١٧).

(٣) تفسير النيسابوري، (٣/٢٠٠).

[٣٦] قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد قال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد كقوله: [يا أيها الرسل]، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم، ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل جمعه: لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها^(١).

دراسة التساؤل: لكي يتم لنا معرفة وجه الإشكال في الآية، والوصول إلى الإجابة الصائبة، يحسن بنا أن نذكر معنى كلمة الوزن في اللغة والاصطلاح التي دار عليها الخلاف.

(الوزن): قال الخليل: والوزن: ثقل شيء بشيء مثله، كأوزان الدراهم، ويقال: وزن الشيء إذا قدره، ووزن ثمر النخل إذا خرصه^(٢).

وقال الجوهري^(٣) -رحمه الله- وأصله موزان، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها. وقام ميزان النهار، أي انتصف. ووزنت الشيء وزناً وزنةً، ويقال: وزنت فلاناً ووزنت لفلان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة المطففين: ٣]، وهذا يزن درهماً^(٤).

وقال الراغب -رحمه الله- الوزن: معرفة قدر الشيء، يقال: وزنته وزناً وزنةً، والمتعارف في الوزن عند العامة: ما يُقَدَّر بالقسط، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الرحمن: ٩]. إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢١٦).

(٢) العين (٧/ ٣٨٦).

(٣) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي اللغوي، أحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنةً وعلمًا، أول من حاول (الطيران)، ومات في سبيله، أشهر كتبه "الصاحح" في اللغة. توفي: (٣٩٣هـ)، يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠)، وشذرات الذهب (٤/ ٤٩٧).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٦/ ٢٢١٣).



والأقوال، وذكر القرآن في مواضع الميزان بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، وفي مواضع بالجمع اعتباراً بالمحاسبين^(١).

وساق ابن منظور نقولات تبين المعنى اللغوي، وموضع الأخبار من بيانه، فقال: وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه: موازين، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧]. يريد: نضع الميزان القسط... قال الزجاج: اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة، فجاء في التفسير أنه ميزان له كفتان، وأن الميزان أنزل في الدنيا؛ ليتعامل الناس بالعدل، وتوزن به الأعمال^(٢).

وقال ابن سيده^(٣) - رحمه الله -: وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ إلا أن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يُقبل ذلك^(٤).

وأما المراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي فهو الميزان الذي أخبر الله - تعالى - عنه في كثير من آيات القرآن الكريم.

وأخبر عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة، تنويهاً بعظم شأنه وخطورة أمره.

وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد، خيرها وشرها، و قد أخبر الله تعالى عنه في القرآن الكريم إخباراً مجملاً من غير تفصيل لحقيقته، و جاءت السنة النبوية فيبينته^(٥).

ومما جاء في السنة - لكنه بلفظ المفرد - وهو الأوفق لمعنى العدل، ما جاء في الصحيح، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٦٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٩٤).

(٣) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، إمام في اللغة وآدابها، كان ضريباً ابن ضريب، من مصنفاته: "المخصص" و "المحكم والمحيط الأعظم" و "شرح ما أشكل من شعر المتنبي"، توفي سنة ٤٥٨ هـ. يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٤٤)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/ ٦٣)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣).

(٤) لسان العرب (١٣/ ٤٤٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ١٠٩).

(٥) الحياة الآخرة لغالب عواجي، (٢/ ١٠٨٥).

وسلم - : ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)) (١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ما يبكيك، قالت: ذكرت النار فبكيك، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب)) (٢).

وفي حديث البطاقة المشهور: فتخرج له بطاقة فيها ((أشهد أن لا إله الا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضره، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة)) (٣).

وظاهر هذه الأخبار أن الميزان شيء يُدرَك بالحواس والمشاهدة، فليس تمثيلاً، وإنما جسم له صفته السابقة الذكر، وقد ذكر البغوي - رحمه الله - أقوالاً للمفسرين في تفسير هذه الآية، وحاصل هذه الأقوال ترجع إلى قولين:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح: (٨ / ٨٦) برقم (٦٤٠٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم ،باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤ / ٢٠٧٢) برقم (٢٦٩٤) .
(٢) رواه أبو داود في السنة باب في ذكر الميزان: (٤ / ٢٤١) برقم (٤٧٥٥)، وقال الحاكم في مستدركه: (٤ / ٦٢٢)، هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل، وهو صبي منزل عائشة - رضي الله عنها - وأم سلمة وأقره الذهبي ، وللحديث طريق آخر رواه أحمد (٦/١١٠) من طريق ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٥٩) عند أبي داود طرف منه رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٥ / ٢٥)، برقم (٢٦٣٩) وقال حديث حسن غريب ، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة: (٢ / ١٤٣٧) برقم (٤٣٠٠)، وأحمد في المسند (١١ / ٥٧١)، برقم (٦٩٩٤)، قال الحاكم في مستدركه: (١ / ٤٦) هذا حديث صحيح، لم يُخرَج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان في الزهد، باب في الخوف والرجاء برقم (٢٥٢٣) ص (٦٢٥) ، وأقره الألباني في صحيح الجامع الصغير - حديث رقم، (٧٩٥١).



القول الأول: القائلون بوحدة الميزان، وأنه يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد.

قال ابن كثير -رحمه الله- الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه^(١).

وأجابوا عن جمع كلمة (الموازن) في الآية: إلى أن الميزان واحد، وأن الجمع في الآية إنما هو باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص.

قال الفيروزآبادي^(٢) -رحمه الله-: وذكر في مواضع الميزان بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، وفي مواضع بالجمع اعتباراً بالمحاسبين^(٣).

وقد رجَّح ابن حجر^(٤) العسقلاني -رحمه الله تعالى- بعد حكايته الخلاف أن الميزان واحد، وقال: "والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا^(٥)."

وحسّن السفاريني^(٦) -رحمه الله- القول بوحدة الميزان بعد ذكر الإجابة عن جمع كلمة (الموازن) في الآية بقوله: إنما جمع الموازن في الآية لكثرة من توزن أعمالهم، وهو حسن^(١). وهذا قول جمهور المفسرين^(٢).

(١) تفسير ابن كثير، (٥ / ٣٤٥).

(٢) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، إمام عصره في اللغة، له مصنفات كثيرة، منها "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، و"القاموس المحيط" توفي سنة: (٨١٧هـ)، يُنظر ترجمته في: الضوء اللامع (١٠/٧٩)، وشذرات الذهب (٩/١٨٦)، والأعلام للزركلي (٧/١٤٦).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥ / ٢٠٧).

(٤) هو: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر، الكنايني العسقلاني، الشافعي، من أئمة العلم والتاريخ، وأمير المؤمنين في الحديث، صاحب المصنفات القيمة، أشهرها "فتح الباري شرح البخاري"، و"تهذيب التهذيب"، و"لسان الميزان"، و"الإصابة في تمييز الصحابة"، و"الدرر الكامنة"، و"التلخيص الحبير" وغيرها، توفي سنة: (٨٥٢هـ)، يُنظر ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي (٢/٣٦)، وشذرات الذهب (١/٧٤)، والأعلام (١/١٧٨).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، (١٣ / ٥٣٨).

(٦) هو: محمد بن أحمد بن سالم أبو سليمان، أبو العون، السفاريني، النابلسي، الحنبلي، المعروف بالسفاريني. محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، مشارك في العلوم، من تصانيفه: "اللمعة في فضائل الجمعة"، و"الدرر

ورجح هذا القول من المعاصرين، ابن عثيمين -رحمه الله- حيث قال: والذي يظهر -والله أعلم- أن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون^(٣).

القول الثاني: القائلون بتعدد الميزان، وأنه لا يوجد في يوم الآخرة ميزان واحد لجميع البشر، ولا ميزان واحد لجميع الأعمال، بل ثمة أعداد هائلة من الموازين، لا يعلم عددها وماهيتها سوى الله تعالى. قال الحسن فيما روي عنه: بلغني أن لكل أحد يوم القيامة ميزاناً على حدة^(٤).

قال الرازي -رحمه الله- الأظهر إثبات موازين في يوم القيامة لا ميزان واحد والدليل عليه قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾. وقال في هذه الآية: فمن ثقلت موازينه وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر^(٥). وقال الشوكاني: وظاهر جمع الموازين المضافة إلى العامل أن لكل واحد من العاملين موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله^(٦).

وقال الشنقيطي: وظاهر القرآن تعدد الموازين لكل شخص؛ لقوله: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فظاهر القرآن يدل على أن للعامل الواحد موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله. والقاعدة المقررة في الأصول: أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه^(٧).

وقد رد ابن عطية على القول فقال: وهذا قول مردود الناس على خلافه، وإنما لكل أحد وزن يختص به والميزان واحد، إذ في الميزان موزونات كثيرة فكأنه أراد التنبيه عليها بجمعه لفظ الميزان^(١).

المصنوعات في الأحاديث الموضوعات"، و"البحر الزاخر في علوم الآخرة" و"كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام" توفي سنة (١١٨٨هـ)، ينظر ترجمته في: الأعلام (٦/ ١٤)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٦٢).

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٦).

(٢) تفسير المنار (٨/ ٢٨٣).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ١٣٩).

(٤) تفسير ابن عطية، (٢/ ٣٧٦).

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤/ ٢٠٣).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢١٧).

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ١٥٩).



وأصحاب هذا القول اختلفوا في سبب الجمع على أقوال أهمها:

السبب الأول: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٥]، ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٢٣]، وإنما هو رسول واحد في أحد التأويلين. وكما تقول: خرج إلى البصرة في السفن، وخرج إلى مكة على البغال. فالميزان واحد لا أكثر، وإنما جاء بصيغة الجمع لبيان عظمة الميزان وأهميته^(٢).

السبب الثاني: احتمل بعض المفسرين أن يكون لكل إنسان، أو لكل أمة، أو لكل عمل ميزانا، فالصلاة مثلا توزن بميزان، وكذلك الصيام والحج والزكاة والجهاد أي لكل واحد منها ميزان خاص.

السبب الثالث: أن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها.

قال الزجاج: إنما جمع الله الموازين هاهنا فقال: فمن ثقلت موازينه ولم يقل ميزانه لوجهين: **الأول:** أن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فيقولون: خرج فلان إلى مكة على البغال.

والثاني: أن المراد من الموازين هاهنا جمع موزون لا جمع ميزان وأراد بالموازين الأعمال الموزونة^(٣).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجمع بين الآثار الواردة في ذلك، بأن يكون ذلك كله صحيح، ويحتمل كل ذلك، فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها.

والقاعدة الترجيحية تقول: إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجمع، حمل عليها^(٤). ولذا ينبغي لنا أن نثبت أن هناك ميزان، أو موازين كما نطق به القرآن، ولم نكلف البحث عما وراء ذلك من الأمور.

(١) تفسير ابن عطية، (٢/ ٣٧٦).

(٢) التفسير البسيط (٩/ ٢٦).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤/ ٢٠٣).

(٤) قواعد التفسير: (٢/ ٨٠٧).

[٣٧] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَبِيتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف علم الخبيث ذلك؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: قاله ظناً

فأصاب، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سورة سبأ: ٢٠] (١).

دراسة التساؤل: فسر ابن جرير -رحمه الله- قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ فإنه يقول: ولا تجد - يا رب - أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك التي أنعمت عليهم، كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به، من إسجارك له ملائكتك، وتفضيلك إياه علي وشكرهم إياه، طاعتهم له بالإقرار بتوحيده، واتباع أمره ونهيه (٢).

وقال السمين الحلبي: وهذه الجملة تحتل وجهين أحدهما: أن تكون استئنافية والثانية: أن تكون داخلة في حيز ما قبلها في جواب القسم، فتكون معطوفة على قوله ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ (٣).

وقد تساءل البغوي -رحمه الله- وأجاب على هذا تساؤله بقوله: بأن إبليس قال ذلك الجملة على سبيل الظن لا العلم اليقيني، لأنه كان عازماً على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات وعلم أنها أشياء يرغب فيها، فغلب على ظنه أنهم يقبلون قوله فيها على سبيل الأكثر والأغلب.

ويؤكد هذا القول بقوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

والعجب أن إبليس قال للحق -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ فقال الحق ما يطابق ذلك، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (٤).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢١٨).

(٢) تفسير الطبري، (١٢/ ٣٤٢).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٥/ ٢٧٠).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤/ ٢١٦).



وكان سبب ظنه أنه لما أغوى آدم واستزله وتسبب في إهباط آدم-عليه السلام- من الجنة ومعه حواء، وهبط إبليس، قال إبليس أما إذ أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ظناً من إبليس لعنه الله^(١).
قال النحاس-رحمه الله-: ويروى أنه قال قد أعويت فيه آدم على موضعه وعلمه فأنا على ولده أقدر^(٢).

وهذا مروى عن الحسن^(٣)-رحمه الله-وممن وافق البغوي من المفسرين: السمرقندي، ومكي، والسمعاني، وابن عطية، والماوردي، والرازي، وابن كثير،-رحمهم الله جميعاً^(٤).

ومن الأجوبة عن هذا التساؤل:

الجواب الثاني: أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله^(٥).

وهذا القول لا دليل عليه، وما جاء في قصة السجود لآدم-عليه السلام- يشير إلى أن الملائكة تنكرت لإبليس وما أتاه من عصيان، فهم أشدّ عداءً له، إلا أنه قد يُفهم من قول الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، أن إبليس كان قبل الأمر بالسجود على علم بما يؤول إليه أمر بني آدم، فطمع فيما يتوقعه من إغواء، وأنه سيدرك بإغوائه قدرًا من الخلق بما ظهر له، وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه جزم في موضع تجوُّز لا تفي بإثباته الأدلة.

الجواب الثالث: خبر وعلم أن سعايته تفعل ذلك ظناً منه وتوهماً في خلقه آدم، حين رأى خلقته من أشياء مختلفة فعلم أنه ستكون لهم شيم تقتضي طاعته كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك^(٦).

(١) تفسير الماوردي، (٤/ ٤٤٧).

(٢) معاني القرآن للنحاس، (٥/ ٤١٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٤٥٣).

(٤) تفسير السمرقندي، (١/ ٥٠٦)، الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٢٣٠٧)، تفسير السمعاني (٢/ ١٧٠)، تفسير

ابن عطية، (٢/ ٣٨١) النكت والعيون (٢/ ٢٠٧)، مفاتيح الغيب (٤/ ٢١٥)، تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٩٥).

(٥) تفسير الماوردي، (٢/ ٢٠٧).

(٦) تفسير ابن عطية، (٢/ ٣٨١).

ومما يقوي هذا القول: حديث أنس مرفوعاً: ((لما صور الله تعالى آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر إليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك، وفي رواية: لما صور الله تبارك و تعالى آدم تركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر إليه، فلما رآه أجوف، قال: ظفرت به خلق لا يتمالك)) (١).

قال النووي-رحمه الله- فلما رآه أجوف، علم أنه خلق خلقاً لا يتمالك، والأجوف صاحب الجوف، وقيل هو الذي داخله خال، ومعنى لا يتمالك، أي: لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب والمراد جنس بني آدم (٢).

فعل ما رآه إبليس من صفة خلق آدم-عليه السلام- حيث خلق أجوفاً و بالتالي فهو لا يتمالك، والمقصود بالطبع كما قال الإمام النووي-رحمه الله- جنس بني آدم، هو الذي جعله يعلم أن أكثر بني آدم لن يتمالكوا أمام الشهوات و المغريات و يتقلوا على الطاعات و القربات، وبالتالي يقل شكرهم لله-تعالى- و يكثر كفرهم و فجورهم.

وقد تساءل ابن الجوزي-رحمه الله- بما تساءل به البغوي، وقال: فعنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أنه ظن ذلك، فتحقق ظنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قاله الحسن، وابن زيد.

والثاني: أن المعنى: لأحرصن ولأجتهدن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب، قاله ابن الأنباري.

والثالث: أن من الجائز أن يكون علم من جهة الملائكة بخبر من الله - تعالى- أن أكثر الخلق لا يشكرون، ذكره الماوردي (٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك: ٤ / ٢٠١٦، برقم (٢٦١١)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٦٤)

(٣) زاد المسير في علم التفسير (١ / ٤٧٤)



الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن إبليس قاله على وجه الظن لا اليقين، و شاء الله تعالى أن يصدق ظنه كما في سورة سبأ، لما رأى أن للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وإنها بأسرها تدعو النفس إلى عالم الجسم وأن ليس هناك ما يدعو إلى عالم الأرواح إلا قوة واحدة وهي العقل وما يصنع واحد مع متعدد(١).

وظن إبليس مبني على معطيات سابقة:

أولها: تجربته السابقة في إغواء آدم وزوجته، وغلب على ظنه أنه إذا خلاص إلى الأبوين فالذرية أضف.

ثانيها: اعتماده على ما عنده من إمكانيات في الإغواء.

ثالثها: معرفته لخلق آدم-عليه السلام- وما ركب في من شهوات وحسد وغيرها.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١٦ / ١٤)، تفسير الألوسي، (٤ / ٣٣٦).

[٣٨] قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف خاطبهم بقوله لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بعدما هلكوا بالرجفة؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: كما خاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القليب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون))^(١).

وقيل: خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم، وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة^(٢).

دراسة التساؤل: معنى الآية إجمالاً، أن الله -جل ثناؤه- أخبر عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فقال: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ صالح، وقال لقومه ثمود ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ وأدبت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربي من أمره ونهيه ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾، في أدائي رسالة الله إليكم، في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ لكم في الله، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم، الصادين لكم عن شهوات أنفسكم^(٣).

والفاء في هذه الآية عاطفة وتدل على التعقيب، فدل على أنه حصل هذا التولي بعد جنومهم وموتهم.

(١) البخاري، باب قتل أبي جهل، (٧٧/٥) برقم (٣٩٧٨)، ومسلم كتاب الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، (٤٤/٣) برقم (٩٣٢)
(٢) تفسير البغوي، (٣/٢٤٨).
(٣) تفسير الطبري (١٢/٥٤٧).



وقد جاءت إجابة البغوي-رحمه الله- متعددة في هذا التساؤل وهي كالتالي:
الجواب الأول: قيل: كما خاطب النبي-صلى الله عليه وسلم- الكفار من قتلى بدر حين ألقاهم في القلب، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقد وقع مثل هذا من نبينا-صلى الله عليه وسلم- كما ثبت في الصحيحين.

فلا مانع من أن يكون توبيخ صالح لقومه بعد الموت كتوبيخ النبي-صلى الله عليه وسلم- للكفرة أصحاب القلب يوم بدر، وهذا ظاهر القرآن؛ لأنه رتب ﴿فَتَوَلَّى﴾ على قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاشِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٨]. ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ والله لقد أبلغتكم رسالة ربي ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾، نصحا خالصاً غير مشوب بغش بحقيقة، حذرتكم نعم الله ﴿وَلَكِنْ﴾ ولكنكم والعياذ بالله ﴿لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ بل تكرهون من ينصح لكم وتعصون أمره، وإذا فقد وجدتم غب ذلك ونتيجته والعياذ بالله^(١).

الجواب الثاني: أن صالح-عليه السلام- خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم، فيكون على سبيل التحزن والتحسر كما تخاطب الديار والأطلال.

قال الزمخشري-رحمه الله- فإن قلت: كيف صح خطاب الموتى وقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾؟ قلت: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة: يا أخي، كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني؟ وقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ حكاية حال ماضية، وبه قال النيسابوري^(٢).

وذكر بعض المفسرين فائدة هذا الخطاب فقال: إما لأن يسمعه الحي فيعتبر به وينزجر عن مثل تلك الطريقة، وإما لإحراق قلبه بسبب تلك الواقعة، فإذا ذكر ذلك الكلام فرجت تلك القضية من قلبه^(٣).

الجواب الثالث: أن في الآية تقديم وتأخير تقديرها: فتولى عنهم، وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة.

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٥٣٤)

(٢) تفسير الزمخشري، (٢/ ١٢٤)، تفسير النيسابوري، (٣/ ٢٧٥).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٢٠٢).

قال السمرقندي-رحمه الله- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فيه تقديم وتأخير أي: حين كذبوه خرج من بين أظهرهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم أي دعوتكم إلى التوبة وحذرتكم العذاب^(١).

فعلى هذا القول: يدل على أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم وقال: ﴿يَقَوْمٌ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾ وهذا الخطاب لا يليق إلا بالأحياء.

وأجيب على هذا القول بأنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخاً وتقريعاً كما خاطب النبي-صلى الله عليه وسلم- الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم بأسمائهم كما جاء في الصحيح. قال ابن عطية-رحمه الله- وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر^(٢).

وقال ابن حيان: وقوله حسن، إذ التقديم والتأخير مما يختصان بالضرورة^(٣). وقال الألويسي-رحمه الله- معترضاً على هذا القول: وهذا القول من أبعد الأقوال لأنه خلاف الظاهر^(٤).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن صالح-عليه السلام- خاطبهم وهم موتى بعد هلاكهم تقريعاً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك، كما ثبت في الصحيحين، وفي السيرة أنه-عليه الصلاة والسلام- قال لهم: ((بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتُموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم))^(٥).

قال ابن عطية-رحمه الله- وهذا القول: هو الذي يحتمله لفظ الآية، وهذا هو ظاهر القرآن، الذي لا يجوز العدول عنه إلا لأمر يجب الرجوع إليه^(٦).

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ٥٢٩).

(٢) تفسير ابن عطية، (٢/ ٤٢٤).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٧٤).

(٤) تفسير الألويسي، (٤/ ٤٠٤).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦٣٩).

(٦) تفسير ابن عطية، (٢/ ٤٢٤)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٥٣٤).



[٣٩] قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: "قد جاءتكم بينة من ربكم" ولم تكن لهم آية؟.

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: قد كانت لهم آية

إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات المذكورة في القرآن. وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب (١).

دراسة التساؤل: أجاب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل في هذه الآية، وقد

ذكر جوابين في ذلك هما:

الجواب الأول: أن قوم شعيب-عليه السلام- قد كانت لهم آية إلا أنها لم

تذكر، لأن قد هنا حرف تحقيق لمجيء البينة، ولا شك أن المراد بالبينة في هذه الآية المعجزة التي تثبت صدق شعيب-عليه السلام- وتوجب الإيمان بما جاء به، وقد ذكرها الله هنا، على سبيل الإجمال، لم تأت مفصلة في القرآن، وإنما جاءت مجملة، كما أن أكثر معجزات نبينا-صلى الله عليه وسلم- لم تأت مفصلة في القرآن، وإنما وردت في السنة.

ولذا وجب أن كل نبي جاء بمعجزة، كما أخبرنا بذلك ربنا في كتابه، أن

رسله مصحوبون بالمعجزات كما في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾
[سورة التغابن: ٦]. ونحو ذلك من الآيات.

فيكون معنى الآية: جاءكم علي يدي معجزة واضحة مبدأ مجيئها كائن من

ربكم، وذهب الى هذا القول جمهور المفسرين.

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢٥٦).

الجواب الثاني: أراد بالبينة مجيء شعيب-عليه السلام- فتكون نفسه بينة وحجة لقومه.

قال الواحدي-رحمه الله-: قال بعض أهل التفسير: البينة شعيب، ومعناه: قد جئتم بالرسالة، ومجيء البينة ها هنا مجيء شعيب-عليه السلام-. وبهذا قال الفراء، فإنه قال: لم يكن له آية إلا النبوة^(١).

واعترض هذا القول الزجاج-رحمه الله- بقوله: قال بعض النحويين؛ لم يكن لشعيب آية إلا النبوة، وهذا غلط فاحش.

قال-تعالى-: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ فجاء بالفاء جواباً للجزاء، فكيف يقول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ولم يكن له آية إلا النبوة، فإن كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها.

وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادعى مدع النبوة بغير آية لم تقبل منه، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بينة، إلا أن الله جل ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لا يقال: لا آية له، وآيات محمد-صلى الله عليه وسلم- لم تذكر كلها في القرآن ولا أكثرها^(٢). وأيد هذا القول الثعلبي^(٣).

ومن الأجوبة عن هذا التساؤل أيضاً:

الجواب الثالث: أن شعيب-عليه السلام- كانت له معجزات منها: ما روى من محاربة عصى موسى-عليه السلام- التين حين دفع إليه غنمه، وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها، ووقوع عصى آدم-عليه السلام- على يده في المرات السبع، وغير ذلك من الآيات، وهذا قول الزمخشري^(٤).

(١) التفسير البسيط (٩/ ٢٢٥)، معاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٥٣).

(٣) تفسير الثعلبي، (٤/ ٢٦٠).

(٤) تفسير الزمخشري، (٢/ ١٢٧).



واعترض على قول الزمخشري، البيضاوي-رحمه الله- فقال: وهذه الرواية متأخرة عن هذه المقالة^(١).

قال ابن عجيبة-رحمه الله-: بعد حكايته قول الزمخشري: وفيه نظر لأن هذا وقعت بعد مقالته لقومه، وإنما كانت إرهاصات لموسى عليه السلام^(٢).

الجواب الرابع: أراد بالبينة الموعظة، قالوا: كان شعيب نبياً ولم تكن له بينة، والبينة هنا الموعظة. وهذا مروى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال عطاء عن ابن عباس: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد موعظة^(٣).

ولعل الموعظة هي قوله -تعالى-: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ يعني

فأتموا الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم، ذكره الخازن^(٤).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **الجواب الأول:** أن المراد من البينة هنا المعجزة، ولم تذكر في القرآن، كما لم يذكر في القرآن كثير من معجزات رسولنا-عليه الصلاة والسلام-، لكن قد صرح النبي-صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح أن كل نبي مرسل قد أعطاه الله من الآيات الدالة على صدقه وصحة دعوته ما شأنه أن يؤمن البشر بدلالة مثله، فقال عليه الصلاة والسلام- من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- ((ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة))^(٥).
قال ابن حجر-رحمه الله- وهذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقته، ولا يضره من أصر على المعاندة^(٦).

(١) تفسير البيضاوي، (٣ / ٢٣).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢ / ٢٣٨).

(٣) التفسير البسيط (٩ / ٢٢٥).

(٤) تفسير الخازن، (٢ / ٢٢٦).

(٥) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، (٦ / ١٨٢) برقم (٤٩٨١)، مسلم، كتاب الايمان،

باب: وجوب الايمان رسالة النبي، (١ / ٩٢) برقم (١٥٢).

(٦) فتح الباري، (٩ / ٦)، فتح الباري لابن حجر (٤ / ١٨٦).

[٤٠] قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٧].
نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: أليس قال في موضع: ﴿كَانَهَا جَانٌّ﴾ [سورة النمل: ١٠]، والجان الحية
الصغيرة؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: إنها كانت
كالجان في الحركة والخفة، وهي في جنتها حية عظيمة^(١).

دراسة التساؤل: في قصة موسى -عليه السلام- وصف القرآن الكريم عصى
موسى -عليه السلام- بثلاثة أوصاف وكل وصف جاء مناسباً لسياق السورة الذي ورد
فيها، وقد استعملت هذه الكلمات الثلاث في ذكر معجزة من معجزات موسى -عليه
السلام- حيث انقلبت عصاه حية، وهذه الأوصاف هي:

الوصف الأول: حية: كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَى﴾
[سورة طه: ٢٠]. والحية: مؤنث حيّ وجمعها حيات وحيوات، وهي: جنس الحيوان
المعروف، يطلق على الذكر والأنثى، مشتق من الحياة؛ لطول حياته^(٢). قال في
عمدة القارئ: الحيات أجناس الجان والأفاعي والأساود^(٣).

الوصف الثاني: الثعبان: هو الحية الضخم الطويل؛ وأصل مادة "ث ع ب"
الدلالة على امتداد الشيء وانبساطه، فسُمي الثعبان بهذا الاسم نظراً لضخامته
وامتداده خلْقاً وحركة^(٤).

الوصف الثالث: الجان: وهو نوع من الحيات دقيق الحجم خفيف الحركة.
قال ابن فارس: فأما الحية الذي يسمى الجان فهو تشبيه له بالواحد من
الجان، وجن الشيء يجنه جنا ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وجنه الليل
يجنه جناً وجنوناً، وجن عليه يجن بالضم، وسمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن
الإبصار.

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢٦٢).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢)، وقيل: وكانت حية ليلة المخاطبة لئلا يخاف موسى عليهما الصلاة والسلام، عمدة

القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٠٦).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٠٦).

(٤) مقاييس اللغة (١/ ٣٧٨).



والجان: الجن، وهو اسم جمع ضرب من الحيات أكحل العينين يضرب إلى الصفرة، لا يؤذي، وهو كثير في بيوت الناس والجمع جنان، والجان الشيطان أيضاً^(١).

ومما سبق تبين أن الألفاظ الثلاثة "ثعبان، جان، حية" وإن تقاربت دلالتها؛ إلا أنها جميعاً تدل على الحيوان الزاحف المعروف، إلا أن لكل واحداً ملمحاً مميزاً، عرفناه من السياق الذي ورد فيه: فالثعبان: يتميز بلمح الضخامة؛ ولذا جاء لوصف وقع المعجزة في نفوس فرعون وملئه، وبيان ضخامة تلك المعجزة.

والحية: يتميز بلمح الحياة؛ ولذلك جاء في سياق وصف المعجزة التي هي انقلاب الميت حياً، وهذا ما لم يره فرعون وقومه، بل أراه الله- سبحانه وتعالى- لنبيه موسى- عليه السلام.

والجان: يتميز بلمح الخفاء؛ ولذلك استعمل لبيان الحالة التي انتابت موسى- عليه السلام- من الفزع والخوف والعجب من هذا الشيء الذي يبدو وكأنه من عالم الجن.

وقد تساءل البغوي- رحمه الله- في هذه الآية، وأجاب بقوله: إنها كانت كالجان في الحركة والخفة، وهي في جثتها حية عظيمة.

قال ابن عطية- رحمه الله- وقالت فرقة: الجان صغار الحيات وعصا موسى- عليه السلام- صارت حية ثعباناً، وهو العظيم، فإنها شبهت بالجان في سرعة الاضطراب، لأن الصغار أكثر حركة من الكبار، وعلى كل قول فإن الله خلق في العصا حياة وغير أوصافها وأعراضها فصارت حية^(٢).

ومن الأجوبة عن التساؤل أيضاً:

الجواب الثاني: أن الاختلاف في التشبيه لاختلاف الحالين؛ فالجان عبارة

عن أول حالها، ثم لا تزال تزيد وتربو حتى تصير ثعباناً عظيماً.

قال الزمخشري: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم

تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً، فأريد بالجان أول حالها، وبالثعبان مآلها^(٣).

(١) لسان العرب: مادة (جنن) ١٣ / ٩٢ وما بعدها، مقاييس اللغة (١ / ٤٢١)

(٢) تفسير ابن عطية، (٤ / ٢٥١).

(٣) تفسير الزمخشري، (٣ / ٥٨).

على هذا يجوز أن يكون المراد تشبيهها بها في الهيئة والجملة، ولا ضير في ذلك، لأن لها أحوالاً مختلفة تدق فيها وتغلظ.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: وهو اختيار البغوي-رحمه الله- أنه شبهها بالثعبان في عظم خلقتها، وبالجان في اهتزازها وخفتها وسرعة حركتها، فهي جامعة بين العظم، وخفة الحركة على خلاف العادة.

ولو نظر المتأمل في السياقات القرآنية التي وردت فيها هذه الألفاظ الثلاثة

لخرج بالآتي:

أولاً: الثعبان فجاء في سياق حديث موسى-عليه السلام- مع فرعون وملئه، ومطالبة فرعون لموسى عليه السلام أن يأتي بأية "أي: معجزة بينة، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. فاستخدم القرآن كلمة الثعبان للدلالة على الضخامة، ليحصل به الفزع عند رؤيته.

ثانياً: الحية: جاءت في معرض ذكر كلام الله-سبحانه وتعالى- وأمره لموسى- عليه السلام- أن يلقي عصاه، عندما كانت في يده، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [سورة طه: ١٧]. فأجاب موسى-عليه السلام-: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [سورة طه: ١٨]. أي: منافع أخرى.

والسر في هذا السياق، بيان عظمة الله وقدرته، في إخراج الحي من الميت والعكس، وهذه لفته لموسى-عليه السلام- وهو يعاين معجزة إلهية.

ثالثاً: الجان: جاء في سياق ذكر حالة الخوف التي انتابت موسى-عليه السلام- حين رأى العصا تهتز وقد دبَّت فيها الحياة، والحركة السريعة، لأنه يشهد عجباً لم يعرفه من قبل، ولهذا لما رآها موسى-عليه السلام- ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [سورة النمل: ١٠]. فلهذا جاءت كلمة "جان" هنا لوصف تلك الحالة التي اعترت موسى-عليه السلام- من المفاجأة، والعجب والخوف والاضطراب من هذا الشيء المجهول.



[٤١] قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: فما معنى قوله -تعالى-: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ وقد أعطي غيره الرسالة؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وإن شاركه فيه غيره، كما يقول الرجل: خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيماً^(١).

دراسة التساؤل: الاصطفاء في اللغة: من صفا يصفو اصطفاً، قال ابن فارس: الصاد والفاء والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلوص من كل شوب، ومن ذلك الصفاء، وهو ضد الكدر؛ يقال: صفا يصفو، إذا خلص. يقال: لك صفو هذا الأمر وصفوته. ومحمد صفوة الله تعالى وخيرته من خلقه، ومصطفاه - صلى الله عليه وآله وسلم -، والصفى: ما اصطفاه الإمام من المغنم لنفسه^(٢). والصفو نقيض الكدر، وصفوة كل شيء خالصه وخيره، والصفاء: مصافاة المودة والإخاء^(٣).

والصفاء: اسم لموضع مخصص، وهو اسم احد جبلي المسعى، وأصل الصفاء الحجر الأملس الصلب، الذي لا يثبت. قال ابن عطية: ومن شروط الصفا البياض والصلابة^(٤).

وهناك معاني أخرى ذكرها أهل اللغة في معنى "صفو" ومشتقاتها. تعريف الاصطفاء في الاصطلاح: هو تناول صفو الشيء، واصطفاه الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود في غيره^(٥).

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢٧٩).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٢).

(٣) العين للفراهيدي، (٧/ ١٦٢).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٢٨).

(٥) مفردات القرآن. للراغب، (ص: ٤٨٨)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ١٧٨).

وعرفه بعضهم: والاصطفاء حال يستحقه العبد بكونه صالحاً، وهو اختصاص الله بعض العبيد بولايته ونبوته بخصوصية فيه^(١). وعرفه ابن القيم: بأنه اختيار الشيء على غيره وهو يقتضي ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقديمه على غيره^(٢). وعرفه بعض المعاصرين: بأنه اختيار الله- عز وجل- وتفضيله لبعض الأفراد المتساوية في أوصافها، بسبب وصف، أو أوصاف زائدة خص الله- عز وجل- بها المصطفى دون غيره^(٣). وكان البغوي-رحمه الله- تساءل في هذه الآية وأجاب عن تساؤله بقوله: لما لم يكن إعطاء الرسالة على العموم في حق الناس، استقام قوله-تعالى-: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾ وإن شاركه فيها غيره. وقد رُد هذا الجواب، لأن من جملة من اصطفاه الله برسالته محمداً-صلى الله عليه وسلم- وهو أفضل من موسى- عليه الصلاة والسلام- فلا يستقيم هذا الجواب^(٤). وفي الحديث، عن أنس-رضي الله عنه- في قصة موسى: ((رب لم أظن أن يرفع عليّ أحداً))^(٥). قال ابن بطال^(٦): فهم موسى- عليه السلام- من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر: لقوله-تعالى-: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ أن المراد بالناس هنا: البشر كلهم، وأنه استحق بذلك أن لا يرفع عليه أحد، فلما فضل الله-تعالى- محمداً- صلى الله عليه وسلم- بما أعطاه من المقام المحمود وغيره، ارتفع على موسى-عليه السلام- وغيره بذلك^(٧).

(١) تفسير القاسمي، (١/ ٤٠١).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٣٢).

(٣) الاصطفاء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، أم هاني بنت صلاح الدين (ص ٨٠).

(٤) تفسير الخازن، (٢/ ٢٤٨).

(٥) البخاري، كتاب التوحيد، باب: وكلم الله موسى تكليماً، (١٤٩/٩) برقم (٧٥١٧).

(٦) هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، يعرف باللجام، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، فقيه مالكي ينقل عنه ابن حجر كثيراً في فتح الباري، توفي: (٤٤٩ هـ) شذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٢٨٢)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥).

(٧) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٤٦٥).



وكذلك قوله -تعالى-: ﴿مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]. فدل ذلك أن

تكليم الله لموسى ليس خاصاً بموسى، بل من الرسل من كلم الله- عز وجل- (١).

ومن الأجوبة على هذا التساؤل أيضاً:

الجواب الثاني: أن الله-تعالى- بين أنه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت أنه إنما حصل التخصيص هاهنا لأنه سمع ذلك الكلام بغير واسطة، وإنما كان الجواب بغير واسطة سبباً لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر، لأن من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب (٢).

قال ابن بطة (٣)-رحمه الله-: ففصل بين الرسالة والكلام، لأن جميع رسل الله وأنبيائه إنما أرسلهم الله بالوحي، فلولا ما خص الله-تعالى- به موسى-عليه السلام- من الكلام الذي لا ترجمان بينه وبينه فيه، لما قال: ﴿وَبِكَلِمَةٍ﴾ ولما كان له هناك فضيلة ومزية على غيره ممن لم يكلمه الله ولم يخصه بما خص به موسى (٤). وذهب الى هذا القول: الزجاج، والرازي (٥).

واعترض على هذا الجواب الخازن-رحمه الله-فقال: وهذا الجواب فيه نظر أيضاً، لأن محمداً-صلى الله عليه وسلم- اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٠]. ورفعته إلى حيث سمع صريف الأقلام.

(١) شرح لمعة الاعتقاد (٤ / ١٢).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤ / ٣٥٩).

(٣) هو: أبو عبد الله عبيدالله بن محمد بن بطة، كان عالماً عابداً، من فقهاء الحنابلة، لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم ير يوماً منها في السوق ولا رئي مفطراً إلا في يومي الأضحى والفطر وكان أماراً بالمعروف ناهياً للمنكر، ت (٣٨٧هـ). ينظر ترجمته في: الأنساب، (١ / ٣٦٨)، صفة الصفوة (٤ / ١٧٩).

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (٦ / ٣٠٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٣٧٥)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤ / ٣٥٩).

وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء فلا يستقيم هذا الجواب (١).

الجواب الثالث: أن الله اصطفى موسى -عليه الصلاة والسلام- برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك أنه لم يكن في ذلك الوقت أعلى منصباً ولا أشرف ولا أفضل منه، وسبب الاصطفاء، أن موسى -عليه السلام- صاحب الشريعة الظاهرة، وعليه نزلت التوراة فدل ذلك عليه أنه اصطفاه على ناس زمانه، كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله - تعالى - ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٧]. قال المفسرون: يعني على عالمي زمانهم (٢).

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- هو الجواب الثالث: وهو أن الله -تعالى- خاطب موسى -عليه السلام- بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى، ولا شك أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - سيد ولد آدم من الأولين والآخرين؛ ولهذا اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، التي تستمر شريعته إلى قيام الساعة، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل - عليه السلام -، ثم موسى بن عمران كلهم -عليه الصلاة والسلام- (٣).

(١) تفسير الخازن، (٢/ ٢٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير، (١/ ٢٥٥).

(٣) تفسير ابن كثير، (٣/ ٤٧٣).



[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: ما معنى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره^(١).

دراسة التساؤل: هذه الآية مما أشكلت على المفسرين فقد قال القرطبي -رحمه الله- وهذه آية مشكلة وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها^(٢). وذكر المفسرون في معناها قولين:

أحدهما: أن الله لما خلق آدم -عليه السلام- أخرج ذريته من صلبه، وهم مثل الذر، وأخذ عليهم العهد، بأنه ربهم، فأقروا بذلك، والتزموه، روى هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، وقال به جماعة من الصحابة، وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما إشهدهم فمعناه: أن الله نصب لبني آدم -عليه السلام- الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكانه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وكأنهم قالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا.

وما ذكر من الخلاف في معنى الآية، وهو أخذ هذا الميثاق، فظاهر الآية أن الله - تبارك وتعالى - أخذ ذلك، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٢٩٩).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٣١٤).

فمن هنا، وقع الاختلاف هل المقصود بهذا ما جاء في النصوص: من أن الله - تبارك، وتعالى - استخرج ذرية آدم من صلبه، فإن استخراج الذرية الوارد في الأحاديث إنما هو من صلب آدم، وهنا قال: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولذلك اختلفوا في المراد بذلك، ولهذا جاء تساؤل البغوي-رحمه الله- وأجاب عنه بقوله: إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره، وقد ذكر هذا المعنى، السمعاني، والواحدي، الرازي، وابن الجوزي، والقرطبي.(١).

قال ابن الانباري-رحمه الله- وهذا مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله-تعالى- أخرج ذرية آدم-عليه السلام- من صلبه وأصلاب أولادهم، وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولاً حتى خوطبوا بقوله: ﴿يَجِبَالٌ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ [سورة سبأ: ١٠]. وكما جعل للبعير عقلاً حتى سجد للنبي - صلى الله عليه وسلم - وكذلك الشجرة حتى سمعت لأمره وانقادت(٢).

وأقوى ما يشهد لصحة هذا القول الأول: حديث أنس-رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكننت مفتدياً به؟" قال: "فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي)) (٣).

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٣١)، التفسير البسيط (٩/ ٤٤١)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤٠٢)، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٦٧)، تفسير القرطبي (٧/ ٣١٧).
(٢) تفسير الخازن، (٢/ ٢٦٧).
(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣٣٤) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٥).



وكذلك أيضاً: حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ: ((أخذ الله - تبارك وتعالى- الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قُبلاً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾)) (١).

قال الخازن -رحمه الله- إذا كانت المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وأن الله -تعالى- أخرج الذرية من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضاً، فكيف يحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول؟ قلت: قد صح الحديث بأن الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق، ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض، كما في الخارج وكلهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم، فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث، إذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير إليه والأخذ به جمعاً بين الآية والحديث (٢).

ومن الأجوبة على هذا التساؤل أيضاً:

الجواب الثاني: أن المراد بالمأخوذین هنا: هم ذرية بني آدم، أخرجهم الله من أصلابهم نسلًا بعد نسل.

قال أصحاب هذا القول: ومعنى أشهدهم على أنفسهم دلهم بخلقه على أنه خالقهم، فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد، فتكون هذه الآية من باب التمثيل كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِ يَا طَوَّعًا أَوْ كَرِهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: ١١].

(١) أخرجه أحمد ط الرسالة برقم: (٢٤٥٥) مرفوعاً، وقال محققو المسند: "رجاله ثقات رجال الشيخين غير كلثوم بن جبر، فمن رجال مسلم، ورواه النسائي أيضاً، وابن جرير، و ابن أبي حاتم، و الحاكم في المستدرک، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) تفسير الخازن، (٢/ ٢٦٨).

قال الزمخشري: ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووجدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررههم وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوجدانيتك^(١).

وقد اعترض ابن المنير في حاشيته على الزمخشري فقال: القاعدة: مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالاً، وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك^(٢).

وأيضاً هذا الرأي ضعيف؛ لأن الآية فيها حكمة فلو تأملنا الأسلوب القرآني لوجدناه أبلغ أسلوب، ولا يمكن لأي أسلوب من الأساليب أن يشبهه، ولا يوجد في كلام العرب أبلغ منه على الإطلاق، ولا أوجز ولا أفصح ولا أوضح ولا أجلى منه فإذا وجدنا أن الأحاديث قد فسرت الآية، بأن الله -تعالى- مسح على ظهر آدم فاستخرج ذريته، فإنه -سبحانه وتعالى- قد ذكر أن هذه الذرية كل إنسان هو من ظهر أبيه وهكذا يتعاقبون، فإذا كل هؤلاء الناس أخرجوا دفعة واحدة بين يدي آدم ونثروا بين يديه، فيكون الله تعالى فعلاً قد أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم . ولو أن الآية اقتصررت على ذكر آدم -عليه السلام- وأن الله -تعالى- أخرج من ظهر آدم ذريته، لقال قائل من الناس: هؤلاء ذرية آدم أخرجهم الله من ظهره - يعني: أبناء من صلبه- فأين بقية البشر؟

الجواب الثالث: أن الله -سبحانه- أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما فهمت به خطابه سبحانه.

(١) تفسير الزمخشري: (٢/ ١٧٦).

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري، (٢/ ١٧٦).



واستدلوا على ذلك بقولهم: ما دام أن الله-سبحانه وتعالى- قد خاطب الأرواح وخاطبته، فهي مخلوقة قبل الأجساد، وإذا أراد الله-تبارك وتعالى- أن يخلق إنساناً من البشر، فإنه-عز وجل- يأمر الملك بإدخال روحه في جسده فيكون بشراً حياً. وهذا الجواب ليس عليه دليل على أن الله-عز وجل- خلق الأرواح خلقاً مستقراً ثابتاً منفصلاً، وأنها موجودة في عالم الغيب عنده -تبارك وتعالى-، بل قد جاء في بعض الروايات أن آدم رآهم وخاطبهم، ورأى فيهم المبتلى والمعافى، والأجذم والأبرص والأعمى، ورأى داوود-عليه السلام- وأعطاه من عمره، وغير ذلك^(١). وهذا يدل على أن الاستخراج كان حقيقياً لا مجازياً والله أعلم.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن ظاهر القرآن يفيد أن إخراج الذرية من ظهور بني آدم، والسنة اثبتت أن إخراج الذرية من ظهر آدم، فوجب المصير إليهما معاً، والجمع بينهما صوناً للآية والخبر عن الطعن، حيث أن السنة هي المصدر الثاني، وهي من أجل طرق التفسير، بعد تفسير القرآن بالقرآن، إذ هي مبينة للقرآن، وشارحة له. فعلى هذا فجواب البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل، هو الراجح، لدلالة الكتاب والسنة عليه.

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٩٩)

التساؤلات في سورة الأنفال

[٤٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الأنفال: ٧٢-٧٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: أي معنى في تكرار هذه الآية؟

جواب التساؤل: أجاب البغوي عن هذا التساؤل بقوله: قيل: المهاجرون كانوا على طبقات: فكان بعضهم أهل الهجرة الأولى، وهم الذي هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثانية، وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وكان بعضهم ذا هجرتين هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة، فالمراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، ومن الثانية الهجرة الثانية^(١).

دراسة التساؤل: تعريف الهجرة لغة: الهجر: ضد الوصل. هجره يهجره هجراً وهجراناً: صرمه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة^(٢).
قال الجوهري: الهجر: ضد الوصل. والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية، والتهاجر: التقاطع^(٣).

وفي الاصطلاح: هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام^(٤).

هذا التعريف هو الأصل، إلا أن المتأمل يجد أن المعول عليه ليس مجرد الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام، فهجرة المسلمين الى الحبشة لم تكن دار إسلام قطعاً.

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٣٨٠).

(٢) لسان العرب (٥/ ٢٥٠).

(٣) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٢/ ٨٥١).

(٤) المغني لابن قدامة (٩/ ٢٩٣).



وقيل هي: الخروج من أرض إلى أخرى وانتقال الأفراد من مكان إلى آخر سعياً وراء الرزق^(١).

وقيل هي الخروج من دار الظلم الى دار العدل، أو خروج المسلم من دار الفتنة الى دار الأمن فراراً بدينه^(٢).

وبعد هذا التعريف نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل في هذه الآية فقال: المراد من الآية الأولى الهجرة الأولى، ومن الآية الثانية الهجرة الثانية.

فهو يرى أن في هذه الآية تكرار، ويقصد بالآية الأولى قوله-تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]. وقد قسم-رحمه الله- المهاجرين الى طبقات:

الطبقة الاولى: الذين هاجروا قبل صلح الحديبية، وهم المذكورون في الآية الأولى.

الطبقة الثانية: الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة، وهم المذكورون في هذه الآية.

الطبقة الثالثة: أصحاب الهجرتين: الهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة. قال العليمي^(٣)-رحمه الله-: وكررت هذه الآية؛ لأن بعضهم هاجر قبل الحديبية، وبعضهم بعدها، وبعضهم ذو هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، فالآية الأولى لأصحاب الهجرة الأولى، والثانية للثانية^(٤). وقد وافق البغوي في هذا الجواب، السمعاني، والنيسابوري^(٥).

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٩٧٣).

(٢) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٥٨٣).

(٣) هو: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي، أبو اليمن، مجير الدين: مؤرخ باحث، من أهل القدس، كان قاضي قضاة القدس، ومولده ووفاته فيها، له (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل)، وفي التفسير، (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، توفي: (٩٢٨هـ)، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣١).

(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن (٣/ ١٤١).

(٥) تفسير السمعاني (٢/ ٢٨٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣/ ٤٢٣).

وقول البغوي-رحمه الله- إن المقصود في الآية الثانية هي الهجرة الثانية، وفسر الآية الثالثة: وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٧٥]. فقال: أي: معكم، يريد: أنتم: منهم وهو منكم (١).

واعترض عليه بأن الكلام لا يستقيم، لأن أغلب المفسرين فسروا كلمة ﴿مِن﴾ بـ﴿بَعْدُ﴾ أي: بعد الهجرة الأولى بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة، قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: هم الذين هاجروا بعد الحديبية (٢).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا﴾. يريد من بعد الحديبية وبيعة الرضوان. وذلك أن الهجرة من بعد ذلك كانت أقل رتبة من الهجرة الأولى. والهجرة الثانية هي التي وقع فيها الصلح، ووضعت الحرب أوزارها نحو عامين ثم كان فتح مكة. ولهذا قال-عليه الصلاة والسلام-: لا هجرة بعد الفتح. فبين أن من آمن وهاجر من بعد يلتحق بهم (٣).

الجواب الثاني في الآية: أن الله-تعالى- لما ذكر حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، كما تقدم في أول السورة، وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبداً لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه (٤).

قال ابن عادل-رحمه الله- زعم بعضهم أن هذه الجملة تكرر للتي قبلها، وليس كذلك، فإن التي قبلها تضمنت ولاية بعضهم لبعض، وتقسيم المؤمنين إلى ثلاثة أقسام، وبيان حكمهم في ولايتهم، وتناصرهم وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص، وما آل إليه حالهم من المغفرة والرزق الكريم (٥).

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣ / ٣٨٠).

(٢) التفسير البسيط (١٠ / ٢٧١)، زاد المسير في علم التفسير (٢ / ٢٢٩).

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٥٨).

(٤) تفسير ابن كثير، (٤ / ٩٩).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (٩ / ٥٨٠).



وقال الشوكاني-رحمه الله-: ثم بين -سبحانه- حكماً آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله، والمؤمنين الذين آووا من هاجر إليهم ونصروهم، وهم الأنصار، فقال: أولئك هم المؤمنون حقاً أي: الكاملون في الإيمان، وليس في هذا تكرير لما قبله فإنه وارد في الثناء على هؤلاء، والأول وارد في إيجاب الموالاة والنصرة^(١).

وقال الألوسي-رحمه الله-: كلام مسوق للثناء على القسمين الأولين من الأقسام الثلاثة للمؤمنين وهم المهاجرون والأنصار بأنهم الفائزون بالقدح المعلى من الإيمان مع الوعد الكريم بقوله-سبحانه-: لهم مغفرة لا يقدر قدرها، ورزق كريم أي: لا تبعه له ولا منة فيه^(٢).

وتساءل الخازن-رحمه الله- فقال: فإن قلت ما معنى هذا التكرار؟ قلت ليس فيه تكرار لأنه-سبحانه وتعالى- ذكر في الآية الأولى حكم ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم^(٣).

وقال ابن عاشور-رحمه الله- فليست هذه تكريراً للأولى، وإن تشابهت ألفاظها: فالأولى لبيان ولاية بعضهم لبعض، وهذه واردة للثناء عليهم والشهادة لهم بصدق الإيمان مع وعدهم بالجزاء^(٤). وهذا جواب جمهور المفسرين.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثاني: أن الله -تعالى- أعاد ذكر المهاجرين والأنصار، للثناء عليهم، والشهادة لهم، مع الوعد الكريم، فليس في الآية تكرار، ويدل على ذلك: أن سياق الآية الأولى لإيجاب التواصل بينهم، وفي هذه الآية بيان تعظيم شأنهم، وعلو درجاتهم، والشهادة لهم بأنهم هم المؤمنون حق الإيمان وأكمله. وكذلك القاعدة الترجيحية تقول: التأسيس أولى من التأكيد، وحمل اللفظ على الفائدة الأصلية أولى^(٥).

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٦).

(٢) تفسير الألوسي، (٥/ ٢٣٣).

(٣) تفسير الخازن، (٢/ ٣٣٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٠/ ٨٩).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ١٨٥).

التساؤلات في سورة التوبة

[٤٤] قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة
التوبة: ٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: أراد بالفسق: نقض العهد، وكان في المشركين من وفى بعهدده، وأكثرهم نقضوا،
فلهذا قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾^(١).

دراسة التساؤل: الفسق في اللغة: أصل الفسق الخروج من الشيء. ومنه
قوله-تعالى-: ﴿فَفَسَقَ عَنِّ أَمْرٍ رَبِّي﴾ [سورة الكهف: ٥٠]. أي: خرج. وسمي الرجل
فاسقاً لانسلاخه من الخير^(٢).

وقيل: هو الخروج عن الشيء أو القصد، وهو الخروج عن الطاعة.
والفسق: الفجور. ويقال إذا خرجت الرطبة من قشرها؛ قد فسقت الرطبة من
قشرها، والفأرة عن جحرها^(٣).
الفسق في الاصطلاح: قال القرطبي: والفسق في عرف الاستعمال الشرعي:
الخروج من طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج
بعضيان، وكذلك قال ابن عطية^(٤).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ١٦).

(٢) غريب الحديث للخطابي (١/ ٦٠٣).

(٣) لسان العرب، (١٠/ ٣٠٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢)، ومفردات الراغب، (٧/ ٥٧٢).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٢٤٦)، تفسير ابن عطية، (١/ ١١٢).



وقال ابن سيده-رحمه الله-: الفسق: العصيان والتترك لأمر الله، والخروج عن طريق الحق^(١).

وقال السرخسي^(٢)-رحمه الله-: والفسق عبارة عن الخروج يقال فسقت الرطوبة إذا خرجت من قشرها وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها وسمي المسلم بذلك لخروجه عن حد الدين تعاطياً والكافر لخروجه عن حد الدين اعتقاداً^(٣).

فعلى هذا يكون المنافق فاسقاً، والكافر فاسقاً، لخروجهما عن طاعة ربهما^(٤).
وخلاصة ما سبق نلحظ الترابط الواضح بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، إذ مردهما يؤول الى الخروج عن الشيء، إذ في مجملها الخروج عن الشريعة، بترك الأوامر وفعل النواهي.

وقد كان البغوي-رحمه الله- تساءل في هذه الآية وذكر جواباً واحداً فقال: أراد بالفسق: نقض العهد، وكان في المشركين من وفى بعهده، وأكثرهم نقضوا العهد، قال ابن عباس-رضي الله عنهما- لا يبعد أن يكون بعض أولئك الكفار قد أسلم، وتاب، فلهذا السبب قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ليخرج عن هذا الحكم، أولئك الذين أسلموا^(٥).

ولهذا تجد أن هؤلاء الكفار الذين من عادتهم نقض العهود أكثرهم فاسقون في دينهم وعند أقوامهم، وذلك يوجب المبالغة في الذم.

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٢٤٢).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر، شمس الأئمة: قاض، من كبار الأحناف، كان إماماً علامة حجة متكلماً مناظراً أصولياً مجتهداً عده ابن كمال باشا من المجتهدين في المسائل، من أهل سرخس في خراسان، أشهر كتبه، المبسوط، في الفقه والتشريع، أملاه وهو سجين بالجب في أوزجند بفرغانة، وله كتب كثيرة نافعة، وكان سبب سجنه كلمة نصح بها الخاقان ولما أطلق سكن فرغانة إلى أن توفي سنة (٤٨٣هـ)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣١٥)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص: ١٥٨).

(٣) المبسوط للسرخسي (١٦/ ١٣٤).

(٤) تفسير الطبري، (١/ ٤٠٩).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٣٠).

قال الرازي-رحمه الله-: والكافر قد يكون محترزاً عن الكذب، ونقض العهد والمكر والخديعة، وقد يكون موصوفاً بذلك، ومثل هذا الشخص يكون مذموماً عند جميع الناس وفي جميع الأديان، ألا ترى إلى أهل الجاهلية وهم كفار كيف يمدحون أنفسهم بالعفاف وبالصدق وبالوفاء بالعهد وبالأخلاق الحسنة، فالمراد بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾. أي: أن أكثرهم موصوفون بهذه الصفات المذمومة^(١).

وقال الخازن-رحمه الله-: قد يكون الكافر عدلاً في دينه وقد يكون فاسقاً خبيث الفسق في دينه، فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين، مع كفرهم ليكون أبلغ في الذم.

وإنما قال أكثرهم: ولم يقل كلهم فاسقون، لأن منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه، وأكثرهم نقضوا العهد فلماذا قال-سبحانه وتعالى- وأكثرهم فاسقون^(٢).

قلت: وهذا كان من عادة الكفار، إذا نقض العهد الأكثر اضطر الأقل إلى موافقتهم. ولهذا يقول الواحدي-رحمه الله- الكفار كلهم فاسقون وتخصيص أكثرهم ههنا على وجهين: أحدهما: أنه أراد المتمردين، والثاني: أنه وضع الخصوص موضع العموم^(٣). وهذا قول جمهور المفسرين.

وأجاب غير البغوي عن هذا التساؤل:

أن معنى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾، وكلهم فاسقون، ونظيره قوله-تعالى-: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ بَل لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ [سورة البقرة: ٨٨]. وهم بالجميع كافرون، كما تقول العرب: "قلما رأيت مثل هذا قط". وقد روي عنها سماعاً منها: مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكراث والبصل، يعني: ما تنبت غير الكراث والبصل، وما أشبه ذلك من الكلام الذي ينطق به بوصف الشيء بـ "القلة"، والمعنى فيه نفي جميعه^(٤).

(١) مفاتيح الغيب (١٥/ ٥٣٣)، البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٧٨).

(٢) تفسير الخازن، (٢/ ٣٣٨).

(٣) التفسير البسيط (١٠/ ٣٠٩).

(٤) تفسير الطبري (٢/ ٣٣١).



قال ابن الأثير (١) - رحمه الله - هذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء، كقوله -
تعالى -: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) (٢).

الترجيح:

الراجح - والعلم عند الله - هو **الجواب الأول**: بأن المراد بالفسق هنا فسق خاص، وهو فسق نقض العهود وعدم الوفاء بها، أي: وأكثرهم ناكثون، ناقضون للعهود، فاسقون، وإن كان الجميع مشتركين في أنواع الفسق والكفر، وهذا معنى قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَالْسِقُونَ﴾. وبهذا يرتفع الإشكال، ويزول الإلتباس.

(١) هو: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير، الكاتب البليغ، صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، مات ببغداد سنة (٦٣٧هـ)، يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧٣/٢٣)، وشذرات الذهب (٣٢٨/٧)، والأعلام (٣١/٨).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤ / ١٠٤).

[٤٥] قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله^(١).

دراسة التساؤل: الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو من الأمن ضد الخوف^(٢).

قال الراغب: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف^(٣).

وقيل: إن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد^(٤).

وقد عرف الإيمان بعدة تعريفات: فقيل: هو التصديق، وقيل: هو الثقة، وقيل: هو الطمأنينة، وقيل: هو الإقرار^(٥).

وهنا فائدة: أن الحقائق قد تعرف بالشرع كالإيمان، وقد تعرف باللغة كالشمس، وقد تعرف بالعرف كالتقبض.

وأن التعريف الشرعي قد يتفق مع التعريف اللغوي، وقد يختلف؛ بحيث يكون بالمعنى الشرعي أشمل من اللغوي، ولكن العبرة بالمعنى الشرعي الذي نتعبد الله -تعالى- به.

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٣٣).

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ٥١٣)، الصحاح، للجوهري (٥/ ٢٠٧١)، والقاموس المحيط، (ص ١٥١٨).

(٣) المفردات، (ص ٣٥).

(٤) الصارم المسلول، (ص ٥١٩).

(٥) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه لعبد الرزاق البدر، (١٧).



وهكذا في مسمى الإيمان؛ إذ التصديق أحد أجزاء المعنى الشرعي على الصحيح المشهور عند أئمة السلف، وعلى ذلك دلت نصوص الكتاب والسنة.

فالمعنى المختار للإيمان لغة: هو الإقرار القلبي: ويكون الإقرار: باعتقاد القلب: أي: تصديقه بالأخبار، وعمل القلب: أي إذعانه وانقياده للأوامر^(١).
تعريف الإيمان شرعاً: قال الإمام البيهقي: اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة^(٢).

وقال الإمام الشافعي^(٣) -رحمه الله-: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر^(٤).

وحكي عن الإمام البخاري^(٥) أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص^(٦).
وذكر بعضهم الإجماع فقال: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية^(٧).

وخلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي: أنها مركبة من قول وعمل.

(١) الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة عبد الله بن عبد الحميد الأثري، (ص ٨).

(٢) شرح السنة للبيهقي (١/ ٣٩).

(٣) هو الامام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد (١) بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، الشافعي، نسبة الى جد جده، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه، أفرد ترجمته في مصنفات، توفي: (٢٠٤ هـ)، ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية، (١/ ١٨٥)، الأنساب للسمعاني (٣/ ٣٧٨) الأعلام للزركلي (٦/ ٢٦).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (٥/ ٨٨٧)، (٥/ ٩٥٦).

(٥) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري أبو عبد الله، وإمام الحفاظ، صاحب الصحيح والتصانيف الحسنة الأخرى، توفي: (٢٥٦ هـ)، وأما مناقبه وفضائله فكثيرة ألفت فيها مؤلفات خاصة، يُنظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني (٢/ ٦٨)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٥)، وشذرات الذهب، (٢/ ١٣٣).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (٥/ ٨٨٦)، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (١/ ٤٧).

(٧) التمهيد، (٩/ ٢٣٨)، (٩/ ٢٤٣).

فالقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام. والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. وبعد ذكر تعريف الإيمان نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل حيث قال: لا يؤمنون كإيمان المؤمنين، فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله، لا يكون ذلك إيماناً بالله.

فالله-تعالى- نفى عنهم الإيمان، لأن أهل الكتاب من يهود ونصارى وإن قالوا: لا إله إلا الله، وأقروا بالقيامة، فهم كمن أنكر وجود الله وأنكر وجود القيامة؛ لأنهم لما اتخذوا الأرباب معه وأشركوا به في الأرباب وقالوا: إن عزيراً ابنه، وإن المسيح ابنه!! هذا قول من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

لأن الكافر إذا كفر بالله من وجه لا ينفعه الإيمان به من وجه آخر، فمن قال: لا إله إلا الله، وادعى لله ولداً، أو شريكاً، أو رباً معه، فهذا لا يؤمن بالله ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو يوم القيامة.

وكذلك أيضاً: كفرهم بمحمد-صلى الله عليه وسلم-الذي أمروا في كتبهم بالإيمان به، فلم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل ولا بما جاؤوا به، وإنما يتبعون أهواءهم فيما هم فيه.

وقد ذكر بعض المفسرين: أن أهل الكتاب يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجسام ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون، ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن^(١).

قال ابن عطية-رحمه الله-: ونفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر من حيث تركوا شرع الإسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه، فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله-عز وجل- من تخيلات واعتقادات لا معنى لها، إذ تلقوها من غير طريقها، وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم تشعبوا وقالوا: عزير ابن الله، والله ثالث ثلاثة، وغير ذلك، ولهم أيضاً في البعث آراء كثرء منازل الجنة من الرهبان، وقول اليهود في النار نكون فيها أياماً بعد ونحو ذلك^(٢).

(١) معاني القرآن، للزجاج (٢/ ٤٤١)، تفسير الخازن، (٢/ ٣٤٩)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٢٧١).

(٢) تفسير ابن عطية، (٣/ ٢١).



ومن الأجوبة عن هذا التساؤل أيضاً:

أن كفرهم ككفر من لا يؤمن بالله واليوم الآخر في عظم الجرم، فذمهم ذم من لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته، وهم في الذم بالكفر كغيرهم^(١). ومع هذا فقد استحلوا أشياء حرمها الله عليهم، وحرّموا أشياء أحلها الله لهم، وقد شهد القرآن بأن اليهود والنصارى فقدوا أساس التوحيد، إذ هم قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، يشرعون لهم العبادات ويحرمون ويحللون فيتبعونهم، وبذا أشركوهم في الربوبية، وأشركوهم في الألوهية.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله-أن قوله-تعالى-: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ أن أهل الكتاب كلهم يقولون أن الله موجود وأن اليوم الآخر موجود، وبالتالي نفي الإيمان القولي عنهم، إذ لا يمكن أن يكون قولاً لأنهم يقولون؟. لكن قد يُقال أن عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر المقصود منه عدم صحة الإيمان: أي: يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولكن إيمانهم ليس صحيحاً، فكانوا كغير المؤمنين بالله واليوم الآخر.

ونفي الإيمان يحتمل معنيين: الأول: لا يؤمنون بذلك بأفعالهم وإن قالوه بألسنتهم. الثاني: لا يؤمنون بذلك بشكل اعتقادي صحيح.

ويدل على هذا الجواب سياق الآيات، لأنه لم يرد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة ولا عن المفسرين المعتبرين من أهل القرون المفضلة، تأويل لهذه الآية، وإنما اجتهد المفسرون ممن جاء بعدهم، وتأولوا بأن اليهود والنصارى، وإن أثبتوا وجود الله واليوم الآخر، فقد وصفوا الله بصفات تنافي الإلهية فكانهم ما آمنوا به، إذ أثبت اليهود الجسمية لله-تعالى- فقالت اليهود: ﴿عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ والنصارى قالت: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ فنفي الله-عز وجل- الإيمان بالله عنهم، لأن سبيلهم سبيل من لا يؤمن بالله، إذ يصفونه بما لا يليق أن يوصف به.

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٣٠١)، النكت والعيون، للماوردي، (٢/ ٣٥٠).

[٤٦] قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأحرار والرهبان؟

جواب التساؤل: أجاب الأمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالأرباب^(١).

دراسة التساؤل: الحبر: العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها، والراهب: الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية، وكثير استعماله في متسكي النصارى^(٢).

والراهب: المتعبد في الصومعة، وأحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية، والجمع الرهبان^(٣).

تعريف الأحرار والرهبان في نظر المفسرين:

قال ابن جرير -رحمه الله-: الأحرار: جمع حبر، وهو العالم المحكم للشيء، ومنه قيل لكعب: كعب الأحرار^(٤).

وقال الواحدي -رحمه الله-: فأما الأحرار فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هم الفقهاء، وإنما قيل: كعب الأحرار، لمكان هذا الحبر الذي يكتب به، وذلك أنه كان صاحب كتب^(٥).

(١) تفسير البغوي، (٤ / ٣٩).

(٢) التفسير البسيط (١٠ / ٣٨٥)، تفسير الرازي، (١٦ / ٣٧).

(٣) لسان العرب (١ / ٤٣٦).

(٤) تفسير الطبري، (١٠ / ٣٤١).

(٥) التفسير البسيط (٧ / ٣٩٠).



وقال البغوي -رحمه الله-: هم العلماء: واحدهم حبر، وحبر بفتح الحاء وكسرهما، والكسر أفصح^(١)، وهو العالم المحكم للشيء، وقيل: هو من الحبر الذي يكتب به، وقيل: هو من الحبر الذي هو بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرهما، وفي الحديث "يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره"^(٢)، أي: حسنه وهيئته، ومنه التحبير وهو التحسين، فسمي العالم حبراً لما عليه من جمال العلم وبهائه^(٣).

وقال الشنقيطي-رحمه الله-: جمع حبر بفتح الحاء وكسرهما. والتحقيق أنهما لغتان. والأحبار: العلماء. والرهبان: المتعبدون المنقطعون في الصوامع، وهو جمع راهب^(٤).

وأما الرهبان: فقال ابن جرير-رحمه الله-: فإنه يكون واحداً وجمعاً. فإن واحدهم يكون راهباً، ثم يجمع الراهب ورهباناً، مثل اركب وركبان، وفارس وفرسان. ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول الشاعر:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا... والعصم من شعف العقول الفادر^(٥).

قال البغوي-رحمه الله-: الرهبان العباد أصحاب الصوامع، واحدهم راهب، مثل فارس وفرسان، وراكب وركبان، وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، مثل قربان وقرابين^(٦).

وقال أبو عبيد: وقد يكون رهبان للواحد والجمع، قال الفراء: ويجمع رهبان إذا كان للمفرد رهابنة ورهابين كقربان وقرابين^(٧).

(١) قال ابن عطية: والكسر أفصح، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٥)، وقال البغوي: الكسر أفصح، وهو العالم المحكم للشيء، تفسير البغوي، (٣/ ٦١).

(٢) أخرجه أبو عبيد (١/ ٨٥) والفائق (١/ ٢٢٩) قال الألباني في الضعيفة لا أصل له مرفوعاً، (١/ ٢٠).

(٣) تفسير البغوي، (٣/ ٦١).

(٤) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٥/ ٤٤٧).

(٥) البيت لجرير، ديوانه: (٣٠٥) من قصيدة هجا فيها الأخطل والفرزدق، لسان العرب، (٣/ ١٧٤٨).

(٦) تفسير البغوي، (٣/ ٨٧).

(٧) تفسير القرطبي، (٦/ ٢٥٨).

وقيل: وهم علماء النصارى كما أن الأخبار علماء اليهود، وقيل الرهبان أصحاب الصوامع من النصارى، وقيل الرهبان النساك وقيل القراء (١).
وفي ضوء هذه التعريفات نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل حيث قال: إن اتباع اليهود والنصارى، أطاعوا أحبارهم ورهبانهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرّموا، فاتخذوهم كالأرباب، وليس المعنى أنهم عبدوهم كالألّهة، ولكن معنى الآية، لما أطاعوهم فيما يأمرونهم به وينهونهم عنه كانوا بمنزلة المتخذين لهم أرباباً لأنهم أطاعوهم كما تطاع الأرباب.

ولهذا فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - كونهم أرباباً، أنهم يحلون الحلال، و يحرمون الحرام. فقد روى الترمذي وغيره، عن عدي بن حاتم-رضي الله عنه- ((أنه لما بلغت دعوة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على أخته وأعطاهما، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طي وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم، ثم قال النبي-عليه الصلاة والسلام- يا عدي ما تقول؟ أضرارك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله، أضرارك أن يقال لا إله إلا الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق، قال فلقد رأيت وجهه استبشر، ثم قال: إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)) (٢).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٥ / ٢٨٤).

(٢) رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن سول الله-صلى الله عليه وسلم- (٥/١٧٣) برقم (٣٠٩٥)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، (١٠ / ١٩٨) رقم (٢٠٣٥٠) وابن جرير الطبري (١٤ / ٢٠٩)، وابن أبي حاتم، (٦ / ١٧٨٤)



قال ابن حزم -رحمه الله-: أما أنهم لو أمرهم أن تعبدوهم من دون الله تعالى ما أطاعوهم، ولكن أمرهم فجعلوا حلال الله تعالى حرامه، وحرامه حلاله، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية^(١).

وقيل لحذيفة بن اليمان في قول الله -تعالى-: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحْبَابَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه^(٢).

قال السعدي -رحمه الله-: يحلون لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها. وكانوا أيضاً يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثاناً تعبد من دون الله، وتقصد بالذبايح، والدعاء والاستغاثة^(٣).

وخلاصة الجواب عن هذا التساؤل: أن كل من الفريقين اتخذ علماءهم أرباباً من دون الله، بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله -تعالى- وتحليل ما حرم سبحانه - وهذا هو التفسير المأثور عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا قول جمهور المفسرين^(٤).

وذكره السيوطي في الدر المنثور، (٣ / ٤١٥) وزاد نسبه إلى ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه، وفي سند الترمذي والبيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم، غطيف بن أعين، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب (ص ٤٤٣)، برقم، (٥٣٦٤)، وكتاب الضعفاء والمتروكين، (ص ٣٢٤)، لكن للحديث طرق انظرها في: "كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، (٢ / ٦٦).

(١) الأحكام لابن حزم (٦ / ٨٨٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٣٣٤).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (١٠ / ٧٤)، تفسير الألويسي، (٥ / ٢٧٦).

[٤٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: كيف ذم الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل، والإيمان منشط^(١).

دراسة التساؤل: معنى الكسل لغةً : التثاقل عما لا ينبغي أن يتثاقل عنه .
والفعل : كسل يكسل كسلاً، ورجل كسلان، وامرأة كسلى، وكسلانة: لغة رديئة، ويقال للفحل الفاتر كسل وأكسل، ويقال: فلان لا تكسله المكاسل يقول: لا تنقله وجوه الكسل، وامرأة مكسال: لا تكاد تبرح مجلسها^(٢).
معنى الكسل اصطلاحاً: قيل: هو التثاقل، والتثبط، والفتور عن الشيء^(٣).
قال الراغب: ولأجل ذلك صار مذموماً^(٤).
وقيل: هو التثاقل والتراخي مما ينبغي مع القدرة أو هو عدم انبعاث النفس لفعل الخير^(٥).

قلت: وخص الكسل بالصلاة، دليل على أنها من أشد التكاليف على الإنسان، فهي العبادة المتكررة في اليوم والليلة، ولهذا يحرص الشيطان أشد الحرص، على التثبيط عنها، والتشويش على خشوعها، وهي التي تتعارض مع كثير من الرغبات والشهوات، وقد سماها الله كبيرة إلا على الخاشعين، فمن كان نشيطاً في صلاته،

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٥٨).

(٢) تهذيب اللغة، (١٠/ ٣٧)، لسان العرب (١١/ ٥٨٧)، العين (٥/ ٣١٠).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٤/ ١٠٨).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧١١).

(٥) فيض القدير (٢/ ١٢٢).



كان نشيطاً في غيرها من العبادات، ولهذا كان الكسل صفة ذميمة من صفات المنافقين، كما أخبرنا الله - عز وجل - في كتابه.

قال ابن كثير - رحمه الله - الكسل من صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة. إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها (١).

ومن هنا جاء جواب الإمام البغوي - رحمه الله - عن هذا التساؤل بقوله: بأن الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مكسل، والإيمان منشط. فالكسل في الصلاة، وترك النشاط إليها وأخذها بالإقبال من ثمرات الكفر، فأيقاعها عندهم لا يرجون به ثواباً، ولا يخافون بالتفريط فيها عقاباً.

وقد أجاب الواحدي - رحمه الله - عن هذا التساؤل: حيث قال: إنما ذموا بأنهم صلوا على غير الوجه الذي أمروا به من النفاق الذي يبعث على الكسل عنها، دون الإيمان الذي يبعث على النشاط لها (٢).

وقال ابن عطية - رحمه الله - ثم ذكر - تعالى - كسلهم في القيام إلى الصلاة، وتلك حال كل من يعمل العمل كارهاً غير معتقد فيه الصواب تقية أو ممانعة (٣).

وهذا القول مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال: إن كان في جماعة صلى وإن انفرد لم يصل، وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثواباً ولا يخشى في تركها عقاباً. فالنفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة (٤).

وقال الطبري - رحمه الله -: لا يأتونها إلا متناقلين بها، لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً، وإنما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين، فهم يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة إبقاء على أنفسهم، وحذاراً من

(١) تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٣٨).

(٢) التفسير البسيط، (١٠/ ٤٩٠).

(٣) تفسير ابن عطية، (٢/ ١٢٧).

(٤) تفسير القرطبي (٨/ ١٦٣).

المؤمنين عليها أن يقتلوا أو يسلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي من الفرائض الظاهرة، قاموا كسالى إليها، رياء للمؤمنين فإذا آمنوهم لم يقيموها^(١).
وقال ابن عاشور-رحمه الله-: أنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون.

والكفر وإن كان وحده كافياً في عدم القبول، إلا أن ذكر هذين السببين إشارة إلى تمكن الكفر من قلوبهم وإلى مذمتهم بالإنفاق الدال على الجبن والتردد، فذكر الكفر بيان لذكر الفسق، وذكر التكاسل عن الصلاة لإظهار أنهم متهاونون بأعظم عبادة فكيف يكون إنفاقهم عن إخلاص ورغبة^(٢).

وعلى هذا فظاهر لفظ الآية، يدل على أن منع القبول معلل بمجموع الأمور الثلاثة، وهي الكفر بالله ورسوله، وإتيان الصلاة وهم كسالى، والإنفاق على سبيل الكراهية، فهم متناقلون كأنهم غير راغبين في أدائها، فمظهرهم وهم يصلون لا يتوافق فيه العمل مع القلب لأنهم ما داموا كفاراً، ليست لديهم رغبة تبعثهم على العمل، وإنما هم يؤدونها حتى يدفعوا بهذا الأداء تهمة الكفر، فإذا كانوا كذلك، فليس لهم صلاة مقبولة، وهذا قول جمهور المفسرين، والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (١٤ / ٢٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٠ / ٢٢٧).



[٤٨] قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ٦٦].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف قال: كفرتم بعد إيمانكم، وهم لم يكونوا مؤمنين؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: معناه: أظهرتم الكفر بعدما أظهرتم الإيمان^(١).

دراسة التساؤل: قال جمهور المفسرين: إن سبب نزول هذه الآية ما أخرج

ابن أبي حاتم، وابن جرير عن ابن عمر، وزيد بن أسلم والقرظي: ((قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب أسناً، ولا أجبين عند اللقاء، يعني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين، فقال له عوف بن مالك-رضي الله عنه-: كذبت، ولكنك منافق لا خير فيك، لأخبرن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فذهب عوف ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، ف جاء ذلك الرجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إنما كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عناء الطريق، قال ابن عمر: كأني انظر إليه متعلقاً بنسعة^(٢) ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن الحجارة لتتكب رجلية، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥]. ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه^(٣).

وكان البغوي-رحمه الله- أجاب عن هذا التساؤل بقوله: أظهرتم الكفر بعدما

أظهرتم الإيمان، وذلك أن المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الإيمان، فلما

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٧٠).

(٢) النسع: سير عريض، تشد به الرحال، والقطعة منه نسعة، وسمي نسعا لطوله. القاموس المحيط، فصل النون، باب: العين (٧٦٦).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٣)، قال المحقق: أحمد شاكر: سند ابن جرير عن ابن وهب قال، حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، إسناد صحيح. ورواه الليث، عن هشام بن سعد، بنحو من هذا، تفسير ابن كثير، (٤/ ١٧١)، تفسير ابن أبي حاتم، (٦/ ١٨٢٩)، التفسير البسيط (١٠/ ٥٣٤).

حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد إيمانكم، وهذا المقال الذي قالوه قد تضمن الإيذاء والاستهزاء بالنبي-عليه الصلاة والسلام- وإن كان على وجه اللعب والمزح، كما ذكر ذلك في سبب النزول. وهذا قول الحسن البصري^(١).
وممن وافق البغوي-رحمه الله- في هذا الجواب من المفسرين: الزجاج، والسمعاني، والرازي، وأبو حيان، والشوكاني، والقاسمي، وابن عاشور^(٢).
قال ابن عاشور-رحمه الله-: والمراد بإسناد الإيمان إليهم: إظهار الإيمان، وإلا فهم لم يؤمنوا إيماناً صادقاً، والمراد بإيمانهم: إظهارهم الإيمان، لا وقوع حقيقته، وقد أنبأ عن ذلك إضافة الإيمان إلى ضميرهم دون تعريف الإيمان باللام المفيدة للحقيقة، أي: بعد إيمان هو من شأنكم، وهذا تعريض بأنه الإيمان الصوري غير الحق، ونظيره قوله تعالى الآتي: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٧٤]. وهذا من لطائف القرآن^(٣).

وأجاب غير البغوي عن التساؤل:

بأنهم كفروا باستهزائهم بالله وآياته ورسوله، بعد أن كانوا مؤمنين. وهذا قول ابن جرير، وابن تيمية^(٤).

قال ابن تيمية-رحمه الله- في قوله-تعالى-: ﴿لَا تَعْتَدِرُوا قَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكن لم يظنوه كفراً، وكان كفراً كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه، وهكذا قال غير واحد من السلف^(٥).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩٦ / ١٦).

(٢) تفسير البغوي، (٧٠ / ٤)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٥٩ / ٢)، تفسير السمعاني (٣٢٤ / ٢)، مفاتيح

الغيب أو التفسير الكبير (٩٦ / ١٦)، البحر المحيط في التفسير (٤٥٤ / ٥)، فتح القدير للشوكاني (٤٣٠ / ٢)،

محاسن التأويل (٤٤٩ / ٥)، التحرير والتنوير (٢٥٢ / ١٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥٢ / ١٠).

(٤) تفسير ابن جرير، (٣٣٦ / ١٤)، مجموع الفتاوى، (٣١٢ / ١١).

(٥) مجموع الفتاوى، (٣١٢ / ١١).



وقال في موضع آخر: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم، لا يصح؟ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر.

وقال-رحمه الله- أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم مازالوا هكذا، بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق، وتكلموا بالاستهزاء، صاروا كافرين بعد إيمانهم، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن الجوابين متقاربين: وأن المراد أنهم كفروا بعد إيمانهم الذي أظهره، هم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فالله-عز وجل- جعل ذلك نقضاً منهم لإيمانهم الظاهر المُدعى المُعلن، وهم كفار في الباطن، ولم يكونوا مؤمنين كما هو معلوم.

ويحسن أن أنقل هنا تساؤل صاحب تفسير المنار- لأن له زيادة توضيح وترتيب- فقال: فإن قيل: ظاهر هذا أنهم كانوا مؤمنين فكفروا بهذا الاستهزاء الذي سموه خوضاً ولعباً. فقال رحمه الله:- ظاهر السياق أن الكفر الذي يسرونه، هو سبب الاستهزاء الذي يعلنونه. قلنا: كلاهما حق، ولكلٍ منهما وجه.

فالأول: بيان لحكم الشرع، وهو أنهم كانوا مؤمنين حكماً، فإنهم ادعوا الإيمان، فجرت عليهم أحكام الإسلام، وهي إنما تبنى على الظواهر، والاستهزاء بما ذكر عمل ظاهر يقطع الإسلام ويقتضي الكفر، فبه صاروا كافرين حكماً، بعد أن كانوا مؤمنين حكماً.

والثاني: وهو ما دل عليه السياق هو الواقع بالفعل، والآية نص صريح في أن الخوض في كتاب الله وفي رسوله، وفي صفات الله -تعالى- ووعده ووعيده، وجعلها موضوعاً للعب والهزؤ، كل ذلك من الكفر الحقيقي الذي يخرج به المسلم من الملة، وتجري عليه به أحكام الردة، إلا أن يتوب ويجدد إسلامه^(٢).

(١) مجموع الفتاوى، (١١ / ٣١١).

(٢) تفسير المنار (١٠ / ٤٥٧).

[٤٩] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١١٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله عز وجل، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها^(١).
دراسة التساؤل: تعريف التوبة لغة: التوبة، الرجوع من الذنب. وفي الحديث: ((الندم توبة))^(٢).

والتوب: جمع توبة، مثل عزمة وعزم. وتاب إلى الله يتوب توباً وتوبة ومتاباً: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة^(٣).
وقيل: تاب إلى الله توباً، وتوبة، ومتاباً، وتابة. رجع عن المعصية، وهو تائب، وتواب، وتاب الله عليه: وفقه للتوبة، أو رجع به من التشديد إلى التخفيف، أو رجع عليه بفضله، وقبوله. وهو تواب على عباده. واستتابة: سأله أن يتوب^(٤).
ومعنى التوبة اصطلاحاً: هي الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب والعزم على تركها دائماً لله-عز وجل- لا لأجل نفع الدنيا أو أذى^(٥).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ١٠٥).

(٢) مسند أحمد، (٣٧/٦) برقم (٣٥٦٨)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: ذكر التوبة، (٥/٦٤٠)، برقم،

(٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٦٨٠٢).

(٣) لسان العرب (١/ ٢٣٣).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٣٠٤).

(٥) الآداب الشرعية ابن مفلح، (١/٧٤).



قال الطبري-رحمه الله-: معنى التوبة من العبد إلى ربه، إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه^(١).

وعرفها الراغب-رحمه الله- بقوله: هي ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة^(٢).

وبعد التعريف نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل حيث أجاب بقوله: إن الله-تعالى- ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله-عز وجل- فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها، فعلى هذا تكون توكيداً للتأكيد، وهذا قول جمهور المفسرين.

قال القاسمي-رحمه الله-: ذكر الله-تعالى- التوبة أولاً قبل ذكر الذنب، تفضلاً منه، وتطيباً لقلوبهم، ثم ذكر الذنب بعد ذلك، وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى، تعظيماً لشأنهم، وليعلموا أنه-تعالى- قد قبل توبتهم، وعفا عنهم. ثم أتبعه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ تأكيداً لذلك^(٣).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ثم تاب عليهم كرر ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم ذكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة^(٤).

واستدلوا بقول النبي- صلى الله عليه وسلم - ((إن الله تعالى ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة))^(٥).

(١) تفسير الطبري (١ / ٥٤٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٦٩).

(٣) محاسن التأويل (٥ / ٥١٩).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢ / ٣٠٧).

(٥) لم أجده في مصادر السنة، لكن ذكره الواحدي في تفسيره، (١١ / ٨٤)، والرازي في تفسيره، (١٦ / ١٦٣).

وهذا معنى قول ابن عباس-رضي الله عنهما- في قوله-تعالى-: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يريد ازداد عنهم رضاً^(١).

وقد أجاب غير البغوي عن التساؤل:

أنه تاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة، فلما تابوا تاب عليهم ثانياً بقبولها منهم، وهو الذي وفقهم لفعلها، وتفضل عليهم بقبولها، فالخير كله منه وبه وله وفي يديه، يعطيه من يشاء إحساناً وفضلاً، ويحرمه من يشاء حكمة وعدلاً^(٢).

فتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من ربه، سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولاً إذناً وتوفيقاً وإلهاماً، فتاب العبد، فتاب الله عليه ثانياً، قبولاً وإثابة^(٣).

وذكر الرازي-رحمه الله- وجهاً آخر فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، وهذا الترتيب يدل على أن المراد أنه تعالى تاب عليهم من الوسوس التي كانت تقع في قلوبهم في ساعة العسرة، ثم إنه-تعالى- زاد عليه فقال: ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ فهذه الزيادة أفادت حصول وسوس قوية، فلا جرم أتبعها تعالى بذكر التوبة مرة أخرى لئلا يبقى في خاطر أحدهم شك في كونهم مؤاخذين بتلك الوسوس^(٤).

واختار الطبري وابن كثير: أن الله-جل ثناؤه- رزقهم الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم^(٥).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن التوبة الثانية، غير التوبة الأولى، وأن المراد بالتوبة الأولى التوفيق والإنابة إلى أمر الله وطاعته، والتوبة الثانية: المراد بها

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٦ / ١٦٣).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ٥١٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٣١٩).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٦ / ١٦٣).

(٥) تفسير الطبري (١٤ / ٥٣٩)، تفسير ابن كثير، (٤ / ٢٠٠).



القبول، وهذا بناءً على أن الأصل في كلام الله- عز وجل- أن يحمل على التأسيس الذي هو أولى من التأكيد (١).

وسبب اختلاف المفسرين في ذلك هو عود الضمير في قوله- تعالى-: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، فمن رأى أن الضمير يعود إلى المهاجرين والأنصار، قال بالتكرار، ويكون للتوكيد، ومن رأى أن الضمير يعود على الذين كادت تزيغ قلوبهم، لم يقل بالتكرار، ويكون المعنى عندهم، أن العسرة كانت شديدة، حتى كادت تزيغ قلوب فريق من هؤلاء المهاجرين والأنصار، ولكن الله سلم، وارتدت أفئدتهم، فتاب الله- تعالى- عليهم بسبب تلك الخواطر التي جاشت، وكادت تضلهم، وكان ذلك من رافة الله- تعالى- بهم (٢).

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ١٨٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٩٣).

التساؤلات في سورة يونس

[٥٠] قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: كيف قال: إن كنتم في شك، وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به؟.

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: كان فيهم شاكون، فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي-صلى الله عليه وسلم-(١).

دراسة التساؤل: معنى الشك في اللغة: الشك نقيض اليقين، والشك: اللزوم والالصوق(٢).

والشك الارتياب، وقول أئمة اللغة: الشك خلاف اليقين، هو التردد بين شيئين، سواء استوى طرفاه، أو رجح أحدهما على الآخر، ويقال: أصل الشك اضطراب القلب والنفس، فالشك في لغة العرب هو نقيض اليقين، وهو الارتياب، كما يعني اللزوم والالصوق(٣).

الشك في الشرع: موافق لمعناه في اللغة، والقرآن، وإن اختلفت العبارات ما بين زيادة ونقص.

قال الراغب: الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما. والشك ضرب من الجهل(٤).

وقيل: الشك هو الوقوف على حد الطرفين من الظن، مع تهمة ذلك الظن(٥).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ١٥٤).

(٢) العين، (٥/ ٢٧٠)، الصحاح، (٤/ ١٥٩٤)، معجم مقاييس اللغة، (٣/ ١٧٣) لسان العرب، (١٠/ ٤٥١).

(٣) المصباح المنير، (١/ ٤٣٦)، معجم مقاييس اللغة، (٣/ ١٧٣)، الصحاح، (٤/ ١٥٩٤).

(٤) المفردات، (٤٦١).

(٥) الحدود ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب، (١٩٩).



وقد يطلق الشك ويراد به تارة ما ليس بيقين، وإن كان هناك دلائل وشواهد عليه، كما قد يطلق الشك على ما دون طمأنينة القلب، وقد يطلق على الخواطر التي لا تثبت، فالشك إذاً درجات مختلفة^(١).

وقد ورد لفظ الشك في السنة، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن، قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي))^(٢).

وقد أجاب البغوي - رحمه الله - عن التساؤل بجوابين:
الجواب الأول: أنه كان في كفار مكة شاكون، فهم المراد بالآية، فجرى على التغليب، وهذا أسلوب عربي، أن يعطي الشيء حكم غيره.
وقد ذكر بعض العلماء، أن القرآن الكريم نزل على النبي - عليه الصلاة والسلام - بمذاهب العرب كلها، والعرب قد تخاطبون الرجل بالشيء وتريد غيره^(٣).

مثل قوله - تعالى -: ﴿وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَعْرَابِ مِائَاتٌ مِمَّا مَلَآتِ الْأَعْرَابُ﴾ [سورة التحريم: ١٢].

قال الزمخشري: لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلب ذكوره على إناثه^(٤).

وقال ابن عاشور: جرياً على طريقة التغليب وهو من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر^(٥).

وقد ذكر العرب أن التغليب يستعمل في صيغ العموم، ويستعمل في ألفاظ خاصة، بتغليب المثني، كالقمرين، والأبوين.

(١) مجموع الفتاوى، (١١/٢٣)، تفسير القرطبي، (٢٩٨/٣) فتح الباري، (٤٧٥/٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول - عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة - ٢٦٠]، (٤٦٧/٢) برقم، (٣٣٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، (١٣٣/١) برقم، (١٥١).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٥).

(٤) تفسير الزمخشري، (٤/٥٧٣).

(٥) التحرير والتنوير (٢٨/٣٧٩).

وذكر ابن قتيبة-رحمه الله-: أن الناس كانوا في عصر النبي-صلى الله عليه وسلم- أصنافاً ثلاثة: منهم كافر به مكذب، لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل. وآخر: مؤمن به مصدق يعلم أن ما جاء به الحق.

وشاك في الأمر لا يدري كيف هو، فهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى^(١). وقال أبو حيان-رحمه الله-وهو يصف حال الأمم مع رسلهم: بادروا أولاً إلى الكفر وهو التكذيب المحض، ثم أخبروا بأنهم في شك وهو التردد، كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض إلى التردد، أو هما قولان من طائفتين: طائفة بادرت بالتكذيب والكفر، وطائفة شكّت، والشك في مثل ما جاءت به الرسل كفر^(٢).

الجواب الثاني: أنهم لما رأوا الآيات التي ظهرت على يد النبي-عليه الصلاة والسلام- اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال إن كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم إليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لأنه دين إبراهيم-عليه السلام- وأنتم من ذريته وتعرفونه، ولا تشكون فيه وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في عبادتكم لهذه الأصنام التي لا أصل لها البتة^(٣).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن الله-تعالى- أخبرنا أن الكفار في شك من دين محمد-عليه الصلاة والسلام- وهذا الشك دخل من باب الباطل، والباطل لا حجة له، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على كفر من شك في البعث أو في شيء من القرآن أو في حكم من الأحكام، وغيره^(٤).

وعلى هذا فإن الأشكال يندفع ويزول بالجوابين اللذين ذكرهما البغوي-رحمه الله- والقاعدة الترجيحية تقول: إذا احتملت الآية على معان عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع، حمل عليها^(٥).

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٦٨).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤١٣).

(٣) تفسير الخازن، (٢/ ٤٦٧).

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٦٤).

(٥) مختصر قواعد التفسير (ص: ٢٩).



التساؤلات في سورة هود

[٥١] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ [سورة هود: ١٣].
نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: قد قال-تعالى- في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا بِسُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [سورة يونس: ٣٨].
وقد عجزوا عنه فكيف قال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهما فيعجز، فيقول: أعطني عشرة؟.

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
الجواب: قد قيل سورة هود نزلت أولاً، وأنكر المبرد-رحمه الله- هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولاً، وقال: معنى قوله في سورة يونس: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد، فعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة^(١).

دراسة التساؤل: كي يتم لنا تحرير أقرب الإجابات، ورفع الإشكال عن التساؤل الذي أورده الإمام البغوي-رحمه الله- يحسن بنا أن نذكر الخلاف في مسألتين:

المسألة الأولى: ترتيب نزول سور التحدي، ومعرفة الراجح في ذلك، فيزول الإشكال ويرتفع، فنقول وبالله التوفيق.

آيات التحدي ذكرت في خمس سور مكية، وواحدة مدنية، وتتنوعت في مقدار التحدي بمثله، أو بمثل سورة، أو عشر سور.

وقد ذهب بعض المفسرين في نزول سور آيات التحدي، على أنها نزلت حسب الترتيب التالي: القصص، الإسراء، يونس، هود، الطور، البقرة.

(١) تفسير البغوي، (٤/ ١٦٥).

والسور الخمس الأولى مكية باتفاق^(١)، وسورة البقرة مدنية باتفاق^(٢).
ولعل أبرز ما اعتمد عليه أصحاب هذا القول في ترتيب السور المكية،
روايات ضعيفة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وعن عكرمة والحسن
البصري^(٣).

المسألة الثانية: في ترتيب آيات التحدي على قولين:

القول الأول: إن التحدي كان وفق ترتيب النزول، ولم يكن مرحلياً، وممن
ذهب إلى هذا: محمد رشيد رضا، وسيد قطب^(٤).

قال سيد قطب-رحمه الله-: قال المفسرون القدامى: إن التحدي كان على
الترتيب بالقرآن كله ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة، ولكن هذا الترتيب ليس عليه
دليل، بل الظاهر أن سورة يونس سابقة والتحدي فيها بسورة واحدة، وسورة هود لاحقة
والتحدي فيها بعشر سور^(٥).

القول الثاني: إن التحدي كان مرحلياً متدرجاً، وكان التحدي على ثلاث
مراحل، وهي التحدي بمثله ثم بعشر سور ثم بسورة، وهذا قول جمهور المفسرين^(٦).
وهذا هو الأقرب، لأنه هو الذي يقتضيه العقل ولا يناقضه نقل صحيح،
بخلاف القول الأول، فهو ضعيف لضعف الروايات الواردة في ترتيب سور القرآن،
والله أعلم.

(١) وقد ذكر السيوطي عن ابن عباس في سورة يونس روايتين، ويبيّن أن المشهور كونها مكية ، وبه وردت
الروايات من طرق عنه خلافاً للرواية الثانية القائلة بمدنيتهما. الإتيان في علوم القرآن (١/ ٤٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣)، الإتيان في علوم القرآن (١/ ٤١).

(٣) أخرجه عنهما البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٤٢-١٤٤)، وفي إسنادهما: علي بن الحسين بن واقد
المخزومي عن أبيه، قال الذهبي عن الولد: حسن الحديث، وقال النسائي ليس به بأس، وقال أبو حاتم : ضعيف
الحديث، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١١). أما والده الحسين بن واقد المروزي، فقد وصفه الدارقطني وأبو علي
الخليلي بالتدليس، طبقات المدلسين لابن حجر، (ص: ٢٠).

(٤) تفسير المنار (١/ ١٦١)، في ظلال القرآن (٤/ ٥٢٣).

(٥) المرجع السابق.

(٦) تفسير القرطبي (٧٧/١)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٤٢٦)، تفسير القرآن
العظيم، (٢/ ٤١٩)، البرهان في علوم القرآن (٢/ ١١٨)، الإتيان (٤/ ٤)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/
٣١٢).



وأصحاب هذا القول: انقسموا فيه إلى فريقين، فريق يقول: بتقديم سورة هود، وحسبه في ذلك جواباً، وفريق آخر يقول: بتقديم سورة يونس على هود، ويقر بترتيب النزول غير أنه يجيب بإجابات مختلفة لحل الإشكال السابق.

الفريق الأول: قالوا: إن سورة هود متقدمة نزولاً على سورة يونس، وأن التحدي بعشر سابق للتحدي بسورة، وأنه لا يجوز العكس، وممن قال بهذا القول: الرازي، وأبو حيان، والألوسي، وذكر الألوسي أنه قول الكثير من العلماء^(١).

قال الرازي -رحمه الله- اعلم أن التحدي بعشر سور لا بد وأن يكون سابقاً على التحدي بسورة واحدة، وهو مثل أن يقول الرجل لغيره أكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب، فإذا ظهر عجزه عنه قال: قد اقتصرت منها على سطر واحد مثله.

إذا عرفت هذا فنقول: التحدي بالسورة الواحدة ورد في سورة البقرة، وفي سورة يونس كما تقدم، أما تقدم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر، لأن هذه السورة مكية، وسورة البقرة مدنية، وأما في سورة يونس فالإشكال زائل أيضاً، لأن كل واحدة من هاتين السورتين مكية، والدليل الذي ذكرناه يقتضي أن تكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس حتى يستقيم الكلام الذي ذكرناه^(٢).

وهذا ما أكده الألوسي بقوله: والكثير على أن هذا التحدي وقع أولاً فلما عجزوا تحداهم بسورة من مثله كما نطقت به سورة البقرة ويونس، وهو وإن تأخر تلاوة متقدم نزولاً وأنه لا يجوز العكس إذ لا معنى للتحدي بعشر لمن عجز عن التحدي بواحدة وأنه ليس المراد تعجيزهم عن الإتيان بعشر سور مماثلات لعشر معينة من القرآن^(٣).

الفريق الثاني: قالوا: إن سورة يونس متقدمة على سورة هود، وأجابوا عن الإشكال السابق بإجابات مختلفة، نذكر أهمها:

الجواب الأول: إن سورة هود متأخرة عن سورة يونس، وإن التحدي بعشر جاء بعد التحدي بواحدة غير أن التحدي يختلف بينهما، فالمطلوب في يونس: كمال المماثلة بالنظم والإخبار عن الغيوب والأحكام والوعد والوعيد، أما في هود

(١) التفسير الكبير، (١٩٥/١٧)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ١٣١)، روح المعاني (٦/ ٢٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٣٢٥).

(٣) تفسير الألوسي، (٦/ ٢٢٢).

فالمطلوب: المماثلة بالنظم فقط. وإلى هذا القول ذهب ابن عطية، والثعالبي، وروي عن المبرد^(١).

قال الألويسي: وضعفه في الكشف^(٢)، وقال: إنه لا يطرد في كل سورة من سور القرآن^(٣).

الجواب الثاني: إن سورة هود متأخرة في النزول إلا أنها لما نزلت على التدريج جاز أن تتأخر تلك الآية عن آية سورة يونس، وهذا لا ينافي تقدم السورة على السورة.

وهذا القول: عزاه الألويسي لأبي منصور الثعالبي في الكشف وأورد الرد عليه بأن ادعاء تأخر نزول تلك الآية خلاف الظاهر، وهو لا يقال بالرأي^(٤).

الجواب الثالث: إن قوله في هود: ﴿فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ معناه: مثل البقرة إلى هود، وهي العاشرة، وهو قول الكرمانلي، وعزى بعضهم القول به لابن عباس -رضي الله عنهما-^(٥).

ويُرد على هذا القول بأن سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة، مدنيات نزلن بعد سورة هود، فكيف تم التحدي بها قبل نزولها؟ قال أبو حيان: وهذه السور أكثرها مدني، فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد؟ ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس -رضي الله عنهما-^(٦). وهذا لا يحل إشكالية تأخر هود عن يونس، فيبقى أن التحدي بعشر جاء بعد التحدي بسورة.

(١) تفسير ابن عطية، (٣ / ١٥٥)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣ / ٢٤٨)، (٣ / ٢٧٥)، القول المنسوب إلى المبرد عزاه إليه البغوي في تفسيره، (٤ / ١٦٥).

(٢) أي: الكشف والبيان في التفسير، وهو لأبي منصور عبد الملك بن أحمد بن إبراهيم الثعالبي، انظر: حاجي خليفة كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢ / ١٤٨٨).

(٣) روح المعاني (٦ / ٢٢٢).

(٤) روح المعاني (٦ / ٢٢٢).

(٥) البحر المحيط في التفسير (٦ / ١٣١)، والألويسي (٦ / ٢٢٢).

(٦) البحر المحيط في التفسير (٦ / ١٣١).



وبعد هذا التقرير نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل حيث ذكر جوابين:

الجواب الأول: أن سورة هود نزلت قبل سورة يونس، وأن الله-تعالى- تحداهم أولاً بعشر سور، فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس، وقد ذكرنا أن هذا قول الجمهور.

الجواب الثاني: إن سورة يونس نزلت أولاً، قال: ومعنى قوله-تعالى- في سورة يونس ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ يعني: مثله في الإخبار عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد وفي قوله-تعالى- في سورة هود ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ يعني: في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بأن يقول لهم: ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حتى يعينوكم على ذلك إن كنتم صادقين، وهذا قول المبرد(١).

وقد رد هذا القول الثعالبي-رحمه الله- حيث قال: وقال بعض الناس: هذه الآية: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ متقدمة على التي في يونس، إذ لا يصح أن يعجزوا عن واحدة ثم يكلفوا عشرًا، وأجاب: وقائل هذا القول لم يلاحظ ما ذكرناه من الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة كما هو في سورة يونس، ووقوعها على النظم مرة كما هو هنا(٢).

وأيضاً: مما يضعف هذا القول أن الإخبار بالغيب والأحكام والوعد والوعيد، ليس عاماً في سور القرآن.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **الجواب الأول:** أن الله-تعالى- بين إعجاز القرآن، وتدرج بالتحدي، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين. وبهذا يستقيم الجواب عن التساؤل، ويزول الإشكال.

(١) تفسير البغوي، (٤/ ١٦٥).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٢٧٥).

[٥٢] قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة هود: ٣٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هذا على ازدواج الكلام، يعني إن تستجهلونني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم.

وقيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخرتكم (١).

دراسة التساؤل: يقال: سخر منه وبه سخرأً، وسخرأً وسخرأً وسخرأً، بالضم، وسخرة وسخرياً، وسخرياً وسخرية: هزئ به (٢).

ومعنى السخرية في الاصطلاح: الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء (٣).

قال ابن عطية -رحمه الله- والسخر: الاستجهال مع استهزاء (٤).

ويحسن أن نذكر الفرق بين الاستهزاء والسخرية: أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزئ به من أجله.

والسخر: يدل على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه، وذلك أنك تقول: استهزأت به. فتعدى الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول: سخرت منه. فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول: تعجبت منه. فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله (٥).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ١٧٥).

(٢) لسان العرب (٤/ ٣٥٢)، القاموس المحيط (ص: ٤٠٥).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٣/ ١٣١).

(٤) تفسير ابن عطية، (٣/ ١٧٠).

(٥) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٥٤).



وأجاب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل بجوابين:

الجواب الأول: هذا على ازدواج^(١)، الكلام، يعني إن تستجهلونني فإنني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم، أي: إن حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع، فإننا نحكم عليكم بالجهل فيا أنتم عليه بالكفر، والتعرض لسخط الله وعقابه، وهذا جعله مجازاة على السخرية فجاء به على مزوجة الكلام. وممن وافق البغوي في هذا الجواب من المفسرين: الرازي، وأبو السعود، والألوسي^(٢).

وقد ذكر المفسرون في سبب سخريتهم من نوح-عليه السلام- قولين:
الأول: أنهم كانوا يرونه يعمل السفينة، فيقولون: يا نوح! صرت بعد النبوة نجاراً.

الثاني: أنهم لما شاهدوه يعمل السفينة، وكانوا لا يعرفونها قبل ذلك، قالوا: يا نوح ما تصنع بها؟ قال: أمشي بها على الماء فعجبوا من قوله، وسخروا به^(٣). ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- حيث قال: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، ومياه البحار هي بقية^(٤). قال أبو السعود-رحمه الله- وإطلاق السخرية عليه للمشاكلة^(٥)، وجمع الضمير في ﴿مِنَّا﴾ إما لأن سخريتهم منه -صلى الله عليه وسلم- سخرية من المؤمنين أيضاً، أو لأنهم كانوا يسخرون منهم أيضاً، إلا أنه اكتفي بذكر سخريتهم منه صلى الله عليه وسلم ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله-تعالى- ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾^(٦).

(١) الازدواج: هو تجانس اللفظين المجاورين، نحو: من جدّ وجدّ، ومن لجّ ولجّ. ينظر: جواهر البلاغة، (٣٣٠).

(٢) مفاتيح الغيب، (٣٤٦/١٧)، تفسير أبي السعود، (٢٠٧/٤)، تفسير الألوسي، (٦/٢٥٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/٥٦٤).

(٤) تفسير القرطبي (٩/٣٣).

(٥) المشاكلة في اللغة المشابهة والمماثلة. وفي الاصطلاح هنا: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

ومثلا له بقول: عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا. ينظر: البلاغة العربية (٢/٤٣٨)، تحقيق الفوائد الغياثية (٢/٧٩٤).

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/٢٠٧).

وقال الألويسي-رحمه الله- قال بعضهم: إن في الآية دليلاً على جواز مقابلة^(١)، نحو الجاهل والأحمق بمثل فعله ويشهد له قوله -تعالى-: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. إلى غير ذلك، والظاهر أن كلا الفعلين واقع في الحال^(٢).

الجواب الثاني: إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخرتكم، فأنتم الآن تسخرون منا في الحال فإننا نسخر منكم في المستقبل إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة، وعندما يحل عليكم غضب من الله و انتقام شديد على ما تقومون به من كفر و صدود و سخرية أنتم أهل لها.

قال ابن عاشور-رحمه الله- فالكفار سخروا من نوح- عليه السلام- لعمل جهلون غايته، ونوح- عليه السلام- وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم بأنهم جاهلون في غرور، كما دل عليه قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة هود: ٣٩]. فهو تفريع على جملة: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ أي: سيظهر من هو الأحق بأن يسخر منه^(٣).

وهناك قول ثالث مروى عن ابن جريج-رحمه الله- قال: المعنى إن تسخروا منا في الدنيا فإننا نسخر منكم في الآخرة^(٤).

قال الطبري مرجحاً هذا القول: إن تهزؤوا منا اليوم، فإننا نهزأ منكم في الآخرة، كما تهزؤون منا في الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، إذا عاينتم عذاب الله، من الذي كان إلى نفسه مسيئاً منا^(٥).

(١) المقابلة هي: إيراد الكلام، ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. نحو قوله - تعالى-: قال تعالى: {إني ما مم نر نز نم نى} [سورة النمل: ٥٠]. فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته، وقيل هي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب. ويمكن القول بأن المقابلة هي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب. ينظر: علم البديع (ص: ٨٦)، الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ٣٣٧)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ١٥).

(٢) روح المعاني (٦/ ٢٥٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٦٩).

(٤) تفسير الألويسي، (٦/ ٢٥٠).

(٥) تفسير الطبري، (١٥/ ٣١٠).



قال ابن القيم-رحمه الله- وتأمل كيف قابل-سبحانه-ما قاله الكفار في أوليائه في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة؛ فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة المطففين: ٣٢] قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة المطففين: ٣٤]. مقابلة لتغامزهم بهم وضحكهم منهم (١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن المراد بالسخرية في هذه الآية: هو الاستجهال مع الاستهزاء، فيكون معنى الآية: إن تستهزئوا-أيها الملأ- منا اليوم عندما نصنع السفينة، فإننا نستهزئ بكم الآن لجهلكم بما يصير إليه أمركم من الغرق في الدنيا والعذاب في الآخرة.

فنسخر منكم اليوم لجهلكم، وغداً لما سيحل بكم، وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب (٢).

وعلى هذا جمعنا بين الأقوال، لأن الجمع واجب إذا أمكن، وهو مقدم على الترجيح بين الأدلة، ومن القواعد المقررة عند العلماء: الجمع مقدم على الترجيح، أو الإعمال أولى من الإهمال (٣).

(١) إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان ط عالم الفوائد، (١/ ٥٠).

(٢) تفسير السعدي، (ص: ٣٨٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٩٧)، الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: ١٢٨).

التساؤلات في سورة يوسف

[٥٣] قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة يوسف: ١٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معناه إنك تتهمنا في هذا الأمر لأنك خفتنا في الابتداء واتهمتنا في حقه. وقيل: معناه لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا وإن كنا صادقين عند الله^(١).

دراسة التساؤل: تقدم تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على أن المراد بالإيمان في اللغة التصديق.

قال الواحدي-رحمه الله- في قوله تعالى:- ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾، أي: مصدق لنا^(٢). وهو قول عامة المفسرين، وأصحاب المعاني^(٣).

قال الأزهري بعد ذكر قوله تعالى:- ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾. قال: لم يختلف أهل التفسير أن معناه وما أنت بمصدق لنا، ولهذا نقول: اتفق أهل التفسير مع أهل اللغة على أن الإيمان في اللغة هو التصديق^(٤). وقال في موضع آخر: واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق^(٥).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٢٢).

(٢) التفسير البسيط (١٢/ ٤٥).

(٣) قلت: إن كان المقصود أن ذلك في اللغة، فالأمر فيه واسع وهو محل خلاف، وإن كان المقصود المعنى الشرعي فهو مردود. والإيمان عند علماء السلف: تصديق القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح. انظر: شرح العقيدة الطحاوية، (٣٨١، ٣٨٢). التفسير البسيط (١٢/ ٤٥).

(٤) تهذيب اللغة، (١٥/ ٥١٤).

(٥) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٨).



وقد اعترض بعض العلماء على دعوى الإجماع على أن الإيمان معناه في اللغة التصديق.

قال ابن أبي العز (١)-رحمه الله- وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أنه يصح في موضع فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقاً؟ (٢)

وبعد هذا التقرير نذكر جواب الإمام البغوي- رحمه الله - عن تساؤله الوارد في صدر المسألة وقد أجاب بجوابين:

الجواب الأول: معناه: أنك تتهمنا في هذا الأمر لأنك خفتنا في الابتداء واتهمتنا في حقه، والمقصود بالخوف الأول في بداية الأمر، عندما طلب إخوة يوسف من أبيهم ارسال يوسف معهم إلى الصحراء يرتع ويلعب، فقال لهم يعقوب: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [سورة يوسف: ١٣]. أي: يحزنني ذهابكم به، والحزن هنا: ألم القلب بفراق المحبوب، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ وذلك أن يعقوب-عليه السلام- كان رأى في المنام أن ذنباً شد على يوسف، فكان يخاف من ذلك، فمن ثم قال هذه المقالة (٣).

قال ابن عطية-رحمه الله-: والمعنى: ولو كنت تعتقد ذلك فينا في جميع أقوالنا قديماً لما صدقتنا في هذه النازلة، خاصة لما لحقك فيها من الحزن، ونالك من المشقة، ولما تقدم من تهمتك لنا (٤).

فعلى هذا فإن يعقوب-عليه السلام- قد غلب عليه سوء الظن بأبنائه، فاتهمهم وكذبهم، ولو كانوا صادقين عند أنفسهم وعند الله، لأنه قد علق بقلبه من

(١) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي: فقيه. كان قاضي القضاة بدمشقي: فقيه.
كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، له مؤلفات نافعة، منها شرح العقيدة الطحاوية وغيرها. توفي: (٧٩٢ هـ) الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٣).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣١).
(٣) تفسير البغوي - طيبة (٤/ ٢٢٠).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٢٦).

التهمة لهم في ذلك مع شدة محبته ليوسف-عليه السلام. وهذا جواب أغلب المفسرين مع اختلاف عباراتهم.

الجواب الثاني: أن معناه لا تصدقنا، لأنه لا دليل لنا على صدقنا، وإن كنا صادقين عند الله.

وذكر هذا القول الرازي-رحمه الله- بقوله: والمعنى: إنا وإن كنا صادقين فإنك لا تصدقنا لأنه لم تظهر عندك أمانة تدل على صدقنا^(١).

وبناءً على ذلك لم يصدقهم يعقوب-عليه السلام- لما ظهر له منهم من قوة التهمة وكثرة الأدلة على خلاف ما قالوه، لأنهم لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها، وهي سلامة القميص من التخريق، إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص، ويسلم القميص من التخريق، ولما تأمل يعقوب- عليه السلام- القميص فلم يجد فيه خرقاً ولا أثراً استدل بذلك على كذبهم، وقال لهم: متى كان هذا الذئب حكيماً يأكل يوسف ولا يخرق القميص! قاله ابن عباس وغيره^(٢).

قال الرازي: ولعل غرضهم في نزع قميصه عند إلقائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا توكيداً لصدقهم، لأنه يبعد أن يفعلوا ذلك طمعاً في نفس القميص ولا بد في المعصية من أن يقرن بهذا الخذلان، فلو خرّقه مع لطفه بالدم لكان الإيهام أقوى، فلما شاهد يعقوب القميص صحيحاً علم كذبهم^(٣).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **الجواب الأول:** أن معنى الآية: وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يتهمون، لسوء ظنك بنا، وتهمتك لنا، فأنت لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقّة الشديدة عليه، وحبك له وميلك إليه، من بين سائر إخوته.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٤٢٩).

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ١٤٩).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٤٢٩).



[٥٤] قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا

سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ [سورة يوسف: ٧٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف قالوا لقد علمتم؟ ومن أين علموا ذلك؟.

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرأ أحداً شيئاً فاسألوا عنا من مررنا به: هل ضررنا أحداً؟

وقيل: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما

رددناها.

وقيل: قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا

دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس^(١).

دراسة التساؤل: قال ابن الأثير-رحمه الله-: ورد قوله-تعالى- في سورة

يوسف- عليه السلام-: ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا

كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ فقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه، وفائدته تقرير

إثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة، أي: إنكم قد علمتم هذا منا، ونحن

مع علمكم به نقسم بالله على صدقه^(٢).

وقد تساءل البغوي-رحمه الله- وأجاب عن تساؤله بثلاثة أجوبة يمكن تقريرها

كالتالي:

الجواب الأول: قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، فإننا منذ قطعنا هذا

الطريق لم نرأ أحداً شيئاً فاسألوا عنا من مررنا به: هل ضررنا أحداً؟

فحلفوا على أنهم يعلمون صلاحهم وتجنبهم الفساد وذلك أنهم كانوا معروفين

بأنهم لا يظلمون أحداً ولا يرزأون شيئاً لأحد^(٣).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٦١).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (٣/ ٤٢).

(٣) الوجيز للواحدى (ص: ٥٥٤).

وقد ذكر هذا الوجه الطبري-رحمه الله- فقال: إنهم كانوا قد عرفوا في طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحداً ولا يتناولون ما ليس لهم، فقالوا ذلك حين قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَسَدْرُقُوتٌ﴾ [سورة يوسف: ٧٠] (١).

الجواب الثاني: : أنهم قالوا ذلك: لأنهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم، قالوا: فلو كنا سارقين ما رددناها، وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم؟ وهذا وجه قوي يُعززه قياس الأولى، وقد روي: أن إخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة في الرحال وتخرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا: لقد علمتم أي لقد علمتم منا التحري (٢).

وهذا القول مروى عن الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل (٣). وإلى هذا الوجه ذهب ابن جرير الطبري-رحمه الله- فقال: فإن قال قائل: وما كان علم من قيل له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ بأنهم لم يجيئوا لذلك حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه؟ قيل: استجازوا أن يقولوا ذلك؛ لأنهم فيما ذُكر ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، فقالوا: لو كنا سُرَّاقاً لم نرد عليكم البضاعة التي وجدناها في رحالنا (٤).

وهذا الوجه يتوجه للإجابة، إلا أنه قد روي أن يوسف-عليه السلام- عندما وضع البضاعة في رحالهم، كان الغرض منها مواساة وحال أبيه، وأن يرجعوا أيضاً، فهل أرجعوها؟

قال الرازي: أراد به التوسعة على أبيه؛ لأن الزمان كان زمان القحط (٥). لكن الرازي-رحمه الله- ذكر عن الفراء كلاماً يدفع ما قاله فقال الفراء: إنهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم وقع في قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة في

(١) تفسير الطبري (١٦ / ١٨٢).

(٢) تفسير ابن عطية، (٣ / ٢٦٥).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢ / ٤٥٨).

(٤) تفسير الطبري (١٦ / ١٨١).

(٥) مفاتيح الغيب: (١٨ / ٤٧٩).



رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد الأنبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه، أو رجعوا ليردوا المال إلى مالكة(١).

الجواب الثالث: قالوا ذلك لأنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم، وكانوا إذا دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئاً من حروث الناس. وهذا الوجه يدخل تحت الوجه الأول، وكثير من المفسرين جعلوه وجهاً واحداً. قال الرازي-رحمه الله- مبيناً ذلك: إنهم ما جاءوا لأجل الفساد في الأرض، لأنه ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف في أموال الناس بالكلية، لا بالأكل ولا بإرسال الدواب في مزارع الناس، حتى روي أنهم كانوا قد سدوا أفواه دوابهم لئلا تعبت في زرع، وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات، ومن كانت هذه صفته فالفساد في الأرض لا يليق به(٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن الوجوه السابقة التي ذكرها البغوي-رحمه الله- لها وجه من الصحة، يشهد لها عرف الناس وعاداتهم، وتدينهم، واخلاقهم، ومروءتهم، فم يحفظون عهداً من النبوة. ولهذا لا يمكن الجزم بأحدها دون الآخر، فمجموع الأوجه يندفع بها الإشكال، ويزول بها التساؤل. والقاعدة الترجيحية عند العلماء تقول: الجمع مقدم على الترجيح، أو الأعمال أولى من الإهمال(٣).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٨ / ٤٧٩).

(٢) المرجع السابق، (١٨ / ٤٨٧).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢ / ٩٧)، الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: ١٢٨).

[٥٥] قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ

جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ [سورة يوسف: ٨٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: كيف قال ما فعلتم بيوسف وأخيه، وما كان منهم إلى أخيه، وهم لم يسعوا
في حبسه؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: قد قالوا له في الصاع ما يزال لنا بلاء، وقالوا: ما رأينا منكم يا بني راحيل خيراً.
وقيل: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف-عليه السلام-(١).
دراسة التساؤل: قال ابن فارس: الجيم والهاء واللام أصلان، أحدهما: خلاف
العلم، والآخر: الخفة، وخلاف الطمأنينة، فالأول الجهل نقض العلم، والمجهلة:
الأمر الذي يملك على الجهل" (٢)

قال الراغب في معنى (جهل): "الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلؤ
النفس من العلم، هذا هو الأصل، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه،
والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو
فاسداً، كمن يترك الصلاة متعمداً... والجاهل تارة يُذكر على سبيل الذم، وهو
الأكثر، وتارة لا على سبيل الذم، والمجهل: الأمر والأرض والخصلة التي تحمل
الإنسان على الاعتقاد بالشيء خلاف ما هو عليه" (٣)
والذي يظهر أن ما ذكره الراغب في المعنى الثاني والثالث يرجع إلى الأصل
الأول عند ابن فارس.

وكان البغوي-رحمه الله- قد أجاب عن التساؤل بجوابين هما كالتالي:
الجواب الأول: قد قالوا له في الصاع ما يزال لنا بلاء، قالوا: عندما أخرج
الصواع من رحل بنيامين نكسوا رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين وقالوا: يا

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٧٣).

(٢) مقاييس اللغة: (١/ ٤٩٠).

(٣) المفردات، (٢٠٩).



بنيامين أي شيء الذي صنعت، فضحتنا وسودت وجوهنا، يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت الصواع؟(١)

وهذا نوع من أنواع الإيذاء، لأن فيه افتراء واتهام بالسرقة.

الجواب الثاني: لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف-عليه السلام- وهذا الوجه قوي من جهة قرائن القصة، وما وقع في قلوب إخوة يوسف من غيرة وحسد ليوسف-عليه السلام-، ثم ما ترتب على ذلك من حب وأخذ مكانة في قلب يعقوب-عليه السلام- بعد أخيه، وهذا قد يُسبب له الأذى.

وأجاب غير البغوي عن هذا التساؤل:

الجواب الثالث: أنهم فرقوا بينه وبين يوسف، فنغصوا عيشه بذلك، وهذا المعنى ذكره ابن جرير-رحمه الله- في تفسير الآية، فقال: " فتأويل الكلام: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه؛ إذ فرقتم بينهما، وصنعتن ما صنعتن؛ إذ أنتم جاهلون، يعني: في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف، وما إليه صائر أمره وأمركم؟(٢).

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما فعلهم بأخيه؟ قلت: تعريضهم إياه للغم والتكل(٣) بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه، وجفائهم به، حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز، وإيذاؤهم له بأنواع الأذى(٤).

ويشهد لهذا الوجه أيضًا قوله بعد ذلك: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ [سورة يوسف: ٩٠]. ففيه

إشارة إلى معنى إيذائهما بالتفريق بينهما، وقد منَّ الله عليهما بأن جمعهما بعد ما فرقوا بينهما(٥).

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٢٤٢).

(٢) تفسير الطبري، (١٦/ ٢٤٤).

(٣) فقدان المرأة ولدها، كما في الصحاح. والمراد هنا الحزن. مختار الصحاح (ص: ٤٩)، تفسير الزمخشري، (٢/ ٥٠١).

(٤) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٠١).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٤).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثالث: وهو قول جمهور المفسرين والمقدم عندهم، ويدل على ذلك:

أنه ألصق بالسياق، وأقوى قرينة، والمتبادر الى الذهن، خاصة إذا نظرنا الى كثرة شوق وفقد والده عليه بعد ذهاب يوسف-عليه السلام، تبين أن فعلهم بأخي يوسف-عليه السلام- هو إدخال الغم عليه بفراق أخيه الشقيق، وما كان يناله من جهتهم من الاحتقار والإهانة حتى كان لا يقدر أن يكلمهم.

وهذا يندرج تحت الإيذاء العام الذي لحق بنيامين من فراق أخيه، وتذمرهم في نقده، ومباشرتهم لذلك دون رعاية لحق أبيهم وهدى النبوة. والله أعلم.



[٥٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٩٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: فقد قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ﴾ فكيف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بعدما أخبر أنهم دخلوها؟ وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قد قيل: إن يوسف إنما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر، وفي الآية تقديم وتأخير، والاستثناء يرجع إلى الاستغفار، وهو من قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله.

وقيل: الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله تعالى، كما قال: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [سورة الفتح: ٢٧].

وقيل: إن ها هنا بمعنى إذ، يريد: إذ شاء الله، كقوله -تعالى-: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم مؤمنين (١).

دراسة التساؤل: التساؤل في الآية يتركب من جزئين:

الجزء الأول: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ﴾؟ ذكر العلماء فيها قولين:

القول الأول: أنهم دخلوا أرض مصر حين استقبلهم يوسف -عليه السلام- ثم قال لهم: ادخلوا مصر يعني البلد (٢). وهذا قول السدي، والطبري، ومكي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وأبو حيان (٣).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٧٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، (٢/ ٤٧٣).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٥)، الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٦٣٦)، الوجيز للواحدي (ص: ٥٦٠)، تفسير

البغوي (٤/ ٢٧٨)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٠٥)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ٣٢٦).

وقد قيل في توجيه هذا القول: إنه تلقاهم إلى خارج مصر، فوقف منتظراً لهم في مكان أو خيمة، فدخلوا عليه ف: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ فلما دخلوا مصر، ودخلوا عليه دخولاً آخر في المكان الذي له بمصر رفع أبويه على العرش أي: أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك وخرجوا له سجداً أي الأيواء والإخوة^(١).

واعترض ابن كثير -رحمه الله- على هذا القول فقال: وفي هذا القول نظر؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل، كقوله -تعالى-: قال تعالى: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [سورة يوسف: ٦٩]. وفي الحديث: ((لعن الله من أوى محدثاً))^(٢)^(٣).

القول الثاني: أنهم دخول مصر، ثم قال لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ أي: استوطنوها^(٤).

قال ابن كثير -رحمه الله- ناصراً هذا القول: وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ وضمنه: اسكنوا مصر^(٥). قال ابن عطية -رحمه الله-: وقوله: ادخلوا مصر معناه: تمكنوا واسكنوا واستقروا، لأنهم قد كانوا دخلوا عليه^(٦).

الجزء الثاني: خلاف العلماء في معنى المشيئة في الآية على أقوال أهمها: **القول الأول:** أن الاستثناء راجع إلى الاستغفار، وهو من قول يعقوب -عليه السلام- لبنيه سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله. وعلى هذا في الآية تقديم وتأخير، أي: من المؤخر الذي معناه التقديم^(٧).

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الاضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله، (٦/ ٨٤) برقم (١٩٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير، (٤/ ٤١١).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٧٣).

(٥) المرجع السابق.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٨١).

(٧) تفسير السمرقندي، (٢/ ٢١٠).



وقالوا معنى الكلام: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم.
فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال: ادخلوا مصر آمنين.
وهذا مروى عن ابن جريج، واختاره من المفسرين: مكي، والثعلبي^(١).
وقد اعترض بعض المفسرين على هذا القول: بأنه بعيد عن معنى الآية، ولا
دليل عليه.

قال الطبري-رحمه الله- فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج ، ولا
وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة
واضحة^(٢).

ووافق ابن كثير ابن جرير الطبري في رده على من قال: بأن في الآية تقديم
وتأخير، فقال: وقد رد ابن جرير هذا، وأجاد في ذلك^(٣).

القول الثاني: أن الاستثناء يرجع إلى الأمن من الجواز لأنهم كانوا لا يدخلون
مصر قبله إلا بجواز من ملوكهم، يقول: آمنين من الجواز إن شاء الله تعالى، كما
قال: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، وقالوا: إن الناس كانوا
يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد إلا بجوازهم، فقال لهم يوسف-عليه السلام-
ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهلكم إن شاء الله، فعلى هذا يكون قوله إن شاء
الله للتبرك فهو كقوله-صلى الله عليه وسلم- ((وإنا إن شاء الله بكم لاحقون))^(٤)
مع علمه أنه لا حق بهم^(٥).

وهذا القول بعيد لا يخدمه لا دليل ولا سياق ولا قرينة، فالاستثناء وقع على
دخولهم آمنين، والتقدير فيه: لتدخلن المسجد الحرام آمنين إن شاء الله.

(١) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٤٥٨)، الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٦٣٨)، تفسير الثعلبي، (٥/ ٢٥٨).

(٢) تفسير الطبري، (١٦/ ٢٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير، (٤/ ٤١١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند دخول المقابر، (٣/ ٦٣) برقم (٩٧٤).

(٥) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٥٥٦).

القول الثالث: إن ها هنا بمعنى إذ، يريد: إذ شاء الله، كقوله -تعالى-: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذ كنتم مؤمنين، وهذا القول مبني على رأي الكوفيين، وخالفهم في ذلك ورد عليهم البصريون، وقالوا بأنها لا تقع بمعنى إذ، وقالوا: أجمعنا على أن الأصل في "إن" أن تكون شرطاً، والأصل في "إذ" أن تكون ظرفاً، والأصل في كل حرف أن يكون دالاً على ما وضع له في الأصل، فمن تمسك بالأصل فقد تمسك باستصحاب الحال؛ ومن عدل عن الأصل بقي مرتها بإقامة الدليل، ولا دليل لهم يدل على ما ذهبوا إليه، وقد اجابوا عن جميع ما استشهدوا به من الآيات^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **القول الأول:** أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، ويدل عليه سياق القصة.

والمقرر في القواعد عند المفسرين: أن حمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن^(٢).

أما من قال أن في الآية تقديم وتأخير، فإنه لا حاجة الى تكلف إخراج الكلام عن معناه دون دليل يدل عليه. ولهذا قال الزمخشري-رحمه الله-: ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير، وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب، وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره^(٣). والله أعلم.

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (٢/ ٥٢٠).

(٢) القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين (ص: ١١).

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٠٥).



التساؤلات في سورة الرعد

[٥٧] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٤٨﴾ [سورة الرعد: ٢٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: أليس قد قال الله-تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ [سورة الأنفال: ٢]. فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدته حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه^(١).

دراسة التساؤل: قال الراغب-رحمه الله-: الوجل: استشعار الخوف. يقال: وجل يوجل وجلاً، فهو وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

قال ابن منظور^(٢): وجل: الوجل: الفزع والخوف، وجل وجلاً. وقال الواحدي-رحمه الله-: وجل يوجل وجلاً فهو وجل وأوجل: إذا فرق وخاف^(٣).

قال الشاعر معن بن أوس المزني^(٤):

(١) تفسير البغوي، (٤ / ٣١٥).

(٢) هو: محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري المصري الإفريقي، من أئمة اللغة والتاريخ، عمل قاضياً فترة من الزمن، كان عالماً بالفقه والتفسير، من أهم مصنفاته: "لسان العرب"، و"مختصر تاريخ دمشق"، و"المنتخب المختار في النوادر الأشعار"، و"مختار الأغاني"، توفي سنة (٧١١هـ)، يُنظر ترجمته في: فوات الوفيات (٤ / ٣٩)، والدرر الكامنة (٦ / ١٥)، والأعلام للزركلي (٧ / ١٠٨).

(٣) المفردات (٥٥ / ٨٥)، لسان العرب (١١ / ٧٢٢)، مختار الصحاح (٤ / ٣٣٤)، التفسير البسيط (١٠ / ١٦).

(٤) هو: معن بن أوس بن نصر المزني، شاعر فحل، أدرك الجاهلية والإسلام، توفي سنة ٦٤هـ. "الإصابة، (٣ / ٤٩٩)، خزنة الأدب، (٧ / ٢٦٠)، الأعلام، (٧ / ٢٧٣).

لعمرك ما أدري، وإني لأوجل... على أينا تغدو المنية أول^(١).

تعريف الطمأنينة: قال الراغب: الطمأنينة والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج.

قال-تعالى-: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ١٠]. وقال-تعالى-: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ تنبيهاً أن بمعرفته تعالى والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس المسئول بقوله: ﴿لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢).

وقد ذكر أهل المعاني: أن الطمأنينة وردت في القرآن على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: تطمئن يعني تسكن، وذلك قوله في البقرة: ﴿لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾

[سورة البقرة: ٢٦٠]. إذا نظرت إليه، وقال في المائدة: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ [سورة

المائدة: ١١٣]. إذا رأينا المائدة. وقال في الرعد: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) يعني تسكن القلوب.

الوجه الثاني: الطمأنينة يعني الإقامة: وذلك قوله-تعالى-: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾

[سورة النساء: ١٠٣]. يقول: فإذا أقمتهم، ﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾، يعني فأنموا الصلاة.

الوجه الثالث: الطمأنينة يعني الرضى: وذلك في قوله-تعالى-: ﴿وَمَنْ أَلَّاسِ

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [سورة الحج: ١١]. يقول:

رضي به.

وقال-تعالى- في النحل: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾

[سورة النحل: ١٠٦]. أي: راض^(٣).

(١) البيت في "ديوانه"، (ص ٢٨)، وهو مطلع لا ميته المشهورة باسم لامية العجم، والتي يستعطف بها صديقه، وكان معن طلق أخته وتزوج بأخرى، فألى أخوها أن لا يكلمه. والشاعر يريد في البيت: أنه يؤثر أن يكون هو السابق في الوفاة، وهو وجل أن يبقى بعد وفاة صاحبه فيتألم لفراقه، ويذوق مرارة ذلك. شرح ديوان الحماسة" للتبريزي، (٣/ ٤١٣٢)، خزانة الأدب، (٨/ ٢٩١).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٢٤).

(٣) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، (ص: ٣٠٨)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص: ٢١٧)، المشترك اللفظي في الحقل القرآني (ص: ١٠٤).



وبعد هذا التقرير نذكر جواب البغوي -رحمه الله- وجمعه بين الآيتين فقال:
الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب.
فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله
وثوابه وكرمه.

قال الشنقيطي: فالمنافاة بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهرة.

والجواب عن هذا: أن الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد،
والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، كما يشير إلى ذلك قوله -تعالى-
: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٣] (١).

والمعنى: تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند
ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين (٢).

قال الزركشي -رحمه الله-: وقوله -تعالى-: ﴿اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ
بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ﴾ فقد
يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة وجوابه أن الطمأنينة إنما تكون بانسراح الصدر
بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب
لذلك وقد جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا
مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم ووثقوا به فانفتحت عنهم
الشك (٣).

وممن أورد هذا التساؤل وأجاب عليه بنفس الجواب: الواحدي، والرازي،
والخازن، والقاسمي، والسائيس، والشنقيطي (٤).

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٠٣).

(٢) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٢ / ٢٩١).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٦١).

(٤) التفسير البسيط (١٠ / ١٨)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩ / ٣٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل

(٢ / ٢٩١)، محاسن التأويل (٥ / ٢٥٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥ / ٢٥٩).

التساؤلات في سورة إبراهيم

[٥٨] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف هذا وقد بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى كافة الخلق؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: بعث من العرب بلسانهم، والناس تبع لهم، ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله- عز وجل- ويترجمون لهم بألسنتهم^(١).

دراسة التساؤل: معنى بلسان قومه: قال ابن فارس: اللام والسين والنون أصل صحيح واحد، يدل على طول لطيف غير بائن، في عضو أو غيره، من ذلك اللسان، معروف، وهو مذكر والجمع ألسن، فإذا كثر فهي الألسنة^(٢).

وقال الراغب: اللسان: الجارحة وقوتها، وقوله: ﴿وَأَحَلَّلَ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [سورة طه: ٢٧]. يعني به من قوة لسانه، فإن العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته التي هي النطق به، ويقال: لكل قوم لسان ولسن بكسر اللام، أي: لغة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [سورة الدخان: ٥٨]. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٥]. فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النغمات، فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر^(٣).

(١) تفسير البغوي - طيبة (٤ / ٣٣٥).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٢٤٦).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٤٠)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٨٩).



وقال الواحدي-رحمه الله:- واللسان يستعمل بمعنى الثناء، يقال: إن لسان الناس عليه لحسنة وخير، أي: ثناؤهم، ومنه قوله-تعالى:- ﴿وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٨٤]. وقال ابن الأنباري: العرب توقع اللسان على الخطبة، والرسالة والكلمة والكلام، واللسان: اللغة أيضاً، قال بعض المفسرين في قوله-تعالى:- ﴿إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ أي: بلغة قومه ليفهموا عنه ويعقلوا، ويقال: فلان يتكلم بلسان العرب، أي: بلغتهم^(١)

وبعد هذا التقرير نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل، حيث أجاب بقوله: بعث النبي-صلى الله عليه وسلم- من العرب بلسانهم، والناس تبع لهم، ثم بعث النبي-صلى الله عليه وسلم- الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله-عز وجل- ويترجمون لهم بألسنتهم، وهذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، كما جاء في الحديث، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم يبعث الله، عز وجل، نبياً إلا بلغته قومه^(٢)

وقد وافق البغوي في هذا الجواب كل من: السمعاني، وابن عطية، والرازي، والزمخشري، والخازن، والنيسابوري، والقاسمي^(٣)

ولهذا يقول ابن تيمية: والله-تعالى- قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه، لكن

(١) تفسير مقاتل، (١/ ١٩١)، الطبري، (١٣ / ١٨١)، السمرقندي، (٢/ ٢٠٠)، الثعلبي، (٧ / ١٤٥)، ابن عطية، (٨ / ١٩٩)، التفسير البسيط (١٢ / ٣٩٩).

(٢) المسند، (٣٥ / ٣٢٣) برقم، (٢١٤١٠)، حكم الحديث: منته صحيح، وأما الإسناد فرجاله رجال الصحيح، لكن مجاهد لم يسمع من أبي ذر.

(٣) تفسير السمعاني (٣ / ١٠٣)، تفسير ابن عطية، (٣ / ٣٢٣)، مفاتيح الغيب (١٩ / ٦٢)، تفسير الزمخشري، (٢ / ٥٣٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣ / ٢٨)، تفسير النيسابوري (٤ / ١٧٢)، محاسن التأويل (٦ / ٢٩٨).

لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبهم أولاً، ليبين لقومه، فإذا بين لقومه ما أراده، حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم، فإن قومه الذين بلغ إليهم أولاً يمكنهم أن يبلغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة، ويمكن لغيرهم أن يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول: تارة المعنى وتارة اللفظ(١).

وقد أجاب غير البغوي عن هذا التساؤل بجوابين:

الجواب الثاني: أن نزوله بلسان واحد أبعد عن التحريف والتبديل، وأسلم من التنازع والخلاف، فإرساله بلسان قومه أولى من إرساله بلسان غيره، لأنهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه لهم حتى يصير مفهوماً لهم كما فهموه، ولو نزل بلغات من أرسل إليهم وبينه لكل قوم بلسانهم، لكان ذلك مظنة للاختلاف وفتحا لباب التنازع؛ لأن كل أمة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وقد يفضي ذلك إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوي الباطلة التي يقع فيها المتعصبون(٢).

الجواب الثالث: المراد من قومه أهل بلده، وليس المراد من قومه أهل دعوته بدليل عموم الدعوة في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨]. وإلى الجن أيضاً؛ لأن التحدي ثابت لهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [سورة الإسراء: ٨٨].(٣).

وهذا القول له وجاهته، ويؤيده أن القوم يطلق: على الأمة وعلى الجماعة، فقوم كل رسول أمته المبعوث إليهم، إذ كان الرسل يبعثون إلى أقوامهم، وقوم محمد-

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢/ ٥٥).

(٢) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص: ٢٣٢)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٤/ ٣٢٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٣٣٦).



صلى الله عليه وسلم- هم العرب، وأما أمته فهم الأقبام المبعوث إليهم وهم الناس كافة.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن سائر الخلق تبع للعرب في الدعوة، وقد بعث النبي-صلى الله عليه وسلم- بلسان العرب، ثم إنه بعث بالرسالة إلى الأطراف يدعونهم إلى الله، وتترجم لهم قوله، فالترجمة كفيلة بإبلاغ القرآن والرسالة المحمدية إلى غير العرب، وهي الوسيلة الأولى للدعوة بالنسبة لمن يجهل العربية، ويحسن أن يضاف إلى هذا ما يكون في ذلك من وسيلة إلى انتشار اللسان العربي أيضاً، وهذا كان حال النبي-صلى الله عليه وسلم- فقد باشر النبي-صلى الله عليه وسلم- مهمة دعوة غير العرب ممن يعرفون العربية وممن لا يعرفونها معاً، وأرسل لهؤلاء رسله وكتبه بالعربية اعتماداً على الترجمة بطبيعة الحال. وكان ملوك فارس والروم ومصر والحبيشة من جملة من أرسل إليهم رسله وكتبه.

قال ابن عاشور-رحمه الله-: ومن حكمته-سبحانه وتعالى- أنه اختار أن يكون الكتاب المنزل إليهم بلغة العرب، لأنها أصلح اللغات جمع معان، وإيجاز عبارة، وسهولة جري على الألسن، وسرعة حفظ، وجمال وقع في الأسماع، وجعلت الأمة العربية هي المتلقية للكتاب بادئ ذي بدء، وعهد إليها نشره بين الأمم^(١).

(١) التحرير والتنوير (١٣ / ١٨٧).

[٥٩] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد كان إبراهيم-عليه السلام- معصوماً من عبادة الأصنام، فكيف يستقيم السؤال؟ وقد عبد كثير من بنيه الأصنام فأين الإجابة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: الدعاء في حق إبراهيم-عليه السلام- لزيادة العصمة والتثبيت، وأما دعائه لبنيه: فأراد بنيه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد الصنم. وقيل: إن دعاه لمن كان مؤمناً من بنيه^(١).

دراسة التساؤل: الأصنام لغة: الصنم: جثة متخذة من فضة، أو نحاس، أو خشب، أو حجر، كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى، وجمعه: أصنام^(٢). الأصنام اصطلاحاً: كل ما عبد من دون الله، بل كل ما يشغل عن الله-تعالى- يقال له صنم، وعلى هذا الوجه قال إبراهيم-صلوات الله عليه-: قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣).

قال مكي-رحمه الله-: والصنم: التمثال المصور، فإن لم يكن مصوراً فهو وثن^(٤).

قبل الجواب عن التساؤل، ينبغي على المسلم أن يعيش حياته خائفاً من أن يقع في كل أمر، أو ذنب يغضب الله-جل وعلا- ويسخطه وأعظم ما يجب أن يخاف منه العبد، وأن يحرص على اتقائه، وأن يجاهد نفسه على البعد عنه الشرك بالله - جل وعلا - فالخوف من الشرك مطلبٌ عظيم، ومنهج الأنبياء والصالحين.

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٣٥٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٩٣).

(٣) المرجع السابق.

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية (٥/ ٣٨٢٣)، تفسير الطبري، (١٧/ ١٧).



فهذا الخليل-عليه السلام- إمام الحنفاء، الذي جعله الله أمة وحده، وابتلي بكلمات فأتْمهن، وقد كسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقى في النار، مع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، بل كيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب، بل أولى بالخوف منه، وعدم الأمان بالوقوع فيه، قال إبراهيم التيمي غفر الله له: ((ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام)) (١).

فإبراهيم خاف على نفسه الوقوع في الشرك لما رأى كثرة وقوعه في الناس، وقال عن الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٦].

وبعد هذا التمهيد نحرر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل حيث أجاب بجوابين: لكن لو نظرنا الى التساؤل، وجدناه يتفرع الى تسأولين:

الأول: أن الأنبياء عليهم- الصلاة والسلام- لا يعبدون الأصنام البتة، فإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبي عن عبادة الأصنام؟

الثاني: أنه طلب من الله -تعالى- أن لا يجعل أبناءه من عبدة الأصنام والله -تعالى- لم يقبل دعاءه، ولأن كفار قريش كانوا من أولاده، مع أنهم كانوا يعبدون الأصنام.

وقد أجاب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل الأول فقال: الدعاء في حق إبراهيم-عليه السلام- لزيادة العصمة والتثبيت.

قال ابن عطية-رحمه الله- وهذا الدعاء من الخليل-عليه السلام- يقتضي إفراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته، فكيف يخاف أن يعبد صنماً؟! لكن هذه الآية ينبغي أن يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة (٢).

قال الزجاج-رحمه الله-: ومعنى الدعاء من إبراهيم-عليه السلام- أن يجنب عبادة الأصنام، وهو غير عابد لها على معنى ثبتني على اجتناب عبادتها (١).

(١) تفسير الطبري، (١٧ / ١٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ٣٤١).

وأجاب-رحمه الله- عن التساؤل الثاني بقوله: وأما دعاؤه لبنيه: فأراد بنيه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد الصنم.

ويؤيد هذا القول: ما أخرجه الطبري عن مجاهد في قوله-تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. قال: ((استجاب الله لإبراهيم-عليه السلام- دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته)) (٢).

قال ابن عاشور-رحمه الله- موضحاً لهذا القول: وأراد ببنيه أبناء صلبه، وهم يومئذ إسماعيل وإسحاق، فهو من استعمال الجمع في التثنية (٣).

ورجح هذا القول ابن عطية، والقرطبي-رحمها الله- حيث قالوا: وأراد إبراهيم بني صلبه، وكذلك أجيبت دعوته فيهم، وأما باقي نسله فعبدوا الأصنام (٤).

وقد أجاب غير البغوي عن هذا التساؤل بالآتي:

جواب الرازي-رحمه الله- أن الخليل-عليه السلام- وإن كان يعلم أنه -تعالى- يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضماً للنفس وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب (٥).

وأما الجواب عن التساؤل الثاني: فذكر العلماء أوجه أخرى إضافة لما ذكره البغوي منها:

الوجه الأول: أنه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن إبراهيم-عليه السلام- قد أجيبت دعواتهم.

الوجه الثاني: أن الخليل-عليه السلام- دعا لمن أذن الله أن يدعو له فكأنه قال: وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم، لأن دعاء الأنبياء-عليهم السلام- مستجاب

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٦٤).

(٢) تفسير الطبري، (١٧/ ١٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٣/ ٢٣٨).

(٤) تفسير ابن عطية، (٣/ ٣٤١)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٦٨).

(٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩/ ١٠١).



وقد كان من بنيه من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام
المخصوص، ذكره الواحدى^(١).

الوجه الثالث: ما ذكره البغوي-رحمه الله- في جوابه عن التساؤل، أن الخليل-عليه
السلام- دعاء لمن كان مؤمناً من بنيه، والدليل عليه أنه قال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ
تَعَبَى فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه، ونظيره قوله-
تعالى- لنوح-عليه السلام-: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾
[سورة هود: ٤٦].

الوجه الرابع: لعله وإن كان عمم في الدعاء إلا أن الله-تعالى- أجاب دعاءه في
حق البعض دون البعض، وذلك لا يوجب تحقير الأنبياء-عليهم السلام-، ونظيره
قوله-تعالى- في حق إبراهيم- عليه السلام-: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

وكذلك: أن الآية بصيغة الجمع، وليس لإبراهيم من الأبناء سوى إسحاق
وإسماعيل^(٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجمع بين ما أجاب به البغوي والرازي-رحمهما الله-في
الجواب عن التساؤل الأول، أن الدعاء في حق إبراهيم، هو لزيادة العصمة والتنبيت،
وإن كان يعلم أنه-تعالى- يعصمه من عبادة الأصنام، إلا أنه ذكر ذلك هضماً
للنفس، وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب.

أما في الجواب عن التساؤل الثاني: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. فالمراد
أبناءه من صلبه، ولم يعبد أحد منهم صنماً قط، ورجحنا هذا القول للآتي:
• أن اللفظ لا يشمل الذرية كلها لدلالة على ذلك.

(١) التفسير البسيط (١٢ / ٤٨٤).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩ / ١٠٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣ / ٤٠)، القول المفيد على
كتاب التوحيد (١ / ١١٤).

- لأن الإجابة لم تكن للذرية كلها، فقد كان من هذه الذرية من عبد الأصنام، بدليل هؤلاء الذين ظهر فيهم القرآن، وخاطبهم محمد - صلى الله عليه وسلم - يدعوهم إلى أن يعبدوا الله وحده لا يشركون به شيئاً، فالله-تعالى- لم يكن في إجابته- سبحانه وتعالى- ما يعم الذرية كلها.
- أن هذا القول قد قال به مجاهد -وهو أحد الأئمة بتأويل القرآن- وقد قال سفيان الثوري-رحمه الله- إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك(١). والله أعلم.

(١) تفسير سفيان الثوري (ص: ١٤)، تفسير ابن كثير / دار طيبة (١/ ١٠).



التساؤلات في سورة الحجر

[٦٠] قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [سورة

الحجر: ١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال تعالى: ﴿وَقُرَّانٍ مُّبِينٍ﴾ وكلاهما واحد؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قلنا: قد قيل كل واحد يفيد فائدة أخرى، فإن الكتاب: ما يكتب، والقرآن: ما يجمع بعضه إلى بعض.

وقيل: المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل، وبالقرآن هذا الكتاب^(١).

دراسة التساؤل: تعريف الكتاب لغة: قال ابن فارس: كتب، الكاف والتاء

والباء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك الكتاب والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً.

والكتاب: معروف، والجمع كتب، كتب الشيء يكتبه كتباً وكتاباً وكتابةً،

وأصل الكتاب، في اللغة جمعك بين الشئيين، ويقولون: كتبتُ البغلة، إذا جمعتُ سُفري رَحِمها بحلقة^(٢).

وفي الاصطلاح: قال القرطبي-رحمه الله-: هو خط الكاتب حروف المعجم

مجموعة أو متفرقة^(٣).

قال الراغب-رحمه الله-: ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وفي المتعارف ضم

الحروف بعضها إلى بعض والأصل في الكتابة النظم بالخط وقد يقال ذلك للمضموم بعضه إلى بعض باللفظ ولذا يستعار كل واحد للآخر ولذا سمي كتاب الله وإن لم يكن كتاباً^(٤).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٣٦٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٥/ ١٥٨)، لسان العرب (١/ ٦٩٨)، التفسير البسيط (٢/ ٣٠).

(٣) تفسير القرطبي، (١/ ١٥٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن، (ص: ٦٩٩).

تعريف القرآن لغة: القرآن من مادة قرأ، ومنه قرأت الشيء، فهو قرآن، أي: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط^(١)، وما قرأت جنيناً، أي: لم تضم رحمها على ولد، وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سمي القرآن.

وقال أبو عبيدة: سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها^(٢). فسمي القرآن قرآناً، لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور: بعضها إلى بعض^(٣).

معنى القرآن في الاصطلاح: القرآن الكريم هو اسم لكلام الله تعالى، المنزل على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهو اسم لكتاب الله خاصة ولا يسمى به شيء غيره من سائر الكتب^(٤).

قال السيوطي - رحمه الله -: وزاد بعض المتأخرين في الحد: المتعبد بتلاوته، ليخرج منسوخ التلاوة^(٥).

وبعد التعريفات نسوق جواب الإمام البغوي - رحمه الله - عن التساؤل، حيث أجاب بجوابين:

الجواب الأول: أن كل من الكتاب والقرآن، يفيد فائدة أخرى، فالكتاب: ما يكتب، والقرآن: ما يجمع بعضه إلى بعض، فاجتمع في هذه الآية، القرآن والكتاب وجاءتا مترادفتين، ومع ذلك فكل منهما مختلف الدلالة حيث تعني كلمة الكتاب الشيء المكتوب، والقرآن الشيء المقروء الذي جمع الله فيه الهدى من التوحيد والأخبار والقصص والأحكام والآداب وما إلى ذلك.

(١) المراد: أنها لم يطرقها فحل.

(١) القرآن الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٦٥).

(٣) لسان العرب، (١/ ١٢٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢/ ٢٩٨)، مجاز القرآن، لأبي عبيدة (١/ ١).

(٥) التحبير في علم التفسير، للسيوطي ص: (٣٩-٤٠)، إتمام الدراية لقراء النفاية، (ص: ١٨).



وكل من المعنيين متحقق في القرآن، فهو قرآن مقروء ومكتوب، وإذا صح هذا ففيه قرينة على أن الآيات القرآنية كانت تدون في العهد المكي، لأن الآيات مكية، وقد ذهب إلى هذا القول أكثر المفسرين، وعلى هذا القول فإن حرف العطف في هذه الآية، من باب عطف إحدى الصفتين على الأخرى، للتعدد اللفظي، وهذا كما يقال: هذا فعل السخي والجراد الكريم.

قال الطيبي-رحمه الله-: الواو دلالتها على الجمع أقوى من دلالتها على العطف، فإنها قد تعدى عن العطف ولا تعرى عن معنى الجمع^(١).

وقال الشوكاني-رحمه الله-: ولا يقدر في هذا، ذكر لفظ القرآن بعد الكتاب، لأنه- سبحانه- جمع له بين الاسمين تفخيماً لشأنه، وتعظيماً لقدره^(٢).

وقال الألوسي-رحمه الله-: وفي جمع وصفي الكتابية والقرآنية من تفخيم شأن القرآن ما فيه حيث أشير بالأول إلى اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الإلهية فكأنه كلها، وبالتالي إلى كونه ممتازاً عن غيره نسيج وحده بديعاً في بابهِ خارجاً عن دائرة البيان قرآناً غير ذي عوج^(٣).

الجواب الثاني: أن المراد بالكتاب: التوراة والإنجيل، وبالقرآن هذا الكتاب، فحملوا كلمة الكتاب، على ما نزل من الكتب قبل القرآن، وهذا مروى عن قتادة ومجاهد^(٤).

ودليلهم في ذلك: أن الله- عز وجل- عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه، واختاره هذا الجواب من المفسرين: الطبري، ومكي، والعز بن عبد السلام^(٥).

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (١١ / ٤٥٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣ / ١٤٥).

(٣) تفسير الألوسي، (٧ / ٢٥٠).

(٤) تفسير الطبري (١٧ / ٥٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥ / ٦١) المحرر الوجيز (٣ / ٣٤٩).

(٥) تفسير الطبري (١٧ / ٥٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٦ / ٣٨٥٧)، تفسير ابن عبد السلام (٢ / ١٧٠).

واعترض الخازن -رحمه الله- عن هذا الجواب فقال: وقيل: أراد بالكتاب التوراة والإنجيل، لأن عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه، وهذا القول ليس بالقوي، لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن الكتاب والقرآن كله شيء واحد، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله- عز وجل- على محمد-عليه الصلاة والسلام- فالكتاب: ما يدون في الطروس^(٢)، والقرآن: ما يقرأ باللسان، فكأن الأول إشارة إلى حفظه في الطروس بالكتابة، والثاني إلى حفظه في الصدور بالدراسة^(٣).

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣ / ٤٧).

(٢) وهو الصحيفة. يقال: طلستها إذا محتها وهي مقروءة بعد. وطرستها: إذا أنعمت محوها. والطرس: الكتاب الممحو. ينظر: المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث (٢ / ٣٤٧)، أساس البلاغة (١ / ٦٠١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣ / ١١).



[٦١] قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة

الحجر: ٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف قال: ﴿رُبَّمَا﴾، وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قلنا: قد تذكر ﴿رُبَّمَا﴾، للتكثير، أو أراد: أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم أحياناً^(١).

دراسة التساؤل: قال ابن جرير -رحمه الله-: اختلف القراء في قراءة قوله-

تعالى:- ﴿رُبَّمَا﴾. فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين: ﴿رُبَّمَا﴾، بتخفيف الباء، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، فبآيتهما قرأ القارئ فهو مصيب^(٢).

وقد تفاوت النحويون واللغويون في تحديد عدد لغاتها، حتى أوصله بعضهم إلى السبعين^(٣).

وذكر منها الزمخشري سبع لغات، قال وفيها لغات: رب الراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة أو مضمومة أو مسكنة، ورب الراء مفتوحة والباء مشددة ومخففة، وربت بالتاء والباء مشددة أو مخففة^(٤).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٣٦٨).

(٢) تفسير الطبري، (١٧/ ٥٩).

(٣) المقرب، (٢٢٠)، شرح التسهيل لابن مالك، (٣/ ١٧٥)، وصف المباني، (١٩٢)، همع الهوامع، (٤/ ٣٧٢)، مغني اللبيب، (١/ ٢٧٤).

(٤) المفصل في صنعة الإعراب (ص: ٣٨٣)

وساق أبو البقاء العكبري^(١) - رحمه الله - ثمان لغات: الأولى والثانية، التشديد والتخفيف، والثالثة والرابعة كذلك، إلا أن الرءاء مفتوحة، والأربع الآخر مع تاء التأنيث^(٢).

وقد ذكر بعض العلماء أن: رب، وكم، بُنيا على التناقض في أصل وضعهما؛ لأن أصل وضع رب للتقليل، وأصل كم للتكثير، هذه حقيقة وضعهما، ثم يعرض لهما المجاز للمبالغة وغيرهما من الأغراض، فتقع كل واحدةٍ منهما^(٣).

وقد ذكر العلماء في معنى دلالة "رب" أقوال نذكر منها الآتي :
القول الأول: أنها للتقليل: وهو قول أغلب نحوي البصرة، وأيدهم قسم كبير من الذين جاؤوا بعدهم^(٤).

القول الثاني: أنها للتكثير: فهي حرف تكثير وفاقاً لسيبويه^(٥)، والتقليل بها نادر^(٦).

القول الثالث: أنها تكون للتقليل والتكثير: فهي من الأضداد^(٧).

القول الرابع: أنها تكون للتقليل قليلاً، وللتكثير كثيراً^(٨).

(١) هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصيب في صباه بالجذري، فعمي. وكانت طريقته في التأليف أن يطلب ما صنّف من الكتب في الموضوع. فيقرأها عليه بعض تلاميذه، ثم يملي من آرائه وتمحيصه وما علق في ذهنه. من كتبه: «اللباب في علل البناء والإعراب» «شرح اللمع لابن جني» «التبيان في إعراب القرآن، سنة، (٦١٦ هـ) ينظر: نكت الهميان، (١٧٨)، والوفيات، (١: ٢٦٦)، وبغية الوعاة الروضتين، (١١٩)، تاريخ إربل (٢/ ٤٢٠).

(٢) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٧٦).

(١) رسائل في اللغة (رسائل ابن السيد البطليوسي) (ص: ١٢١).

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان، (٤/ ١٧٣٧)، الجنى الداني في حروف المعاني (٤٣٩).

(٥) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر الفارسي ثم البصري، إمام النحو، حجة العرب. قال الأزهري: "كان سيبويه علامة حسن التصنيف، جالس الخليل وأخذ عنه"، صنف "الكتاب" في النحو، وهو من أجل ما ألف في هذا الشأن. توفي سنة (١٨٠هـ)، يُنظر ترجمته في: معجم الأديباء (٥/ ٢١٢٢)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٦٣).

(٦) شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ١٧٤).

(٧) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٤٤٠).

(٨) همع الهوامع، (٢/ ٣١)، مغني اللبيب عن كتب التعاريب، (ص: ١٨٠).



القول الخامس: أنها أكثر ما تكون للتقليل: واختار هذا المذهب السيوطي - رحمه الله- إذ قال: التقليل غالباً والتكثير نادراً وهو اختياري^(١).
 القول السادس: أنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار: نسبة أبو حيان إلى بعضهم، والسيوطي الذي قال: أنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار، وللتقليل فيما عدا ذلك، وهو قول الأعم وابن السيد^(٢).
 وبعد هذا التقرير نذكر جواب الإمام البغوي-رحمه الله- عن التساؤل حيث أجاب بجوابين:

الجواب الأول: قلنا: قد تذكر ﴿رُبَّمَا﴾ للتكثير، بمعنى: أن العرب قد تذكر هذا اللفظ ﴿رُبَّمَا﴾. وتريد به التكثير، يقول القائل لغيره: ربما تندم على هذا الفعل، وهو يعلم أنه يكثر منه الندم عليه، ويكون المعنى: إنك لو ندمت قليلاً لكان القليل من الندامة يكفيك للاحتتاب عنه، فكيف الكثير.

قال الشنقيطي-رحمه الله-: قال بعض العلماء: ورب في هذا الموضع للتكثير، أي: يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين^(٣).

ونقل القرطبي هذا القول عن الكوفيين: فقال: وقد تستعمل في الكثير، أي: يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، قاله الكوفيون، ومنه قول الشاعر:
 ألا ربما أهدت لك العين نظرة ... قصاراك منها أنها عنك لا تجدي^(٤).

قال ابن هشام-رحمه الله-: بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً، فمن الأول: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ وفي الحديث: عن أم سلمة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ((رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة))^(٥).

وقال الشاعر: فيا رب يوم قد لهوت وليلة ... بأنسة كأنها خط تمثال^(٦).

(١) الاتقان في علوم القرآن، (١/١٦٣).

(٢) ارتشاف الضرب، (٤/١٧٣٧)، . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/٤٣١).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٢/٢٥٢).

(٤) تفسير القرطبي، (١/١٠).

(٥) صحيح البخاري، باب: التهجد بالليل، (٢/٤٩)، برقم، (١١٢٦).

(٦) من الطويل لامرئ القيس، (ص ٢٩)، والمقرب (١/١٩٩)، والهمع (٢/٢٦)، وشرح الجمل (١/٥٠٠).

وقال آخر: ربما أوفيت في علم ... ترفعن ثوبي شمالات^(١).
 ووجه الدليل أن الآية والحديث والمثال مسوقة للتخويف والبيتين مسوقان
 للافتخار ولا يناسب واحداً منهما التقليل^(٢).

الجواب الثاني: أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم
 أحياناً، وهذا جائز أن تكون أهوال القيامة تشغلهم عن التمني، فإذا أفاقوا من سكرة
 من سكرات العذاب ودوا وتمنوا لو كانوا مسلمين.

وقد أخرج ابن جرير - رحمه الله - عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -
 قال: ((بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله
 من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: أستم مسلمين؟ قالوا: بلى،
 قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب
 فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا،
 فقال من في النار من الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
 كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الحجر: ١-٢] ^(٣).

وقد أجاب غير البغوي عن التساؤل:

الجواب الثالث: أن من عادة العرب أنهم إذا أرادوا التكثير ذكروا لفظاً وضع للتقليل،
 وإذا أرادوا اليقين ذكروا لفظاً وضع للشك، والمقصود منه: إظهار التوقع
 والاستغناء عن التصريح بالعرض، فيقولون: ربما ندمت على ما فعلت، ولعلك تندم
 على فعلك، وإن كان العلم حاصلًا بكثرة الندم ووجوده بغير شك. وهذا قول
 الزمخشري، والرازي^(٤).

(١) البيت لجذيمة الابرش في الازهية، (ص: ٩٤)، الأغاني، (٢٥٧/١٥)، خزنة الأدب، (٤٠٤/١١).

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، (ص: ١٨٠).

(٣) تفسير الطبري، (٦١/١٧).

(٤) تفسير الزمخشري، (٥٦٩/٢)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١٧ / ١٩).



الجواب الرابع: أن هذا التقليل أبلغ في التهديد، ومعناه: أنه يكفيك قليل الندم في كونه زاجراً عن هذا الفعل فكيف كثيره؟ والدليل على أنه على معنى التهديد قوله: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ (١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجمع بين الأجوبة، ونستخرج منها جواباً يجمعها كلها، ويحل الإشكال ويندفع به الجواب، فنقول: من قال: إنَّها للتكثير نظر إلى المرات من التمني، ومن قال: إنَّها للتقليل نظر إلى أزمان إفاقتهم من العذاب، فلا تنافي بين القولين؛ لأنَّ التمني يقع كثيراً منهم في زمن إفاقتهم القليل (٢). وهذا الجمع مناسب لأنه لا يعود على الأقوال بالبطلان، بل يرتبها ويوفق بينها ولا يهملها، لأنه لا يوجد نص صريح يقطع الشك، ويحسم الجواب، ولذ فقد بذل المفسرون كثيراً من الجهد في التأويل والتخريج، ليجدوا لهذا الحرف وجهاً مفهوماً، يستقيم مع الآية الكريمة، فاختلَفوا في معنى رب في هذه الآية، فذهب بعضهم إلى أن أصلها: تستعمل في القليل، وتستعمل في الكثير، كما نطق بذلك لسان العرب (٣). والمقرر عند العلماء في قواعد التفسير: الجمع مقدم على الترجيح، أو الإعمال أولى من الإهمال (٤).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩ / ١١٧)، لسان العرب، (١ / ٤٠٨) ..

(٢) حاشية الجمل على تفسير الجلالين، (٢ / ٥٦٣).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣ / ١٤٥).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢ / ٩٧)، الأشباه والنظائر للسيوطي، (ص: ١٢٨).

[٦٢] قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سورة الحجر: ٣٠].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: لم قال: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ وقد حصل المقصود بقوله فسجد الملائكة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قلنا: زعم الخليل^(١) وسيبويه أنه ذكر ذلك تأكيداً.

وذكر المبرد^(٢) -رحمه الله-: أن قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾ ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله ﴿أَجْمَعُونَ﴾^(٣).

دراسة التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بجوابين:

الجواب الأول: أن فائدة ذكر قوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ تأكيداً بعد

تأكيد، ونسب هذا القول الى الخليل وسيبويه، وهذا ليس من باب تحصيل الحاصل، وإنما هو زيادة تمكين المعنى وتقديره في الذهن، وتأكيد للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص.

والمعنى أي: أن الله -تعالى- لما أمرهم بالسجود سجدوا في زمان واحد مرة

واحدة، ولم يتخلف عن السجود أحد منهم، وذلك تعظيماً لأمر الله، وإكراماً لأدم.

ونسب أبو البقاء العكبري هذا القول الى جمهور أهل اللغة^(٤).

(١) هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري الفراهيدي، النحوي اللغوي الزاهد، له المصنفات المشهورة، منها كتاب "العين"، و"العروض"، و"الشواهد"، وهو أول من اخترع علم العروض والقوافي، توفي: (١٧٠هـ)، وقيل غير ذلك. يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/٢٤٤)، والبلغة (ص ١٣٣)، وشذرات الذهب (٢/٣٢١).

(٢) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد - بفتح الراء أو بكسرهما - إمام العربية ببغداد في زمانه، أشهر مصنفاته "الروضة" و"معاني القرآن" و"إعراب القرآن". توفي (٢٨٦هـ) وقيل غير ذلك. يُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/٣١٣)، بغية الوعاة (١/٤٢٩)، وشذرات الذهب (٣/٣٥٦).

(٣) تفسير البغوي، (٤/٣٨٠).

(٤) التبيان في إعراب القرآن، (٢/٧٨١).



وقد ذكر بعضهم توجيهاً لسببويه فقال: ذكر الله-تعالى- ﴿أَجْمَعُونَ﴾
ليزول احتمال التوسع من كل، لأن كلهم يجوز أن تكون بمعنى أكثرهم، فلما قال:
﴿أَجْمَعُونَ﴾ زال هذا الاحتمال ووقعت الإحاطة على الحقيقة^(١).

وممن انتصر لهذا القول ورجحه الزجاج حيث قال: وقول سببويه والخليل
أجود، لأن أجمعين معرفة، فلا يكون حالاً^(٢).

الجواب الثاني: ذكر المبرد أن قوله-تعالى-: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ﴾ كان من
المحتمل أن بعضهم سجد؛ فذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾ ليزيل هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم
سجدوا في أوقات مختلفة؛ فذكر ﴿أَجْمَعُونَ﴾ ليزيل الالتباس.

وأوردها الرازي-رحمه الله- بعبارة واضحة فقال: وقال المبرد: قوله-تعالى-:
﴿أَجْمَعُونَ﴾ يدل على اجتماعهم في زمان السجود، و﴿كُلُّهُمْ﴾ يدل على وجود
السجود من الكل، فكأنه قال فسجد الملائكة كلهم معاً في زمان واحد^(٣). واختار هذا
القول ابن الانباري، والألوسي^(٤).

قال الألوسي-رحمه الله-: فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر وهو كل لم يكن
بد من كونه في وقت واحد وإلا كان لغواً، والرد بالآية منشؤه عدم تصور وجه
الدلالة، ومنه يعلم وجه فساد النظر بأنه لو كان الأمر كذلك لكان حالاً لا تأكيداً،
فالحق في المسألة مع الفراء والمبرد وذلك هو الموافق لبلاغة التنزيل^(٥).

ورده الزجاج كما قدمنا، وقال: لو كان الأمر كما زعم المبرد لكان
﴿أَجْمَعُونَ﴾ حالاً لوجود حد الحال فيه، وليس بحال لأنه مرفوع، ولأنه معرفة
كسائر ألفاظ التأكيد^(٦).

(١) الانتصار لسببويه على المبرد، (ص: ١٠٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٧٩).

(٣) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص: ٢٤٧).

(٤) روح المعاني (٧/ ٢٨٩).

(٥) المرجع السابق.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٣/ ١٧٩).

وقال ابن عطية-رحمه الله-: واعترض على قول المبرد بأنه جعل قوله:
أجمعون حالاً، بمعنى مجتمعين، يلزمه- على هذا- أن يكون أجمعين، يقرب من
التنكير إذ هو معرفة لكونه يلزم اتباع المعارف، والقراءة بالرفع تأبى قوله^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن قوله -تعالى-: ﴿فَسَجَدَ
الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ أكد الله-سبحانه- بتأكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص، كما هو مذهب الجمهور خلافاً للمبرد والفرء.

(١) تفسير ابن عطية، (٣/ ٣٦٠).



[٦٣] قوله تعالى: ﴿فَوَرَّيَاكَ لَسَّكَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن: ٣٩].

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قال ابن عباس: لا يسألهم هل عملتم، لأنه أعلم بهم منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟ واعتمده قطرب فقال: السؤال ضربان، سؤال استعلام، وسؤال توبيخ، فقوله- تعالى:- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾. يعني: استعلاماً. وقوله- تعالى-: ﴿لَسَّكَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني توبيخاً وتقريعاً.

وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين: إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف يسألون في بعض المواقف، ولا يسألون في بعضها^(١).

دراسة التساؤل:

أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن تساؤله المتقدم بنوعين متجانسين، فأحدهما عن نوع السؤال بين استشهاد أو استنبات، والآخر مبني على تنوع مشاهد يوم القيامة، وتحريهما كالتالي:

الجواب الأول: أن الله-تعالى- لا يسألهم هل عملتم، لأنه أعلم بهم منهم، ولكن يقول: لم عملتم كذا وكذا؟

وهذا مبني على الفرق بين نوعي السؤال؛ فالأول سؤال استنبات وهذا مُنَزَّه عنه الله-تعالى- وإنما السؤال سؤال استشهاد، قال ابن جرير-رحمه الله-: فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستنبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسؤول، ليعلم السائل علم ذلك من قبله، فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٣٩٥).

قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها، وهي المسألة التي نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ وبقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٧٨] يعني: لا يسأل عن ذلك أحداً منهم مستثبت، ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه، لأنه العالم بذلك كله وبكل شيء غيره^(١).

وقد قسم الشنقيطي -رحمه الله- السؤال الى قسمين:

القسم الأول: سؤال توبيخ وتقريع وأداته غالباً: لم، ويسمى بالمثبت.

القسم الثاني: سؤال استخبار واستعلام وأداته غالباً: هل، ويسمى بالمنفي.

وجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص في كله توبيخ وتقريع

كقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات: ٢٤-٢٥] وقوله:

﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الطور: ١٥] وكقوله: ﴿الَّذِي يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾

[سورة الملك: ٨]. إلى غير ذلك من الآيات^(٢).

وقد قرر هذا القول قطرب -رحمه الله- كما ذكر عنه الثعلبي في تفسيره فقال:

واعتمد قطرب هذا القول وقال: السؤال على ضربين: سؤال استعلام واستخبار، وسؤال توبيخ وتقريع.

فقوله -تعالى-: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ يعني

استعلاماً واستخباراً، لأنه كان عالماً بهم قبل أن يخلقهم.

وقوله -تعالى-: ﴿لَسَخَلْنَا لَهُمُ أَجْمَعِينَ﴾ يعني تقريعاً وتقريعاً ليريهم القدرة في

تعذيبنا إياهم^(٣)، وهذا مروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من رواية أبي طلحة^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٣٠٨).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص: ١٠٠) ..

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٣٥٤)، تفسير القرطبي، (١٠/ ٦١).

(٤) جامع البيان ت شاكر (١٧/ ١٥٠).



الجواب الثاني: أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف يسألون في بعض المواقف، ولا يسألون في بعضها، ومما يبين هذا القول بعبارة تامة ما أخرج عبد بن حميد عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس أخبرنا عن قول الله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة المرسلات: ٣٥]. وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣١]. وقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٣]. وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٤٢]. قال: ويحك يا ابن الأزرق إنه يوم طويل وفيه مواقف تأتي عليهم: ساعة لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يمكنون ما شاء الله يحلفون ويجهدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم ويأمر جوارحهم فتشهد على أعمالهم بما صنعوا ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا^(١).

ومما يقرر التنقل بين المواقف ما جاء تفسيراً لموقف السؤال، ثم جحد ابن آدم وإنكاره، فيكون استنطاق الجوارح شهوداً عليه، فعن قتادة في قوله -تعالى-: ﴿فِيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [سورة الرحمن: ٣٩]. قال: قد كانت مسألة، ثم ختم على أفواه القوم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^(٢). فتبين من هذا أن في القيامة مواقف متعددة مختلفة، فاختلف المواقف يوم القيامة يستدعي سؤال بعضهم، وعدم سؤال آخرين، فموضع يسأل ويناقش، وموضع آخر يرحم ويلطف، وموضع يعنف ويوبخ، وهم الكفار، وموضع لا يعنف ولا يوبخ وهم المؤمنون.

ومن الأجوبة عن هذا التساؤل:

الجواب الثالث: أن قوله -تعالى-: ﴿فِيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ يفيد عموم النفي، ويخصه الضمير في قوله تعالى: ﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فإنه يرجع إلى المقتسمين، والقاعدة أن يقدم الخاص على العام.

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨ / ٣٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير، (٧ / ٤٩٩).

ذكره الفخر الرازي^(١).

الجواب الرابع: أنه إن ثبت السؤال، فهو محمول على السؤال عن التوحيد، وتصديق الرسل، وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٦٥].

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن الجواب الأول والثاني متداخلان، وهما الأقرب، فالجواب الأول: يحكي صيغة السؤال وكيفيته، والجواب الثاني: يحكي تنوع المشاهد، وموطن السؤال ومكانه، وكلا الجوابين دل عليهما القرآن والسنة، وأقوال السلف، وبهما يزول الإشكال، وينحل التساؤل.

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩ / ١٦٤).



التساؤلات في سورة النحل

[٦٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [سورة النحل: ١٠٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فما معنى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبَ﴾ إخبار عن فعلهم: و﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ نعت لازم لهم، كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب^(١).

دراسة التساؤل: معنى الافتراء لغة: الافتراء مصدر افتري يفترى افتراءً: إذا كذب، وفري كذباً فرياً: اختلقه، والفري: جمع فرية وهي الكذبة^(٢).

معنى الافتراء اصطلاحاً: هو الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه^(٣).
وقيل: إن الافتراء: هو العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملاً فبالغ فيه: إنه ليفري الفري، ومعنى افتري: افتعل واخترق ما لا يصح أن يكون؛ وما لا يصح أن يكون أعم مما لا يجوز أن يقال، وما لا يجوز أن يفعل^(٤).
وقيل: الافتراء: اختراع قضية لا أصل لها^(٥).

الفرق بين الكذب والافتراء:

يشترك الجميع في عدم مطابقة الخبر للواقع.
- الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك.

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٤٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٤٤٣)، لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ١٥٤).

(٣) معجم الفروق اللغوية (ص: ٤٤٩)

(٤) كتاب الكليات . لأبي البقاء الكفومي (ص: ٢٢٠).

(٥) معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٢٠٧).

- الكذب: يكون في حق النفس، وحق الغير، والافتراء : يكون في حق الغير فقط.

- الكذب: يحسن في بعض الأحوال، كالكذب في الحرب، وإصلاح ذات البين، وعلى الزوجة، ولا يحسن الافتراء في جميع الأحوال^(١).
والافتراء يستعمل في التعبير عن الكذب، ولكنه ليس هو الكذب، بل استعمل فيه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠﴾ [سورة النساء: ٥٠]. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٣] وغير ذلك من الآيات^(٢).

وبعد هذا التقرير نذكر جواب الإمام البغوي-رحمه الله- عن التساؤل، وقد أجاب بقوله: قيل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ إخبار عن فعلهم، ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ نعت لازم لهم، كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

وفي هذه الآية رد لقولهم إنما يعلمه بشر، ولهذا يقول الكلبي-رحمه الله-: نافع الله-تعالى- بهذه الآية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودافع عنه حيث قالوا: تقوله واخترعه وأتى به من عند بشر وافتراه، فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ المشركون، ثم سماهم الكاذبين، وحصر فيهم الكذب بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٣).

ومن خلال النظر في تفاسير العلماء وأقوالهم، تبين أن في الآية قولين:
القول الأول: أن قوله-سبحانه وتعالى- ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ إخبار عن حال قولهم، وقوله-تعالى-: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ نعت لازم لهم، وهذا قول البغوي، ووافقه في ذلك كل من: السمعاني، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، وابن عادل، والخازن^(٤).

(١) الفروق اللغوية، للعسكري (١/٤٤٩)، الكليات، للكفوي (ص ١٥٤).

(٢) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني (ص: ٢١١)

(٣) التفسير البسيط (١٣/٢٠٦).

(٤) تفسير السمعاني (٣/٢٠٣)، التفسير البسيط (١٣/٢٠٥)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٢٢٢)

(٤٢٢)، تفسير القرطبي (١٠/١٧٩)، اللباب في علوم الكتاب (١٢/١٦١)، تفسير الخازن، (٣/٩٩).



وكرر المعنى في قوله: وأولئك هم الكاذبون لفائدة إيقاع الصفة بالكذب عليهم إذ الصفة بالشيء أبلغ من الخبر به، لأن الصفة تقتضي الدوام أكثر مما يقتضيه الخبر فبدأ في هذه الآية بالخبر، ثم أكد بالصفة^(١).

واعترض على هذا القول مكي-رحمه الله- فقال: وهذا الذي قال: إنما يلزم إذا كانت الصفة صفة ذات فهي لا تتغير كالأحمر والأسود، ويتغير الخبر بالأفعال. وإذا كانت الصفة صفة فعل فهي تتغير أيضا كتغيير الخبر بالفعل، والصفة في هذه صفة فعل لا صفة ذات، فلا يلزم قوله، ولا يستقيم^(٢)، وقريب من هذا الاعتراض قاله: ابن عرفة^(٣).

قال ابن عطية-رحمه الله-: وقد اعترض هذا النظر مكي، وليس اعترضه بالقوي^(٤).

القول الثاني: أن قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ﴾ جاء بلفظ الفعل، وقوله -تعالى-: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ كرر بلفظ الاسم تأكيداً له بما هو أبلغ منه، وذهب إلى هذا القول: مكي، وابن عرفة، وأبو حيان^(٥). قال أبو حيان-رحمه الله-: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. فاقضى التوكيد البالغ والحصر بلفظ الإشارة، والتأكيد بلفظ هم، وإدخال ال على الكاذبون، وبكونه اسم فاعل يقتضي الثبوت والدوام، فجاء يفتري يقتضي التجدد، وجاء الكاذبون يقتضي الثبوت والدوام^(٦). ورد هذا القول ابن عطية-رحمه الله- كما قدمنا^(٧).

(١) تفسير ابن عطية، (٣/ ٤٢٢)

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٠٩٠).

(٣) وهذا لا يصح من جهة النحو، ولا من جهة الأصول فالصفة ليست لازمة للموصوف بوجه ولا النحويون، فإنما فرقوا بين قولك زيد هذا القائم وبين زيد قائم، فقالوا: إن الصفة أقوى وأكد من الخبر؛ لأن قائماً في قولك زيد قائم خبر محتمل للصدق والكذب والقيام في الأول صفة فما جيء بها إلا بناء على أن المخاطب موافق على معناها لا هو ولا غيره وليس الكاذبون هنا صفة لمقدر أي: هم القوم الكاذبون فقال: لم يقل أحد في القائم في قولك زيد القائم صفة لمقدر وإلا فإن يلزم عليه التسلسل فما قاله ابن عطية لا وجه له. تفسير ابن عرفة، (٣/ ٥١).

(٤) تفسير ابن عطية، (٣/ ٤٢٢).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٤٠٩٠) تفسير ابن عرفة، (٣/ ٥١)، البحر المحيط (٦/ ٥٩٧).

(٦) البحر المحيط في التفسير (٦/ ٥٩٧).

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٢٢).

قال الخازن-رحمه الله- وفي الآية دليل على أن الكذب من أفحش الذنوب الكبار لأن الكذاب المفتري، هو الذي لا يؤمن بآيات الله. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن حماد قال: ((قلت يا رسول الله المؤمن يزني؟ قال: يكون ذلك، قال: قلت: يا رسول الله المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قال: قلت: يا رسول الله المؤمن يكذب؟ قال: لا، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(١). والدليل عليه: أن كلمة: ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر. والمعنى: أن الكذب والفرية لا يقدم عليهما إلا من كان غير مؤمن بآيات الله، وإلا من كان كافراً. وهذا تهديد في النهاية.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو القول الأول: أن قوله-تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ هذا إخبار عن فعل الكذب، وقوله-تعالى-: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾. نعت لازم، ومعناه: أن هذا صفتهم ونعتهم، وعادة من عاداتهم، وأن كل كذب قليل بالنسبة إلى كذبهم، إذ ﴿هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ على الحقيقة، الكاملون في الكذب، إذ لا كذب أعظم من تكذيب آيته، والطعن فيها، لأن تكذيب آيات الله ورسوله المعصوم والطعن فيهما بهذه الخرافات بعد ما ظهر أمره بالمعجزات أعظم الكذب.

ويدل على ذلك، أن قوله-تعالى-: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾. جاء التعبير في فيها، بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ لإفادة التخصيص، فهؤلاء الجاحدون هم فقط الكاذبون على دين الله. والله أعلم.

(١) أخرجه بنحوه الثعلبي (٢/ ١٦٤) والواحدي في "الوسيط، (٢/ ٤٤٦) والبغوي، (٥/ ٤٥)، إحياء علوم الدين (٣/ ١٣٥)، تفسير الرازي، (٢٠/ ١٢٠)، الخازن (٣/ ١٣٦)، قال الحافظ العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء": أخرجه ابن عبد البر في "التمهيد" بسند ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في "كتاب الصمت" (ص ٢٤٣).



التساؤلات في سورة الإسراء

[٦٥] قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٦٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: هذا على طريق التهديد كقوله-تعالى-: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ﴾ [سورة فصلت: ٤٠].
وكقول القائل: افعل ما شئت فستري^(١).

دراسة التساؤل: عرف بعض الأصوليين الأمر: بأنه طلب الفعل بالقول على جهة الاستعلاء^(٢).

واختلف العلماء في الأمر المجرد عن القرائن علام يحمل؟ مع أنه لا يكاد يوجد أمر إلا ومعه قرائن تدل على المراد منه، ولكن لما كانت القرائن قد يتنازع فيها أراد الأصوليون أن يبينوا الأصل في الأمر ما هو؟ فذهب أكثر الأصوليين إلى أن الأصل حمله على الوجوب.

ولما كانت الأوامر في الكتاب والسنة لا تخلو غالباً عن قرائن حالية أو مقالية، متقدمة أو متأخرة أو مصاحبة، وجدنا كلام العلماء في حمل الأوامر على الندب أو الوجوب لا يقف عند ذكر الأصل في معنى الأمر، وإنما يؤيد كل منهم رأيه في المسألة الخاصة الوارد الأمر بها بأدلة وقرائن أخرى.

والمتتبع لكلام الفقهاء يجدهم يحملون الأمر على الوجوب، إلا إذا وجدت قرينة صارفة أو عارض الأمر دليل آخر^(٣).

وقد ذكر الأصوليون، أن صيغة أفعل ترد على معان كثيرة، وذكرها منها:

(١) تفسير البغوي، (٥/ ١٠٦).

(٢) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (٢١٦).

(٣) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: ٢٢٥).

كونها بمعنى التهديد كما في قوله-تعالى-: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِكُمْ وَاعْتَدُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي لَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرُكُمْ وَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، وقوله-تعالى-: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلِبَّ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ﴾ (١).

وبعد هذا التقرير فقد أجاب البغوي-رحمه الله- أن هذه الأوامر تحمل على طريق التهديد كقوله-تعالى-: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِكُمْ﴾ وكقول القائل: افعَل ما شئت فستري، وكأن الحق-سبحانه-يقول له: افعَل ما تريد ودبر ما تشاء، فلن توقف دعوة الله؛ لذلك قال بعدها: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [سورة الإسراء: ٦٥].

قال الزجاج: إذا تقدم الأمر نهي عما يؤمر به، فمعناه التهديد والوعيد، تقول للرجل: لا تدخل هذه الدار فإذا حاول أن يدخلها قلت: ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها، ولكنك توعدته وتهده، ومثله قوله-تعالى-: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِكُمْ﴾ وقد نهوا أن يعملوا بالمعاصي (٢).

وقال ابن عقيل (٣)-رحمه الله-: قال الله تعالى-للإبليس: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلِبَّ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ﴾ هذا كله بلفظ الاستدعاء، فهو أكثر من قولكم في التنبيه: ليس فيه ذكر الضرب، لكن وضعت الصيغة التي هي بصورة صيغة الأمر، تهديداً لضعف ما وضعت صيغة الأمر، فإن التهديد زجر عن جميع ما ذكره سبحانه، فإذا جاز أنع تضع: "افعل ما شئت" زجراً عن فعل، كان وضعها للنهي عن التأفيف نهياً عن الضرب بالصيغة لا بالمعنى، وهذا واضح في هذا الباب (٤).

(١) شرح الكوكب المنير، (٣/ ١٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٥٠).

(٣) هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، الإمام أبو الوفاء البغدادي، الظفري، أحد الأعلام وفرد زمانه علماً ونقلاً وذكاءً وتفناً، شيخ الحنابلة في عصره، ومصنف التصانيف. له كتاب "الفنون" في (٤٠٠ مجلد) ت: (٥١٣هـ)، لسان الميزان، (٥/ ٥٦٤)، مناقب الإمام أحمد (٧٠٠)، تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٢/ ٥٤٢).

(٤) الواضح في أصول الفقه (٢/ ٥١).



[٦٦] قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا

﴿٧٤﴾ [سورة الإسراء: ٧٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كان النبي-صلى الله عليه وسلم- معصوماً، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه، وما طلبوه كفر؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزمًا وقد غفر الله-عز وجل- عن حديث النفس.

قال قتادة: كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول بعد ذلك: ((اللهم لا تكني إلى نفسي طرفة عين))^(١).

والجواب الصحيح هو أن الله-تعالى- قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾ [سورة الإسراء: ٧٤]. وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله-تعالى-: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ [سورة النساء: ٨٣]. وقد تفضل فلم يتبعوا^(٢).

دراسة التساؤل: يمكن تقرير الجواب من خلال النظر في تفسير اللفظين، الثبات، والركون، في اللغة والاصطلاح: فنقول: قال ابن فارس-رحمه الله-: "ثبت" الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، يقال: ثبت ثباتاً وثبوتاً، ورجل ثبت وثبيت^(٣).

(١) تفسير الطبري، (١٧ / ٥٠٨)، وهذا الأثر مرسل كما قال ابن حجر، وورد في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد متصلاً من رواية ابن عمر-رضي الله عنهما- (١٠ / ١٨١)، برقم، (١٧٤٠٩)، وقد ورد في سنن أبي داود ومسند أحمد ضمن حديث أبي بكر بنسند حسن. سنن أبي داود، كتاب الأدب، أبواب الهموم، (٥ / ٢٠٤) برقم، (٥٠٩٠)، مسند أحمد، (٣٤ / ٧٤)، برقم، (٢٠٤٣٠).

(٢) تفسير البغوي، (٥ / ١١٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (١ / ٣٩٩).

وقال الراغب-رحمه الله-: الثبات ضد الزوال، يقال: ثبت يثبت ثباتاً، قال الله-تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥]. ورجل ثبت وثبت في الحرب، وأثبتته السقم، والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود؛ نحو أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم فيقال: أثبت الحاكم عليه كذا أو ثبته. وتارة لما يكون بالقول سواء كان صدقاً أو كذباً، فيقال: أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلهاً آخر (١).

والثبوت: جعل الشيء ثابتاً، أي: متمكناً من مكانه غير مقلقل ولا مقلوع، وهو مستعار للبقاء على حاله غير متغير (٢).

تعريف الركون لغة: قال ابن فارس: الراء والكاف والنون أصل واحد يدل على قوة. فركن الشيء: جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد، أي: عز ومنعة (٣).

وقال الراغب: ركن الشيء: جانبه الذي يسكن إليه، ويستعار للقوة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِىَ بَيْكُم قُوَّةٌ أَوْ ءَاوِىَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٠]. وركنت إلى فلان أركن بالفتح، والصحيح أن يقال: ركن يركن، وركن ركوناً، قال-تعالى-: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [سورة هود: ١١٣] (٤).

وفي لسان العرب: ركن إلى الشيء وركن يركن، ويركن ركناً وركوناً أي: مال إليه وسكن. وركن إلى الدنيا إذا مال إليها (٥).

وبعد هذا التقرير نذكر ونحرر جواب الإمام البغوي-رحمه الله- عن التساؤل حيث أجاب بجوابين:

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٧١)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٣٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٥ / ١٧٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٤٣٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٦٥).

(٥) لسان العرب (١٣ / ١٨٥).



الجواب الأول: أن ذلك كان خاطر قلب، ولم يكن عزمًا، وقد غفر الله-عز وجل- عن حديث النفس.

وقد روي عن الحسن البصري-رحمه الله- أنه قال: في قوله-تعالى-: ﴿لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ﴾. أي: هممت، لكنه هم به هم خطر خطره إبليس، كما قال-تعالى- في قصة يوسف-عليه السلام-: همت به هم عزم، وهم بها هم خطر (١). قال السمرقندي-رحمه الله-: ﴿لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: هممت أن تميل إليهم، شيئاً قليلاً، وتعطي أمنيتهم شيئاً قليلاً (٢).

فعلى هذا فقد حصل الهمّ والميل الى مراد المشركين من النبي-صلى الله عليه وسلم- لكنه همٌ قليل، كما قال ابن عباس-رضي الله عنهما- وذلك حين سكت عن جوابهم، والله أعلم بنيته (٣).

ورجح هذا القول ابن عطية-رحمه الله- فقال: ورسول الله-صلى الله عليه وسلم- لم يركن، لكنه كاد بحسب همه بموافقتهم طمعا منه في استتلافهم (٤). ويؤيد هذا القول ما روي عن قتادة: كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول بعد ذلك: ((اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين)) (٥).

الجواب الثاني: أن الله-تعالى- قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله-تعالى-: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣) [سورة النساء: ٨٣]. وقد تفضل الله-تعالى- ورحم، فلم يتبعوا الشيطان. وذهب الى هذا القول جمهور المفسرين، وقالوا إن العصمة والتثبيت منع مجرد المقاربة والميل إلى مكرهم، فأما

(١) تفسير الماتريدي، (٧ / ٩٢).

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢ / ٣٢٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣ / ٤٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣ / ٤٧٥).

(٥) سبق تخريجه.

الركون فهو أمر بعيد وممنوع نهائياً وغير متصور من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك أكد-سبحانه وتعالى- هذا المعنى بقوله: ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أي: ركونا قليلاً.

وما أجمل قول القاضي عياض^(١) -رحمه الله- حين قال: عاتب الله الأنبياء-صلوات الله عليهم-بعد الزلازل، وعاتب نبينا-صلى الله عليه وسلم- قبل وقوعه، ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافضة لشرائط المحبة، وهذه غاية العناية، ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه.

ففي أثناء عتبه براءته، وفي طي تخوفه تأمينه وكرامته، ومثله قوله-تعالى-
﴿قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ
اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣] (٢).

وقد رد ابن عطية على أصحاب هذا القول فقال: ومن ذهب إلى نفي الهم عن النبي-عليه الصلاة والسلام- فحمل اللفظ ما لا يحتمل، لأن قوله-تعالى-
﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ يبطل ذلك، وهذا الهم من النبي-عليه الصلاة والسلام- إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل كدت، وهي تعطي أنه لم يقع ركون، ثم قيل
﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ إذ كانت المقاربة التي تتضمنها كدت قليلة خطرة لم تتأكد في النفس (٣).

(١) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، أبو الفضل اليحصبي السبتي، القاضي، عالم المغرب، الحافظ، كان إمام أهل الحديث في وقته، وأعلم الناس بعلم الحديث والنحو والأصول واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة، ومن مصنفاته: "الشفاء"، "طبقات المالكية"، و"شرح صحيح مسلم"، و"التاريخ"، و"المشارك"، و"الإعلام بحدود قواعد الإسلام"، و"الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع". توفي سنة (٥٤٤هـ)، ينظر ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات (٤٣/٢)، ووفيات الأعيان (٤٨٣/٣)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (٢١/٢).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (١/ ٣٠).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٧٥).



قال الثعالبي-رحمه الله- بعد حكاية رد ابن عطية، وما ذكره ابن عطية-
رحمه الله تعالى- من البطلان لا يصح، وما قدمناه عن عياض حسن فتأمله(١).

الترجيح:

الراجح والعلم عند الله- هو **الجواب الثاني**: وهو قول الجمهور: أن الآية
الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا-صلى الله عليه وسلم- من مقارنة الركون
إلى الكفار، فضلاً عن نفس الركون، ورجحنا هذا القول لأمر منها:

الأول: أن "لولا" حرف امتناع لوجود؛ فمقاربة الركون منعتها لولا الامتناعية
لوجود التثبيت من الله جل-وعلا- لأكرم خلقه-صلى الله عليه وسلم- فصح يقيناً
انتفاء مقارنة الركون فضلاً عن الركون نفسه.

الثاني: "كاد" معناه المقاربة فكان معنى الآية: أنه قرب وقوعه في الفتنة،
وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة، فإننا إذا قلنا كاد الأمير أن يضرب
فلانا لا يفهم منه أنه ضربه.

الثالث: أن في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ﴾ تهديد، والتهديد على المعصية لا
يدل على الإقدام عليها وأمثاله في القرآن كثير مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ أَشْرَكَتَ
لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥].

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٤٨٩).

[٦٧] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٩].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه-
صلى الله عليه وسلم-؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: التخصيص من حيث أن نوافل العباد كفارة لذنوبهم والنبي-صلى الله عليه
وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب
فتبقى له زيادة في رفع الدرجات(١).

دراسة التساؤل: معنى التهجد في اللغة: قال ابن فارس: هجد: الهاء والجيم
والدال أصيل يدل على ركود في مكان. يقال: هجد، إذا نام هجوداً، والهاجد: النائم؛
وإن صلى ليلاً فهو متهجد، كأنه بصلاته ترك الهجود عنه(٢).

وقيل: هجد يهجد هجوداً، وأهجد: نام، وهجد القوم هجوداً، ناموا.
والهاجد: النائم، والهاجد والهجود: المصلي بالليل، والجمع هجود وهجد(٣).
ومعنى التهجد في الاصطلاح: هو التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما
الهجود نفسه، فالنوم

وقيل: التهجد التيقظ بعد رقدة، فصار اسماً للصلاة، لأنه ينتبه لها، فالتهجد
القيام إلى الصلاة من النوم(٤).

معنى النافلة لغة: هي الزيادة على الواجب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(٥).

(١) تفسير البغوي، (٥ / ١١٥).

(٢) مقاييس اللغة (٦ / ٣٤).

(٣) لسان العرب (٣ / ٤٣١).

(٤) تفسير الطبري (١٧ / ٥٢٣)، تفسير القرطبي (١٠ / ٣٠٨).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٢٠).



وقال ابن فارس: نفل: النون والفاء واللام أصل صحيح يدل على عطاء وإعطاء. منه النافلة: عطية الطوع من حيث لا تجب. ومنه نافلة الصلاة، والنوفل: الرجل الكثير العطاء^(١).

معنى النافلة اصطلاحاً: هي زيادة أجر لهم على ما كتب لهم من ثواب ما فرض عليهم^(٢).

وبعد التعريفات نذكر خلاف العلماء في مسألة قيام الليل: هل كان فرضاً على النبي-صلى الله عليه وسلم- أم لم يكن فرضاً-مع اتفاقهم على عدم فرضيته على الأمة- على أقوال منها:

القول الأول: أن قيام الليل ليس بفرض على النبي - صلى الله عليه وسلم- بل هو نافلة، وإنما قال الله تعالى- : ﴿نَافِلَةٌ لَّكَ﴾ من أجل أنه -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة؛ لأنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نافلة وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لتكفير ذنوبهم فليس للناس-في الحقيقة- نوافل، وهذا قول مجاهد بن جبر، والحسن، واختاره البغوي^(٣).

واستدلوا على ذلك بعموم قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((خمس صلوات فرضهن الله على العباد))^(٤)، خاصة أن الآية محتملة ، والحديث الذي استدل به من قال بفرضية قيام الليل على- رسول الله صلى الله عليه وسلم- حديث ضعيف^(٥). واعترض ابن جرير الطبري-رحمه الله-على قول مجاهد فقال: فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله فيما ذكر عنه أكثر ما كان

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٤٥٥).

(٢) لسان العرب (١١ / ٦٧١).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١ / ٣١٢).

(٤) البخاري، كتاب الإيمان، باب: الزكاة من الإيمان، (١٨/١)، برقم (٤٦) مسلم، كتاب الإيمان، (٣١/١)، برقم (١١).

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢ / ٢٥٨)، قال عنه ابن حجر في تلخيص الحبير ٣ / ١٢٠ : ضعيف جداً، لأنه من رواية مرسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن هشام عن أبيه.

استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله - عز وجل - عليه، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: ٢]. وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية، وأنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١]. عام قبض. وقيل له فيها ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: ٣]. فكان يعد له صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد استغفار مائة مرة ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد (١).

القول الثاني: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد اختص بافتراض قيام الليل عليه، وهذا المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وتابعه على ذلك كثير من أهل العلم، منهم الشافعي في أحد قوليه، ورجحه الطبري في تفسيره (٢).
واستدلوا على ذلك بقوله - تعالى - : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجَدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: نفلا لك، أي: فضلاً: زيادة عن فرائضك التي فرضتها عليك، كما يدل على ذلك قوله - تعالى - : ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة المزمل: ٢-٣].

قال الطبري: خيره الله - تعالى - ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم (٣).

ويعضد هذا ويؤيده ما روته، عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ثلاث هن علي فرائض ولكم سنة، الوتر والسواك وقيام الليل)) (٤).

(١) تفسير الطبري (١٧ / ٥٢٥).

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ٥٢٥)، تفسير ابن كثير ط العلمية (٥ / ٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ٦٧٨).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط، (٣ / ٣١٥)، السنن الكبرى للبيهقي، (١٣ / ٤٦٨)، قال عنه ابن حجر في تلخيص الحبير، (٣ / ١٢٠)، ضعيف جداً، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥ / ٣٢٣).



وقد اعترض ورد على هذا القول القرطبي-رحمه الله- فقال: وفي هذا التأويل بُعد لوجهين: أحدهما: تسمية الفرض بالنفل، وذلك مجاز لا حقيقة.

الثاني: قوله -صلى الله عليه وسلم-: "خمس صلوات فرضهن الله على العباد"^(١)، وقوله-تعالى-: ((هن خمس وهن خمسون" ما يبذل القول لدي))^(٢)، وهذا نص، فكيف يقال: افترض عليه صلاة زائدة على خمس؟ هذا ما لا يصح، وإن كان قد روى عنه -عليه الصلاة والسلام: ((ثلاث علي فريضة ولأمتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك))^(٣).

القول الثالث: أن الوجوب صار منسوخاً في حقه-صلى الله عليه وسلم- كما نسخ في حق الأمة، فصار قيام الليل نافلة؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿نَافِلَةٌ لَّكَ﴾ ولم يقل: عليك.

واستدلوا بأن الأصل: أن النافلة هي الزائد عن الفرض من التطوع ونحوه. واستدلوا كذلك بتركه-صلى الله عليه وسلم- إذا سافر ولا يُحافظ في سفره إلا على الوتر وسنة الفجر. ومن الأدلة على هذا القول كذلك: صلاته-عليه الصلاة والسلام- للتهجد على الراحلة؛ فإن الواجبات لا تُصلى على الراحلة. ومن الأدلة أيضاً أنه-صلى الله عليه وسلم- كان يترك قيام الليل أحياناً لمرض أو تعب أو سفر ثم يقضيه من الضحى.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو القول الثالث: أن قيام الليل سنة ونافلة في حق النبي-صلى الله عليه وسلم- وفي حق أمته، وإن كان ظاهره الوجوب لكن التصريح بكونه نافلة قرينة صارفة للأمر، ويدل على ذلك:

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الاسراء، (٧٨/١) برقم (٣٤٩) مسلم، كتاب: الايمان، باب: الاسراء بالرسول، (١٠٢/١) برقم (١٦٣).

(٣) سبق تخريجه، وقد ضعفه ابن حجر كما في تلخيص الحبير.

ما قاله الشوكاني-رحمه الله- أن الخطاب في هذه الآية وإن كان خاصاً بالنبي-صلى الله عليه وسلم- في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ فالأمر له أمر لأمته، فهو شرع عام، ومن ذلك الترغيب في صلاة الليل، فإنه يعم جميع الأمة، والتصريح بكونه نافذة يدل على عدم الوجوب، فالتهدد من الليل مندوب إليه ومشروع لكل مكلف^(١). وقال ابن عطية-رحمه الله-: وتحتل الآية أن يكون هذا على وجه النذب في التنفل، ويكون الخطاب للنبي-صلى الله عليه وسلم- والمراد هو وأمته كخطابه في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [سورة الإسراء: ٧٨]^(٢).

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٧٨).



[٦٨] قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٦-٨٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: المراد منه: محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور.

وقال عبد الله بن مسعود: ((اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ قال يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً ثم يفيضون في الشعر)) (١) (٢).

دراسة التساؤل: القرآن الكريم: كلام الله -تعالى- منه بدأ، وإليه يعود، تكلم الله -تعالى- به، وسمعه منه جبريل -عليه السلام- وأنزله على محمد -صلى الله عليه وسلم-. وقد قال بعض السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود (٣).

وقالوا في شرح هذه الجملة: معنى منه بدأ، أي: هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية إنه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره.

وأما إليه يعود، فإنه يسري به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف (٤).

(١) شرح السنة . للإمام البغوي متنا وشرحا (١ / ٣١٧)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٣٩٩)، وأخرج نحوه أيضا موقوفا للطبراني في المعجم الكبير للطبراني (٨ / ٤٩)، بسند صحيح، الدر المنثور، (٥ / ٣٣٤).

(٢) تفسير البغوي، (٥ / ١٢٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٨٩)، مجموع الفتاوى (٢٤٢ / ٣٧).

(٤) مجموع الفتاوى ، (٦ / ٣٥).

ورفع القرآن لا يقع إلا حين لا يبقى على الأرض مؤمن، فيبقى شرار الناس وعليهم تقوم الساعة.

وقد جاءت عدة أحاديث مرفوعة وموقوفة، تدل على رفع القرآن الكريم في آخر الزمان منها: عن عبد الله بن مسعود قال: ((ولينزعن القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء))^(١).

عن ابن مسعود-رضي الله عنه- قال: ((ليسرين على القرآن في ليلة فلا يترك آية في مصحف أحد إلا رفعت))^(٢).

وعن ابن مسعود قال: ((أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يسرى عليه ليلاً فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً ثم يفيضون في الشعر))^(٣).

عن شداد أن بن مسعود قال: ((لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم قال قلت يا ابا عبد الرحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا وأثبتناه في مصاحفنا قال يسرى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد منه ولا مصحف منه شيء ويصبح الناس فقراء كالبهائم ثم قرأ عبد الله : ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكَيْلًا﴾^(٤).

قلت: والكلام في الأمور الغيبية لا يقال من قبل الرأي، فله حكم المرفوع. وعن حذيفة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى صيام، ولا صدقة، ولا نسك ويسرى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من

(١) فتح الباري، (١٣ / ١٦) قال ابن حجر: وسنده صحيح لكنه موقوف.

(٢) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن، (٢١٠٦/٤)

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٣ / ٣٦٢)، المعجم الكبير للطبراني (٨ / ٤٩)، قال ابن حجر في فتح الباري (١٣ /

١٦ /) : سنده صحيح ولكنه موقوف . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٩) : رجاله رجال الصحيح.



الناس الشيخ الكبير يقول: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله ونحن نقولها " قال له صلة: فما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون صياماً، ولا صدقة، ولا نسكاً، فأعرض عنه حذيفة فردوها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، ثم قال: " يا صلة تنجيهم من النار، تنجيهم من النار))^(١).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: ((لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب -عز وجل-: مالك؟ فيقول: منك خرجت وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي فعند ذلك يرفع القرآن))^(٢).

هذه بعض المرويات منها ما هو مرفوع إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- ومنها ما هو موقوف على ابن مسعود -رضي الله عنه- وابن عمرو بن العاص، والتي تدل على أن رفع هذا القرآن الكريم في آخر الزمان، لا يكون إلا تمهيداً لقيام الساعة على شرار الخلق، الذي لا يعرفون شيئاً من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده، ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه.

وكان البغوي-رحمه الله- تساءل في هذه الآية، وأجاب عن تساؤله بأن ذهاب القرآن في آخر الزمان، يكون بمحوه من المصاحف، وإذهاب ما في الصدور، كما نطقت بذلك السنة، والأثار عن السلف-رضوان الله عليهم- وما قاله البغوي قد قال به أكثر المفسرين. والله أعلم.

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب: ذهاب القرآن،(٥/٥١٠)، برقم (٤٠٤٩)، شعب الإيمان، (٣ / ٣٩٩)

(١٨٧٠)، والمستدرک للحاکم (٨٦٣٦)، والحديث: صحيح.. صحيح ابن ماجه (الرقم: ٣٢٨٩)

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ١٣٢)،كنز العمال (١٤ / ٢٧٤)، جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي (ص: ١٨٤٧٦).

[٦٩] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَا وَبُكْمًا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ [سورة الإسراء: ٩٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم وقد قال -تعالى-: ﴿وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ [سورة الكهف: ٥٣]. وقال: ﴿وَإِذَا الْقُورَاءُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ [سورة الفرقان: ١٣]. وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ [سورة الفرقان: ١٢]. أثبت الرؤية والكلام والسمع؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء. وجواب آخر قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: عمياً لا يرون ما يسرهم، بكماً لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم.

وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون (١).
دراسة التساؤل: هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن الكفار يبعثون يوم القيامة عمياً وبكماً وصماً، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك، فأجاب على هذا الإشكال الإمام البغوي -رحمه الله- بالآتي:

الجواب الأول: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء، إذا عرضوا على النار وعند الحساب، وهذا القول استظهره أبو حيان في تفسيره حيث قال: والظاهر أن قوله عمياً وبكماً وصماً هو حقيقة، وذلك عند قيامهم من قبورهم،

(١) تفسير البغوي، (٥/ ١٣٢).



ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم، فيرون النار ويسمعون زفيرها، وينطقون بما حكى الله عنهم في غير هذا الموضع (١).

قال ابن جرير-رحمه الله-: في جوابه عن هذا الإشكال: بأن ما وصفهم الله به من العمى والبكم والصمم، يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسمع وأبصار ومنطق في أحوال آخر غير حال الحشر (٢).

الجواب الثاني: أنهم لا يرون شيئاً يسرهم، ولا يسمعون كذلك، ولا ينطقون بحجة، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعون، فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة لعدم الانتفاع به، وهذا هو المروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- والحسن (٣).

الجواب الثالث: هذا حين يقال لهم: ﴿قَالَ أَحْسَعُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون من شدة الكرب واليأس من الفرج، وهذا مروي عن مقاتل (٤). وهذا الجواب قريب من الجواب الأول.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن الأجوبة الثلاثة ينحل بها الإشكال، ويزول بها توهم التعارض بين آية الإسراء وبين غيرها من الآيات، ولفظ الآية يتسع لتلك الأحوال الثلاثة ويحتملها.

قال الشعراوي-رحمه الله- والمتأمل في حال هؤلاء المعذبين في موقف البعث يجد أن العمى كان ساعة البعث، حيث قاموا من قبورهم عمياً ليتحقق لهم الإذلال والحيرة والارتباك، ثم بعد ذلك يعودون إلى توازنهم، ويعود إليهم بصرهم ليشاهدوا به ألوان العذاب الخاصة بهم، وهكذا جمع الله عليهم الذل في الحالين: حال العمى وحال البصر (٥).

(١) البحر المحيط في التفسير (٧/ ١١٥).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٠)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤١١) الدر المنثور، (٥/ ٣٤٢).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٥١).

(٥) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٧٦١).

التساؤلات في سورة الكهف

[٧٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

﴿٧﴾ [سورة الكهف: ٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: أي: زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله -تعالى-.
وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة وهم زينة الأرض، وقيل: أراد بهم العلماء
والصلحاء.

وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار كما قال -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ
الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزِينَتَ﴾ [سورة يونس: ٢٤] (١).

دراسة التساؤل: معنى الزينة في اللغة: قال ابن فارس: الزاء والياء والنون
أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه. فالزین نقيض الشين. يقال زينت
الشيء تزييناً. وأزينت الأرض وأزينت وزدانت إذا حسنها عشبها (٢).

الزينة اسم جامع لكل شيء يتزين به، وتزينت الأرض بالنبات وأزينت وزدانت
ازديانا وتزينت وأزينت وازيأنت وأزينت أي حسنت وبهجت (٣).

معنى الزينة في الاصطلاح: هي تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو
هيئة (٤).

وقال القرطبي: والزينة كل ما على وجه الأرض، فهو عموم لأنه دال على
بارئه (٥).

(١) تفسير البغوي - طيبة (٥ / ١٤٤).

(٢) مقاييس اللغة (٣ / ٤١).

(٣) لسان العرب (١٣ / ٢٠٢).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٥ / ١٦١).

(٥) تفسير القرطبي (١٠ / ٣٥٤).



ومن هذه المعاني يتضح أن كلمة الزينة تُطلق على المحاسن التي خلقها الله- سبحانه وتعالى- وتطلق أيضاً على ما يتزين به الإنسان مما يكسب جمالاً من لباس وطيب ونحوهما.

وقد ورد لفظ الزينة في القرآن على عدة اطلاقات أوصلها بعضهم الى عشرين وجهاً^(١).

وبناءً على تعريف الزينة ومعرفة دلالتها، نحرر أجوبة الإمام البغوي-رحمه الله- عن التساؤل، حيث ذكر أربعة أجوبة وهي كالتالي:

الجواب الأول: أن في خلق الحيات والعقارب والشياطين زينة، على معنى: أنها تدل على وحدانية الله-تعالى- فإن الله-تعالى- خلق مثل هذه المخلوقات أظهر فيه صنعة إتقانه و تدبيره عز-وجل- ، فكل أفعاله صادرة عن حكمة، يعلمها من علم، ويجهلها من جهل، فإذا خفيت الحكمة على المؤمن يجب أن يرضى ويؤمن ويسلم ويكل علمها الى خالقها، ولا يسيئ الظن بربه، فالله-تعالى- خلقها لكي يبتلي بخلقها عباده من جهة إيمانهم و يقينهم فأما المؤمن فيرضى ويسلم، وأما المرتاب فيقول: ماذا أراد الله بهذا الخلق، وما علم أن الخلق، دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته، وهذا الجواب رواه ابن جرير الطبري عن مجاهد ورجحه^(٢).

وقد حمل أصحاب هذا القول قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةٌ لَهَا﴾ على العموم^(٣)، فكل ما خلق الله على الأرض فهو زينة لها. قال القرطبي-رحمه الله- والقول بالعموم أولى، وأن كل ما على الأرض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه وإحكامه^(٤).

(١) بصائر ذوي التمييز، (٣/١٥٧-١٦٠)، صلاح الوجوه والنظائر، (٢٢٢-٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري، (١٧/٥٩٨).

(٣) قال ابن الجوزي: وقول مجاهد أعم، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن، وغير ذلك. زاد المسير (٣/٦٥).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/٣٥٤).

الجواب الثاني: أن الله-تعالى- أراد بالزينة، الرجال خاصة وهم زينة الأرض، وهذا القول: مروى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- وعن مجاهد^(١)، واختاره السمرقندي^(٢).

قال الألويسي-رحمه الله- ولعل أولئك الأجلة أرادوا من «ما» العقلاء وغيرهم تغليباً للأكثر على غيره، وما على الأرض بهذا المعنى ليس إلا بعض العناصر الأربعة والمواليد الثلاثة، وأشرف ذلك المواليد وأشرفها نوع الإنسان، وهو متفاوت الشرف بحسب الأصناف فيمكن أن يكون ما ذكره من باب الاقتصار على بعض أصناف هذا الأشرف لداع لذلك أصناف^(٣).

الجواب الثالث: أن الله-تعالى-أراد بمن على الأرض، العلماء والصلحاء والأمراء، رواه مجاهد عن ابن عباس-رضي الله عنهما- وروي عن عكرمة^(٤). فأصحاب هذين القولين جعلوا «ما» في موضع «من» لأنها في موضع إبهام، وأرادوا أن «ما» هنا لمن يعقل. وحملوا الزينة على الرجال، والعلماء، لعبادتهم، ودلالة الناس على خالقهم ومالكهم.

واعترض عليهم الألويسي-رحمه الله- بقوله: ولعمري إنه تخصيص لا يقبله الخواص على العموم، وقال أيضاً بعد حاكيته قول ابن عباس وعكرمة: وأنت تعلم أن جعل «ما» لمن يعقل مع إرادة ما ذكر بعيد جداً^(٥).

الجواب الرابع: أن المراد بالزينة، النبات والأشجار والأنهار، والأزهار، كما قال-تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْبَتْتَ﴾، فهذه كلها جعلها الله زينة للأرض، تجري مجرى الكسوة والحلية.

(١) البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٤٠)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٣٦٠).

(٢) تفسير السمرقندي، (٢/ ٣٣٥).

(٣) روح المعاني (٨/ ١٩٧).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٦٥)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٤٠).

(٥) روح المعاني (٨/ ١٩٧).



وأصحاب هذا القول: لم يدخلوا فيه الجبال الصم، وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب(١).

قال الزمخشري-رحمه الله- في قوله-تعالى-: ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها(٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن الله-تعالى- جعل جميع ما على وجه الأرض- ممن يعقل وممن لا يعقل- من مآكل لذيدة، ومشارب، ومساكن طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل، وكل ما على الأرض من ذي الروح والجماد، جعله الله زينة لهذه الدار، فتنة واختباراً.

ومما يقوي هذا القول ويرجحه:

سياق الآيات، فإن السياق يتحدث عن ما يستهوي الناس ويجذبهم وتمتد إليه نفوسهم، ويغريهم وما يشغلهم عن آخرتهم.

قال الألويسي-رحمه الله- مرجحاً هذا القول: والمراد ب«ما» عموم ما لا يعقل ومن يعقل، فيدخل من توجه إليه التكليف وغيره، ولا ضير في ذلك فإن للمكلف جهتين:

جهة يدخل بها تحت الزينة، وجهة يدخل بها تحت الابتلاء المشار إليه بقوله-

تعالى-: ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾. وقد نص-سبحانه- على بعض المكلفين بأنهم زينة، كما في

قوله-تعالى-: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف: ٤٦] (٣).

وقال المظهري-رحمه الله-: ويمكن أن يراد بما على الأرض على العموم كما هو الظاهر، وكونها زينة من حيث النظام الجملي، أو من حيث أن لكل شيء مدخل في الزينة، لأن حسن الأشياء الحسنة تعرف كما هي عند معرفة قبح أضرارها(٤).

(١) تفسير القرطبي (١٠ / ٣٥٤).

(٢) تفسير الزمخشري، (٢ / ٧٠٤).

(٣) روح المعاني (٨ / ١٩٨).

(٤) التفسير المظهري (٦ / ٧).

[٧١] قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيَتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾ [سورة الكهف: ١٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم^(١).

دراسة التساؤل: معنى الوصيد: قال ابن فارس: (وصد) الواو والصاد والذال: أصل يدل على ضم شيء إلى شيء. وأوصدت الباب: أغلقته. والوصيد: النبت المتقارب الأصول. والوصيد: الفناء لاتصاله بالريع. والموصد: المطبق^(٢). وقيل: الوصيد: هو فناء الباب بلغة مذحج، وأهل الحجاز يقولون: الوصيد، وأهل نجد يقولون: الأصيد، وهو: الحظيرة والفناء. وقيل عتبة الباب، وفناء الشيء ما امتد من جوانبه^(٣).

وجاء في القاموس: الوصيد: الفناء، والعتبة، وأصله من قول العرب، أصدت الباب وأوصدته، أي أغلقته وأطبقته^(٤).

قال الشنقيطي: والذي يشهد له القرآن أن الوصيد هو الباب^(٥).

وقد اختلف العلماء في تفسير الوصيد على أربعة أقوال:

القول الأول: أن الوصيد هو الفناء، أي: فناء الكهف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والفراء.

(١) تفسير البغوي، (٥/ ١٥٨).

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١١٧)، تهذيب اللغة (١٢/ ١٥٥).

(٣) التبيان تفسير غريب القرآن (ص: ٢٧٢)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٧٢).

(٤) القاموس المحيط (ص: ٣٢٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ١٦٠).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٢٤).



القول الثاني: أنه الباب، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، قال ابن قتيبة: فيكون المعنى: وكلبهم باسط ذراعيه بالباب.

القول الثالث: أنه الصعيد، وهو التراب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية عنهما.

القول الرابع: أنه عتبة الباب، قاله عطاء، ورجحه الطبري^(١).

قال الطبري-رحمه الله- بعد حكايته هذه الأقوال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يوصد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله- عز وجل-: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [سورة الهمة: ٨] وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة^(٢).

قال الواحدي: وهذا قول أكثر المفسرين، وبه قال أكثر أهل اللغة^(٣).

فعلى هذا القول: يقال للوصيد المطبق: وهذا الاشتقاق يوجب أن يكون معنى الوصيد: الباب المطبق المجافي، فالذين قالوا: إنه الباب، وافق قولهم أصل اللفظ في اللغة، ويكون معنى الوصيد في الكهف: بأنه المسدود، كما روي في القصة: أن باب الكهف سد عليهم، والذين قالوا: إنه الفناء؛ فلأن الكلب إذا كان داخل الكهف وراء بابه المسدود كان بالفناء؛ لأن ما جاوز فم الكهف كان من جملة الفناء، والكلب كان في آخر الفناء عند الباب. والقولان صحيحان^(٤).

وبعد هذا التقرير يظهر قوة استنباط ما ساقه الإمام البغوي-رحمه الله- من توجيهه للتساؤل الذي ذكره في ثنايا هذه الآية، وأجاب بقوله: أن موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم، كالحارس لهم.

(١) تفسير الطبري، (١٧/ ٦٢٥) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٧١)، النكت والعيون (٣/ ٢٩٢).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٦٢٥).

(٣) التفسير البسيط (١٣/ ٥٦٢).

(٤) المرجع السابق، (١٣/ ٥٦٢).

قال ابن كثير-رحمه الله- مؤيداً لما قاله البغوي: ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب، وقد قال ابن جريج: يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب، لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي طلحة عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ((قال إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة))(١)(٢).

وممن ذكر هذ التساؤل الشنقيطي-رحمه الله- حيث قال: كيف يكون الوصيد هو الباب في الآية، والكهف غار في جبل لا باب له؟

فالجواب: أن الباب يطلق على المدخل الذي يدخل للشيء منه ؛ فلا مانع من تسمية المدخل إلى الكهف باباً، ومن قال: الوصيد: الفناء، لا يخالف ما ذكرنا ؛ لأن فناء الكهف هو بابيه، وقد قدمنا مراراً أن من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك: أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً وتكون في الآية قرينة تدل على خلافه(٣).

فعلى هذا فجواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل وجيه وحسن، يرتفع به الإشكال، وتشهد له اللغة والعرف، والله أعلم.

(١) صحيح البخاري، كتاب، باب: (٥ / ٢٢٢١)، برقم، (٣٢٢٦)، ومسلم (٢١٠٦)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥ / ١٣١).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣ / ٢٢٥).



[٧٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف: ٣٠].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: جوابه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [سورة الكهف: ٣١]. وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فكلام معترض، وقيل: فيه إضمار معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال:
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ (١).

دراسة التساؤل: قال الطبري -رحمه الله-: يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار (٢).

لكن في معنى هذه الآية تساؤل معروف ذكره البغوي -رحمه الله- فقال أين خبر إن الأولى، في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ فأجاب -رحمه الله- بجوابين:

الجواب الأول: أن خبر ﴿إِنَّ﴾ هو في قوله -تعالى-: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ وأن قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ كلام معترض، أي: جملة اعتراضية، وهذه الجملة، قد فصل بها بين الاسم وخبره، لأن فيه ذكر ما في الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا، وعلى هذا القول يكون معنى الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم جنات عدن﴾.

(١) تفسير البغوي - طيبة (٥ / ١٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨ / ١٦).

قال ابن عطية: ونحو هذا من الاعتراض قول الشاعر:

إن الخليفة إن الله ألبسه ... سربال ملك به تزجي الخواتيم^(١).

الجواب الثاني: أن في الآية إضمار فيكون المعنى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإننا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

قال الفراء: ويجوز أن تجعل قول-تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في مذهب جزاء، فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالحاً فإننا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء في قوله: ﴿إِنَّا﴾، وهو أحب الوجوه إلي^(٢). وعلى هذا القول: تكون جملة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ استئناف لبيان الأجر، والإشارة إلى من تقدم ذكره.

وهناك جواب ثالث ذكره بعض العلماء: أن يكون الخبر قوله-تعالى-: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ في معنى إنا لا نضيع أجرهم، لأن ذكر ﴿مَنْ﴾ كذكر الذي، وذكر حسن العمل كذكر الإيمان، فيكون معنى الكلام: إن الذين يعملون الصالحات إن الله لا يضيع أجر من آمن، فهو كقولك إن الله لا يضيع أجرهم، ذكره الزجاج^(٣).

الترجيح:

الراجح والعلم عند الله- أن الأجوبة الثلاثة جائزة ومحتملة، وكل وجه قد قال به أهل العلم، والخلاف فيها من قبيل التنوع لا التضاد، وكلها صالحة للجواب عن الإشكال.

(١) خزنة الأدب، (١٠ / ٣٦٦) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، (٢ / ٦٧٢).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢ / ١٤٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣ / ٢٨٣).



[٧٣] قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [سورة الكهف: ٩٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: كلم عنهم مترجم، دليله: قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم يا ذا القرنين^(١).

دراسة التساؤل: كي يتم لنا معرفة الإشكال في التساؤل، يحسن بنا أن نذكر تعريفات أهل اللغة في كلمة: ﴿يَفْقَهُونَ﴾.

قال ابن فارس: (فقه) الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. يقولون: لا يفقه ولا ينقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. وأفقهتك الشيء، إذا بينته لك^(٢).

وقيل: الفهم مطلقاً، سواء ما ظهر أو خفي، واستدلوا على ذلك بقوله -تعالى- حكاية عن قوم شعيب -عليه السلام-: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا﴾ [سورة هود: ٩١]. وقوله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا لَئِن سَبَّح بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤]. فالآيتان تدلان على نفي الفهم مطلقاً^(٣).

معنى الفقه عند الفقهاء: هو: مجموع الأحكام والمسائل العملية التي قالها المجتهدون وأفتى بها المفتون وتوصل إليها أهل التخريج.

(١) تفسير البغوي - طيبة (٥ / ٢٠٢).

(٢) مقاييس اللغة (٤ / ٤٤٢).

(٣) القاموس المحيط (ص: ١٢٥٠)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١ / ١١).

وقيل هو: حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية بدليلها أو مجرداً عنها^(١).

وقيل: معرفة الأحكام العلمية بأدلتها التفصيلية^(٢).

وقد ذكر العلماء أن في كلمة «يَفْقَهُونَ» قراءتين صحيحتين^(٣):

إحداهما: بفتح الياء والقاف يعني أنهم لا يفهمون كلام غيرهم.

والقراءة الثانية: بضم الياء وكسر القاف، أي لا يفهم كلامهم غيرهم^(٤).

قال القرطبي-رحمه الله- والقراءتان صحيحتان، فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم^(٥).

وبعد الانتهاء من تعريف الفقه، نذكر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل في هذه الآية، وقد أجاب بقوله: إن هؤلاء القوم تكلم عنهم مترجم، دليله: قراءة ابن مسعود-رضي الله عنه: لا يكادون يفقهون قولاً، قال الذين من دونهم: يا ذا القرنين. أما ذو القرنين فقد أعطاه الله-تعالى- ملكاً عظيماً، وعنده من المترجمين ما يعرف به ما يريد، وكان مما أعطاه الله-عز وجل- أن ألهمه لغة الناس الذين استولى عليهم كلهم^(٦).

وقد اجاب غير البغوي عن التساؤل أيضاً:

الجواب الثاني: قال الرازي-رحمه الله- إن معاني كاد المقاربة، وعلى هذا القول فقوله-تعالى-: «قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» أي: لا يعلمون وليس لهم قرب من أن يفقهوا.

وعلى هذا القول فلا بد من إضمار، وهو أن يقال: لا يكادون يفهمونه إلا بعد تقريب ومشقة من إشارة ونحوها^(٧).

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١ / ١٤).

(٢) الشرح الممتع على زاد المقنع، (١٥/١).

(٣) السبعة، (ص ٣٩٩)، الحجة للقراء السبعة (٥ / ١٧٢).

(٤) النكت والعيون (٣ / ٣٤١).

(٥) تفسير القرطبي (١١ / ٥٥).

(٦) تفسير ابن عثيمين، (ص: ١٣١).

(٧) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١ / ٤٩٩).



فهذا يدل على أن لغتهم في غاية البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد، فهم لا يعرفون إلا لغتهم، فلذا قال -تعالى- ﴿لَا يَكَادُونَ﴾ أي: لا يقربون، وقال -تعالى-: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفهمون ﴿قَوْلًا﴾ ممن مع ذي القرنين فهماً جيداً كما يفهم غيرهم لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم.

وهناك جواب ثالث: لكنه قريب من الجواب الأول:

قال السعدي -رحمه الله- في قوله -تعالى-: ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج (١)

الترجيح:

الراجح والعلم عند الله- أن الأجوبة الثلاثة كلها متداخلة ومتقاربة، ووجيهة في رفع الإشكال، ولا يجزم بأحدها إلا بنص أو قرينة قوية مرجحة ومفسرة، ومع هذا فمجموعها يصح أن يكون جواباً للتساؤل، والله أعلم.

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٨٦).

التساؤلات في سورة مريم

[٧٤] قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ (١٨)

[سورة مريم: ١٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل إنما يستعاذ من الفاجر، فكيف قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني. أي: ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم وكذلك هاهنا، ومعناه: ينبغي أن يكون تقواك مانعاً لك من الفجور^(١).

دراسة التساؤل: يقول ابن جرير في تأويل الآية: يقول -تعالى ذكره-: فخافت مريم رسولنا، إذ تمثل لها بشراً سوياً، وظنته رجلاً يريد لها على نفسها.
قال السدي: فلما رأتها فزعت منه وقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك، تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقياً، فإنه يجتنب ذلك.

ولو وجه ذلك إلى أنها عنت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ تتقي الله في استجارتني واستعاذتي به منك كان وجهاً^(٢).

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: إن كنت تتقي الله، فستنتهي بتعودي منك، هذا هو القول عند المحققين^(٣).

وكان البغوي -رحمه الله- قد أجاب على التساؤل المذكور بما قرره العلماء، حيث ذكر أن تقواك أيها الرجل مانعاً لك من الفجور، وهذا مثل قولك: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني. أي: ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم.

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٦٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٢٤).



وما أجمل ما قاله السعدي-رحمه الله- وهو يبين أن التقوى مانعاً كبيراً للرجل من الفجور، خائفاً من ربه إذا ذكر، وأن التقى مأمون وإنما يستعاذ من غير التقى، فقال: إن كنت تخاف الله-عز وجل- وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها وإنما ذلك خوف منها وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه^(١).

وما ذكرناه عن هؤلاء الأئمة قد وافقهم غيرهم في ذلك، وإن اختلفت تعبيراتهم والفاظهم، لكنهم اجمعوا على أن الملك جاءها في صورة بشر، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريد لها على نفسها، فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾. أي: إن كنت تخاف الله تذكيراً له بالله وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل، فالأسهل، فخوفته أولاً بالله-عز وجل-^(٢).

ونذكر بعض العلماء جواباً آخر نسبوه إلى وهب بن منبه:

الجواب الثالث: أنه كان في ذلك الزمان إنسان فاجر، اسمه تقى يتبع النساء فظنت مريم-عليها السلام- أن ذلك الشخص المشاهد هو ذلك التقى، ذكره مكى، وغيره^(٣). قال ابن عطية والقرطبي: وهذا القول: ضعيف ذاهب مع التخرص، وزاد الألووسي-رحمه الله-أنه قيل: إنه اسم رجل صالح أو طالح، وقال: ليس هذا بسديد^(٤).

الترجيح:

الراجح- والعلم عند الله- هو **الجواب الأول:** وهو قول المحققين، أن مريم خافت من جبريل لما رآته في هيئة آدمي، إني أعوذ وألتجئ إلى الرحمن منك، إن كنت ممن يتقى الله ويخشاه، فستنتهي عنى بتعوذى به منك، وبهذا الجواب يزول الإشك

(١) تفسير السعدي، (ص: ٤٩١).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥ / ١٩٥).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٧ / ٤٥١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٩).

(٤) روح المعاني (٨ / ٣٩٦).

[٧٥] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم: ٣١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال وقيل: بالاستكثار من الخير^(١).

دراسة التساؤل: قبل أن نذكر جواب التساؤل، يحسن بنا أن نذكر تعريف
الزكاة ومعانيها التي ذكرها العلماء فنقول:

معنى الزكاة في اللغة: قال ابن فارس: (زكى) الزاء والكاف والحرف المعتل
أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال: الطهارة زكاة المال.

قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته
ونماؤه، والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة^(٢).

وقال ابن الأثير -رحمه الله-: وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة، والنماء،
والبركة، والمدح، وكل ذلك قد استعمل في القرآن والحديث^(٣).

وجاءت الزكاة في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: النقاء والطهارة: ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَا زَكَ
مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور: ٢١]. يعني: ما طهر منكم من أحد.

الثاني: الزكاة المفروضة: ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَاةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣]. يعني: زكاة المال المفروضة.

الثالث: الحلال: ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [سورة

الكهف: ١٩]. أي: أحل طعاماً.

(١) تفسير البغوي - طيبة (٥ / ٢٣٠).

(٢) مقاييس اللغة (٣ / ١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٣٠٧).



الرابع: الصدقة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [سورة مريم: ١٣]. أي: صدقة تصدق بها على أبيه.

الخامس: الصلاح: -: ﴿حَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ أي: صلاحاً (١).

وبعد هذا التقرير اللغوي نبين جواب البغوي عن التساؤل المذكور في الآية حيث ذكر جوابين هما:

الجواب الأول: أن معنى الآية: أن الله أمرني بالزكاة لو كان لي مال، وهذا حملٌ لمعنى الزكاة على الحقيقة، وهذا أمر خاص به، وقرينة قوله -تعالى-: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ لدلالاته على استغراق مدة حياته بإيقاع الصلاة والصدقة، أي: أن يصلي ويتصدق في أوقات التمكن من ذلك، أي: غير أوقات الدعوة أو الضرورات. فالاستغراق المستفاد من قوله -تعالى-: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ استغراق عرفي مراد به الكثرة (٢).

وفسر بعض العلماء كلمة: ﴿وَأَوْصَانِي﴾ أي: أمرني، فعلى هذا تحمل الآية: تعليم الناس حكم الزكاة، لأن عيسى -عليه السلام- قد ربما لا يملك ما تجب به الزكاة، فيجب عليه إعلام الناس بحكم الزكاة، ليحصل المواساة بين الأغنياء والفقراء. وذهب الى هذا القول: السمرقندي، والقرطبي، وأبو حيان، والبقاعي، وابن عاشور، والألوسي، والسعدي (٣).

الجواب الثاني: أن الله -تعالى- أمر عيسى -عليه السلام- بالاستكثار من الخير، لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ((ما نقص مال من صدقة)) (٤).

(١) الوجوه والنظائر، الدامغاني (٢٤٩-٢٥١)، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، (٣/١٣٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٦/١٠٠).

(٣) تفسير السمرقندي، (٢/٣٧٤)، تفسير القرطبي (١١/١٠٣) البحر المحيط في التفسير (٧/٢٥٩)، نظم

الدرر (١٢/١٩٣)، روح المعاني (٨/٤٠٨) التحرير والتنوير (١٦/٩٩)، تفسير السعدي (ص: ٤٩٢).

(٤) سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله، (٤/١٥٣)، برقم (٢٣٢٥)، مسند أحمد، مسند الشاميين،

(٢٩/٥٦١)، برقم (١٨٠٣١) والحديث صحح كما قاله الترمذي.

الجواب الثالث: المراد بالزكاة هنا: تزكية النفس وتطهيرها من المعاصي، لا زكاة المال.

وممن ذهب الى هذا القول الطبري، الزجاج، والسمعاني والواحدي، والخازن^(١).

قال الطبري-رحمه الله-: الزكاة لها معنيان: أحدهما: زكاة الأموال أن يؤديها. والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب؛ فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي^(٢).

وقال: وقوله: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ يقول: ما كنت حياً في الدنيا موجوداً، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب، لأن الذي يوصف به عيسى-صلوات الله وسلامه عليه- أنه كان لا يدخر شيئاً لغد، فتجب عليه زكاة المال^(٣).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **الجواب الأول**: أن المراد بها زكاة الأموال، وهذا هو الظاهر المتبادر لاسيما إذا قرنت مع الصلاة، فيكون معنى الآية: أوصاني بالقيام بحقوقه، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عباده، التي أجلها الزكاة، مدة حياتي، أي: فأنا ممثّل لوصية ربي، عامل عليها، منفذ لها، ومما يقوي هذا القول القاعدة المقررة عند أهل التفسير: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة، أو الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل^(٤).

وكذلك لا دليل على أن عيسى-عليه السلام-لم يكن له مال.

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٨)، تفسير السمعاني (٣/ ٢٩٠)، التفسير البسيط (١٤/ ٢٤٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٨٧).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٩١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) مختصر قواعد الترجيح، للحري، (١٥١)، مختصر في قواعد التفسير (ص: ٣٠).



التساؤلات في سورة طه

[٧٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف قالوا هذا، وقد جاءوا مختارين يحلفون بعهرة فرعون أن لهم الغلبة؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم في الابتداء.

وقال مقاتل: كانت السحرة اثنتين وسبعين، اثنان من القبط وسبعون من بني

إسرائيل، كان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم:

﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ﴾.

وقال عبد العزيز بن أبان^(١): قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ﴾^(٢).

دراسة التساؤل: قال ابن جرير -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: وقوله -تعالى-:

﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أقررنا بتوحيد ربنا،

وصدقنا بوعدده ووعديه، وأن ما جاء به موسى -عليه السلام- حق: ﴿لِيَعْفِرَ لَنَا

خَطِيئَتَنَا﴾ يقول: ليغفر لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا، ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ﴾

(١) هو: عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص الأموي، أبو خالد، فقيه، من رجال الحديث. مهم بوضعه، كان مقيماً في الكوفة، وولي قضاء واسط في أيام المأمون العباسي، ثم عزل وقدم بغداد، وتوفي بها، سنة: ٢٠٧ هـ). الأعلام للزركلي (٤/ ١٢).

(٢) تفسير البغوي، (٥/ ٢٨٥).

يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به^(١).

وكان الإمام البغوي-رحمه الله- قد أجاب عن تساؤله المتقدم بثلاثة أجوبة وهي كالنحو التالي:

الجواب الأول: قيل: روي عن الحسن-رحمه الله- أنه قال: كان فرعون يُكره قوماً على تعلم السحر، لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم في الابتداء، فكان فرعون يطالب بعض أهل مملكته بأن يُعلِّموا أولادهم السحر، وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السحر، هو الإكراه على تعلمه في أول الأمر.

قال القرطبي-رحمه الله-: ﴿وَمَا﴾ في موضع نصب معطوفة على الخطايا. قال المهدوي: وفيه بعد، لقولهم: ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١١٣]. وليس هذا بقول مكرهين، ولأن الإكراه ليس بذنب، وإن كان يجوز أن يكونوا أكرهوا على تعليمه صغاراً^(٢).

وهذا الجواب ظاهر ومحتمل، وتوجيهه أن السحرة لما رأوا ما جاء به موسى- عليه السلام- أنه ليس بسحر، وأن الرجل نبي مُرسل، وقع في قلوبهم التصديق، والندم على استفاد أعمارهم في تعلم السحر والتخييل، وما فيه من خدمة لفرعون وملاه، وعليه فلا علاقة بما سبق من قولهم، فقد أذهب الله عندما ظهر الحق وانكشف الباطل، حتى نسو ما وعده به، ولم يجر بخلدهم إلا النجاة من العذاب، والتي كانت النهاية فيه قتلهم.

الجواب الثاني: قال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل، وكان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾.

(١) تفسير الطبري (١٨ / ٣٤١).

(٢) تفسير القرطبي (١١ / ٢٢٦).



وذكر الرازي-رحمه الله- هذا القول فقال: إن رؤساء السحرة كانوا اثنين وسبعين، اثنان من القبط، والباقي من بني إسرائيل فقالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً فرأوه فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا: ما هذا بساحر، الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه، فأكره أولئك السبعين الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر (١).

الجواب الثالث: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يتعلموا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾. وهذا القول يدل على أن السحرة لما شاهدوا موسى، ورأوا ذكره لله-تعالى- وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيطلع على ضعف صناعتهم، فتفسد معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى- عليه السلام-، فكان هذا هو الإكراه على السحر، وهذا اعتبار له وجه.

ومن الأجوبة على هذا التساؤل:

الجواب الرابع: أنه أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى- عليه السلام- بسحرهم، فلما أكرهوا على القдом وأمروا بالسحر أتوه طائعين، فأكراههم بالنسبة إلى أول الأمر، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر، فانفكت الجهة وبذلك ينتفي التعارض، ويدل لهذا قوله: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُعِثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٣٦-٣٧]. وقوله: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١١١] (٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو ما ساقه البغوي-رحمه الله- ورجحه وهو الجواب الأول: وهو قول أكثرية المفسرين، حيث تتابعوا على ما رواه ابن عباس - رحمه الله

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢ / ٧٨).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ٦٦).

- على جهة التقرير لا النفي أو التحرير، ولعل سياق القصة يقوي هذا القول، فطلب الأجر صار شيئاً عارضاً ثانوياً تافهاً مقابل اليقين والعلم، وما رأوا من عظيم الأمر، وخرق العادة في العصا، فاتضح البرهان، وظهر الحق، وبطل السحر، ورسخ الإيمان في قلوبهم.

وفي سياق الآيات الأخرى المختلفة، تدل على تشجيع وإقدام من السحرة، لا يحكي إكراهاً، بل تواطؤ وتناصر، ومع هذا ففي الجواب الرابع، قوة ووجاهة، يزول به الإشكال، لأن التساؤل متوجهاً إلى الإكراه في الزمن والمكان المذكور، والله أعلم.



[٧٧] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَنَىٰ وَكُنَّا لَهُ نَجِيًّا﴾ [سورة طه: ١١٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال فإن قيل: أتقولون إن آدم-عليه السلام- كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ .
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان، بل كان مؤخذاً به، وإنما رفع عنا.
وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيهاً^(١).

دراسة التساؤل: معنى النسيان لغة: قال ابن فارس: نسي: النون والسين والياء أصلان صحيحان: يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على ترك شيء^(٢).

والنسيان: بكسر النون وسكون السين ضد الذكر والحفظ^(٣).
قال الراغب-رحمه الله-: النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال: نسيته نسياناً^(٤).

معنى النسيان في الاصطلاح: قال ابن عاشور-رحمه الله-: ذهاب الأمر المعلوم من حافظته الإنسان لضعف الذهن أو الغفلة.
وأضاف ابن عاشور قائلاً: ويرادفه السهو وقيل السهو الغفلة اليسيرة بحيث يتنبه بأقل تنبيه، والنسيان زواله بالكلية^(٥).

واقترنت على تعريف ابن عاشور لأنه من أجمع وأجود التعريفات فيما يظهر، والسبب في ذلك: تفريقه بين السهو والنسيان، فيما جعل بعض المفسرين، السهو والنسيان شيء واحد.

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٢٩٨).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٤٢١).

(٣) مختار الصحاح (ص: ٣١٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٠٣).

(٥) التحرير والتنوير (١/ ٤٧٥).

فخلاصة ما سبق: تبين وجود العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ويدلان على معنيين أساسيين هما: بمعنى الترك، وضد الحفظ والذكر، والله أعلم. وبعد هذا التعريف نسطيع أن نحرر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل المذكور، وقد أجاب عنه بجوابين:

الجواب الأول: يجوز أن آدم-عليه السلام- نسي أمر الله وعهده، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان، بل كان مؤخذاً به، وإنما رفع عنا. ولعل مراد البغوي من النسيان: الذي هو ضد الذكر، وهذا الذي ذكره فيه إشكال معروف، لأن الناسي معذور فكيف يقال: فيه وعصى آدم ربه فغوى. ويدل لما ذهب إليه البغوي-رحمه الله- أمرين:

الأول: قوله -تعالى- ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾. فإبليس لما أقسم له بالله أنه له ناصح فيما دعاه إليه من الأكل من الشجرة التي نهاه ربه عنها، غره وخدعه بذلك، حتى أنساه العهد المذكور.

والثاني: قال الرازي-رحمه الله-: واحتجوا عليه بقوله -تعالى-: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ وِعْزَماً﴾. ومثله بالصائم يشتغل بأمر يستغرقه ويغلب عليه فيصير ساهياً عن الصوم، ويأكل في أثناء ذلك السهو لا عن قصد^(١).

وفي الأثر عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: ((إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي))^(٢)، وهذا القول مروى عن ابن عباس-رضي الله عنهما^(٣). وانتصر لهذا القول الزمخشري، والرازي، والشنقيطي-رحمهما الله جمعياً-

قال الزمخشري-رحمه الله-: قلت يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر، وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة، ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس، حتى تولد من ذلك النسيان، وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصى به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها^(٤).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٤٥٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (٧/ ٢٤٣٧).

(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٢٥١).

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٩١).



وقال الشنقيطي -رحمه الله-: وأظهر أوجه الجواب عندي عن ذلك: أن آدم لم يكن معذوراً بالنسيان.

والدليل على ذلك أن العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة، كقوله -تعالى- هنا ﴿فَنَسِيَ﴾ مع قوله -تعالى-: ﴿وَعَصَى﴾ فأسند إليه النسيان، والعصيان، فدل على أنه غير معذور بالنسيان.

ومما يدل على هذا ما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن عباس وأبي هريرة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ((لما قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]. قال الله نعم قد فعلت))، فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الامتتان وتعظيم المنة عظيم موقع، ويستأنس لذلك بقوله: ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ ويؤيد ذلك حديث: ((إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان وما استكرهوا عليه))^(١) فقوله: «تجاوز لي عن أمتي» يدل على الاختصاص بأمته^(٢).

وقال الرازي -رحمه الله-: والناسي غير قادر على الفعل، فلا يكون مكلفاً به لقوله -تعالى-: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. وأما من حيث النقل فلقوله -عليه الصلاة والسلام- ((رفع القلم عن ثلاث))^(٣).

فالعتاب إنما حصل على ترك التحفظ من أسباب النسيان، وهذا الضرب من السهو موضوع عن المسلمين وقد كان يجوز أن يؤاخذوا به^(٤).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، (٤٤٤/٣) برقم (٢٠٤٣)، وجاء بلفظ إن الله وضع عن أمتي. وصححه الألباني، في صحيح الجامع (١٨٣٦).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ١٠٤).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب: المجنون يسرق أو يصيب حداً، (٣٦٤/٤) برقم (٤٤٠٣)، النسائي، كتاب الطلاق، باب: من لا يقع طلاقه من الأزواج، (١٥٦/٦) برقم (٣٤٣٢) ابن ماجه (٢٠٤١)، وأحمد (٢٤٧٣٨) قال البخاري كما في العلل الكبير للترمذي: أرجو أن يكون محفوظاً، (٢٢٥)، وصححه ابن العربي في عارضة الأحوذني، (٣/٣٩٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، (٣٤٣٢).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٤٥٩)

وهذا القول له وجاهته، قوته، لكنه عورض بأن نسيان الذهول لا يمكن في هذه الآية، لأنه لا يتعلق بالناسي عقاب.

قال الزجاج: ﴿فَنَسِيَ﴾ ههنا معناه الترك ولا يصح غيره، لأن الناسي لا يؤخذ بنسيانه، ولأن إبليس حين استغواهما ذكرهما النهي فقال: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا﴾ [سورة الأعراف: ٢٠]. (١).

الجواب الثاني: نسي عقوبة الله وظن أنه نهى تنزيهه، لا نهى تحريمه، فكان ذنب آدم- عليه السلام- صغيرة، لأنه لم يأكل من الشجرة قصداً لمخالفة حكم الله- تعالى- بل انما أكل بناء على مقالة إبليس حيث أورثت فيه ميلاً طبيعياً، ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله- تعالى- الى أن نسي ذلك، وزال المانع عن أكله فحمله طبعه عليه، ولأنه إنما أقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه، فإنه ظن أن النهى للتنزيه (٢).

قال الرازي-رحمه الله- في معرض رده عن الآيات التي تحكي وقوع النسيان في الوحي، وقد ذكروا سبعة أوجه على أن المقصود بالنسيان الترك عمداً فقال: ليس النهي عن النسيان الذي هو ضد الذكر، لأن ذلك غير داخل في الوسع بل عن النسيان بمعنى الترك فنحمله على ترك الأولى (٣).

وقال في موضع آخر: وأما القول الثاني: وهو أن آدم- عليه السلام- فعله عامداً، ونقول: إن ذلك النهي كان نهى تنزيهه لا نهى تحريمه (٤).

وقد رد العلماء على هذا القول، وقالوا الأصل في النهي هو التحريم (٥) واحتجوا بأمور.

أحدها: أن قوله- تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]. كقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]، وقول- تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢]. فكما أن هذا للتحريم فكذا الأول.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٧٨)، التفسير البسيط (٤/ ٥٤٣)، تفسير ابن عطية، (٤/ ٦٦).

(٢) روح البيان (٣/ ١٤٦).

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٤٥٨).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣/ ٤٦٠).

(٥) شرح الكوكب المنير، (٣/ ٧٨).



وثانيها: أن الله-تعالى- قال: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]. معناه إن أكلتما منها فقد ظلمتما أنفسكما، ألا تراهما لما أكلا منها: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [سورة الأعراف: ٢٣].

وثالثها: أن هذا النهي لو كان نهي تنزيه لما استحق آدم بفعله الإخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه.

وقد أجاب غير البغوي عن التساؤل:

الجوال الثالث: أن المراد بالنسيان الترك، فلا ينافي كون الترك عمداً. والعرب تطلق النسيان وتريد به الترك ولو عمداً، ومنه قوله-تعالى-: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [سورة طه: ١٢٦]. فالمراد في هذه الآية: الترك قصداً. وكقوله-تعالى-: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٥١]. وهذا القول مروى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- ومجاهد والحسن البصري، وأكثر المفسرين^(١).

قال ابن عباس ومجاهد: ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك أمر الله، وقال الحسن-رضي الله عنه- في قوله-تعالى-: ﴿فَنَسِيَ﴾ قال: ترك ما قدم إليه ولو كان منه نسيان ما كان عليه شيء، لأن الله قد وضع عن المؤمنين النسيان والخطأ، ولكن آدم ترك ما قدم إليه من أكل الشجرة^(٢).

وعلى هذا التفسير فلا إشكال في وصف الله-تعالى- له بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ وَ

فَعَوَى﴾ [سورة طه: ١٢١]. لأن آدم بمخالفته لما نهاه الله-تعالى- عنه وهو الأكل من الشجرة- صار عاصياً لأمر ربه.

(١) تفسير الثعلبي، (٦/ ٢٦٣)، التفسير البسيط (١٤/ ٥٤٣)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٥١).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٦٠٤).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثالث: وهو قول جمهور المفسرين كما قال الثعلبي-رحمه الله-(١).

ويكون معنى قوله-تعالى-: ﴿فَنَسِيَ﴾، ترك الوفاء بالعهد، وخالف ما أمره الله به من ترك الأكل من تلك الشجرة، لأن النهي عن الشيء يستلزم الأمر بضده(٢).

وإنما رجحنا هذا القول على الجواب الأول الذي له قوة ووجاهة بأمور .
منها: أن الله-عز وجل- أثبت لآدم-عليه السلام- العصيان، ولا يكون عاصياً إلا إذا تعمد مخالفة نهي الله-تعالى- .
ومنها: أن الله-عز وجل- وصف آدم بالغواية، وهي الضلال، والذهاب عن طريق الصواب، وهذا لا يكون إلا عن ارتكاب خطأ وزلة، صدرت من آدم-عليه السلام.

ومنها: أن الله-تعالى- اصطفاه واجتباها، ووقفه للإنباء فتاب عليه وهده، وقبل توبته، وفي هذا دليل على أن التوبة كانت من معصية فاستغفر ربه منها، وأنه قد ظلم نفسه، فتاب الله عليه من معصيته، وهده إلى التوبة وإلى سواء السبيل .
ومنها: أن الله-عز وجل- أخرج من الجنة، وأنزله إلى الأرض، والسبب في ذلك هي الخطيئة التي عاقبها الله عليها بإخراجها من الجنة.

(١) تفسير الثعلبي، (٦/ ٢٦٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ١٠٤).



التساؤلات في سورة الأنبياء

[٧٨] قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هذا على وجه التكثر، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء أو بقاؤه بالماء^(١).

دراسة التساؤل: قال ابن كثير-رحمه الله-في قوله تعالى:- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: أصل كل الأحياء.
وروى ابن أبي حاتم بسنده، إلى أبي هريرة-رضي الله عنه- أنه قال: يا نبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي، فأخبرنا عن كل شيء قال: ((كل شيء خلق من ماء))^(٢).

قال القرطبي-رحمه الله-: وفي قوله-تعالى:- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ثلاث تأويلات: أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء، قاله قتادة.
الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء.
الثالث: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي، قاله قطرب^(٣).

وقد ذكر ابن جرير-رحمه الله- أن قوله-تعالى:- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أن لها تعلق واضح بما قبلها، بل لها دلالة واتصال ظاهر بما قبلها،

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٣١٦).

(٢) مسند احمد، مسند أبي هريرة، (٣١٤/١٣) برقم (٧٩٣٢)، تفسير ابن أبي حاتم، (٨/ ٢٤٥١)، قال ابن حجر: إسناده صحيح. فتح الباري لابن حجر (٥/ ٢٩).

(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٤).

فيكون معنى الآية: وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض- كل شيء حي^(١).

وكان البغوي-رحمه الله- أجاب عن التساؤل المذكور بقوله: بأن هذا على وجه التكثير، يعني: أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء، أو بقاءه بالماء، فيدخل فيه النبات والشجر، لأنه من الماء صار نامياً، وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر.

قال صديق خان-رحمه الله-: قوله -تعالى- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: خلقنا وأحيينا أو صيرنا بالماء الذي نزله من السماء وينبع من الأرض.

﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ فيشمل الحيوان والنبات، والمعنى أن الماء سبب حياة كل شيء، وخرج هذا اللفظ مخرج الأغلب والأكثر، وهذا احتجاج على المشركين بقدره الله^(٢).

ولعل مراد البغوي-رحمه الله- أن ﴿كل﴾ هنا مستعملة في معنى التكثير، أي: على كثير من الأحياء، ومنه قول النابغة:

وكل صموت نثلة تبعية ... ونسج سليم كل قمصاء ذائل^(٣).

واسلوب استخدام التكثير معروف في كلام الله-تعالى- وكلام العرب.

ومن الأجوبة عن هذا التساؤل:

قال ابن عطية-رحمه الله-: وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بين أنه ليس على عموم، فإن الملائكة والجن قد خرجوا عن ذلك، ولكن الوجه أن يحمل على أعم ما يمكن فالحيوان أجمع والنبات على أن الحياة فيه مستعارة داخل في هذا^(٤).

(١) تفسير الطبري، (١٨ / ٤٣٣)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ١٤١).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٨ / ٣٢٢).

(٣) ينظر: التمام في تفسير أشعار هذيل (ص: ٥٠)، المعاني الكبير (ص: ٢٤٩)، التحرير والتنوير (١٩ / ٢٠٩).

(٤) تفسير ابن عطية، (٤ / ٨٠).



وقال الفخر الرازي في تفسيره: ولقائل أن يقول كيف قال: وخلقنا من الماء كل حيوان، وقد قال -تعالى-: ﴿وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [سورة الحجر: ٢٧]. وقال -تعالى- في حق عيسى -عليه السلام-: ﴿وَإِذْ نَخَلُّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة: ١١٠]. وقال -تعالى- في حق آدم: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].

والجواب: أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن القرينة المخصصة قائمة، فإن الدليل لا بد وأن يكون مشاهداً محسوساً ليكون أقرب إلى المقصود، وبهذا الطريق تخرج عنه الملائكة والجن وادم وقصة عيسى عليهم السلام، لأن الكفار لم يروا شيئاً من ذلك^(١).

وهذا الجواب عن ابن عطية والرازي، يرجع الى ما ذهب إليه البغوي من الجواب عن التساؤل، حيث عبر البغوي -رحمه الله- بالكثير، وهما عبرا بالعموم والخصوص، فهو من قبيل خلاف التنوع، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وجواب ثالث: أن الماء هاهنا هو النطفة، لأن الله خلق جميع الحيوانات التي تولد عن طريق التناسل من النطفة، وهذا القول منسوب الى أبي العالية^(٢).

ويؤيد هذا القول قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [سورة النور: ٤٥]. أي: كل فرد من أفراد الدواب من نطفه معينة، هي نطفة أبيه المختصة به، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه، وهو نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب.

قال الفشيري^(٣) -رحمه الله-: كل شيء مخلوق حي فمن الماء خلقه ،

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢ / ١٣٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (٨ / ٢٤٥١).

(٣) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري الشافعي، الملقب بـ "زين الإسلام". قال ابن السبكي: "كان فقيهاً بارعاً، أصولياً محققاً، متكلماً سنياً، محدثاً حافظاً، مفسراً متقناً، نحويًا لغويًا أديباً". أشهر كتبه: "التفسير الكبير"، و"الرسالة"، و"التحبير في التنكير"، و"لطائف الإشارات"، وغيرها، توفي سنة (٤٦٥هـ)، يُنظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي (١٥٣/٥-١٥٤)، وطبقات المفسرين؛ للداوودي (١/٢٤٥)، وشذرات الذهب (٥/٢٧٥).

فإن أصل الحيوان الذي حصل بالتناسل النطفة، وهي من جملة الماء^(١).
قال الألويسي-رحمه الله- بعد حكايته هذا القول: ولا بد من التخصيص بما
سوى الملائكة عليهم السلام والجن أيضاً بل بما سوى ذلك والحيوانات المخلوقة من
غير نطفة كأكثر الحشرات الأرضية^(٢).

وقد اعترض ابن رجب الحنبلي^(٣)-رحمه الله- على هذا القول فقال: وقول من
قال: أن المراد بالماء النطفة التي يخلق منها الحيوانات بعيد لوجهين:

أحدهما: أن النطفة لا تسمى ماءً مطلقاً بل مقيداً لقوله-تعالى-: ﴿حُلِقَ مِنْ
مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الطارق: ٦-٧]. وقوله تعالى:
﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المرسلات: ٢٠].

والثاني: أن من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة كدود الخل والفاكهة ونحو
ذلك فليس كل حيوان مخلوقاً من نطفة، والقرآن دل على خلق جميع ما يدب وما فيه
حياة من ماء فعلم بذلك أن أصل جميعها الماء المطلق^(٤).

جواب رابع: أنه خلق كل شيء من الماء، مخلوقون من الماء، ولكن البعض
بواسطة، والبعض بغير واسطة. وهذا القول قال به: قتادة^(٥).

قال القرطبي-رحمه الله- بعد ذكر التاويلات الثلاثة في هذه الآية، والصحيح
العموم^(٦).

(١) لطائف الإشارات، (٢/ ٥٠٠).

(٢) روح المعاني (٩/ ٣٥).

(٣) هو: الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي
البركات مسعود السلامي البغدادي ، ثم الدمشقي الحنبلي، كان إماماً في الحديث والفقاه وعلوم كثيرة. صاحب
المصنفات الكثيرة النافعة، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق، سنة، (٧٩٥هـ). إتحاف النبلاء ببيان تسمية
العلماء، (ص: ٢)، أعلام الحنابلة في أصول الفقه (١٦/ ٤٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥).

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٣).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٤٤).

(٦) تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٤).



وممن رجع هذا القول وانتصر له ابن رجب-رحمه الله- حيث قال: الماء مادة جميع المخلوقات، وقد دل القرآن على أن الماء مادة جميع الحيوانات قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وقال-تعالى-: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾. واستدلوا بحديث أبي هريرة-رضي الله عنه- المتقدم، حيث دل على أن أصل النور والنار الماء، كما أن أصل التراب الذي خلق منه آدم الماء، فإن آدم خلق من طين، والطين تراب مختلط بماء، أو التراب خلق من الماء كما تقدم عن ابن عباس وغيره، ولا يستنكر خلق النار من الماء، فإن الله-عز وجل- جمع بقدرته بين الماء والنار في الشجر الأخضر، وجعل ذلك من أدلة القدرة على البعث، وذكر الطبائعيون أن الماء بانحداره يصير بخاراً والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب ناراً والله أعلم^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول- وهو ما ذهب إليه البغوي-رحمه الله- أن هذا على وجه التكثير، وأكثر الأحياء في الأرض إنما هو مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء، فاستقام معنى الآية من هذا الوجه. وجواب ابن عطية والرازي، يرجع الى هذا الجواب المختار كما أسلفنا، ورجحنا هذا الجواب لأن له نظائر كثيرة في القرآن، فهو أسلوب قرآني. ومن ذلك قوله-تعالى-: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النمل: ٢٣]. وقوله تعالى-: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [سورة الأحقاف: ٢٥]. وغير ذلك من الآيات العامة المخصوصة.

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤).

[٧٩] قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَ أُنِي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿أُنِي مَسْنِيَ الضُّرِّ﴾. وقوله: ﴿أُنِي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ يُضْطَبِّ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١].

جواب التساؤل: أجاب الأمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٤]. على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق، فأما الشكوى إلى الله- عز وجل- فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً^(١).

دراسة التساؤل: قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-: يقول-تعالى- ذكره لنبية

محمد- صلى الله عليه وسلم-: واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء: ﴿أُنِي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾. ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ أي: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما كان به من ضر وبلاء وجهد، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحاناً من الله له واختباراً^(٢).

قال ابن القيم-رحمه الله-: جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجود طعم المحبة في المتملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته-سبحانه- وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره^(٣).

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٣٤٦).

(٢) تفسير الطبري، (١٨/ ٤٨٣).

(٣) الفوائد (ص: ٢٠١).



قلت: ولم يرد هذا العدد في الكتاب ولا في السنة، وهذا يكون ذلك من باب الرقية أو الدعاء المجرب، والدعاء لا يشترط أن يكون وارداً، والرقية هي من باب الطب، والطب الأصل فيه الإباحة، فإذا لم يشتمل على محرم فلا إشكال، إذا دلت التجربة على صحته.

وقد جاء في الحديث عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: ((قلت: يا رسول الله، أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء، ثمَّ الصالحون، ثمَّ الأمثل فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خُفِّف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة))^(١).

قال الثعلبي - رحمه الله -: وسمعت استأذنا أبا القاسم بن حبيب يقول: حضرت مجلساً غاصاً بالفقهاء والأدباء في دار سلطان فسئلت عن هذه الآية - بعد إجماعهم على أن قول أيوب مسني الضر شكاية وقد قال الله - سبحانه - ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [سورة ص: ٤٤]. فقلت: ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء، بيانه قوله - سبحانه - ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ والإجابة تعقب الدعاء لا الاشتكاء، فاستحسنوه وارتضوه^(٢).

وقد ذكر البغوي - رحمه الله - نظير قول أيوب - عليه السلام - قول يعقوب - عليه السلام - ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة يوسف: ٨٦].

واعترض - رحمه الله - بقول سفيان بن عيينة - رضي الله عنه - في هذه الآية: حيث قال: ((من شكا إلى الله لم يعد ذلك بشكوى ولا جزع، ألم تسمع قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ قال: وكذلك من شكا إلى الناس وهو في

(١) أخرجه الترمذي، ابواب الزهد، (٢٠٣/٤)، برقم (٢٣٩٨)، والنسائي في السنن الكبرى، (٧٤٨١)، وابن ماجه، كتاب الفتن، (٤٩٣/٥)، برقم (٤٠٢٣)، وأحمد في المسند، (٧٨/٣) برقم، (١٤٨١) واللفظ له. قال الترمذي: حسن صحيح، وقال ابن القيم في طريق الهجرتين، (١٩٣): ثابت، وصحَّ إسناده أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد، (٤٥/٣)، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٣٩٨): حسن صحيح.
(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٢٩٨).

شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزءاً ألم تسمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أجدني مغموماً وأجدني مكروباً))^(١).

وقد جاء عند البخاري ما يؤيد ما ذهب إليه البغوي-رحمه الله- كما في حديث عائشة-رضي الله عنها- حين قالت: ((وأرأساه، قال النبي-صلى الله عليه وسلم- بل أنا وأرأساه))^(٢).

قال الواحدي-رحمه الله- بعد ذكر هذا الحديث: وليس في مثل هذا شكوى من الله، ولا قلة رضا بقضائه، بل رغبة فيه^(٣).

وممن أورد التساؤل في هذه الآية، ووافق فيه البغوي، السمعاني، وابن الجوزي، وفخر الدين الرازي، وأبو عبد الله الرازي، وابن عادل^(٤)، والله أعلم.

(١) هذا طرف من حديث طويل رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣/ ١٢٩)، عن الحسين بن علي -رضي الله عنه- وفيه أن جبريل-عليه السلام- قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- كيف تجدك؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً". قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٩/ ٣٥)، رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

(٢) البخاري، كتاب: المرضى، باب: ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع، أو وأرأساه، أو اشتد بي الجوع، (١٢٣/ ٠) برقم (٥٦٦٨).

(٣) التفسير البسيط (١٥/ ١٤٩).

(٤) تفسير السمعاني (٣/ ٣٩٩)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٠٦)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ١٧٥)، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص: ٤٤٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٣/ ٥٧٢).



[٨٠] قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم إلا بالحق؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: الحق هاهنا: بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره
قوله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ حَيُّ الْقَلْتِينَ﴾ [سورة
الأعراف: ٨٩]. وقال أهل المعاني: معناه: رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم
الحق مقامه، والله -تعالى- يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب ظهور
الرغبة من الطالب في حكمه الحق^(١).

دراسة التساؤل: للإجابة على التساؤل المذكور سننظر في بيان المفسرين
لدلالة الآية، وما احتوته من قراءات ذات الأثر في التفسير، فهناك قراءة أخرى
خرجت بالعبارة مخرج الخبر، "واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقراءته عامة قراء
الأمصار: ﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم﴾ بكسر الباء، ووصل الألف: ألف ﴿أَحْكُم﴾ على وجه
الدعاء والمسألة، سوى أبي جعفر، فإنه ضم الباء من الرب، على وجه نداء المفرد،
وغير الضحاك بن مزاحم، فإنه روي عنه أنه كان يقرأ ذلك: ﴿رَبِّ أَحْكُم﴾ على
وجه الخبر بأن الله أحكم بالحق من كل حاكم، فيثبت الياء في الرب، ويهمز الألف
من ﴿أحكم﴾ ويرفع أحكم على أنه خبر للرب -تبارك وتعالى- والصواب من القراءة
عندنا في ذلك: وصل الباء من الرب وكسرهما ب ﴿أَحْكُم﴾ وترك قطع الألف من
﴿أَحْكُم﴾، على ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما
خالفه، وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه زيادة حرف على خط
المصاحف، ولا ينبغي أن يزداد ذلك فيها، مع صحة معنى القراءة بترك زيادته^(٢).

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٣٦٠).

(٢) تفسير الطبري، (١٨/ ٥٥٤).

وقال الراغب في بيان معنى (الحق): أصل (الحق): المطابقة والموافقة، كمتابقة رجل الباب في حقه؛ لدورانته على استقامة.

والحقُّ يقال على أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو (الحقُّ)

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كلُّه حقُّ، نحو قولنا: الموتُ حقُّ، والبعثُ حقُّ...

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حقُّ...

والرابع: للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حقُّ وقولك حقُّ^(١).

وظاهر الآية المتقدمة في صدر المسألة يرجح المعنى الرابع، وهو أن الحقَّ يقال للفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب.

وكان البغوي - رحمه الله - قد أجاب عن تساؤله المتقدم بجوابين هما:

الجواب الأول: أن الحق هاهنا بمعنى: العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، قال ونظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أي: احكم واقض بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق. ، وهذه الإجابة تقوم على التفسير على المعنى، حيث إن النبي - صلى الله عليه وسلم - تأسى بالأنبياء من قبله، كما ذكرت الآيات والآثار في الاستفتاح على قومهم إذا أكثروا من معاندته، وغالبوا البيانات الواضحة، وعارضوها بالكبر والعناد، وصد الناس عن اتباع الرسل، وكرسوا جدهم وانفقوا أموالهم لمحاربة الحق، فكان الاستفتاح منتهى الوضوح بأن يفصل الله بينه وبين المكذبين بالقضاء بالحق، وأن ينصره عليهم ويخذلهم.

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٤٦).



قال الرازي-رحمه الله-: في قوله-تعالى- ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ فيه

وجوه:

أحدها: أي ربي اقض بيني وبين قومي بالحق أي بالعذاب. كأنه قال: اقض بيني وبين من كذبنى بالعذاب، وقال قتادة: أمره الله-تعالى- أن يقتدي بالأنبياء في هذه الدعوة وكانوا يقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾. فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر (١).

وقال ابن عطية-رحمه الله- في تفسير الآية بناءً على قرائن السياق وما جاء قبلها من آيات: ثم أمره -تعالى- أن يقول على جهة الدعاء ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾. والدعاء هنا بهذا فيه توعده، أي: أن الحق إنما هو في نصرتي عليكم، وأمر الله تعالى له بهذا الدعاء دليل على الإجابة والعدة بها (٢).

الجواب الثاني: قول أهل المعاني: معناه: رب احكم بحكمك الحق، فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه، والله-تعالى- يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق.

قال أبو عبيدة: معناه: رب احكم بحكمك الحق، فأقيم الحق مقامه؛ لأن حكمه لا يكون إلا حقاً (٣).

فعلى كلام أبي عبيدة، أنه حذف النعت وذكر الحق وصفاً للحكم، لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق.

وقد ذكر هذا القول الطبري-رحمه الله- وصدده بقوله: وقد زعم بعضهم أن معنى قوله-تعالى-: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾. قل: رب احكم بحكمك الحق، ثم حذف الحكم الذي الحق نعت له، وأقيم الحق مقامه، ولذلك وجه، غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل، فلذلك اخترناه (٤).

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢ / ١٩٥).

(٢) تفسير ابن عطية، (٤ / ١٠٤).

(٣) التفسير البسيط (١٥ / ٢٣٤).

(٤) تفسير الطبري (١٨ / ٥٥٥).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أن النبي-عليه الصلاة والسلام- قال يا رب افصل بيني وبين من كذبنى من مشركي قومي وكفر بك ، وعبد غيرك ، بإحلال عذابك ونقمتك بهم ، وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به. وقد ذكرنا أن في ﴿قَلَّ﴾ قراءتين:

الأولى: إما بصيغة الأمر « قل » فيكون معنى الآية: أن الله-عز وجل- أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يقول ذلك. والثانية بصيغة « قال » تدل على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد امتثل أمر ربه.

فعلى كلا القراءتين، فقد استجاب الله-تعالى- دعاء نبيه -عليه الصلاة والسلام- فعذبهم ببدر، ثم جعل العاقبة والغلبة والنصر لعباده المؤمنين والحمد لله رب العالمين. وفي هذا تسلية للنبي -صلى الله عليه وسلم- ورفع عن مقداره حيث أمر بالانقطاع إلى الرب في دفع أذية القوم ليحصل له مع الخلاص من أذيتهم شرف الاستجابة وهذه غاية العناية.

وقد رجحنا هذا القول: لحمل الآية على ظاهرها، ولأن التفسير بالمعنى الظاهر المتبادر أولى، وكذلك السياق يقتضي ذلك، فإنزال العذاب بالكافرين المكذبين، و توعدهم أهل الشرك بالهزيمة والذل، والوعد بالغلبة والنصر والتمكين لأهل الحق، واستعجال النصر عليهم، كل هذا قرائن تدل على صحة هذا القول ، والله أعلم.



التساؤلات في سورة الحج

[٨١] قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ [سورة الحج: ١٢-١٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: قد قال: "لمن ضره أقرب من نفعه" ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هذا على عادة العرب، فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيداً، كقوله-تعالى-: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣]. أي: لا رجوع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً، على معنى: أنه لا نفع فيه أصلاً قيل: ضره أقرب، لأنه كائن^(١).

دراسة التساؤل: يدور تحرير الجواب عن هذا التساؤل على النظر في سنة العرب في التعبير عن حصول النفع والضرر، وما تجري به العادة في التعبير بالتركيب المذكور، ونذكر أولاً ما يبين تفسير الآية ويوضحها، حيث ذكر ابن جرير في بيان السياق: "وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضره إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها"^(٢).

وقد أثار البغوي التساؤل المذكور، وذكر إشكالاً آخر له تعلق بالآية التي قبلها، قال: "هذه الآية من مشكلات القرآن، وفيها أسئلة: أولها: قالوا: قد قال الله في الآية الأولى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ﴾، وقال هاهنا: ﴿لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ﴾ فكيف التوفيق بينهما؟ قيل: قوله في الآية الأولى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: ﴿لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ﴾، أي: ضر عبادته.

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٣٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٧٧).

ثم ذكر التساؤل وأجاب عنه بقوله: قيل: هذا على عادة العرب، فإنهم يقولون لما لا يكون أصلاً بعيداً، كقوله-تعالى-: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾. أي: لا رجوع أصلاً فلما كان نفع الصنم بعيداً، على معنى: أنه لا نفع فيه أصلاً قيل: ضره أقرب، لأنه كائن.

وهذا الذي ذكره البغوي-رحمه الله-هو سنة العرب في حديثها ومعهود خطابها، تشهد له بعض استعمالات العرب، والتي لا تفهم ولا تعرف إلا بالنظر في أسلوب العرب في بيان مرادها من ذلك الأسلوب أو التركيب، الذي يراد به غير ما تستعمل المفردة فيه، ولم يورد عليه البغوي ما يُقرره من شعر أو نثر، لكن مع هذا يبقى القول له وجه، وله احتمال.

ومن الأجوبة على هذا التساؤل:

الجواب الثاني: جواب الزمخشري حيث اعتمد في جوابه على قرائن السياق: فقال: فإن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين، وهذا تناقض.

قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ، حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها ﴿لَمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ أو كرر يدعو، كأنه قال: يدعوا ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شافعياً لبئس المولى^(١).

وقد رد قول الزمخشري أبو حيان وعلق عليه، وتابعه الشنقيطي مُحصلاً قول أبي حيان.

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٤٧).



فقال الشنقيطي-رحمه الله:- وحاصله: أن الآية الأولى في الذين يعبدون الأصنام، فالأصنام لا تنفع من عبدها، ولا تضر من كفر بها؛ ولذا قال فيها: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾^(١) والقرينة على أن المراد بذلك الأصنام، هي التعبير بلفظة ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ لأن لفظه ﴿مَا﴾ تأتي لما لا يعقل، والأصنام لا تعقل.

أما الآية الأخرى فهي في من عبد بعض الطغاة المعبودين من دون الله، كفرعون القائل: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص: ٣٨]. وقوله- تعالى- ﴿لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٩]. وقوله- تعالى- ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤]. فإن فرعون ونحوه من الطغاة المعبودين قد يغدقون نعم الدنيا على عابديهم؛ ولذا قال له القوم الذين كانوا سحرة: ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٤١-٤٢]. فهذا النفع الدنيوي بالنسبة إلى ما سيقاونه من العذاب والخلود في النار، فضر هذا المعبود بخلود عابده في النار أقرب من نفعه بعرض قليل زائل من حطام الدنيا، والقرينة على أن المعبود في هذه الآية الأخيرة بعض الطغاة الذين هم من جنس العقلاء هي التعبير بـ «من» التي تأتي لمن يعقل في قوله: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَوْ قُرْبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾. هذا هو خلاصة جواب أبي حيان، وله اتجاه، والله تعالى أعلم^(١).

الجواب الثالث: أنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر، وذلك يكفي في إضافة الضرر إليها، كقوله- تعالى-: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٦]. فأضاف الإضلال إليهم من حيث كانوا سبباً للضلال، فكذا هاهنا نفى الضرر عنهم في الآية الأولى بمعنى كونها فاعلة وأضاف

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤ / ٢٨٥).

الضرر إليهم في هذه الآية بمعنى أن عبادتها سبب الضرر، ورجحه الرازي، وابن عاشور (١).

وانتصر له ابن تيمية-رحمه الله- وخلاصة جوابه: أن قوله-تعالى-: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ هو نفي لكون المدعو المعبود من دون الله يملك نفعاً أو خيراً، وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها، فما سوى الله لا يملك -لا لنفسه ولا لغيره- ضراً ولا نفعاً، كما قال الله تعالى في سياق نهيه عن عبادة المسيح ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٦]. وقد قال لخاتم الرسل، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨]. وقال على العموم ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِيهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٨]. فالمنفي في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ هو قدرة من سوى الله على النفع والضرر، فنفي الله فعلهم، وأما قوله "ضره أقرب من نفعه" فالمثبت اسم مضاف إليه فإنه لم يقل: يضر أعظم مما ينفع، بل قال "لمن ضره أقرب من نفعه" والشيء يضاف إلى الشيء بأدنى ملابسه، فقد يضاف إلى محله وزمانه ومكانه وسبب حدوثه وإن لم يكن فاعلاً كقوله: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سورة سبأ: ٣٣] وكقول الخليل عن الأصنام، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٦] فنسب الإضلال إليه.

ولا ريب أن بين المعبود من دون الله وبين ضرر عابديه تعلق يقتضي الإضافة، فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر، ولكن هو السبب في دعاء الداعي له

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣ / ٢٠٩)، التحرير والتتوير (١٧ / ٢١٦).



وعبادته إياه، وعبادة ذلك ودعاؤه هو الذي ضره، فهذا الضر المضاف إليه غير الضر المنفي عنه، فضرر العابد له بعبادته يحصل في الدنيا والآخرة وإن كان عذاب الآخرة أشد^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثالث: لأن الضر الحاصل من الأصنام ليس ضرراً ناشئاً عن فعلها، بل هو ضرر ملابس لها أثبت الضر بطريق الإضافة للضمير دون طريق الإسناد إذ قال -تعالى-: ﴿لَمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾. ولم يقل: لمن يضر ولا ينفع، لأن الإضافة أوسع من الإسناد فلم يحصل تناف بين قوله-تعالى-: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ وقوله-تعالى-: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾^(٢).

وأما ما ذكره الشنقيطي عن أبي حيان ووجه وذكر تفصيله، فهو الأوفق للسياق، ومعناه: هو الأقوى من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى لوجود ما يقرره من الآيات التي ساقنا نماذج من أحوال الناس في هذه الحياة، والله أعلم.

(١) مجموع الفتاوى، (١٥ / ٢٦٩ - ٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٧ / ٢١٦).

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مِثْلَةِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

[سورة الحج: ٧٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: فما وجه قوله: ﴿مِثْلَ أَبِيكُمْ﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله-تعالى-: ﴿وَأَرْوَجُهُ وَأُمَّهُتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]. وقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إنما أنا لكم مثل الوالد لوالده))^(١).

دراسة التساؤل: لكي يتضح الجواب ينبغي أن ننظر في دلالة معنى (أب) في حالة الأفراد، واستعمالها في السياقات المختلفة، التي يمكن أن تسوق الكلام إلى مراد غير ظاهر في النص، وذلك بوجود القرائن في السياق.
وكلمة (أب) يكثر فيها الاستعارة المجازية، وأحياناً قد تلتبس الحقيقة بالمجاز؛ نظراً لوجه من التواطؤ اللفظي، فتمس الحاجة إلى أن ننظر في القرائن، ودرجة قطعيتها في الدلالة على المراد، وهذه الآية إحدى الآيات التي يظهر فيه هذا اللبس.

قال الراغب: (الأب): الوالد، ويُسمى كلُّ من كان سبباً في إيجاد شيءٍ، أو صلاحه، أو ظهوره أباً، ولذلك يُسمى النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - أباً المؤمنين،

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٤٠٣).



قال الله-تعالى-: ﴿التَّيِّبُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]. وفي بعض القراءات: (وهو أبٌ لهم)، ويُسمَّى العم مع الأب أبوين، وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجدُّ مع الأب... وقيل في قوله-تعالى-: ﴿أَنَّ أَشْكَرَ لِي وَلَوْلَدَيْكَ﴾ [سورة لقمان: ١٤]. إنه عنى الأب الذي ولده، والمعلم الذي علمه، وقوله-تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]. إنما هو نفي الولادة، وتنبيه أن التَّبَيُّ لا يجري مجرى البنوة الحقيقية (١).

وقد ذكر ابن الجوزي-رحمه الله- أن أهل التفسير نكروا أن "الأب" بتخفيف الباء "في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الأب الأدنى، ومنه قوله-تعالى- في سورة النساء: ﴿وَلَدٌ وَوَرِثَةٌ﴾ [سورة النساء: ١١]، وفي الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي بِالسُّعْيَةِ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤]، وفي مريم: ﴿يَتَّابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [سورة مريم: ٤٢]، وفي القصص: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة القصص: ٢٣]، وفي عبس: ﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾ [سورة عبس: ٣٥]،

والثاني: الأب الأعلى وهو الجد، ومنه قول- تعالى- في يوسف: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة يوسف: ٣٨]. وفي الحج: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ **والثالث:** العم، ومنه قوله-تعالى- في البقرة: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٣]، وإنما إسماعيل عم يعقوب.

والرابع: الخالة، ومنه قوله-تعالى- في يوسف: ﴿وَرَفَعْنَا أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠] (٢).

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٧).

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ١١١).

وقال الواحدي- في توجيه الأبوة المذكورة: " اتبعوا ملة أبيكم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾
كان هو في الحرمة كالأب - صلى الله عليه وسلم - ولذلك جعل أبا المسلمين (١).

وقد ذكر البغوي التساؤل الوارد وأجاب عليه بجوابين هما:

الجواب الأول: قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم-عليه السلام-، فأبراهيم-عليه السلام- هو أبو العرب قاطبة، أو أبو أكثرهم، فذكر تغليباً، لأن أغلب العرب من نسله ورهطه-ومنهم الرسول-صلى الله عليه وسلم- فجاز القول بذلك، وهذا على جريان التغليب في أسلوب العرب في الكلام.
قال البيضاوي منبهاً على معنى التغليب: لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (٢).

قال أبو زهرة-رحمه الله-: وسمي إبراهيم-عليه السلام-أباً للعرب، وإن كان أباً لبعضهم؛ وذلك لأن العرب جميعاً كانوا يتقاضون بالانتساب إليه، ولأنه باني البيت الحرام الذي كان مناط عزة العرب أجمعين، ولأنه أب بالفعل لقريش الذين ابتدأت الدعوة المحمدية فيهم، وكان ذكر هذه الدعوة الكريمة تقريباً وتأليفاً، وإدناء من الإسلام (٣).

الجواب الثاني: أن الله-تعالى- خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم-عليه السلام- أب لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهذا قول الحسن (٤).

وقد أجاب بعض العلماء عن التساؤل بعبارة أوضح من عبارة البغوي فقالوا:
إن كان الخطاب لكل المسلمين، فهو أبو المسلمين لكونه أباً لنبينهم - صلى الله عليه وسلم-.

(١) الوجيز للواحدى (ص: ٧٤٢).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٨٠).

(٣) زهرة التفاسير (٩/ ٥٠٣٧).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/ ٢٥٦).



والمراد: أن احترامه وحفظ حقه واجب عليهم، كما يجب احترام الأب، فهو سبب للسعادة في الدنيا والآخرة، فقد جاء بالتوحيد والحنيفية السمحة التي ارتضاها الله-تعالى- لأمة محمد-عليه الصلاة والسلام- ومما يقوي هذا الجواب ويؤيده قوله-تعالى- ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]. فجعل حرمة كحرمة الوالد على الولد، وحرمة نسائه كحرمة الوالدة على ما قال-تعالى-: ﴿وَأَرْوَاجُهُ وَأُمَّهَتْهُمُ﴾. وقول النبي-صلى الله عليه وسلم- ((انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه))^(١).

ولهذا لما كان ملة ابراهيم ودينه مرغوباً لأهل مكة مؤمنهم وكافرهم- وكان الكافرون منهم يزعمون أنهم على دين إبراهيم-عليه السلام- نبه الله-سبحانه- على أن ملة محمد -صلى الله عليه وسلم- هي ملة إبراهيم لا غير، قال-تعالى-: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة آل عمران: ٦٨].

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- أن كلا الجوابين يرتفع بهما الإشكال، وقد قال بهما جمهور المفسرين، فقد نظروا الى شمولية لفظ (أبيكم) في السياق وفق الأوجه المقررة السابقة، والتي تكثر في معنى الرحمة والرعاية، والتي يقابلها في فعل الناس الاحترام والإعظام. فيكون الجواب: إن كان الخطاب لعامة المسلمين، فإبراهيم-عليه السلام- هو أبو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان أباً لأمته، لأن أمة الرسول-عليه الصلاة والسلام- بمنزله أولاده من جهة العطف والشفقة. وإن كان الخطاب للعرب خاصة فإبراهيم-عليه السلام- أبو العرب قاطبه بلا إشكال.

(١) سنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب: كراهية استقبال القبلة، (٢٠/١) برقم (٨)، وجاء عند النسائي بلفظ "مثل الوالد" سنن النسائي، كتاب الطهارة، (٣٨/١) برقم (٤٠) المسند، (٣٢٦/١٢). والمصنف في شرح السنة: (١/ ٣٥٦)، وقال هذا حديث صحيح. وقال الالباني في صحيح النسائي: حسن صحيح، وقال محقق المسند، اسناده قوي.

التساؤلات في سورة المؤمنون

[٨٣] قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا

يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث: ((كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي))^(١).

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معناه لا يبقى يوم القيامة سبب ولا نسب إلا نسبه وسببه، وهو الإيمان والقرآن^(٢).

دراسة التساؤل: قال ابن فارس: (نسب) النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. ومنه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به. تقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان. ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكرٌ يتصل به^(٣).

وفي اللسان: النسب: نسب القربيات، وهو واحد الأنساب. وقيل: النسبة والنسبة والنسب: القرابة؛ وقيل: هو في الآباء خاصة؛ وفلان يناسب فلانا، فهو نسيبه أي قريبه^(٤).

وفي القاموس: النسبة، بالكسر والضم: القرابة، أو في الآباء خاصة^(٥).

(١) الطبراني في المعجم الكبير، (٣/ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، (١/ ١٢٤)، الحاكم في المستدرک، (٣/ ١٤٢)، البيهقي في سننه، (٧/ ١١٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه أحمد في المسند، (٣١/ ٢٠٧) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، ورواه أحمد - أيضاً - في المسند، (١٧/ ٢٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢٠٣٦)، وحكم عليه محققو مسند أحمد بالحسن بشواهده. المسند، (٣١/ ٢٠٨).

(٢) تفسير البغوي، (٥/ ٤٢٩).

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٤٢٣).

(٤) لسان العرب (١/ ٧٥٥).

(٥) القاموس المحيط (ص: ١٣٧).



قال ابن عادل-رحمه الله-: والأنساب جمع نسب، وهو القرابة من جهة الولادة، ويعبر به عن التواصل(١).

وقيل: الأنساب: جمع نسب، وهو الالتقاء في أصل مباشر، كالتقاء الابن بالأب، أو الأب بالابن، أو التقاء بواسطة كالعمومة والخؤولة(٢).

وقد ذكر البغوي-رحمه الله- في رواية عطاء عن ابن عباس: أن في النفخة الثانية لا أنساب بينهم أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: من أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع(٣).

فمعنى قول ابن عباس فيه، أنه إذا نفخ في الصور أول نفخة، تقطعت الأرحام، وصعق من في السماوات ومن في الأرض، وشغل بعض الناس عن بعض بأنفسهم، فعند ذلك لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فإذا نفخت النفخة الثانية قاموا ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فذلك في وقتين مختلفين(٤).

وقد ذكر الواحدي-رحمه الله- توجيهاً للآية فقال: ولا بد من تقدير محذوف في الآية على تأويل: فلا أنساب يومئذ يتفاخرون بها ويتعاطفون بها(٥).

وكان البغوي-رحمه الله- قد أجاب عن التساؤل المذكور بقوله: لا يبقى يوم القيامة سبب ولا نسب، إلا نسبه وسببه-عليه الصلاة والسلام-، وهو الإيمان والقرآن، وهذا النفي ينزل منزلة العدم، لعظم الهول واشتغال كل بنفسه.

وهذا النفي العام يخصه الحديث المذكور، فهو خاص بالمؤمنين كما يقتضيه سياق الآية. فيكون معنى الحديث أن نسبه -صلى الله عليه وسلم- لا ينقطع يوم القيامة، وهو يعني: أنه يستفيد منه أهله، ولا شك أن المقصود به هم أهله المؤمنون.

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٤ / ٢٥٨).

(٢) تفسير الشعراوي (١٦ / ١٠١٥٣).

(٣) تفسير البغوي، (٥ / ٤٢٩).

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية (٧ / ٥٠٠٢).

(٥) التفسير البسيط (١٦ / ٦٨).

قال ابن كثير-رحمه الله-: ومن الخصائص: أن كل نسب وسبب ينقطع نفعه وبره يوم القيامة، إلا نسبه وسببه وصهره-صلى الله عليه وسلم- قال الله-تعالى:-
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١).

وقال الألويسي-رحمه الله- بعد ذكره للحديث: وهو خبر مقبول لا يكاد يرد إلا من في قلبه شائبة نصب، نعم ينبغي القول بأن نفع نسبه-صلى الله عليه وسلم- إنما هو بالنسبة للمؤمنين الذين تشرفوا به، وأما الكافر والعياذ بالله-تعالى- فلا نفع له بذلك أصلاً (٢).

وخلاصة قول البغوي: أن الأنساب تزول، وينسى الإنسان كل شيء، ولا يسأل أين ولدي، ولا أين ذهب أبي، ولا أين ذهب أخي، ولا أين ذهبت أمي، كما أخبر بذلك المولى جل في علاه فقال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (سورة عبس: ٣٧).

وممن تساءل وأجاب عن هذا التساؤل:

الشنقيطي-رحمه الله- حيث قال: المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارها، التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا، من التفاخر بالأباء، والنفع والعواطف والصلوات، فكل ذلك ينقطع يوم القيامة، ويكون الإنسان لا يهتم إلا نفسه، وليس المراد نفي حقيقة الأنساب، من أصلها بدليل قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) ﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٥) (٣).

فعلى هذا فالأنساب ثابتة لأن الله-عز وجل- أعادهم، فالمعاد هو الولد والوالد، فلا يجوز أن يكون المراد نفي النسب في الحقيقة بل المراد نفي حكمه، وهو المنفعة والتأييد والعطف والمودة.

(١) فصول من السيرة (ص: ٣٠٨).

(٢) روح المعاني (٩/ ٢٦٤).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٣٥٦).



الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: وهو ما أجاب به البغوي-رحمه الله- أن كل الأنساب تنقطع فائدتها ويتلاشى نفعها مما كان حالها في الدنيا ، فلا ينفع أحدٌ أحدًا بنسبه إلا ما كان من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما سيكرمه به ربه، حيث سينفع نسبه وصهره بما يشفع لهم من الخير من بعد أن يأذن الله- تعالى- ويرضى، وأما أن يكون ذات النسب بدلاً عن الطاعات والأعمال، فهذا مما لا يكون، لأن النصوص الواضحة البينة تبين خطأ هذا القول.

فالمنتفع هم المؤمنون من آل بيت رسول-صلى الله عليه وسلم- يشاركون سائر أهل الإيمان في فضيلة ومكانة الإيمان والإسلام، ويزيدون عليهم بفضيلة القرابة والنسب و المصاهرة.

أما الكافر فلا ينفعه نسبه عند الله-تعالى- كما لم ينفع أبا لهب وأبا طالب وغيرهما، والله أعلم.

التساؤلات في سورة النور

[٨٤] قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاذَّ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [سورة النور: ١٣].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: "عند الله" أي: في حكم الله، وقيل: معناه كذبهم بأمر الله وقيل: هذا في حق عائشة، ومعناه: أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي^(١).

دراسة التساؤل: تعريف الكذب لغة: الكذب: نقيض الصدق؛ كذب يكذب كذبا، فهو كاذب وكذب وكذاب وكذوب، تقول: كذبت الرجل، إذا نسبته الى الكذب، وأكذبتة إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب^(٢).

معنى الكذب اصطلاحاً: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ^(٣).

وقال النووي: وأما الكذب فهو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمداً كان أو سهواً^(٤).

ومن خلال التعريف نتعرف على جواب التساؤل الذي ذكره البغوي-رحمه الله- وقد أجاب عنه بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: أن معنى قوله-تعالى-: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله، فهؤلاء إذا لم يقيموا أربعة من الشهداء فهم محكومون بكذبهم عند الله في إيجاب الحد عليهم، فيكون معناه: فأولئك في حكم الله هم الكاذبون، فيقتضي ذلك الأمر بالحكم

(١) تفسير البغوي، (٦ / ٢٤).

(٢) لسان العرب (١ / ٧٠٤)، مختار الصحاح، للرازي (ص ٢٦٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر، (١ / ٢٠١).

(٤) شرح النووي على مسلم (١ / ٦٩).



بكذبهم فإن كان جائزاً أن يكونوا صادقين في المغيب عند الله وذلك جائز سائغ كما قد تعبدنا بأن نحكم لمن ظهر منه عمل الخيرات وتجنب السيئات بالعدالة وإن كان جائزاً أن يكون فاسقاً في المغيب عند الله -تعالى- (١).

قال الواحدي -رحمه الله-: في قوله -تعالى-: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله هم كاذبون. فدل هذا على أن القاذف إذا عجز عن إقامة البينة حكم بكذبه (٢). وقد ذكر الواحدي -رحمه الله- حادثة سئل فيها أحد العلماء، عن إذا رأى الرجل مع امرأته رجلاً وتيقن الفاحشة ثم أخبر الإمام بذلك وعجز عن إقامة البينة فحد أيكون عند الله كاذباً؟ فأجاب بقوله: إن تأويل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكم الله، وقد فرض علينا أن نجريه مجرى الكاذبين، وإن كان في معلوم الله أنه صادق، فإن صدقه مغيب عنا، والغيب لا يعلمه إلا الله (٣).

الجواب الثاني: معناه كذبوهم بأمر الله، وهذا ما يسميه الأصوليون: ما كان بصيغة الخبر لفظاً ولكنه إنشائي المعنى، فالكلام -عندهم- ينقسم باعتبار إمكان وصفه بالصدق وعدمه إلى قسمين: خبر وإنشاء (٤).

والقرآن الكريم قد ذكر هذا الأسلوب، ومن أمثلة ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]. قال البغوي -رحمه الله- لفظه خبر ومعناه أمر (٥). فجاء الأمر في هذا المقام بتلك الصيغة الخبرية، فيكون معنى يتربصن: ليتربصن؟!

وهذه الصيغة قد اختلف فيها العلماء، أن الأصل في الكلام هو الحقيقة، وحتى إذا ورد محتملاً للإنشاء، يجب حمله على الإخبار، لأنه وضع له (٦).

(١) أحكام القرآن للجصاص، (٥ / ١٦٢).

(٢) التفسير البسيط (١٦ / ١٦٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الأصول من علم الأصول لابن عثيمين، (١٨ - ١٩).

(٥) تفسير البغوي، (١ / ٢٦٧).

(٦) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٢٠).

الجواب الثالث: أن هذا في حق عائشة-رضي الله عنها، ومعناه: أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

قال الطبري-رحمه الله-: قوله-تعالى- ﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقاتلهم فيها وما رموها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رموها به، ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ يقول: فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاءوا به من الإفك^(١).
وأصحاب هذا القول: اعتمدوا على سبب نزول هذه الآيات، فقد ذكروا أنها نزلت في شأن عائشة-رضي الله تعالى عنها- وفي قذفها، فأخبر الله-عز وجل- بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ بمغيب خبرهم وأنه كذب في الحقيقة لم يرجعوا فيه إلى صحة، فمن جوز صدق هؤلاء فهو راد لخبر الله^(٢).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو **الجواب الأول**: إنهم كاذبون في حكم الله-عز وجل- وشرعه، لأن الكاذب يجب زجره عن الكذب، والقاذف إن لم يأت بالشهود فإنه يجب زجره، لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك، من دون أربعة شهود، ولهذا يقول ابن العربي-رحمه الله-: وهذا الفقه صحيح، وهو أن معنى قوله-تعالى-: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يريد في حكمه، لا في علمه، وهو إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا، لا مقتضى علمه الذي تعلق بالأشياء على ما هي عليه، وإنما بينى على ذلك حكم الآخرة^(٣).

(١) تفسير الطبري (١٩ / ١٣٠).

(٢) أحكام القرآن للجصاص، (٥ / ١٦٢).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي، (٣ / ٣٦٥).



التساؤلات في سورة الفرقان

[٨٥] قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيْرًا

﴿١٢﴾ [سورة الفرقان: ١٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: كيف يسمع التغيظ؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: معناه رأوا وعلموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً، كما قال الشاعر (١):
ورأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحاً
أي: وحاملاً رمحاً.

وقيل: سمعوا لها تغيظاً، أي: صوت التغيظ من التلهب والتوقد (٢).

دراسة التساؤل: معنى الغضب لغة: قال ابن فارس: (غضب) الغين والضاد
والباء أصل صحيح يدل على شدة وقوة. يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا:
ومنه اشتق الغضب، لأنه اشتداد السخط. يقال: غضب يغضب غضباً، وهو
غضبان وغضوب، وقيل: إن الغيظ أشد من الغضب (٣).

وقال الراغب: الغضب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام، ولذلك قال-عليه
الصلاة والسلام: ((اتقوا الغضب فإنه جمة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى
انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه)) (٤).

وقال الواحدي-رحمه الله-: التغيظ: الاغتياظ، يقال اغتاظ عليه، وتغيظ عليه،
بمعنى: أنكر عليه أمراً، وغضب عليه، وغظته أغيظه غيظاً إذا حملته علي
الغضب. ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الشعراء: ٥٥]. (٥).

(١) هو عبد الله بن الزبيري، كما في حواشي ابن القوطية على الكامل (١٨٩)، وأنشده المبرد، في معاني
القرآن، (١/ ٤٣٢)، والثعلبي في تفسيره، (٢/ ٩٣)، ولم ينسبوه.

(٢) تفسير البغوي، (٦/ ٧٥).

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٨)، جمهرة اللغة (٢/ ٩٣٢).

(٤) أخرجه الترمذي من حديث طويل، وقال: حسن صحيح المسند، (٣/ ١٩)، وعبد الرزاق في المصنف، (١١/
٣٤٧)، (انظر: كتاب الفتن في عارضة الأحوزي ٩/ ٤٣)،

(٥) التفسير البسيط (١٦/ ٤٢١).

وقد ذكر ابن عطية-رحمه الله- فرقاً بين الغضب والغیظ فقال: الغیظ: أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان، ولذلك فسر بعض الناس الغیظ بالغضب وليس تحرير الأمر كذلك، بل الغیظ فعل النفس لا يظهر على الجوارح، والغضب حال لها معه ظهور في الجوارح وفعل ما ولا بد، ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله-تعالى-، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يسند إليه تعالى غیظ^(١).

وقال أبو هلال العسكري^(٢) -رحمه الله-: الفرق بين الغضب والغیظ: أن الإنسان يجوز أن يغتاض من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها وذلك أن الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر، والغیظ يقرب من باب الغم^(٣).

وبعد التعريف والفرق نحذر جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل المذكور، وقد أجاب عنه بجوابين هما:

الجواب الأول: يكون معنى الآية: أنهم رأوا وعلموا أن لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً، وهذا القول مخرج على الحذف والتقدير، واستدلوا بقول الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحاً.

أي: وحاملاً رمحاً، وهذا قول قطرب^(٤).

وكقول الآخر: علفتها تبناً وماءً بارداً ... حتى شنت همالة عيناها^(٥).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٠٩).

(٢) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد، أبو هلال، العسكري، لغوي أديب، شاعر، مفسر، نسبته إلى "عسكر مكرم" من كور الأهواز، له تصانيف مفيدة، منها: "المحاسن" في تفسير القرآن، و "الحث على طلب العلم"، و "التلخيص"، و "جمهرة الأمثال". توفي سنة (٣٩٥هـ)، يُنظر ترجمته في: طبقات المفسرين؛ للسيوطي (ص: ٤٣-٤٤)، وشذرات الذهب (٤/ ٤٣٠)، والأعلام (٢/ ١٩٦).

(٣) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٣٠).

(٤) التفسير البسيط (١٦/ ٤٢٢).

(٥) البيت من شواهد النحاة في باب المفعول معه على أنه إذا لم يمكن عطف الاسم الواقع بعد الواو على ما قبله تعين النصب على المعية، أو على إضمار فعل يليق به. وهو في شرح ابن عقيل (١/ ٥٢٤) غير منسوب، أمالي المرتضى، (٢/ ٢٥٩)، وذكره ابن عادل، دون أن ينسبه، اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٤٨٨).



أراد وسقيتها ماء بارداً، فدل علفت على سقيت، وعلى هذا يكون معنى الآية: سمعوا لها وأدركوا تغيظاً وزفيراً ويعاد كل إلى ما يناسبه(١).

فالحذف في كلام العرب أسلوب معهود ومسلك معروف، اعتنى به العلماء المتخصصون عناية خاصة، فالكثير يعمدون إليه لتحقيق أغراض بلاغية معينة، تفيد في تقوية الكلام، وإخراجه على الأسلوب الأمثل.

وقد جاء القرآن على نهج العرب في الكلام، فاعتمد الحذف أسلوباً من جملة أساليبه البلاغية، حيث ورد بكل صورته وأشكاله في الخطاب القرآني.

الجواب الثاني: أنهم سمعوا لها تغيظاً، أي: صوت التغيظ من التلهب والتوقد، وهذا الصوت هو صوت الغليان، يسمع من بعيد لشدته وقوته وحنقه على المكذبين، لكن هذا الغليان والصوت الذي يسمعه ليس بصوت النار المعتاد إذا كانت شديدة التوقد، وإنما ذلك كائن بسبب تغيظها، فلما كان سبب هذا الصوت سبب هذا التوقد الشديد، أو الغليان؛ سببه التغيظ أطلقه عليه، فأطلق اسم السبب على المسبب، وهذا خلاصة ما قاله ابن جرير-رحمه الله-، وهو قول عامة المفسرين، كما قاله السمرقندي(٢).

وهذا يدل على أن نار الآخرة ليست كنار الدنيا من حيث أنها ترى وتتكلم، وتتغيظ ويخرج منها عنق، وفيها حنق شديد، وغليان، وفوران، وأصوات وزفير وشدة الإحراق، فقد أخبر النبي ﷺ ((أن نار جهنم فضلت على نار الدنيا بسبعين جزءاً))(٣).

وهذا يدل على أنها نار محرقة، ولها إدراك وإحساس، عافانا الله منها.

(١) روح المعاني (٩/ ٤٣٢).

(٢) بحر العلوم (٢/ ٥٣١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار، (٤/ ١٢١)، برقم (٣٢٦٥)، مسلم، كتاب: الجنة، باب: في شدة حر نار جهنم، (٨/ ١٤٩) برقم (٢٨٤٣).

وهناك جواب ثالث ذكره العلماء ، وحكاه ابن قتيبة: أنهم يسمعون صوت زبانية النار، أو أن الذي يُسمع هو تغيظ المعذبين وزفيرهم (١).
فُسبب إلى النار على حذف المضاف، فيكون المعنى تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وشهوة للانتقام منهم.

قال ابن قتيبة-رحمه الله- بعد ذكره هذا القول: واعتبروا ذلك بقول الله-جل ثناؤه-: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشِهيقٌ﴾ [سورة هود: ١٠٦].

واعترض ابن عجيبة-رحمه الله- على قول ابن قتيبة فقال: بعد حكايته هذا القول: وهذا بعيد (٢).
الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثاني: قال الشنقيطي-رحمه الله-:
والأظهر أن معنى قوله-تعالى-: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا﴾ أي: سمعوا غليانها من شدة غيظها، ولما كان سبب الغليان التغيظ أطلقه عليه، وذلك أسلوب عربي معروف (٣).
وقال القرطبي: قيل المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم، ثم ذكر في آخر كلامه أن هذا القول هو الأصح (٤).
ورجحنا هذا القول لأمر:

- ١- سياق الآية يدل عليه، فإن التاء في ﴿رَأَتْهُمْ﴾ والهاء في ﴿لَهَا﴾ عائدة على السعير، ولهذا قال سمعوا لها، ولم يقل سمعوا فيها ولا منها، ولو كان المراد صوت الزبانية لاختلفت الضمائر.
- ٢- وجود آيات من القرآن الكريم تؤيد القول الراجح ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [سورة الملك: ٧-٨].

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ت سعيد اللحام (ص: ٢٦٦)، معاني القرآن للنحاس (٥ / ١١).
(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٨١).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦ / ٢٤).
(٤) تفسير القرطبي (٧ / ١٣).



٣- من القواعد المقررة: حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة (١).

فإسناد الرؤية إليها حقيقة على ما هو الظاهر، وكذا نسبة التغيظ والزفير فيما بعد إذ لا امتناع في أن يخلق الله تعالى النار حية مغتازة زافرة على الكفار فلا حاجة إلى تأويل الظواهر الدالة على أن لها إدراكاً كهذه الآية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [سورة ق: ٣٠].

قال ابن عاشور -رحمه الله- مؤكداً لهذه القاعدة، ومرجحاً لهذا القول: ويجوز أن يكون الله -تعالى- قد خلق لجهنم إدراكاً للمرئيات، بحيث تشتد أحوالها عند انطباع المرئيات فيها، فتضطرب وتفيض وتتهياً لالتهام بعثها، فتحصل منها أصوات التغيظ والزفير، فيكون إسناد الرؤية والتغيظ والزفير حقيقة، وأمور العالم الأخرى لا تقاس على الأحوال المتعارفة في الدنيا (٢)،

٤- أن هذا القول: قال به أكثر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، ومن القواعد المذكورة عند المفسرين: أن الآية تحمل على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً (٣). والله أعلم.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢٣٨).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ٣٣٣).

(٣) مختصر في قواعد التفسير (ص: ٢٩).

التساؤلات في سورة الشعراء

[٨٦] قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٧٧].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معناه فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال -تعالى-: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سورة مريم: ٨٢]. وقال الفراء: هو من المقلوب، أراد: فإني عدو لهم، لأن من عاديته فقد عاداك. وقيل: "فإنهم عدو لي" على معنى إني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يتولى العدو، ولا يطلب من جهته النفع^(١).

دراسة التساؤل: ظاهر الآية قد يثير تساؤلاً حول وجه العداوة المرتقبة التي حكاها إبراهيم - عليه السلام - إلا أن الظاهر لا يفيد ذلك إلا بالنظر إلى المآلات، كما قال ابن كثير -رحمه الله-: إن كانت هذه الأصنام شيئاً ولها تأثير، فلتخلص إلي بالمساءة، فإني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها^(٢).

وذكر الزمخشري -رحمه الله- تصويراً للآية ينبه على ما وراء السياق من مقصد، فقال: "وإنما قال: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾ تصويراً للمسألة في نفسه، على معنى: أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو، فاجتنبتها، وآثرت عبادة مَنْ الخير كله منه، وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولاً، وبنى عليها تدبير أمره، لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه؛ ليكون أدعى لهم إلى القبول، وأبعث على الاستماع منه، ولو قال: فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة، ولأنه دخل في باب من التعريض، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح؛ لأنه يتأمل فيه^(٣).

(١) تفسير البغوي، (٦/ ١١٧).

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٣٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣١٨).



وكان البغوي-رحمه الله- أثار التساؤل المذكور وأجاب عنه بثلاثة أجوبة

هي:

الجواب الأول: أن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، واستدل-رحمه الله-بقوله-تعالى-: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سورة مريم: ٨٢]. وقال في تفسيرها: أي: تجدد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم كما أخبر الله -تعالى-: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة القصص: ٦٣] ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أي: أعداء لهم وكانوا أولياءهم في الدنيا^(١).

وقال الرازي-رحمه الله-: ف قيل في تفسير آية مريم: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [٨٢]. إن الله يحيي ما عبده من الأصنام حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم، فعلى هذا الوجه أن الأوثان ستصير أعداءً لهؤلاء الكفار في الآخرة، فأطلق إبراهيم - عليه السلام - لفظ العداوة عليهم على هذا التأويل^(٢).

وممن ذكر هذا التساؤل، ورجح هذا الجواب ابن جرير الطبري حيث قال: فإن قال قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعبادة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، ... وقوله-تعالى-: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ نصباً على الاستثناء، والعدو بمعنى الجمع، ووجد لأنه أخرج مخرج المصدر، مثل القعود والجلوس.

ومعنى الكلام: أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإنني منه بريء لا أعبد، إلا رب العالمين^(٣).

قال النحاس-رحمه الله-: وهذا أصح قول قيل في الآية^(٤).

(١) تفسير البغوي، (٥ / ٢٥٤).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤ / ٥١٠).

(٣) تفسير الطبري (١٩ / ٣٦٣).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٥ / ٨٧).

الجواب الثاني: أن هذا من المقلوب، أراد: فإني عدو لهم، لأن من عاديته فقد عاداك، حكاه ابن قتيبة^(١).

وهذا جائز في اللغة، ويقويه العادة والعرف، ويسمى عند أهل اللغة: أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم.

كما تقول العرب: (اعرض الناقة على الحوض) تريد: اعرض الحوض على الناقة، لأنك إذا أوردتها الحوض: اعترضت بكل واحد صاحبه^(٢).

وقد اعترض أبو حيان-رحمه الله- على هذا الجواب فقال: وذهاب من ذهب إلى أن قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ من المقلوب والأصل: فإني عدو لهم، لأن الأصنام لا تعادي لكونها جماداً، وإنما هو عاداها ليس بشيء ولا ضرورة تدعو إلى ذلك، ألا ترى إلى قوله-تعالى-: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ فهذا معنى العداوة^(٣).

الجواب الثالث: وقيل: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ على معنى إني لا أتولاهم ولا أطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يتولى العدو، ولا يطلب من جهته النفع. وجوز السمعاني-رحمه الله- أن يكون معناه: فإنهم عدو لي أي: لا أتوهم، ولا اطلب من جهتهم نفعاً، كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع^(٤).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الأول: أنهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا، فالذي عليه الجمهور من المفسرين أن الضمير في هاء قوله-تعالى- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ يعود إلى آلهة المشركين، إلى معبوداتهم، ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ يعني: أعداء لي، ويدل على هذا القول السياق، أما دعوى القلب، فهو خلاف الأصل، فالأصل أن يكون الكلام على وجهه دون دعوى القلب.

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) البحر المحيط في التفسير (٨ / ١٦٤).

(٤) تفسير السمعاني (٤ / ٥٣).



التساؤلات في سورة النمل

[٨٧] قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ

أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ [سورة النمل: ١٨].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: كيف يتصور الحطم من سليمان-عليه السلام- وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: كان جنوده ركبناً وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم.

وقيل: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان-عليه السلام^(١).

دراسة التساؤل: معنى الحطم لغة: قال ابن فارس: (حطم) الحاء والطاء

والميم أصل واحد، وهو كسر الشيء. يقال حطمت الشيء حطماً كسرته^(٢).

قال الراغب: الحطم: كسر الشيء مثل الهشم ونحوه، ثم استعمل لكل كسر

متناه، قال الله -تعالى-: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾^(٣).

وفي تفسير ابن عباس-رضي الله عنهما-: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسرنكم ولا

يدوسنكم ويسحقنكم^(٤).

وعرفه ابن عاشور-رحمه الله-بعبارة أوسع وأشمل فقال: والحطم: حقيقته

الكسر لشيء صلب، واستعير هنا للرفس بجامع الإهلاك^(٥).

وقد بنى البغوي-رحمه الله-تساؤله على قول لا دليل عليه، ولا قرينة

صريحة، ولا قول للسلف معتبر، ولعله من نقولات بني إسرائيل فقد نقل عن وهب بن

(١) تفسير البغوي، (٦ / ١٥١).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٧٨).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٤) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (ص: ٣١٧).

(٥) التحرير والتنوير (١٩ / ٢٤٢).

منبه عن كعب قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه.... إلى آخر الأثر (١).

بل إن ظاهر الآية يرد ما قاله البغوي، وما بني عليه التساؤل، فقد قال ابن عطية-رحمه الله- في قوله-تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ ظاهر هذه الآية أن سليمان-عليه السلام- وجنوده كانوا مشاة في الأرض، وبذلك يتفق حطم النمل (٢).

وقد رأيت لابن جرير الطبري-رحمه الله- قولاً يؤيد ما قاله البغوي فقال: في تفسير قوله-تعالى-: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [سورة الأنبياء: ٨١]. يقول: تجري الرياح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (٣).

وبعد هذا التقرير فقد ذكر البغوي-رحمه الله- تساؤلاً، وأجاب بجوابين الجواب الثاني يتضمنه الأول:

الجواب الأول: كان جنوده ركبناً وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم.

وعلى هذا لم تحملهم الرياح، لأن الرياح لو حملتهم، ستحملهم بين السماء والأرض، ولم يحصل خوف من النملة أن يطؤوها بأرجلهم، لأنهم في حالة ارتفاع. قال الواحدي-رحمه الله-: ثم وقف سليمان بمن معه ليدخل النمل مساكنها. وهذا يدل على أن سليمان وجنوده كانوا ركبناً ومشاة على الأرض (٤).

قال ابن كثير-رحمه الله-: وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ أي: حتى إذا مر سليمان-عليه السلام- بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل،

(١) تفسير البغوي، (٦/ ١٥٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٥٤).

(٣) جامع البيان، (١٨/ ٤٨١).

(٤) التفسير البسيط (١٧/ ١٩١).



﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لفته جميلة، وهي أن لكثرة غلبتهم ومراعاتهم نظام المشي-وذلك أن الجند إذا سيرهم قائدهم على جهة كان مشيهم بانتظام نحوها- حتى إذا كان أمامهم شيء يدوسونه ولم يحدوا عنه، ولهذا تقدمت النملة بالعدر لسليمان-عليه السلام- ووصفته وجنوده بالعدل والرحمة والتباعد عن الجور، إذ علمت بإلهام الله إياها أنه نبي لا يجور ولا يتيه ولا يظلم (٢).

الجواب الثاني: يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان-عليه السلام-، وهذا الجواب فيه احتمال، لأنه لا يوجد دليل على أن مرور سليمان-عليه السلام- كان قبل تسخير الله الريح لسليمان-عليه السلام- تحمله وجنوده حيث شاءوا، وهذا الجواب يرجع إلى الجواب الأول، أن بعض جنوده-عليه السلام- كانوا ركبانا، وبعضهم كانوا مشاة على الأرض على أرجلهم، وهذه كانت عادة الجيوش.

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو حمل الآية على ظاهرها في السياق، فقوله- تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ أي: حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

(١) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٦٦).

(٢) بيان المعاني (٢/ ٣١٨).

التساؤلات في سورة العنكبوت

[٨٨] قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ [سورة العنكبوت: ٢٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي -رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: ما وجه قوله -تعالى-: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي السَّمَاءِ﴾ والخطاب مع الأدميين وهم ليسوا في السماء؟.

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي -رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قال الفراء: معناه ولا من في السماء بمعجز، كقول حسان بن ثابت^(١) -رضي الله عنه-: فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء^(٢).

أراد: من يمدحه ومن ينصره، فأضمر ﴿مِّنْ﴾ يريد: لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء.

وقال قطرب: معناه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها، كقول الرجل: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو كان بها^(٣).

دراسة التساؤل: اختلفوا في تقدير الآية على وجهين، ذكرهما البغوي -رحمه الله- في جوابه عن التساؤل فقال:

الجواب الأول: قول الفراء: أن الله -تعالى- وصفهم بأنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، والمعنى والله أعلم: ما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا من في السماء بمعجز. وهذا الجواب مبني على الحذف والتقدير. واستشهد الفراء -رحمه الله- بقول حسان -رضي الله عنه-:

(١) هو: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. ٥٤ هـ). سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٢)، الأعلام للزركلي (٢/ ١٧٥)

(٢) معاني القرآن، للفراء، (٢/ ٣١٥)، ونسب البيت لحسان، وعن الفراء أنشده ابن جرير، وهو في "ديوانه" (٩) من قصيدة له في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-، قبل فتح مكة. بلفظ: فمن يهجو. تفسير الطبري، (٢٠/ ٢٢).

(٣) تفسير البغوي، (٦/ ٢٣٧)



فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء^(١).

أراد: ومن يمدحه ومن ينصره، فأضمر (مَنْ) لا يعجزه أهل الأرض في الأرض، ولا أهل السماء في السماء، أو حذف (مَنْ) لدلالة (مَنْ) الأولى عليها.
قال الواحدي-رحمه الله-: ومثله في الكلام: أكرم من أتاك، وأتى أباك؛ يعني: وأكرم من أتى أباك، وهذا موافق لتفسير ابن عباس والكلبي، قال ابن عباس: يريد: لا يعجزني أحد من أهل الأرض، ولا من أهل السماء^(٢).

واختار ابن جرير-رحمه الله- فقال: لا يعجزه أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السموات في السموات إن عصوه، ونسبه إلى ابن زيد، ثم ذكر قول الفراء، ثم قال: وهذا القول أصح عندي في المعنى من القول الآخر^(٣).

وقال المبرد: والمعنى ولا من في السماء على أن من ليست موصولة ولكن تكون نكرة و﴿فِي السَّمَاءِ﴾. صفة لها، فأقيمت الصفة مقام الموصوف.

واعترض الأخفش-رحمه الله- على قول المبرد فقال: لا يجوز، لأن (مَنْ) إذا كانت نكرة فلا بد من وصفها فصفتها كالصلة، ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة، والمعنى أن الناس خوطبوا بما يعقلون، ويكون المعنى لو كنتم في السماء ما أعجزتم الله، كما قال: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [سورة النساء: ٧٨].

الجواب الثاني: قول قطرب: معناه: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها، كقول الرجل: ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو كان بها.

قال الواحدي-رحمه الله-: وهذا الوجه موافق لتفسير مقاتل؛ فإنه يقول في معنى الآية: وما أنتم يا كفار سابقي الله فتقوتونه؛ في الأرض كنتم، أو في السماء كنتم، أينما تكونوا حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) التفسير البسيط (١٧/ ٥١٠).

(٣) تفسير الطبري، (٢٠/ ٢٢).

(٤) التفسير البسيط (١٧/ ٥١٠)، تفسير مقاتل، (٧٢)

قال الطبري -رحمه الله- بعد حكايته قول الفراء: ولو قال قائل: معناه: ولا أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين كان مذهباً^(١).

واستحسن هذا القول ابن عطية، ورجحه الأخفش كما تقدم^(٢).

وهذا الجواب يحتاج الى تقرير، أي: لو صرتم فيها، ومنه قوله -تعالى-: ﴿إِنْ أُسْتَطِعْتُمْ أَنْ تَفْعَلُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْعَلُوا﴾ [سورة الرحمن: ٣٣]. على تقدير الحكم لو كنتم فيها، والأرض فانفذوا^(٣). وهذا على فرض المحال أي: الاستبعاد.

الترجيح:

الراجح -والعلم عند الله- ما قاله ابن كثير -رحمه الله-: أن قوله -تعالى-: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه، بل هو القاهر فوق عباده، فكل شيء خائف منه فقير إليه، وهو الغني عما سواه^(٤).

فعبارة ابن كثير -رحمه الله- أعم، وأبسط وأقصر، وخالية من الحذف والتقدير، إذ الأصل عدمها ما لم يدل دليل واضح صريح.

والقاعدة المقررة عند المفسرين تقول: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار^(٥).

قال الألويسي -رحمه الله- بعد حكايته للأقوال المتقدمة: و ليس في الآية حذف أصلاً، والسماء هي المظلة، إلا أن أنتم خطاب لجميع العقلاء فيدخل فيهم الملائكة ويكون السماء بالنظر إليهم والأرض بالنظر إلى غيرهم من الإنس والجو هو كما ترى^(٦).

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ٢٣).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٣١٢)، تفسير القرطبي (١٣ / ٣٣٧).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٨ / ٣٥٠).

(٤) تفسير ابن كثير، (٦ / ٢٤٤).

(٥) مختصر قواعد الترجيح للحربي، (١٩٢).

(٦) روح المعاني (١٠ / ٣٥٣).



التساؤلات في سورة الأحزاب

[٨٩] قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، وكذلك الحسن والحسين، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال للحسن: ((إن ابني هذا سيد؟))^(١).

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً.

والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم^(٢).

دراسة التساؤل: تقدم معنا قول الراغب-رحمه الله- أن الأب: هو كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره، ولذلك يسمى النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۗ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ﴾، أما قوله-تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]. إنما هو نفي الولادة، وتنبيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية^(٣).

فالمراد بالأبوة المنفية هنا، الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الأبوة الحقيقية اللغوية، من الإرث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة، سواء كانت بالولادة أو بالرضاع^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: قول النبي ابني هذا سيد، (٣/١٨٦) برقم (٢٧٠٤).

(٢) تفسير البغوي، (٦/٣٥٨).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٧).

(٤) روح المعاني (١١/٢٠٩).

وقد ذكر العلماء سبب نزول هذه الآية، فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن علي بن الحسين -رضي الله عنه- في قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ قال: ((نزلت في زيد بن حارثة))^(١). وأخرج الواحدي -رحمه الله- في تفسيره: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما تزوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زينب -رضي الله عنها- قال الناس: ((إن محمداً تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله هذه الآية))^(٢). وذكر مكّي في الهداية عن قتادة -رضي الله عنه- أنها نزلت في زيد بن حارثة^(٣).

فالخلاصة: أن الحديث المذكور يدور بين التصحيح والتضعيف عند العلماء، لكن سياق الآيات، وأقوال المفسرين يدل على أن لهذا الحديث أصلاً والله أعلم. وكان البغوي -رحمه الله- قد أجاب عن التساؤل المذكور بجوابين صحح البغوي الجواب الثاني فقال:

الجواب الأول: أن هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً، أو أنهم ماتوا صبياناً، لم يبلغوا مبلغ الرجال.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: وقوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه -صلى الله عليه وسلم- لم يعيش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه -صلى الله عليه وسلم- ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة -رضي الله

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ٢٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم، (٩ / ٣١٣٧)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦ / ٦١٧).

(٢) رواه الترمذي حديث رقم (٣٢٦٠) عن عائشة، وابن أبي حاتم، وأورده السيوطي في الدر، (٦ / ٦١٣)، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والترمذي، وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن عائشة.

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٩ / ٥٨٤٤).



عنها- فماتوا صغاراً وولد له -صلى الله عليه وسلم- إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيعاً^(١).

وقد ذكر ابن عاشور-رحمه الله- أن هذا العموم لا ينتقض بالوهم بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان له أولاداً تجري عليه أحكام البنوة.

فقال والمقصود: نفي أن يكون أبا لأحد من الرجال في حين نزول الآية، لأنه كان ولد له أولاد أو ولدان بمكة من خديجة-رضي الله عنها- وهم الطيب والطاهر -أو هما اسمان لواحد- والقاسم، وولد له إبراهيم بالمدينة من مارية القبطية، وكلهم ماتوا صبياناً ولم يكن منهم موجود حين نزول الآية^(٢).

الجواب الثاني: أنه أراد أبا أحد من رجالكم، الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها.

فقيّد النفي بقوله-تعالى-: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾. لأن إضافة الرجال إلى المخاطبين، تخرج أبناءه لأنهم رجاله لا رجالهم، ولأن المفهوم منهم بقرينة المقام الرجال البالغون، وأبناؤه ليسوا كذلك، إذ لو كان له ابن بالغ لكان نبياً، كما روي ذلك عن ابن عباس-رضي الله عنهما-^(٣).

قال الطبري-رحمه الله-: يقول -تعالى ذكره-: ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله^(٤).

وقال ابن عطية-رحمه الله-: وقوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ أذهب الله-تعالى- في هذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم من نقد تزويج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زينب-رصي الله

(١) تفسير ابن كثير، (٦/ ٣٨١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ٤٤).

(٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٨).

عنها- زوجة دعيه زيد بن حارثة-رضي الله عنه- لأنهم كانوا استعظموا أن تزوج زوجة ابنه، فنفي القرآن تلك البنوة، وأعلم أن محمداً لم يكن في حقيقة أمره أبا أحد من رجال المعاصرين له^(١).

الترجيح:

الراجح-والعلم عند الله- هو الجواب الثاني: أنه أضاف الرجال إليهم، وهم كانوا رجاله، لا رجالهم، فبين الله - عز وجل - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن أبا أحد قط من رجالكم لا في السابق ولا في الحاضر سواء أكان زيدا أم غيره، بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾^(١) وحينئذ يكون الغرض من النفي هنا دفع الإشكال الوارد في هذا التساؤل.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٣٨٨).



التساؤلات في سورة فاطر

[٩٠] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّكَ أَلْسَمَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَلَّتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة فاطر: ٤١].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم هاهنا؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: لأن السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله-
تعالى- عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعالجهن بالعقوبة^(١).

دراسة التساؤل: الحليم اسم من أسماء الله الحسنى سمى الله- سبحانه
وتعالى- به نفسه.

قال الحليمي^(٢)-رحمه الله- في معنى "الحليم": الذي لا يحبس أنعامه
وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقيه
وهو منهمك في معاصيه^(٣).

وقال السعدي-رحمه الله-: "الحليم" الذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق،
والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم
إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا^(٤).

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ثم أخبر تعالى عن قدرته
العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة

(١) تفسير البغوي، (٦/ ٤٢٦).

(٢) هو: أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحليمي الفقيه الشافعي الجرجاني، ولد بها في سنة:
(٣٣٨)، وحمل إلى بخارا، وكتب بها الحديث عن غير واحد من العلماء، وتفقّه على أبي بكر الأودني حتى
صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه، صاحب التصانيف الحسان، وتوفي سنة (٤٠٣)، الأنساب للسمعاني (٢/
٢٥٠).

(٣) المنهاج في شعب الإيمان، (١/ ٢٠٠-٢٠١)، الأسماء للبيهقي، (ص: ٧٢-٧٣).

(٤) الحق الواضح المبين للسعدي، (٥٥-٥٦).

لهما، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال- عز وجل-: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. [سورة الحج: ٦٥]. وقال- تعالى-: ﴿وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الروم: ٢٥]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلِيمٌ غفورٌ أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر، وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستتر آخرين ويغفر، ولهذا قال- تعالى-: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١).

وبعض أهل العلم يقول: إن هذا مشعر بأن السماوات والأرض تكاد أن تضطرب بسبب ذنوب بني آدم، وأن الله يمسكها، وكأنهم أخذوا ذلك من قوله - تبارك وتعالى - في آخر الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ قالوا: إن السماوات والأرض تكاد أن تطبق على هؤلاء أو أن تضطرب أو تميد بهم بسبب ذنوب بني آدم وإن الله يمسكها لئلا تميد وتضطرب لكونه متصفاً بالحلم والغفر، ولكن هؤلاء فيما يبدو - والله تعالى أعلم - لا يقصدون حصر التفسير في هذا، وإنما أرادوا أن ذلك شيء يؤخذ من هذه الآية، ولا يعارضون ما ذكره عامة المفسرين في تفسير الآية، كما ذكر ابن كثير - رحمه الله -

وممن ذكر ذلك البغوي- رحمه الله- في جوابه عن التساؤل المذكور فقال: إن السماوات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكها الله -تعالى- عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعالجهم بالعقوبة.

وقد قرر هذا ابن القيم- رحمه الله- فقال: ولولا حلمه ومغفرته لزالَت السماوات والأرض من معاصي العباد كما قال- تعالى- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فتأمل

(١) تفسير ابن كثير، (٦/ ٤٩٤)



ختم هذه الآية باسمين من أسمائه وهما الحليم والغفور، كيف تجد تحت ذلك انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات والارض وقد أخبر - سبحانه- عن كفر بعض عباده أنه: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٠]. وقد أخرج الله سبحانه الأبوين من الجنة بذنب واحد ارتكباه وخالفا فيه نهيه، ولعن إبليس وطرده وأخرجه من ملكوت السموات بذنب واحد ارتكبه وخالف فيه أمره(١).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: أخبر -سبحانه- أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السموات والارض، فالحلم وإمساكهما أن تزولا هو الصبر، فبحلمه صبر عن معالجة أعدائه، وفي الآية: اشعار بأن السموات والارض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد فيمسكها بحلمه ومغفرته، وذلك حبس عقوبته عنهم وهو حقيقة صبره -تعالى- فالذي عنه الإمساك هو صفة الحلم، والإمساك هو الصبر وهو: حبس العقوبة ففرق بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها(٢).

قال أبو حيان -رحمه الله- في مناسبة ختم الآية بأولها: اتصافه بالحلم والغفران في هذه الآية: إنما هو إشارة إلى أن السماء كادت تزول، والأرض كذلك، لإشراك الكفرة، فيمسكها حكماً منه عن المشركين وتربصاً ليغفر لمن آمن منهم، كما قال -تعالى- في آخر آية أخرى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾. فعلى هذا فالسماء تستأذن ربها أن تحصب المذنب والعاصي، والأرض تستأذنه أن تخسف به، والبحر يستأذنه أن يغرقه، والملائكة تستأذن ربها أن تعاجله وتهلكه، لكن حلم الله، وإحسانه الى عبادة، أمسك السماوات والأرض والجبال والبحار عند قولهم ذلك، وأخر الانتقام الى يوم القيامة، وقد ذكروا في ذلك حديثاً مرفوعاً لا يثبت، والخلاصة: أنه يحلم وينظر ويؤجل، ولا يعجل، ويستتر ويغفر والله أعلم.

(١) الجواب الكافي (ص: ٥٩).

(٢) عدة الصابرين (ص: ٢٣٧).

التساؤلات في سورة الصافات

[٩١] قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾

[سورة الصافات: ٥].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:

فإن قيل: قد قال في موضع: ﴿بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة المعارج: ٤٠]. وقال في

موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [سورة الرحمن: ١٧]. وقال في

موضع: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة المزمل: ٩]. فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:

قيل: أما قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أراد به الجهة، فالمشرق جهة والمغرب جهة.

وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾. أراد: مشرق الشتاء ومشرق

الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف.

وقوله-تعالى-: ﴿بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. أراد الله-تعالى- أنه خلق للشمس

ثلاث مئة وستين كوة في المشرق، وثلاث مئة وستين كوة في المغرب، على عدد

أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى

الكوة التي تطلع منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب، وقيل:

كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو

مغرب، كأنه أراد رب جميع ما أشرقت عليه الشمس وغربت. ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلْمَسَاءَ الدُّنْيَا

بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [سورة الصافات: ٦] (١).

دراسة التساؤل: قال الراغب-رحمه الله-: والمشرق والمغرب إذا قيلاً بالإفراد

فإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب، وإذا قيلاً بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعي ومغربي

الشتاء والصيف،

(١) تفسير البغوي، (٧/ ٣٤).

وإذا قيلًا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه، أو بمطلع كل فصل ومغربه^(١)

قال ابن جرير -رحمه الله- في تفسير المشرق والمغرب ما نصه: وإنما معنى ذلك: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾ [سورة البقرة: ١١٥]. أي: الذي تشرق منه الشمس كل يوم، ﴿وَالْمَغْرِبُ﴾ الذي تغرب فيه كل يوم، فتأويله إذا كان ذلك معناه: والله ما بين قطري المشرق وقطري المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذي بعده وكذلك غروبها كل يوم^(٢).

وقد ساق أبو عبد الله الرازي -رحمه الله- في جوابه على التساؤل في هذه الآية مع مؤالفة بينها وبين آيات أخرى معها، فقال: القرآن نزل بلغة العرب على المعهود من أساليب كلامهم وفنونه، ومن أساليب كلامهم وفنونه الإجمال والتفصيل والبسط والإيجاز.

فأجمل تارة بقوله -تعالى-: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٣) أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربهما على الإجمال، وفصل تارة بقوله -تعالى-: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. أراد جميع مشارق السنة ومغاربها، وهي تزيد على سبعمائة، وأوجز واختصر مرة بقوله -تعالى-: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾^(٤).

ولعل الرازي -رحمه الله- قصد عندما عبر بالإجمال والتفصيل أراد بذلك الجمع والتثنية، ولم يتطرق للمفرد كما في آية المزمّل. وقد بسط المسألة ابن القيم -رحمه الله- في كتابه الفوائد، وذكر الحكمة البالغة في تغاير تلك المواضع، وذكر لها خصائص لكل موضع، وقال: إنه لم ير أحداً ممن سبقه تعرض لتلك الخصائص، ولا فتح ذلك الباب.

فقال -رحمه الله- ما نصه: المشرق والمغرب بين الجمع والتثنية والإفراد ومن هذا المعنى مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين وتارة مثنيين وتارة

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٥١).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٥٢٦).

(٣) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص: ٤٣٣).

مفردين لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك فالأول: كقوله-تعالى-: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. والثاني: كقوله-تعالى-: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

والثالث: كقوله-تعالى-: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ فتأمل هذه الحكمة البالغة في تغاير هذه المواضع في الأفراد والجمع والتنثية بحسب موادها يطلعك على عظمة القرآن الكريم وجلالته وأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]. فحيث جمعت: كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة وهي متعددة، وحيث أفردت: كان المراد أفقي المشرق والمغرب، وحيث ثنيا كان المراد مشرقى صعودها وهبوطها ومغربيهما فإنها تبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أوجها وارتفاعها، فهذا مشرق صعودها وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء، فجعل مشرق صعودها بجملة مشرقاً واحداً، ومشرق هبوطها بجملة مشرقاً واحداً، ويقابلها مغرباًها، فهذا وجه اختلاف هذه في الأفراد والتنثية والجمع^(١).

وممن ذكر هذا الإشكال وأجاب عنه ابن عثيمين-رحمه الله- فقال: أما التنثية فباعتبار مشرقى الشتاء والصيف، أما جمع المغارب والمشارك فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه، لأن الشمس كل يوم تشرق من غير المكان الذي أشرقت منه بالأمس، فالشمس يتغير شروقها وغروبها كل يوم، ولاسيما عند تساوي الليل والنهار، فتجد الفرق دقيقة، أو دقيقة ونصفاً بين غروبها بالأمس واليوم، وكذلك الغروب، أو باعتبار الشارقات والغاربات، لأنها تشمل الشمس والقمر والنجوم، وهذه لا يحصيها إلا الله - عز وجل -، أما قوله: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. فباعتبار الناحية، لأن النواحي أربع: مشرق، ومغرب، وشمال، وجنوب^(٢).

وقد جاء جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل المذكور، وأجاب بما أجاب به الجمهور، وقد وفق البغوي-رحمه الله- في الجمع بين الآيات، وجاء من بعده فتابعوه في ذلك، وبهذا الجمع يزول الإشكال، وينحل الجواب، ويوفق بين التضاد، والله أعلم.

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٢١).

(٢) تفسير العثيمين: سورة الرحمن، (ص: ٣٠٧).



التساؤلات في سورة ص:

[٩٢] قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٩٢﴾ [سورة ص: ٢٢].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال: فإن قيل: كيف قالوا "بغى بعضنا على بعض" وهما ملكان لا يبغيان؟

جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله: قيل: معناه: رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما^(١).

دراسة التساؤل: ذكر البغوي-رحمه الله- أن في الكلام تقديراً وليس على حقيقته، لأن يستحيل الكذب من الملائكة، فهم عباد منزهون عن المعاصي، وإنما ذكر هذا الكلام على سبيل ضرب المثل والتعريض وتصوير المسألة، لا على سبيل التحقيق، ومثل ذلك لا يعد كذباً، كما تقول في تصوير مسألة من المسائل: زيد له ثلاثون شاة وعمره له خمسون، وأنت تشير إليهما، فخلطاهما وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وليس لهما شيء في الواقع.

فعلى هذا لا تكون كذباً لأن لها معنى صحيحاً، قال الراغب الأصفهاني: وبعض الناس تحروا في آيات ذكرها الله-تعالى- على سبيل المثل تطلب الحقائق، ورأوا أن ذلك المعنى إذا لم يكن له وجود على سبيل الحقيقة كان كذباً، وذلك في نحو قوله-تعالى-: ﴿خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وخفي عليه أن المذكور على وجه المثل إذا تحرى به معنى صحيحاً لم يكن كذباً^(٢).

وقد ذكر ابن قتيبة-رحمه الله- نظائر لهذه الآية، جاء القرآن الكريم باستعمالها في المعارض، وحكى أنه أسلوب عربي، تستعمله العرب في كلامها كثيراً،

(١) تفسير البغوي - طيبة (٧ / ٨٠).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ١٧).

فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعييون الرجل إذا كان يكشف في كل شيء.

وذكر أمثله: منها قوله-تعالى-: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَكُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٣]. أراد: بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسلوهم، فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل ولا ينطق^(١). وقد جاء جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل المذكور، وبني تساؤله على قول الجمهور، أن الخصمين كانوا من الملائكة، حيث إن النحاس-رحمه الله- قد حكى أنه لا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخصمين ههنا ملكان^(٢).

وقد أجاب عن التساؤل بقوله: معناه: أرأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، فهذا من معاريض الكلام، وليس على معنى تحقيق بغى أحدهما على الآخر، وإنما كان من قبيل ضرب المثل لداود - عليه الصلاة والسلام - ليتبين أمراً آخر قد وقع فيه. وجزم القرطبي-رحمه الله- بوجود الحذف والتقدير في الآية فقال: لا بد في الكلام من تقدير، فكأنهما قالا: قدرنا كأننا ﴿خَصَّمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ لماذا؟ قال: لأن ذلك وإن كان بصورة الخبر، فالمراد إيراده على طريق التقدير لينبه داود على ما فعل^(٣).

وقال الشوكاني-رحمه الله-: في تفسير هذه الآية: وقوله-تعالى-: ﴿خَصَّمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ قال: هو على سبيل الفرض والتقدير، وعلى سبيل التعريض. لأن من المعلوم أن الملكين لا يبغيان^(٤). وممن وافق البغوي-رحمه الله- في هذا الجواب عن التساؤل: السمعاني، والراغب، والكلبي الهراسي، والبيضاوي، والخازن، والشوكاني^(٥).

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٦٦).

(٢) حكى معاني القرآن للنحاس (٦/ ٩٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٧٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٨٨).

(٥) تفسير السمعاني (٤/ ٤٣٢)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٧)، أحكام القرآن للكلبي الهراسي (٤/ ٣٦٠)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٧)، تفسير الخازن (٤/ ٣٥)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٨٨).



[٩٣] قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة ص: ٢٤].

نص التساؤل: أورد الإمام البغوي-رحمه الله- تساؤلاً يتعلق بهذه الآية فقال:
فإن قيل: كيف قال: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ ولم يكن سمع قول صاحبه؟
جواب التساؤل: أجاب الإمام البغوي-رحمه الله- عن هذا التساؤل بقوله:
قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول (١).

دراسة التساؤل: تقوم إجابة التساؤل على النظر في السياق وقرائن الحال، وبما يقتضي مقام النبوة، حيث إن القرآن الكريم في باب القصص وسرد الأخبار مرة يجري على الإيجاز، ومرة يجري على الإطناب، وعلى سبيل المثال قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون، وما فيها من إيجاز في مواضع، وإطناب في أخرى، وهذا دليل بلاغة وإعجاز عجيب.

ومن نظر الى ما حكاه المفسرون في كتبهم عن قصة داوود- عليه السلام- علم أنها من روايات كعب الأخبار ووهب وغيرهم ممن أسلموا، فهي من جنس الإسرائيليات الموضوعة.

ولهذا يقول ابن الجوزي-رحمه الله-: وذكر جماعة من المفسرين: أن داوود- عليه السلام- لما نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى الغزاة مرة بعد مرة إلى أن قتل، فتزوجها وروي مثل هذا عن ابن عباس، ووهب، والحسن في جماعة.
قال: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء- عليهم السلام- منزهون عنه (٢).

قال النحاس: قد جاءت أخبار وقصص في أمر داوود- عليه السلام- وأوريا وأكثرها لا يصح ولا يتصل إسناده ولا ينبغي ان يجترأ على مثلها إلا بعد المعرفة بصحتها، وأصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود- رضي الله

(١) تفسير البغوي، (٧ / ٨١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣ / ٥٦٦).

عنه- قال: ما زاد داوود-عليه السلام- على ان قال ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ أي: انزل لي عنها.

وقد روي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال ما زاد داوود-عليه السلام- على أن قال ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾. أي: تحول لي عنها وضمها إلي.

قال أبو جعفر: فهذا أجل ما روي في هذا، والمعنى عليه أن داود-عليه السلام- سأل أوريا أن يطلق له امرأته كما يسأل الرجل الرجل أن يبيعه جاريته فنبهه الله-جل وعز- على ذلك وعاتبه لما كان نبياً وكان له تسع وتسعون أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا وبالتزويد قبل منها فأما غير هذا فلا ينبغي الاجترار عليه ومعنى: ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ انزل لي عنها واجعلني كافلها^(١).

وبعد هذا التقرير جاء جواب البغوي-رحمه الله- عن التساؤل المذكور الذي أجاب عنه بجوابين هما:

الجواب الأول: قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وتصوير الحادثة أن داود- عليه السلام- بعد فراغ المدعى من كلامه، وبعد إقرار المدعى عليه بصدق أخيه فيما ادعاه- والله إن كان ما تقوله حقاً- أيها المدعى- فإن أخاك في هذه الحالة يكون قد ظلمك بسبب طلبه منك أن تتنازل له عن نعتك لكي يضمها إلى نعاجه الكثيرة.

وإنما قلنا إن داود- عليه السلام- قد قال ذلك بعد إقرار المدعى عليه بصحة كلام المدعى، لأنه من المعروف أن القاضي لا يحكم إلا بعد سماع حجة الخصوم أو الخصمين حتى يتمكن من الحكم بالعدل، ولم يصرح القرآن بأن داود- عليه السلام- قد قال حكمه بعد سماع كلام المدعى عليه، لأنه مقرر ومعروف في كل الشرائع، وحذف ما هو مقرر ومعلوم جائز عند كل ذي عقل سليم^(٢).

وقد أكد هذا الجواب أبو حيان-رحمه الله- في عبارة مختصرة فقال: ليس هذا ابتداء من داود-عليه السلام- إثر فراغ لفظ المدعي، ولا فتياً بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب، فقليل ذلك على تقدير، أي: لئن كان ما تقول، لقد ظلمك^(٣).

(١) معاني القرآن للنحاس (٦/ ١٠١).

(٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ١٤٧).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٤٩).



الجواب الثاني: أن داوود-عليه السلام- قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول، وهذا معلوم من الشرائع كلها، إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعى عليه. وإلى هذا القول جنح السدي، كما حكاه عنه الماوردي في سياق التساؤل فقال: إن الآخر قد كان أقر بذلك فحكم عليه داود-عليه السلام- بإقراره، فحذف اكتفاء بفهم السامع^(١).

وحكى الفخر الرازي-رحمه الله- عن ابن الأنباري أنه قال: لما ادعى أحد الخصمين اعترف الثاني فحكم داود-عليه السلام- ولم يذكر الله ذلك الاعتراف لدلالة ظاهر الكلام عليه، كما تقول أمرتك بالتجارة فكسبت تريد اتجرت فكسبت^(٢).

قال ابن العربي مُحصلاً للأجوبة على التساؤل بعد إيراد آية المسألة: "فيه الفتوى في النازلة بعد السماع من أحد الخصمين، وقبل أن يسمع من الآخر بظاهر القول، وذلك مما لا يجوز عند أحد، ولا في ملة من الملل، ولا يمكن ذلك للبشر، وإنما تقدير الكلام أن أحد الخصمين ادعى، والآخر سلم في الدعوى، فوقعت بعد ذلك الفتوى. وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي-رضي الله عنه-: ((إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر))^(٣).

وقيل: إن داود لم يقض للآخر حتى اعترف صاحبه بذلك. وقيل: تقديره لقد ظلمك إن كان كذلك. والله أعلم بتعيين ما يمكن من هذه الوجوه^(٤).

الترجيح:

الراجح- والعلم عند الله- هو الجواب الثاني: أن الخصم الآخر اعترف، فحكم عليه داوود-عليه السلام- باعترافه، وحذف ذكر الاعتراف اكتفاء بفهم السامع، والعرب تقول: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال، أي: فاتجرت فكسبت، وهذا الجواب تعضده نظائر كثيرة تجري مجراه، وبه يزول الإشكال، وينحل التساؤل، لأن الأجوبة الأخرى لا تخلوا من التعسف النسبي، وبعضها يقوم على إسرئيليات يأبأها الشرع والعقل، والله اعلم

(١) النكت والعيون، للماوردي (٥ / ٨٧).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦ / ٣٨٤).

(٣) أخرجه أحمد، (١١١/١) رقم (٨٨٢)، والحاكم (٤/١٠٥) (٧٠٢٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقي، (١٣٧/١٠)، رقم (٢٠٢٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (١ / ٤٤٤)، (٤٧٨).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي، (٤ / ٥٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فالحمد لله على التمام بفضلته ومنه وجوده وكرمه- سبحانه- عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته وبعد:

فقد توصلت بفضل الله -تعالى- في هذا البحث للنتائج التالية:

أولاً: موسوعية الإمام البغوي- رحمه الله - في مختلف العلوم الإسلامية، وأنه كان من جهاذة علماء الأمة في القرن الخامس الهجري.

ثانياً: إبداع الإمام البغوي- رحمه الله- في إيراد التساؤلات التفسيرية.

ثالثاً: تميز الإمام البغوي- رحمه الله- في الإجابة عن التساؤلات التفسيرية، مدلاً ومعللاً.

رابعاً: دقة تمكن علماء السلف، في دحض افتراءات المغرضين، وبيان ضعف ادعاءاتهم.

خامساً: جمال وإبراز اللطائف التفسيرية من خلال التساؤلات التفسيرية.

سادساً: أن التساؤلات التفسيرية: نوع من أهم وألطف وأرقى أنواع علوم القرآن الكريم.

سابعاً: كثير من التساؤلات التفسيرية، يذكرها الإمام البغوي- رحمه الله- من أجل التنويه والتشويق، وبعضها من أجل دف شبهة أو سوء فهم من آخرين.

كما خلصت إلى التوصيات الآتية:

أولاً: دراسة مصنفات الإمام البغوي- رحمه الله- دراسة مقارنة مع من سبقه من العلماء.

ثانياً: إضافة فن التساؤلات التفسيرية لمباحث علوم القرآن الكريم.

ثالثاً: أحث الجامعات ومراكز البحث الإسلامية، على عمل مشروع للتساؤلات التفسيرية الحديثة الطارئة، في الزمن الحديث من المسلمين أو من الأعداء، والإجابة عنها، مرتبةً على سور وآيات القرآن الكريم.

رابعاً: أوصي الباحثين بدراسة اختيارات الإمام البغوي- رحمه الله- في تفسيره.

خامساً: أحث الموسرين من أثرياء المسلمين على دعم الدراسات الإسلامية، التي تعنى برد شبهات الجاهلين والمغرضين والحاقدين ضد ديننا الحنيف، الذين يطعنون في الكتاب والسنة، ويدعون التعارض أو التناقض فيهما.



سادساً: أتمنى من الجامعات في البلاد الإسلامية تخصيص كراسي بحث لأعلام سلفنا الصالح الذين اشتهروا بالموسوعية في مختلف العلوم.

سابعاً: أقترح على كل قسم متخصص في الدراسات الإسلامية؛ أن يكون له مجلة بحوث دورية تخصه، ينشر فيها ما يستجد في تخصصه من البحوث المتميزة؛ حتى لا تبقى حبيسة الأدرج.

ثامناً: أتمنى من الأوقاف الإسلامية، تخصيص أوقاف في البحوث والدراسات الإسلامية، خاصة ما كان يعنى منها بالدفاع عن الكتاب والسنة ورد الشبهات.

وفي الختام أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا العمل، خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون حجة لنا لا علينا، وأن ينفعني به وينفع به الإسلام والمسلمين. وما كان فيه من صواب فبتوفيق الله عز وجل وحده، وما كان فيه من خطأ فبتقصيري وجهلي.

والله - عز وجل - أعلى وأعلم وأجل وأحكم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الانتماء والالتزام
حماة الألوكة سر سرياً



فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١- سورة الفاتحة			
١	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣	٦٤
٢	﴿مَلَكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	٥٠
٣	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٧٥
٢- سورة البقرة			
٤	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	٧٩
٥	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾	١٣	٨٣
٦	﴿قَالُوا لَنَجْعَلَ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾	٣٠	٢٢٩
٧	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	٣٤	٤٩
٨	﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾	٣٥	٣٧٤
٩	﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٤٧	٢٤٤
١٠	﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	٦١	٨٥، ٧١
١١	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مِنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَاللَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٦٢	٩٢، ٨٧
١٢	﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَن يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾	٧٤	٩٢
١٣	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۗ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مِّنْهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٨٨	٢٥٦
١٤	﴿فَبَاءُوا بِغَضَبِنَا عَلَىٰ عَصَبٍ﴾	٩٠	
١٥	﴿قُلْ فَامْرَأَتِي تَقْتُلُونَ أَنبِيََاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾	٩١	١١١
١٦	﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾	٩٣	٢٠٤
١٧	﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ بِأَبْلِ هَرُونَ وَمُرُونَ﴾	١٠٢	١٠٧، ٩٦
١٨	﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقِيُّ﴾	١١٥	٤٢٧
١٩	﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	١١٧	١٠٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠	﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾	١٢٤	٣١١
٢١	﴿تَعْبُدُوا إِلَهَكُمْ وَإِلَهَ آبَائِكُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	١٣٣	٣٩٥
٢٢	﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾	١٣٧	٢٠٧
٢٣	﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾	١٤٣	١٠٧
٢٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	١٦١	١١١
٢٥	﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾	١٦٧	١٥٩
٢٦	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٨٣	٥٠
٢٧	﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾	١٨٧	١٦٦، ٦٠
٢٨	﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾	٢٢٢	٣٧٤
٢٩	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾	٢٢٨	٤٠٣
٣٠	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	٦٦
٣١	﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾	٢٣٩	٦٦
٣٢	﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾	٢٤٩	١٣٢، ٥١
٣٣	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٢٥٣	٢٤٤، ٦٥
٣٤	﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾	٢٥٥	٤٩
٣٥	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾	٢٥٧	١١٦
٣٦	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾	٢٥٨	١٢٥



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	الْمَلَكِ ﴿		
٣٧	﴿لِيُظْمِنَ قَلْبِي﴾	٢٦٠	٣٠٢
٣٨	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴿٣٨﴾﴾	٢٦١	١٢٥
٣٩	﴿فَنظَرْنَا إِلَى مِيسِرَةٍ﴾	٢٨٠	٤٥
٤٠	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٢٨٦	٣٧٣

٣-سورة آل عمران

٤١	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَتْ فِيهِ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴿٤١﴾﴾	١٣	١٢٩
٤٢	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٢﴾﴾	٤٠	١٣٩
٤٣	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٣﴾﴾	٥٩	١٣٩، ٣٧٩
٤٤	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	٩٠
٤٥	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾	٨٦	١٤٦
٤٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَهُمْ وَأَوْلِيكَ هُمُ الصَّالُونَ ﴿٤٦﴾﴾	٩٠	١٥١، ١٤٦
٤٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا﴾	٩١	١٤٩
٤٨	﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾	١٠٣	١١٨
٤٩	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ﴾	١٠٦	١٥٤
٥٠	﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾	١٣٩	٢٩٧
٥١	﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾	١٤٣	١٥٧
٥٢	﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي﴾	١٥٤	

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾	١٩٢	١٥٧
٥٤	﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾	١٩٣	
٥٥	﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾	١٩٤	١٦١
٥٦	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾	١٩٥	١٦٢

٤- سورة النساء

٥٧	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١﴾﴾	١	١٤٠
٥٨	﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾	٣	٦٤
٥٩	﴿وَلِدٌ وَوَرِثَةٌ﴾	١١	٣٩٥
٦٠	﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾	١٥	١٦٥
٦١	﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَداؤُهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾	١٦	١٦٥
٦٢	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٤٤٤، ١٤٨
٦٣	﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾	٤٢	٣٢٧
٦٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	١٧٥
٦٥	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَّهَا عَلَىٰ آدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	١٧٠
٦٦	﴿أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	٣٣٠
٦٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾	٥٦	١٧٦
٦٨	﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾	٧٣	١٨٨
٦٩	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِن	٧٨-٧٩	١٨٢، ٧٢



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٣	﴿قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا فَنَعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾	٧٦	٣٩٢
٨٤	﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	١٠٣	٣٣٠
٨٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾	١٠٦	٦٧
٨٦	﴿وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾	١١٠	٣٧٩
٨٧	﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا﴾	١١٣	٣٠٢
٨٨	﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾	١١٦	٢٠٩، ٧٣

٦- سورة الأنعام

٨٩	﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾	١	١١٦
٩٠	﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٣٢٧
٩١	﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَ﴾ ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	٣٣٨
٩٢	﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ءَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾	٦٢	٢١٢
٩٣	﴿وَلَهُ الْمَلِكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾	٧٣	٥٠
٩٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زِرْ﴾	٧٤	٣٩٥
٩٥	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾	٨٢	٥٩
٩٦	﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٥٢	٣٧٤

٧- سورة الأعراف

٩٧	﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾	٤	٢١٧
٩٨	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾	٩	٢٢٢



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٩	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٢٢٨
١٠٠	﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا﴾	٢٠	٣٧٤
١٠١	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾	٢٣	٣٧٥
١٠٢	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾	٢٨	٣٣٣
١٠٣	﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾	٥١	٣٧٥
١٠٤	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوهُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَضَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحِينَ ﴿١٦﴾﴾	٧٩	٢٣٢
١٠٥	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَلْقَوهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٨٥﴾﴾	٨٥	٢٣٨
١٠٦	﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾	٨٩	٣٨٥
١٠٧	﴿فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٧٧﴾﴾	١٠٧	٢٣٨ ، ٦٨
١٠٨	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	١١١	٣٦٩
١٠٩	﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَاقِلِينَ ﴿١١٣﴾﴾	١١٣	٣٦٨
١١٠	﴿قَالَ يَمْحُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَامِي فخذ ما آتيتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾	١٤٤	٢٤١
١١١	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٣٠٦
١١٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾	١٧٢	٢٤٥
١١٣	﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾	١٨٨	٣٩٢

٨- سورة الأنفال

١١٤	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت﴾	٢	٣٠١
١١٥	﴿وَوَلَّطَمِينَ بِهِ قُلُوبُهُمْ﴾	١٠	٣٠٢
١١٦	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾	٢٥	١٧٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	خَاصَّةٌ		
١١٧	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ﴾	٤١	٨١
١١٨	﴿وَأَذِيرِكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾	٤٤	١٣٣، ١٣٣
١١٩	﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٤٥	٣٣٦
١٢٠	﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا﴾	٧٢	٢٥٢، ٢١٣
١٢١	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	٧٤	
١٢٢	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾	٧٥	٢٥٢

٩- سورة التوبة

١٢٣	﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ عِندَ اللَّهِ مُعْجِزُونَ﴾	٢	٧٠
١٢٤	﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُقُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾	٨	٢٥٤
١٢٥	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	٢٩	٢٦٢
١٢٦	﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ﴾	٣٠	٧٩
١٢٧	﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾	٣١	٢٦٦، ٧١
١٢٨	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاهُونَ﴾	٥٤	٢٦٩
١٢٩	﴿قُلْ أَيْدِيكُمْ وَأَعْيُنُهُمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾	٦٥	٢٧٠
١٣٠	﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَٰغِيَةِ مَنَّا نَعُدُّ بِطَٰغِيَةِ بَٰئِنَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾	٦٦	٢٦٩



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿٦٦﴾		
١٣١	﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾	٧٤	٢٧٢
١٣٢	﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	١٠٠	٤٥
١٣٣	﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾	١١٧	٢٧٢

١٠- سورة يونس

١٣٤	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾	٢٤	٣٥٠
١٣٥	﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾	٢٨	٢١٥
١٣٦	﴿وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا﴾	٣٠	٢١٥، ٢١٥
١٣٧	﴿فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾	٣٨	٢٧٩
١٣٨	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾﴾	٦٣	٢١٣
١٣٩	﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ﴾	٨٨	١٧١
١٤٠	﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَافِلِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٩٨	١١٨
١٤١	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾	١٠٤	٢٧٦

١١- سورة هود

١٤٢	﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّنَا نَقْتُلُهِمْ فَمَنْ يَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا لِيَمُنُّوا وَيَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُعَلِّمُ الْكُتُبَ﴾	١٣	٢٧٩
١٤٣	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرْعِيَةَ مَلَأَتْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	٢٨٦
١٤٤	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجْلِي عَلَيْهِ عَذَابٌ مُفِيمٌ﴾	٣٩	٢٨٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤٥	﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾	٤٣	٢٠٧
١٤٦	﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ﴾	٤٥	٢١٩
١٤٧	﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾	٤٦	٣١١
١٤٨	﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْعِي﴾	٧٨	١٥٧
١٤٩	﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾	٨٠	٣٣٦
١٥٠	﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا﴾	٩١	٣٥٩
١٥١	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾	١٠٦	٤٠٨
١٥٢	﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	١٢٣	٧٧

١٢- سورة يوسف

١٥٣	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢	٥٩
١٥٤	﴿إِنِّي لَيَحْزُنُّنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾	١٣	٢٩١
١٥٥	﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعَعِنَا فَاكَلَهُ الذِّمْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾	١٧	٢٨٩
١٥٦	﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٣٧	١١٨، ١١٦
١٥٧	﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٣٨	٣٩٥
١٥٨	﴿إِنَّكُمْ لَسَادِقُونَ﴾	٧٠	٢٩٤
١٥٩	﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِقِينَ﴾	٧٣	٢٩٢
١٦٠	﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾	٨٦	٣٨٣
١٦١	﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾	٨٩	٢٩٥
١٦٢	﴿وَهَذَا أَخِي﴾	٩٠	٢٩٧
١٦٣	﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾	٩٨	٢٨٣
١٦٤	﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٩٩	٢٩٧



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٥	﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾	١٠٠	٣٩٥

١٣- سورة الرعد

١٦٦	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	٣٠١
-----	--	----	-----

١٤- سورة إبراهيم

١٦٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٤	٣٠٤
١٦٨	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْعَلْنِي وَمَنْ أَحْبَبْتَنِي مِنْ عِبَادِكَ الْأَصْنَامَ﴾	٣٥	٣٠٨
١٦٩	﴿رَبِّ إِنَّهُمْ اصْلَحْنَاهُمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ﴾	٣٦	٣٠٩، ٣٩١، ٣٩٢
١٧٠	﴿سَرَّيْنَاهُمْ مِنْ قَطْرَانَ﴾	٥٠	١٧٦، ١٧٩

١٥- سورة الحجر

١٧١	﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾	٢-١	٣٢٠
١٧٢	﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾	١	٣١٣
١٧٣	﴿رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	٢	٣١٧
١٧٤	﴿وَاللَّجَانَ حَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾	٢٧	٣٧٩
١٧٥	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	٣٠	٤٩، ٣٢٢
١٧٦	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾	٩٥	٢٠٨

١٦- سورة النحل

١٧٧	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾	٤٠	١٠٥
١٧٨	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِءَايَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٠٥	٣٢٩
١٧٩	﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾	١٠٦	٣٠٢

١٧- سورة الإسراء

١٨٠	﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	٤٤	٩٤، ٣٥٩
١٨١	﴿لَاخْتِصَيْنَاكَ دَرِيئَةً إِلَّا قَلِيلًا﴾	٦٢	

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٢	﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعْتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكَ وَرَجْحِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ﴾	٦٤	٣٣٣
١٨٣	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	٦٥	٣٣٤
١٨٤	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرُكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾	٧٤	٣٣٥
١٨٥	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾	٧٨	٣٤٤
١٨٦	﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	٧٩	٣٤٠
١٨٧	﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهِنَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾	٨٦-٨٧	٣٤٥
١٨٨	﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾	٨٨	٣٠٦
١٨٩	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكَمًا وَضُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾	٩٧	٣٤٨

١٨- سورة الكهف

١٩٠	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧	٣٥٠
١٩١	﴿وَنَحْسَبُهُمْ آتِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَبِّهُمْ ذَاتَ الْبَيْتِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾	١٨	٣٥٤
١٩٢	﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾	١٩	٣٦٤، ٥٤
١٩٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾	٣٠	٣٥٧
١٩٤	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾	٣١	٣٥٧
١٩٥	﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُودَتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾	٣٦	٧٠



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٦	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٤٦	٣٥٣
١٩٧	﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾	٥٠	٢٥٤
١٩٨	﴿وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾	٥٣	٣٤٨
١٩٩	﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَآقَامَهُ﴾	٧٧	٩٣
٢٠٠	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾	٩٣	٣٥٩

١٩-سورة مريم

٢٠١	﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾	٧	١٣٧
٢٠٢	﴿وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَرُكُودًا ﴿١٣﴾﴾	١٣	٣٦٥
٢٠٣	﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾	١٨	٣٦٢
٢٠٤	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾	٣١	٣٦٤
٢٠٥	﴿يَتَأْتٍ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾	٤٢	٣٩٥
٢٠٦	﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٤١١، ٤١١
٢٠٧	﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾	٩٠	٤٢٥

٢٠-سورة طه

٢٠٨	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾	١٧	٢٤٠
٢٠٩	﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾	١٨	٢٤٠
٢١٠	﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾	٢٠	٢٤٠
٢١١	﴿وَأَحْلَلْ عُقَدَةَ مِنَ لِسَانِي﴾	٢٧	٣٠٤
٢١٢	﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْرِفَ لَنَا خَطِيبَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾	٧٣	٣٦٧
٢١٣	﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ عِضْيِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾	٨١	٣٦٦
٢١٤	﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾	١١٥	٣٧١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٥	﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ﴿١٢١﴾	١٢١	٣٧٥
٢١٦	﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتٰنَا فَنَسِبْتَهُمَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾	١٢٦	٣٧٥

٢١- سورة الأنبياء

٢١٧	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كٰنَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾	٣٠	٣٧٧
٢١٨	﴿وَنَضَعُ الْمَوٰزِينَ الْقِسْطَ﴾	٤٧	٢٢٣
٢١٩	﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وِ كِبْرَهُمْ هٰذَا فَسَآؤُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾	٦٣	٤٣٠
٢٢٠	﴿وَأَسْلِمْنَا السَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾	٨١	٤١٤
٢٢١	﴿* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَآنِي مَسْنَى الضُّرِّ وَآنَتِ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾	٨٣	٣٨٢
٢٢٢	﴿فَآسْتَجِبْنَا لَهُ﴾	٨٤	٣٨٢
٢٢٣	﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾ ﴿١١٢﴾	١١٢	٣٨٥ ، ١٦٤ ، ٨٥

٢٢- سورة الحج

٢٢٤	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾	١١	٣٠٢
٢٢٥	﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾	١٢-١٣	٣٨٩
٢٢٦	﴿وَلٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾	٤٦	٨٦
٢٢٧	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَنُصِّحَ الْأَرْضَ مُخْضَرَّةً﴾	٦٣	٢١٨
٢٢٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ ﴿٧٨﴾	٧٨	٣٩٤

٢٣- سورة المؤمنون



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٩	﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾	١٠١	٣٩٨ ، ٦٦
٢٣٠	﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾ (١٧)	١١٧	٨٦

٢٤- سورة النور

٢٣١	﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢	١٦٧
٢٣٢	﴿أَوَّلًا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣)	١٣	٤٠٢
٢٣٣	﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١١)	٤١	٩٥
٢٣٤	﴿وَاللَّهُ خَاقٌ كُلِّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ﴾	٤٥	٣٧٩

٢٥- سورة الفرقان

٢٣٥	﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢)	١٢	٤٠٥ ، ٣٤٨
٢٣٦	﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣)	١٣	٣٤٨
٢٣٧	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾	٣٣	٥٥

٢٦- سورة الشعراء

٢٣٨	﴿لَئِن أَخَذَتِ الْإِلَهَاءُ عِزِّي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٥١)	٢٩	٣٩١
٢٣٩	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأِعْتِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	٣٦-٣٧	٣٦٩
٢٤٠	﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَلِيلِينَ﴾ (٥١) قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (٤٢)	٤١-٤٢	٣٩١
٢٤١	﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ (٥٥)	٥٥	٤٠٥
٢٤٢	﴿فَأَنهَارٌ كَأَوَّلِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧)	٧٧	٤١٠
٢٤٣	﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤)	٨٤	٣٠٥
٢٤٤	﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٠٥)	١٠٥	٢٢٧
٢٤٥	﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣)	١٢٣	٢٢٧
٢٤٦	﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (١٤٥)	١٩٥	٣٠٤ ، ٥٩
٢٤٧	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾	٢٢٤	٥٠

٢٧- سورة النمل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٨	﴿كَانَهَا جَانٌّ﴾	١٠	٢٤٠، ٢٣٨، ٦٨
٢٤٩	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ التَّمَلِّ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا التَّمَلُّ أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٌ وَجُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٤١٣
٢٥٠	﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٣٨١
٢٥١	﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾	٤٦	١١٤

٢٨- سورة القصص

٢٥٢	﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾	١٥	٢١٧
٢٥٣	﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾	٢٣	٣٩٥
٢٥٤	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٣٩١
٢٥٥	﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾	٦٥	٣٢٨
٢٥٦	﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾	٧٨	٣٢٦

٢٩- سورة العنكبوت

٢٥٧	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾	٢٢	٤١٦
٢٥٨	﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾	٢٥	١١١

٣٠- سورة الروم

٢٥٩	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾	٢٥	٤٢٤
-----	--	----	-----

٣١- سورة لقمان

٢٦٠	﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾	١٤	٣٩٥
-----	------------------------------------	----	-----

٣٣- سورة الأحزاب

٢٦١	﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾	٦	٣٩٥، ٣٩٧
٢٦٢	﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾	٢٣	١٥٥
٢٦٣	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾	٤٠	٤١٩، ٣٩٥، ٧٢
٢٦٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	٥٧	٨٠

٣٤- سورة سبأ

٢٦٥	﴿يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ﴾	١٠	٢٤٦
-----	---	----	-----



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦٦	﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾	٢٠	٢٢٨
٢٦٧	﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾	٣٣	٣٩٢

٣٥-سورة فاطر

٢٦٨	﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْفَفَ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾	٣٦	١٨٠
٢٦٩	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	٤١	٤٢٣

٣٦-سورة يس

٢٧٠	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾	٦٦	١٧١
٢٧١	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٤٢

٣٧-سورة الصافات

٢٧٢	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾	٥	٤٢٦
٢٧٣	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرِيْنَةِ الْكَوْكِبِ﴾	٦	٤٢٦
٢٧٤	﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾	٢٥-٢٤	٣٢٦

٣٨-سورة ص

٢٧٥	﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	٤٢٩
٢٧٦	﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نَجَاتِهِ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٤٣١ ، ٧٣
٢٧٧	﴿إِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾	٤١	٣٨٢
٢٧٨	﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾	٤٤	٣٨٣

٣٩-سورة الزمر

٢٧٩	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مِّثْلَ مَثَانٍ تَقَشُّعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٢٣	٣٠٣
٢٨٠	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾	٣١	٣٢٧
٢٨١	﴿قُلْ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ﴾	٣٨	٣٩٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٢	﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	١٩٦
٢٨٣	﴿لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	٣٣٩
٢٨٤	﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾	٧٤	٢١٩
٤٠- سورة غافر			
٢٨٥	﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾	٧	١٦٤
٤١- سورة فصلت			
٢٨٦	﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ﴾	٤٠	٣٣٣
٢٨٧	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٤٢٨
٤٢- سورة الشورى			
٢٨٨	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	١٨٢، ٧٣
٤٤- سورة الدخان			
٢٨٩	﴿فَاتِمَّا يَسَّرَنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾	٥٨	٣٠٤
٤٦- سورة الأحقاف			
٢٩٠	﴿نُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾	٢٥	٣٨١
٤٧- سورة محمد			
٢٩١	﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾	١١	٢١٢، ٢١٤
٤٨- سورة الفتح			
٢٩٢	﴿لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢	٣٤٢
٢٩٣	﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٢٧	٢٩٧
٥٠- سورة ق			
٢٩٤	﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾	٣	٣٨٩
٢٩٥	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾	٣٠	٤٠٩
٥٢- سورة الطور			
٢٩٦	﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾	١٥	٣٢٦
٢٩٧	﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾	٢٥	٥٤



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣- سورة النجم			
٢٩٨		﴿قَاوِحٰی اِلٰی عَبْدِهٖ مَا اُوْحٰی ﴿١٠﴾﴾	٢٤٣
٥٥- سورة الرحمن			
٢٩٩		﴿وَأَقِمْوْا لِّلْوِزْنِ اِلْقَاسِطَ﴾	٢٢٢
٣٠٠		﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾	٤٢٦، ٦٨
٣٠١		﴿اِنۡ اَسْتَضَعُّمۡ اَنْ تَنفُدُوْا مِنْ اَفْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فَأَنفُدُوْا﴾	٤١٨
٣٠٢		﴿فِيَوْمَئِذٍ لَا يُسْعَلُ عَنْ ذَنْبِهٖٓ اِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٦﴾﴾	٣٢٥
٥٦- سورة الواقعة			
٣٠٣		﴿اِنَّا اَنْشَاْنَهُنَّ اِنْشَاً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ اَبْكَارًا﴾	٢١٨
٥٧- سورة الحديد			
٣٠٤		﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنٰتِ ﴿٥٥﴾﴾	١٢٣
٦٤- سورة التغابن			
٣٠٥		﴿ذٰلِكَ بِاَنَّهُ كَانَتْ تَاْتِيْهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ﴾	٢٣٥
٦٦- سورة التحريم			
٣٠٦		﴿وَاِنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلٰحُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾	٢١٤
٣٠٧		﴿يَوْمَ لَا يُجْزِي اللّٰهَ التَّيِّبَ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ﴾	١٦٣، ١٥٩، ١٥٧
٣٠٨		﴿وَمَرْيَمَ اَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِيْ اَحْصَيْنٰتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمٰتِ رَبِّهَا وَكُنْتَبِهَا وَكَانَتْ﴾	٢٧٧
٦٧- سورة الملك			
٣٠٩		﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾	٤٠٨
٣١٠		﴿اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيْرٌ﴾	٣٢٦
٧٢- سورة الجن			
٣١١		﴿عَلَيْهِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلٰی غَيْبِهٖٓ اَحَدًا ﴿١١﴾﴾	٤٩
٧٣- سورة المزمل			
٣١٢		﴿فُرُّ اَيْلًا اِلَّا قَلِيْلًا ﴿١﴾ نِصْفَهُٓ اَوْ اَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيْلًا ﴿٣﴾﴾	٣٤٢
٣١٣		﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	٤٢٦، ٦٨
٧٦- سورة الإنسان			
٣١٤		﴿اِنَّمَا نَطَعُمْ لِرُوْحِهِ اللّٰهِ﴾	٨٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٧-سورة المرسلات			
٣١٥	﴿وَأَلْمَسَتِ عُرْفًا﴾ ^(١)	١	٦١
٣١٦	﴿فَأَلْعَصَفْتُ﴾	٢	٦١
٣١٧	﴿فَإِذَا التُّجُومُ طُمَسَتْ﴾ ^(٨)	٨	١٧٠
٣١٨	﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ^(١٠)	٢٠	٣٨٠
٣١٩	﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ^(٣٥)	٣٥	٣٢٧
٧٩-سورة النازعات			
٣٢٠	﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ^(١٠)	٢٤	٣٩١
٨٠-سورة عبس			
٣٢١	﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾	٢١	٢١٧
٣٢٢	﴿وَفَكَّهُمَ آدَامًا﴾ ^(٣١)	٣١	٦١
٣٢٣	﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ آخِيهِ﴾ ^(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾	٣٤-٣٥	٤٠٠
٣٢٤	﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ^(٣٥)	٣٥	٣٩٥
٣٢٥	﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾ ^(٣٧)	٣٧	٤٠٠
٨٢-سورة الانفطار			
٣٢٦	﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾	١٩	٥٠
٨٣-سورة المطففين			
٣٢٧	﴿وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ لِيُنْفِئَهُمْ مِنْ حَمِلِشْوَابِ﴾ ^(٣)	٣	٢٢٢
٣٢٨	﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ ^(٣٢)	٣٢	٢٨٧
٣٢٩	﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ^(٣٤)	٣٤	٢٨٧
٨٤-سورة الانشقاق			
٣٣٠	﴿وَأَمَّا مَنْ أَوَّكَىٰ كِتَابَهُ، وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ﴾ ^(١٠)	١٠	١٧٣
٨٦-سورة الطارق			
٣٣١	﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ^(٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ^(٧)	٦-٧	٣٨٠
٨٧-سورة الأعلى			
٣٣٢	﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾	٥	٢١٨
٩٠-سورة البلد			
٣٣٣	﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٧	١٤٠
١٠٤-سورة الهمة			
٣٣٤	﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ^(٨)	٨	٣٥٥



م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٠-سورة النصر			
٣٣٥		١	٥٩

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث	٢
٤٠٥	((انقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتقاخ أوداجه وحمرة عينيه))	١
٢٤٧	((أخذ الله - تبارك وتعالى - الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٣٦﴾))	٢
١٢٧	((إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها))	٣
٤٣٣	((إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر))	٤
١١٨	((أشهد أن لا إله إلا الله، فقال على الفطرة، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال خرج من النار))	٥
١١٨	((أقبل على أصحابه فقال: تتهافتون في النار تهافت الجراد، وها أنا آخذ بحجزكم))	٦
٣٤٥	((اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس؟ ر))	٧
٣٤٦	((أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يسرى عليه ليلاً فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً ثم يفيضون في الشعر))	٨
٢٠٢	((المستبان ما قالاً فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم))	٩
٤١٩	((إن ابني هذا سيد؟))	١٠
٣٧٣	((إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان وما استكرهوا عليه))	١١
٢٧٣	((إن الله تعالى ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة))	١٢
١٤٣	((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة))	١٣
٩٥	((أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر الى أحد، قال هذا جبل يحبنا ونحبه))	١٤
٤٠	((إن رجالاً يأتيونكم من أقطار الأرض يتفقون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً))	١٥



م	طرف الحديث	الصفحة
١٦	((أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله-تعالى-: ﴿وَفِيكُمْ وَأَبْنَا﴾ ما الأب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف))	٦١
١٧	((إن محمداً تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله هذه الآية))	٤٢٠
١٨	((أن نار جهنم فضلت على نار الدنيا بسبعين جزءاً))	٤٠٧
١٩	((إنما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا اتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه))	٣٩٧
٢٠	((إنما أنا لكم مثل الوالد لوالده))	٣٩٤
٢١	((إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي))	٣٧٢
٢٢	((أنه صلى يوم الخندق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق؟))	٦٦
٢٣	((أنه لما بلغته دعوة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على أخته وأعطاهها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقدم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه))	٢٦٤
٢٤	((إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن))	٩٥
٢٥	((أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة))	١٤٣
٢٦	((بال جرير، ثم توضأ، ومسح على خُفَيْهِ فقيل: تفعل هذا، فقال: نعم، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال، ثم توضأ، ومسح على خُفَيْهِ،))	٢٠٦
٢٧	((بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتوني وصدقتني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس، وقاتلتوني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم))	٢٣٤
٢٨	((ترجع بإثمي وإثمك الذي عملت فتستوجب النار، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم))	٢٠٢
٢٩	((توضأ فغسل وجهه ويديه))	٢١٧
٣٠	((ثلاث علي فريضة ولأمتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك))	٣٤٣
٣١	((ثلاث هن علي فرائض ولكم سنة، الوتر والسواك وقيام الليل))	٣٤٢
٣٢	((خمس صلوات فرضهن الله على العباد))	٣٤١
٣٣	((رب لم أظن أن يرفع عليّ أحداً))	٢٤٢

م	طرف الحديث	الصفحة
٣٤	((رفع القلم عن ثلاث))	٣٧٣
٣٥	((فلما رآهم دمعت عيناه، ثم قال: كلاب النار كلاب النار، هؤلاء لشر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء))	١٥١
٣٦	((قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء))	٢٦٩
٣٧	((قال: ما الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر))	١٢٤
٣٨	((قرأ: ﴿وَفَكَهَأَ وَإِنَّا﴾ [سورة عبس ٣١/٨٠]. قال: ما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا هذا. أو قال: ما أمرنا بهذا))	٦١
٣٩	((قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل))	٣٨٣
٤٠	((قوم كانوا كفروا بعبسى فآمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قال: هم قوم آمنوا بعبسى فلما بُعث محمد كفروا به))	١١٧
٤١	((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض))	١٠٥
٤٢	((كان الله، ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض))	١٤٣
٤٣	((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة))	١٠٥
٤٤	((كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي))	٣٩٨
٤٥	((كل شيء خلق من ماء))	٣٧٧
٤٦	((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم))	٢٢٤
٤٧	((كما ألبس النبي - صلى الله عليه وسلم - ثوبه لعبد الله بن أبي بن سلول، حين مات ودفنه فيه، قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه، فجازاه النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك بذلك))	١٩٩
٤٨	((كنا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر))	٥١
٤٩	((كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في	٦٧



٢	طرف الحديث	الصفحة
	بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها))	
٥٠	((كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر؟))	٥١
٥١	((لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل))	٣٤٧
٥٢	((لعن من أوى محدثا))	٢٩٨
٥٣	((لما صور الله تعالى آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر إليه))	٢٣٠
٥٤	((لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام ٨٢/٦]. شق ذلك على أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: ((٥٩
٥٥	((ليسرين على القرآن في ليلة فلا يترك آية في مصحف أحد إلا رفعت))	٣٤٦
٥٦	((لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم قال قلت يا ابا عبد الرحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا وأثبتناه في مصاحفنا قال))	٣٤٦
٥٧	((ما الصور؟ قال: "قرن ينفخ فيه))	٥٠
٥٨	((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))	١٢٠
٥٩	((ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر،))	٢٣٧
٦٠	((ما بيكيك، قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟))	٢٢٤
٦١	((ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحجر، رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة))	٩٩
٦٢	((من شكأ إلى الله لم يعد ذلك بشكوى ولا جزع، ألم تسمع قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾))	٣٨٣
٦٣	((نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن.، قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي))	٢٧٧
٦٤	((نزلت في زيد بن حارثة))	٤٢٠
٦٥	((هن خمس وهن خمسون" ما يبذل القول لدي))	٣٤٣
٦٦	((هو نمرود كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه، قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت!)	١٢٣
٦٧	((وارأساه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بل أنا وارأساه))	٣٨٤

الصفحة	طرف الحديث	٢
٢٣٢	((والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون))	٦٨
٢١٠	((والناس يسمعون فراجعه بما قد رأيت فأقرّ له بالعبودية على نفسه فعلم مَنْ كان يقول في عيسى ما كان يقول أنه إنما كان يقول باطلاً))	٦٩
٢٩٩	((وإنا إن شاء الله بكم لاحقون))	٧٠
٣٤٦	((ولينزعن القرآن من بين أظهركم يسري عليه ليلا فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء))	٧١
٢٤٦	((يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به؟))	٧٢
١٠٩	((يقول الله -جل ثناؤه-: مرضت فلم يعدني عبدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني))	٧٣
٣٣٧	((اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين))	٧٤
٢٧٢	((الندم توبة))	٧٥
١٢٧	((جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة))	٧٦
٣١٩	((رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة))	٧٧
١٩٦	((قال رجل: يا رسول الله، أتؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: "من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر))	٧٨
٦٦	((كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي))	٧٩
١٩٩	((لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي))	٨٠
٦٠	((لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة ١٨٧/٢]. عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض))	٨١
٢١٥	((من كنت مولاه، فعلي مولاه))	٨٢
٣٠٩	((ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام))	٨٣
٣٤٦	((يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى صيام، ولا صدقة، ولا نسك))	٨٤



فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	م
٢٩	إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي، أبو اسحاق الشيرازي	.١
٢٩٨	ابن أبي العز	.٢
٩٣	ابن أبي حاتم	.٣
٢٦٦	ابن الأثير	.٤
٤٦	ابن الانباري	.٥
٦٦	ابن الجوزي	.٦
١٠٠	ابن السري	.٧
١٠١	ابن العربي	.٨
١٧٣	ابن الفرس الأندلسي	.٩
٧٨	ابن القيم	.١٠
٢٥١	ابن بطل	.١١
٢٥٢	ابن بطة	.١٢
٣٦	ابن تيمية	.١٣
١٦٤	ابن جبير	.١٤
١٧٤	ابن جريج	.١٥
٦٤	ابن جرير	.١٦
٥٤	ابن جُزَيّ	.١٧
٢٢٣	ابن حجر	.١٨
٣٠	ابن حزم الظاهري	.١٩
١١	ابن خلكان	.٢٠
٣٨٩	ابن رجب الحنبلي	.٢١
٢٣١	ابن سيده	.٢٢

الصفحة	العلم	م
١٤٥	ابن عادل	.٢٣
٤٤	ابن عاشور	.٢٤
١٣٠	ابن عجيبة	.٢٥
٥٥	ابن عرفة المالكي	.٢٦
٣٤٣	ابن عقيل	.٢٧
٥٣	ابن فارس	.٢٨
٥٢	ابن فورك	.٢٩
٨٣	ابن قتيبة	.٣٠
٢١	ابن كثير	.٣١
١٣٤	ابن كيسان	.٣٢
٢٣١	ابن منظور	.٣٣
٢٠	ابن نقطة	.٣٤
٢٢٥	ابن هشام	.٣٥
١١٦	ابو السعود	.٣٦
١١٥	أبو العالية	.٣٧
٣٠	أبو القاسم الجرجاني	.٣٨
٣٠	أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي	.٣٩
٢٩	أبو بكر البيهقي	.٤٠
٣٠	أبو بكر الخطيب البغدادي	.٤١
٦٨	أبو جعفر النحاس	.٤٢
٥٤	أبو حيان	.٤٣
٩١	أبو زهرة	.٤٤
١٣٦	أبو شامة	.٤٥
٤٦	أبو عبيدة	.٤٦
٤١٥	أبو هلال العسكري	.٤٧
١٨٣	أحمد بن حنبل	.٤٨
٢٩	أحمد بن عبدالله بن احمد الأصبهاني	.٤٩



الصفحة	العلم	م
٧	أحمد بن عبد الملك النيسابوري	.٥٠
٤٦	الأخفش	.٥١
١٦	أسعد بن احمد بن يوسف، ابو الغنائم	.٥٢
١٤١	الأصم	.٥٣
٧٨	الألوسي	.٥٤
١٢٩	امرؤ القيس	.٥٥
٢٦٨	البخاري	.٥٦
١٠	البعوي	.٥٧
٣٢٧	البقاء العكبري	.٥٨
٩٣	البقاعي	.٥٩
٣٧	بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي	.٦٠
٧٦	البيضاوي	.٦١
٨٥	الثعالي	.٦٢
٢٩	الثعلبي	.٦٣
٩٧	الجبائي	.٦٤
٢٢٦	الجرمي	.٦٥
٢٣٠	الجوهري	.٦٦
٣٠	الجويني	.٦٧
٤٢٥	حسان بن ثابت	.٦٨
١٤	حسان بن سعيد المنيعي	.٦٩
١٤١	الحسن البصري	.٧٠
٤٤	الحسن بن علي بن حمزة الكسائي	.٧١
١٦	الحسن بن مسعود ابن الفراء البغوي	.٧٢
١٣	الحسين بن محمد المروزي	.٧٣
٤٣٢	الحليمي	.٧٤
٣٠	حمزة بن يوسف الجرجاني	.٧٥
٢٢	الخازن	.٧٦

الصفحة	العلم	م
٣٣١	الخليل	.٧٧
٢٢	الداودي	.٧٨
١٢	الذهبي	.٧٩
٨٣	الرازي	.٨٠
٥٤	الراغب الأصفهاني	.٨١
١١٦	الربيع	.٨٢
٢٢٧	الرضي	.٨٣
٤٦	الزجاج	.٨٤
٢١٤	الزرقاني	.٨٥
٥٥	الزركشي	.٨٦
٨٢	الزرخشري	.٨٧
١٧٥	زيد بن أسلم	.٨٨
١٣	السبكي	.٨٩
٤٩	السدي	.٩٠
٢٦٤	السرخسي	.٩١
٦٨	السعد	.٩٢
٩٣	السعدي	.٩٣
١٦٣	سعيد بن المسيب	.٩٤
٢٢٣	السفاريني	.٩٥
١٤١	سفيان بن عيينة	.٩٦
١٦٥	سليمان الدمشقي	.٩٧
١٠٥	السمرقندي	.٩٨
١٠	السمعاني	.٩٩
٨٧	السمين الحلبي	.١٠٠
٣٢٧	سيبويه	.١٠١
٩١	سيد طنطاوي	.١٠٢



الصفحة	العلم	م
٦١	السيوطي	.١٠٤
٥٩	الشاطبي	.١٠٥
٢٦٨	الشافعي	.١٠٦
٨٧	الشنقيطي	.١٠٧
٧٨	الشوكاني	.١٠٨
١٥	صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن	.١٠٩
٩١	صديق حسن خان	.١١٠
٢١	الصفدي	.١١١
٢٢	طاش كبرى زاده	.١١٢
١٩٥	الطرماح بن حكيم	.١١٣
٢٠٨	الطستي	.١١٤
٣١	الطوسي	.١١٥
٥٣	الطبي	.١١٦
١٢٠	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	.١١٧
١٧	عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الليثي	.١١٨
١٥	عبد الرحمن بن محمد بن المظفر	.١١٩
٤٣	عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدني	.١٢٠
٣٧٦	عبد العزيز بن أبان	.١٢١
١٧	عبد القاهر بن عبد الله بن محمد البكري	.١٢٢
٤١	عبد الله بن الزبيري	.١٢٣
٤٣	عبد الله بن كثير الداري المكي	.١٢٤
١٤	عبد الواحد بن أحمد المليحي	.١٢٥
١٦	عبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي	.١٢٦
٩٦	العز بن عبدالسلام	.١٢٧
١٤٩	عطاء الخراساني	.١٢٨
١٣٩	عكرمة	.١٢٩
١٥	علي بن يوسف الجويني	.١٣٠

الصفحة	العلم	م
٢٦٠	العلمي	.١٣١
٤٤	عمارة حمزة بن حبيب الزيات	.١٣٢
١٦	عمر بن الحسين، أبو القاسم الرازي	.١٣٣
١٥	عمر بن عبد العزيز الفاشاني	.١٣٤
٤٣	عمران عبد الله بن عامر الشامي	.١٣٥
٤٣	عمرو بن العلاء	.١٣٦
١٣٤	الفراء	.١٣٧
١٦	فضل الله ابن الحافظ أبي سعيد	.١٣٨
٢٣٣	الفيروزآبادي	.١٣٩
٣٧	الفيومي	.١٤٠
٩٦	القاسمي	.١٤١
٣٤٧	القاضي عياض	.١٤٢
١٠٤	قتادة	.١٤٣
٦٥	القرطبي	.١٤٤
١٤	القشيري	.١٤٥
١٠٣	قطرب	.١٤٦
٣٦	الكتاني	.١٤٧
١١٥	الكيا الهراسي	.١٤٨
١٥٧	مالك	.١٤٩
٨١	الليثاني	.١٥٠
٦٢	الماوردي	.١٥١
٣٣١	المبرد	.١٥٢
١٦	مجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد	.١٥٣
١٠	محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي	.١٥٤
٤٢	محمد بن أحمد بن علي المقرئ المروزي	.١٥٥
١٧	محمد بن الحسين ابن محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب المروزي	.١٥٦
٣٩	محمد حسين الذهبي	.١٥٧



الصفحة	العلم	م
٤٣	محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري	.١٥٨
٣١٠	معن بن أوس المزني	.١٥٩
١٧٥	المراغي	.١٦٠
١٢٦	المظهري	.١٦١
١١٦	مقاتل	.١٦٢
٧٧	مكي بن أبي طالب	.١٦٣
٧٦	النسفي	.١٦٤
١٩	النووي	.١٦٥
٩٥	النيسابوري	.١٦٦
٧٧	الواحدي	.١٦٧
١١٩	الواقدي	.١٦٨
١١	ياقوت الحموي	.١٦٩
٤٣	يزيد بن القعقاع المدني	.١٧٠
١٤	يعقوب بن أحمد الصيرفي	.١٧١

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت الشعري	الصفحة
١	أتوعدني والمشرقي مضاجعي	١٢٠
٢	قل لمن ساد ثم ساد أبوه	١٣٥
٣	أشم كثير يدي النوال	١٨٤
٤	فقلت: يمين الله أبرح قاعداً	١٩٩
٥	رهبان مدين لو رأوك تنزلوا	٢٥٨
٦	لعمرك ما أدري، وإني لأوجل	٢٩٧
٧	ألا ربما أهدت لك العين نظرة	٣١٤
٨	فيا رب يوم قد هوت و ليلة	٣١٤
٩	ربما أوفيت في علم	٣١٥
١٠	إن الخليفة إن الله ألبسه	٣٥٣
١١	ورأيت زوجك في الوغى	٤٠٠
١٢	علفتها تبناً وماءً بارداً	٤٠١



م	المصادر والمراجع
١	الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
٢	الإبانة الكبرى لابن بطة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة (ت: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، وآخرين، دار الزاوية للنشر والتوزيع، الرياض.
٣	إتمام الدراية لقراء النقاية، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: الشيخ إبراهيم العجوز، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
٤	الإحكام في أصول الأحكام، أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان
٥	الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٦	أحكام القرآن: لأبي بكر ابن العربي - راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا (ط٣ بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٢٤هـ).

٧	أحكام القرآن: لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، (ط ١ - بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ).
٨	أحكام القرآن: لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري المعروف بالكنيا الهراسي الشافعي تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية (ط ٢)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ).
٩	أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، تحقيق الجزء الأول: د. طه بن علي بو سريح، تحقيق الجزء الثاني: د/ منجية بنت الهادي النفري السويحي، تحقيق الجزء الثالث: صلاح الدين بو عفيف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
١٠	أخبار الامراء والملوك السلجوقية تحقيق د. محمد نورالدين، (ص ٢-٤).
١١	الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب
١٢	ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
١٣	أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م



١٤	الأسماء والصفات، للبيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر : مكتبة السوادي - جدة.
١٥	الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م
١٦	الإشكالات التي أجاب عنها ابن جرير الطبري في تفسيره جمعًا ودراسة بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن إعداد الطالب عبدالملك إبراهيم عبدالله الأهدل.
١٧	الاصطفاء في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، أم هاني بنت صلاح الدين.
١٨	أصول الفقه الذي لا يسعُ الفقيه جهلُهُ: لعياض بن نامي بن عوض السلمي، الناشر: دار التدمرية، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٩	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ).
٢٠	الأضداد، لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)
٢١	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لمحمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٢ هـ
٢٢	إعراب القرآن، لأبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار

	الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
٢٣	الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م
٢٤	أعلام الحنابلة في أصول الفقه، إبراهيم عبد الله آل إبراهيم، قسم أصول الفقه - كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٧هـ، يونيو ١٩٩٦ م
٢٥	إغاثة الطالب بتراجم القراء، الشيخ فائز عبد القادر شيخ الزور (ص ٢١).
٢٦	إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١)، حققه: محمد عزيز شمس، خرج أحايثه: مصطفى بن سعيد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ
٢٧	الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية
٢٨	أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
٢٩	إنباء الغمر بأبناء العمر: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق: د حسن حبشي (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م)
٣٠	الانتصار لسبويه على المبرد، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن ولاد التميمي النحوي (المتوفى: ٣٣٢ هـ)، تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



٣١	الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٣٢	أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، د. عبد الرحمن المطرودي،: دار عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩١م
٣٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (ط ١) - بيروت - دار إحياء التراث العربي ١٤١٨ هـ).
٣٤	أيسر التفاسير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٣٥	الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٣٦	بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.
٣٧	البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٣٨	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.
٣٩	بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
٤٠	البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار هجر للطباعة والنشر، ط ١، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٤١	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (بيروت - دار المعرفة).
٤٢	البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٤٣	البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
٤٤	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٤٥	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،



	تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان / صيدا.
٤٦	بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاطط لصناعة الكتاب، ط ٢، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
٤٧	البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ط ١، دار سعد الدين للطباعة، ١٤٢١هـ).
٤٨	التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
٤٩	تاج العروس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ب ط، ب سنة النشر
٥٠	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، سنة ٢٠٠٣م
٥١	تاريخ بغداد: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي تحقيق: د. بشار عواد معروف (ط ١ - بيروت - دار الغرب الإسلامي ١٤٢٢هـ).
٥٢	تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد العيد، (ص ١٠٦).
٥٣	تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر

	للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٥٤	تاريخ دولة آل سلجوق، للأصفهاني، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي الاصفهاني، بيروت (ص ٢٧٦).
٥٥	تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق.
٥٦	تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري تحقيق: إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان)
٥٧	التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي.
٥٨	التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، -، ب ط، سنة ١٩٩٧م
٥٩	تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
٦٠	تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ويليها -فائت التسهيل، لصالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين، النجدي القصيمي البُردي (١٣٢٠ هـ - ١٤١٠ هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
٦١	التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله،



	ابن جزي الكلبي الغرناطي. تحقيق: د. عبد الله الخالدي (الطبعة الأولى، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).
٦٢	تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم القريوتي، الناشر: مكتبة المنار - عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣
٦٣	تفسير ابن عرفة: لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبي عبد الله تحقيق: جلال الأسيوطي (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)
٦٤	تفسير ابن فورك، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، الناشر: جامعة أم القرى الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.
٦٥	التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: ١٥ رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي، ط١، سنة ١٤٣٠هـ
٦٦	التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي، الناشر: دار الوضاح، الأردن - عمان
٦٧	تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.
٦٨	تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكريم: لأبي السعود

	العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
٦٩	تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري الشافعي، إشراف: د. هاشم محمد مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٧٠	تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت: ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م
٧١	تفسير القرآن: لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ)، قدم له د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق: د. سعد بن محمد السعد، النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٧٢	تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، الرازي تحقيق: أسعد محمد الطيب (ط٣)، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز - ١٤١٩ هـ).
٧٣	تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط٢)، دار طيبة للنشر والتوزيع (١٤٢٠هـ).
٧٤	تفسير القرآن: لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ).
٧٥	تفسير الماوردي = النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي تحقيق: السيد ابن عبد المقصود



	بن عبد الرحيم (بيروت - دار الكتب العلمية)
٧٦	تفسير مقاتل: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي. تحقيق: عبد الله محمود شحاتة. بيروت ط ١ - ١٤٢٣هـ - دار إحياء التراث).
٧٧	تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م).
٧٨	التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة
٧٩	التفسير اللغوي للقرآن الكريم، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ
٨٠	تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي (الطبعة الأولى بيروت - دار الكلم الطيب ١٤١٩هـ).
٨١	التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.
٨٢	تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م،
٨٣	التفسير والمفسرون، ل د. محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة،

ب ط، ب سنة النشر	
٨٤	التقييد لمعرفة رواة السنن والمسائيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ) كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
٨٥	تكملة الإكمال، محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤١٠ ت: د. عبد القيوم عبد رب النبي الطبعة: الأولى.
٨٦	التمام في تفسير أشعار هذيل (مما أغفله أبو سعيد السكري)، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: أحمد ناجي القيسي - خديجة عبد الرازق الحديثي - أحمد مطلوب، مراجعة: د. مصطفى جواد، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م
٨٧	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، النشر: ١٣٨٧ هـ
٨٨	تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان
٨٩	تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند).



٩٠	تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، (٢٠٠١م).
٩١	التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت/ دمشق، ط ١، سنة ١٤١٠هـ
٩٢	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: عبد الرحمن اللويحق (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)
٩٣	جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٩٤	الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
٩٥	الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، كلية الشريعة - جامعة دمشق
٩٦	الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م

٩٧	جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، عام النشر: ١٩٦٦ م
٩٨	الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م
٩٩	جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، العلم للملايين - بيروت، ط ١، سنة ١٩٨٧ م
١٠٠	الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
١٠١	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لثقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - (دار العاصمة، السعودية ط ٢، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م).
١٠٢	الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
١٠٣	الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (ط١- بيروت- دار إحياء التراث العربي ١٤١٨ هـ).



١٠٤	الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، تحقيق الناشر: مير محمد كتب خانة، مكان النشر كراتشي.
١٠٥	الإحاطة في أخبار غرناطة، لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ
١٠٦	الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي مراجعة: عبد العزيز رباح دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
١٠٧	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩ هـ).
١٠٨	الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، فاضل الخالدي، دار الاديب، مطبعة الايمان، (ص ١٧٥).
١٠٩	خزانة الأدب وغاية الأرب: لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرازي (ت: ٨٣٧هـ): تحقيق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤ م
١١٠	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، سنة النشر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م

١١١	الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨٩٣ هـ)، المحقق: سعيد بن غالب المجيدي، رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
١١٢	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق
١١٣	الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي (بيروت - دار الفكر).
١١٤	دفع إيهام الاضطراب عن آيات: لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ط١)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة ١٤١٧ هـ).
١١٥	دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ هـ
١١٦	دولة السلاجقة د. عبدالمنعم حسنين، (ص ١٤-١٥).
١١٧	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩ هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.



١١٨	ديوان امرئ القيس: لامرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني أكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي (دار المعرفة بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م).
١١٩	ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، المحقق: د. نعمان محمد أمين طه الناشر: دار المعارف، القاهرة - مصر.
١٢٠	ديوان زهير بن أبي سلمى: لزهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن إلياس بن نصر بن نزار، من مضر (ت: ١٣ ق. هـ ٦٠٩ م)
١٢١	ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣، سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
١٢٢	ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٢٣	ذيل طبقات الحنابلة: لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثمّ الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥ م).
١٢٤	رجال المعلقات العشر، لمصطفى بن محمد سليم الغلابيني.
١٢٥	الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الكتاني (ت: ١٣٤٥هـ)، محمد المنتصر الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: (٦) ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٢٦	رفع الإصر عن قضاة مصر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
١٢٧	روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ
١٢٨	روح البيان: لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (بيروت - دار الفكر)
١٢٩	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي أبي الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ب ط، ب سنة النشر
١٣٠	الرد على الجهمية والزنادقة: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
١٣١	زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٤هـ
١٣٢	زاد المعاد في هدي خير العباد: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ط٢٧)، بيروت، مؤسسة الرسالة، - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م
١٣٤	زهرة التفاسير: لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (دار الفكر العربي).



١٣٥	زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م
١٣٦	كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ
١٣٧	سلاجقة إيران والعراق عبدالمنعم حسنين، (ص ١٨).
١٣٨	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (ط ١ الرياض - مكتبة المعارف).
١٣٩	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (ط ١، الرياض - السعودية، دار المعارف، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
١٤٠	سنن ابن ماجه: لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي).
١٤١	سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية، صيدا - بيروت).

١٤٢	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (القاهرة، مطبعة بولاق (الأميرية)، ١٢٨٥هـ).
١٤٣	سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
١٤٤	شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
١٤٥	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير - دمشق، ب ط، سنة ١٤٠٦هـ
١٤٦	شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ابن عقيل: لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار التراث - القاهرة، ط ٢٠، دار مصر للطباعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)
١٤٧	شرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، (ت: ٦٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)
١٤٨	شرح ديوان الحماسة، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت.



١٤٩	شرح الرضي على الكافية لمحمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (مصدر الكتاب: موقع يعسوب).
١٥٠	شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
١٥١	شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، ت: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
١٥٢	شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.
١٥٣	شرح المعلقات السبع للزوزني، الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، دار: احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
١٥٤	شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ،
١٥٥	شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

١٥٦	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
١٥٧	الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي السعودية
١٥٨	الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
١٥٩	صحيح الجامع الصغير وزياداته: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المكتب الإسلامي).
١٦٠	الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله (ط١، الرياض، دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)
١٦٢	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (بيروت- منشورات دار مكتبة الحياة)
١٦٣	طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت
١٦٤	طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٧ هـ
١٦٥	طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، ط ٢، سنة ١٤١٣ هـ



١٦٦	طبقات الشافعية، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط ١، سنة ٢٠٠٠م
١٦٧	طبقات علماء الحديث، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٧٤٤ هـ)، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ
١٦٨	طبقات الفقهاء الشافعية، لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، المحقق: محيي الدين علي نجيب: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م
١٦٩	طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢ هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر: دار المدني - جدة
١٧٠	طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأذنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، سنة ١٩٩٧م
١٧١	طبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١، سنة ١٣٩٦ هـ
١٧٢	طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت، ب ط، ب سنة النشر
١٧٣	طبقات النسابين: لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩ هـ) (دار الرشد،

	الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
١٧٤	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م
١٧٥	العَدْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر أبو زيد: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ.
١٧٦	العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
١٧٧	عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت
١٧٨	العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
١٧٩	غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، ب ط، ب سنة النشر
١٨٠	غرائب القرآن ورجائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي



	النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
١٨١	غرائب التفسير وعجائب التأويل: لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (دار القبله للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت).
١٨٢	غريب الحديث للخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر - دمشق.
١٨٣	فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي قام بإخراجه وتصحيحه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز (بيروت - دار المعرفة، ١٣٧٩ م).
١٨٤	فتح البيان في مقاصد القرآن: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني القنوجي (بيروت-المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ).
١٨٥	فتح الرحمن في تفسير القرآن، لمجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٨٦	فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، سنة ١٤١٤ هـ

١٨٧	فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ) تحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، إشراف: د. محمد عبد الرحيم الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
١٨٨	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
١٨٩	الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر
١٩٠	فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: مروان العطية وآخرون، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط ١، سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
١٩١	فضائل القرآن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ): مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ
١٩٢	القاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، (ط ٨، بيروت - لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
١٩٣	قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، لأبي محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ)، دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م



١٩٤	القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، لعبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
١٩٥	القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين، لفهد بن عبد الله الحزمي.
١٩٦	الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن الأثير، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
١٩٧	الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
١٩٨	كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال).
١٩٩	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ط٣- بيروت- دار العربي ١٤٠٧ هـ).
٢٠٠	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني (حاجي خليفة)، مكتبة المثنى - بغداد، ب ط، سنة ١٩٤١م
٢٠١	الكلديات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ب ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
٢٠٢	لطائف الإشارات = تفسير القشيري: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ط٣- مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب).

٢٠٣	اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٢٠٤	لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٢٠٥	لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية: لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ط. مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق ط ٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)
٢٠٦	المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة - بيروت، النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
٢٠٧	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصللي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية - بيروت.
٢٠٨	مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سزكين (القاهرة - ١٣٨١ هـ - مكتبة الخانجي).
٢٠٩	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ).



٢١٠	مجموع الفتاوى: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم(المدينة النبوية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ).
٢١١	محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية - ١٤١٨هـ)
٢١٢	المحرر الوجيز في تفسير العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).
٢١٣	المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢١٤	مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ب ط، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
٢١٥	المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى.
٢١٦	مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، للدكتور حسين بن علي الحربي، دار ابن الجوزي بالدمام الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
٢١٧	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي،

	الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٢١٨	المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة -، ١٤٠١ هـ)
٢١٩	مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (ت: ٧٦٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٢٢٠	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
٢٢١	المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (ط١- بيروت- دار الكتب العلمية ١٤١١ هـ).
٢٢٢	مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، مسند جابر بن عبد الله، رقم الحديث (١٤٢٦٤) الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٢٢٣	مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي ابراهيم (ط١، المنصورة، دار الوفاء - ١٤١١ هـ).



٢٢٤	المشترك اللفظي في الحقل القرآني، لعبد العال سالم مكرم، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧
٢٢٥	مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
٢٢٦	مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ت: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.
٢٢٧	مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ): مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
٢٢٨	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (المكتبة العلمية - بيروت).
٢٢٩	المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، ط ٢، ١٤٠٣هـ
٢٣٠	معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش (ط ٤ دار طيبة ١٤١٧ هـ).
٢٣١	معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ط ١، بيروت، عالم الكتب - ١٤٠٨ هـ)

٢٣٢	معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني (ط١، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ).
٢٣٣	معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (ط١، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة)
٢٣٤	معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
٢٣٥	معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر - بيروت، ط٢، سنة ١٩٩٥م
٢٣٦	معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد، (١١٢٠/٢).
٢٣٧	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب - بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٣هـ
٢٣٨	معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
٢٣٩	معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ب ط، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٢٤٠	معجم المؤلفين: لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي



	(بيروت - مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي).
٢٤١	المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، (١ / ٤١١).
٢٤٢	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٢٤٣	المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي (ط١، بيروت - لبنان - دار ابن حزم ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م)
٢٤٤	المغني: لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد، الشهرير بابن قدامة المقدسي (مكتبة القاهرة).
٢٤٥	مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥
٢٤٦	مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ط٣- بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ).
٢٤٦	المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداودي (ط١، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية - ١٤١٢ هـ).

٢٤٧	المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م
٢٤٨	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسنو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
٢٤٩	مناقب الإمام أحمد، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ.
٢٥٠	مناهج المفسرين، لمنيع بن عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ب ط، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٢٥١	مناهل العرفان في غلوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط٣، موقع المدينة الرقمية، طبعة عيسى الحلبي
٢٥٢	المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)
٢٥٣	المنهاج في شعب الإيمان، للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحلبي (المتوفى: ٤٠٣ هـ)، المحقق: حلمي محمد



	فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
٢٥٤	منهج الإمام الرازي بين الأشاعرة والمعتزلة، د. خديجة حمادي العبدالله، (رسالة دكتوراه) مصر، دار النوادر، جامعة القاهرة،
٢٥٥	الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
٢٥٦	المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر
٢٥٧	الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزء، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)
٢٥٨	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، (مصر- وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب).
٢٥٩	نزهة الألباء في طبقات الأدياء، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٢٦٠	نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم الراضي،

مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م	
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ب ط، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م	٢٦١
نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م	٢٦٢
نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م	٢٦٣
النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.	٢٦٤
نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر التتبتكي السوداني، أبو العباس (المتوفى: ١٠٣٦هـ) عناية: د. عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠م	٢٦٥
الهداية إلى بلوغ النهاية: لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد	٢٦٦



	البوشيخي مجموعة بحوث والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (ط١، جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ).
٢٦٧	هدية العارفين أسماء ين وآثار المصنفين: لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
٢٦٨	همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر
٢٦٩	الوَأَصِح في أصولِ الفقه، لأبي الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، (ت: ٥١٣هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المُحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٢٧٠	الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط دار إحياء التراث - بيروت، ب ط، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٢٧١	الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٧٢	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط١، سنة ١٩٩٤م
٢٧٣	ولاية الله والطريق إليها، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، المحقق: إبراهيم إبراهيم هلال، الناشر: دار الكتب الحديثة - مصر / القاهرة.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ج	ملخص الرسالة باللغة العربية
د	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية
١	المقدمة
٢	أهمية الموضوع
٣	أهداف البحث
٤	مشكلة البحث
٥	حدود البحث
٤	جهود ودراسات السابقة
٥	منهج البحث
٦	هيكل الباحث
٨	الفصل الأول: التعريف بالإمام البغوي وكتابه (معالم التنزيل)
٩	المبحث الأول: التعريف بالإمام البغوي
١٠	المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته.
١٣	المطلب الثاني: المطلب الثاني: مكانته العلمية:
٢٢	المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي.
٢٣	المبحث الثاني: عصر الإمام البغوي وفيه ثلاث مطالب:
٢٤	المطلب الأول: الحالة السياسية.
٢٨	المطلب الثاني: الحاجة العلمية.
٣١	المطلب الثالث: الحاجة الاجتماعية.



الصفحة	الموضوع
٣٣	المبحث الثالث: نبذة عن كتاب (معالم التنزيل)
٣٤	المطلب الأول: مكانة الكتاب وأهميته.
٣٥	المطلب الثاني: سبب تأليفه.
٣٦	المطلب الرابع: أهم مميزات الكتاب.
٣٨	المطلب الخامس: أثره فيمن بعده.
٣٨	المطلب السادس: مصادره.
٣٩	منهج البغوي في كتابه:
٤٧	الفصل الثاني: التساؤلات التفسيرية: تعريفها، ونشأتها، وأسباب ظهورها، وصيغها
٤٨	المبحث الأول: تعريف التساؤلات التفسيرية، وفيه ثلاثة مطالب:
٤٩	المطلب الأول: تعريف التساؤل لغةً واصطلاحًا.
٥٠	المطلب الثاني: تعريف التفسير لغةً واصطلاحًا.
٥٣	المبحث الثاني: نشأة التساؤلات التفسيرية وأسباب ظهورها.
٥٤	المطلب الأول: نشأة التساؤلات التفسيرية.
٥٨	المطلب الثاني: أسباب ظهور التساؤلات التفسيرية.
٦٤	المبحث الثالث: صيغ التساؤلات التفسيرية عند البغوي، ومنهج في الإجابة عنها
٦٥	المطلب الأول: صيغ التساؤلات التفسيرية عند الإمام البغوي.
٦٦	المطلب الثاني: منهج الإمام البغوي في الإجابة عن تساؤلاته.
-٦٩ ٤٢٨	القسم الثاني: الدراسة التطبيقية: وتشمل ذكر التساؤلات التفسيرية التي أوردتها الإمام البغوي، ودراسة إجاباته عنها في كامل تفسيره، مرتبةً حسب ترتيب سور القرآن الكريم ، من سورة الفاتحة إلى سورة ص.
٧٠	سورة الفاتحة
٧٠	التساؤل رقم (١)
٧٤	سورة البقرة
٧٤	التساؤل رقم (٢)

الصفحة	الموضوع
٧٨	التساؤل رقم (٣)
٨٠	التساؤل رقم (٤)
٨٢	التساؤل رقم (٥)
٨٧	التساؤل رقم (٦)
٩١	التساؤل رقم (٧)
٩٥	التساؤل رقم (٨)
٩٩	التساؤل رقم (٩)
١٠٢	التساؤل رقم (١٠)
١٠٦	التساؤل رقم (١١)
١١١	التساؤل رقم (١٢)
١١٦	التساؤل رقم (١٣)
١٢٠	التساؤل رقم (١٤)
١٢٤	سورة ال عمران
١٢٤	التساؤل رقم (١٥)
١٢٩	التساؤل رقم (١٦)
١٣٤	التساؤل رقم (١٧)
١٣٩	التساؤل رقم (١٨)
١٤٤	التساؤل رقم (١٩)
١٤٩	التساؤل رقم (٢٠)
١٥٢	التساؤل رقم (٢١)
١٥٦	التساؤل رقم (٢٢)
١٦٠	سورة النساء
١٦٠	التساؤل رقم (٢٣)
١٦٥	التساؤل رقم (٢٤)



الصفحة	الموضوع
١٧١	التساؤل رقم (٢٥)
١٧٧	التساؤل رقم (٢٦)
١٨٠	التساؤل رقم (٢٧)
١٨٦	التساؤل رقم (٢٨)
١٩٠	التساؤل رقم (٢٩)
١٩٣	سورة المائدة
١٩٣	التساؤل رقم (٣٠)
١٩٦	التساؤل رقم (٣١)
٢٠١	التساؤل رقم (٣٢)
٢٠٤	التساؤل رقم (٣٣)
٢٠٧	التساؤل رقم (٣٤)
٢١٢	سورة الأعراف
٢١٢	التساؤل رقم (٣٥)
٢١٧	التساؤل رقم (٣٦)
٢٢٣	التساؤل رقم (٣٧)
٢٢٧	التساؤل رقم (٣٨)
٢٣٠	التساؤل رقم (٣٩)
٢٣٣	التساؤل رقم (٤٠)
٢٣٦	التساؤل رقم (٤١)
٢٤٠	التساؤل رقم (٤٢)
٢٤٥	التساؤل رقم (٤٣)
٢٤٩	التساؤل رقم (٤٤)
٢٥٣	التساؤل رقم (٤٥)
٢٥٧	التساؤل رقم (٤٦)

الصفحة	الموضوع
٢٦١	التساؤل رقم (٤٧)
٢٦٤	التساؤل رقم (٤٨)
٢٦٧	التساؤل رقم (٤٩)
٢٧١	التساؤل رقم (٥٠)
٢٧٤	التساؤل رقم (٥١)
٢٧٩	التساؤل رقم (٥٢)
٢٨٣	التساؤل رقم (٥٣)
٢٨٦	التساؤل رقم (٥٤)
٢٨٩	التساؤل رقم (٥٥)
٢٩٢	التساؤل رقم (٥٦)
٢٩٦	التساؤل رقم (٥٧)
٢٩٩	التساؤل رقم (٥٨)
٣٠٣	التساؤل رقم (٥٩)
٣٠٨	التساؤل رقم (٦٠)
٣١٢	التساؤل رقم (٦١)
٣١٧	التساؤل رقم (٦٢)
٣٢٠	التساؤل رقم (٦٣)
٣٢٤	التساؤل رقم (٦٤)
٣٢٨	التساؤل رقم (٦٥)
٣٣٠	التساؤل رقم (٦٦)
٣٣٥	التساؤل رقم (٦٧)
٣٤٠	التساؤل رقم (٦٨)
٣٤٣	التساؤل رقم (٦٩)
٣٤٥	التساؤل رقم (٧٠)



الصفحة	الموضوع
٣٤٩	التساؤل رقم (٧١)
٣٥٢	التساؤل رقم (٧٢)
٣٥٤	التساؤل رقم (٧٣)
٣٥٧	التساؤل رقم (٧٤)
٣٥٩	التساؤل رقم (٧٥)
٣٦٢	التساؤل رقم (٧٦)
٣٦٦	التساؤل رقم (٧٧)
٣٧٢	التساؤل رقم (٧٨)
٣٧٧	التساؤل رقم (٧٩)
٣٨٠	التساؤل رقم (٨٠)
٣٨٤	التساؤل رقم (٨١)
٣٨٩	التساؤل رقم (٨٢)
٣٩٣	التساؤل رقم (٨٣)
٣٩٧	التساؤل رقم (٨٤)
٤٠٠	التساؤل رقم (٨٥)
٤٠٥	التساؤل رقم (٨٦)
٤٠٨	التساؤل رقم (٨٧)
٤١١	التساؤل رقم (٨٨)
٤١٤	التساؤل رقم (٨٩)
٤١٨	التساؤل رقم (٩٠)
٤٢١	التساؤل رقم (٩١)
٤٢٤	التساؤل رقم (٩٢)